الدُّرر البهية اللطيفة

لسيدي الحسيب النسيب الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي

الحسيني نقيب السادة الأشراف لآهل البيت

طرابلس لبنان 1434هـ

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلي و سلم و بارك وشرف و عظم بكل و قت من الأوقات ملء الأراضين و السموات على سيد السادات و إمام القادات ورئيس الكل في الحضرات و على آله و أصحابه الكمالات و على المشايخ أرباب الحالات و على الفرد الأمجد و القطب الغوث الأوحد النائب عن حضرة رسول الله في ملك الله و الآمر بأمر الله في سموات الله و أرض الله و رضي الله عن الإمامين و السبع الأقطاب و عن الأبدال و الأنجاب و الأطراز الأحباب و الأوتاد و الأفراد و رجال أهل الإرشاد القائمين بمصالح العباد وعلى صلحاء المسلمين و رحمة الله و بركاته إنه البر المعين

اللهم صلي على سيدنا محمد بعدد نجوم السماء ، اللهم صلي على سيدنا محمد بعدد قطر الماء ، اللهم صل على سيدنا محمد بعدد الرمال والتراب والحصى اللهم صلي على سيدنا محمد بعدد أصواف الغنم وشعر الماعز ووبر الجمال اللهم صلي على سيدنا محمد بعدد أوراق الشجر ، اللهم صلي على سيدنا محمد بعدد كل من صلى على سيدنا محمد ، اللهم صلي على سيدنا محمد بعدد من لم يصلي على سيدنا محمد ، اللهم صلي على الحبيب المحبوب ، اللهم صلي على سيدنا محمد بعد من شرب الماء و الحليب ، اللهم صلي على سيدنا بعدد كل من طاف وسعى ولبى وكبر وذكر الله وشرب ماء زمزم وعلى آله وصحبه وسلم ، اللهم صلي على سيدي وقرة عيني ومهجة كبدي أبو فاطمة الزهراء وأبو ابراهيم وأبو القاسم عليه افضل صلاة وأزكى السلامات والبركات وعلى آله وصحبه وسلم اللهم صلي على سيدنا محمد كما صليت على سيدنا ابراهيم وبارك على سيدنا محمد كما باركت على سيدنا ابراهيم في العالمين إنك حيد مجيد اللهم صلي على سيدنا محمد النبي الأمي الطاهر الزكي وعلى آله وصحبه وسلم

اللهم صلِّ على سيدنا محمد الذي تنحل به العقد وتنفرج به الكرب وتنال به الرغائب وحسن الخواتيم ويستسقى الغمام بوجهه الكريم وعلى آله وصحبه وسلم

صلواتٌ عظمى من ربي وسلامٌ لرسول الله لا خلق أبداً يقدرها تعظيماً لرسول الله

اللهم صلي على سيدنا محمد بعدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون وعلى آله وصحبه وسلم

إهداء الى سيدي وجدي وحبيبي الرسول الأعظم سيد المخلوقين محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عماد الدين ابن كثير نقلاً عن ابن خليكان ومن شعر الإمام الرفاعي رضي الله عنه وقدس سره

إذا جــن ليـلي هــام قلبي بذكركـم ... أنوح كما نــاح الحمام المطوقُ
وفوقي سـحاب يمطر الهم والأسـى ... وتحتي بحارٌ بـالأســـى تتدفـقُ
سلوا أم عمرو كيف بات أســيرها ... تفكُ الأسارى دونه وهو مـوثقُ
فــلا هــو مقتولٌ ففي القتل راحةٌ ... ولا هـــو ممنون عـليه فيطلقُ

بسم الله الرحمن الرحيم

تواضع

تواضع تكن كالنجم لاح لناظرٍ ... على طبقات الماء وهـــو رفيع
ولا تكُ كالدخان يعلو بنفســه ... الى طبقات الجو وهــو وضيعُ
وأكـــرم أخلاق الفتى وأجلّها ... تواضعه للناس وهــــو رفيعُ
وأقبح شيء أن يرى المرء نفسه ... رفيعاً وهو عند العالمين وضيعُ

عتاب النفس

وفؤادي كلما عاتبته   في مدى الهجران يبغي تعبي

لا أراه الدهر إلا لاهياً   في تماديه فقد برح بي

يا قرين السوء ما هذا الصبا   فني العمر كذا في اللعب

وشباب بان عني فمضى   قبل أن أمضي في أربي

ما أرجّي بعده إلا الفنا   ضَيّقَ الشيب علي مطلبي

ويح نفسي لا أراها أبداً   في جميل لا ولا في أدب

نفس لا كنت ولا كان الهوى   راقبي المولى وخافي وارهبي

تــرجمـة المــؤلــف

هو المربي الكبير للسالكين والمريدين الفريد الكامل السيد الشيخ عبد الله , ابن الشريف السيد مصطفى , ابن السيد سعيد , ابن السيد محمد , ابن السيد حسن , ابن السيد يوسف , ابن السيد حسين , ابن السيد حمود , ابن السيد عثمان , ابن السيد السلطان محمد عجاج , ابن السيد القطب المكين العارف بالله السيد حسين برهان الدين , ابن السيد عبد العلام , ابن السيد عبد الله شهاب الدين الزبيدي ابن السيد محمود الصوفي , ابن السيد محمد برهان الدين , ابن السيد حسن الغواص (دفين الشام) ,ابن السيد محمد شاه , ابن السيد محمد خزام (دفين الموصل) , ابن السيد نور الدين الصيادي , ابن السيد عبد الواحد , ابن السيد محمود الأسمر , ابن السيد حسين العراقي , ابن السيد ابراهيم العربي , ابن السيد محمود البصري , ابن السيد عبد الرحمن شمس الدين , ابن السيد عبد الله قاسم نجم الدين المبارك , ابن السيد محمد خزام السليم , ابن السيد شمس الدين عبد الكريم , ابن السيد صالح عبد الرزاق , ابن السيد شمس الدين محمد , ابن السيد العارف بالله صدر الدين علي , ابن السيد القطب الجواد قطب الشام وساجد العام سبط الإمام الرفاعي السيد عز الدين أحمد الصياد , ابن السيد ممهد الدولة عبد الرحيم , ابن السيد عثمان , ابن السيد حسن , ابن السيد محمد عسلة (دفين إشبيلية), ابن السيد علي الحازم أبي الفوارس , ابن السيد أحمد المرتضى (نزيل المغرب), ابن السيد علي المكي (نزيل إشبيلية) , ابن السيد حسن رفاعة (دفين إشبيلية), ابن السيد المهدي (نزيل مكة المكرمة), ابن السيد أبي القاسم محمد (نزيل مكة المكرمة), ابن السيد حسن (نزيل مكة المكرمة), ابن السيد حسين , ابن السيد أحمد الملقب بالأكبر , ابن السيد موسى الثاني (نزيل بغداد), ابن السيد الإمام موسى الكاظم (شهيد السجن), ابن السيد الإمام جعفر الصادق , ابن السيد الإمام محمد الباقر , ابن السيد الإمام زين العابدين علي (شهيد كربلاء), سبط رسول الله ﷺ الحسين ابن أسد الله فحل المشارق والمغارب أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وزوجته السيدة الزهراء ريحانة رسول الله ﷺ.

أمانسبه من جهة أمه فينتهي إلى القطب الرباني السيد عبد القادر الجيلاني(قدس سره)الذي ينتهي نسبه إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين.

نسبٌ تحسد النجوم علاه   نُظِمت ضمن سلكه الأقمار

كـل أفراده شـيوخ كبار   شــرفــاء أئــمـة أطـهــار

أخوة القطب الغوث الحسيب النسيب السيد الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني

السيد سعيد السعيد

السيد محمد السعيد أبو ياسر

السيد أحمد السعيد

السيد عبد المنعم السعيد

السيد حسن السعيد

السيد عبد الباسط السعيد

السيدة مريم السعيد

السيدة فاطمة السعيد

وهؤلاء كلهم لهم ذرية طيبة ومباركة

نشأته رضي الله عنه :

نشأ السيد الشيخ عبد الله السعيد في قرية كفر زيتا بجوار متكين بقرب جده القطب الغوث الجواد ساجد العام وقطب بلاد الشام , السيد أحمد عز الدين الصياد نشأ على الورع والتقوى والصلاح منذ صغره حيث تربى بتربية والده الصالح التقي الشريف السيد مصطفى السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني وسجلهُ في دار العلوم الشرعية في مدينة حماة المحمية وبعد أن تعلم في المدرسة الشرعية كانت العناية الربانية حيث أن الله فتح عليه كما فتح على الأنبياء والرسل والأولياء العارفين والصالحين والخُلص من عباده حيث ساح بصدقٍ مستقيماً على التقوى والطاعة متواضعاً بعيداً عن كل شيء يخالف أوامر الله حتى نال القَبول وكانت تلحَظُه أنظار أجداده العارفين بالله السيد أحمد عز الدين الصياد وجده سيد القوم وسيد الأقطاب السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنهم أجمعين وكان السيد المشار إليه السيد الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني قد جدد طريقة أجداده السيد أحمدعز الدين الصياد والسيد أحمدمحي الدين الكبير الرفاعي رضي الله عنهم وجدد نوبتهم وفتح الله عليه الأقطار والأمصار بأنظار جده سيد المخلوقين الحبيب المصطفى ﷺ, حيث أن السيد الشيخ الجليل عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني نشر الطريقة الرفاعية الحسينية العلية في جميع أنحاء العالم في مصر, المغرب, الجزائر, لبنان , تركيا , إنكلترا, إندونيسيا ,ماليزيا و الهند وبلغت مريديه وخلفائه بالألوف المؤلفة وكل ذلك بعناية الله عز وجل ولطفه وكرمه على عبده وخادمه خادم الفقراء والمساكين السيد الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني ولا زال ينشر الطريقة ودين الإسلام ويدعوا إلى الله .

أسماء رجال السلسلة القادرية في لبنان

سيدنا محمد ﷺ ، سيدنا علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه ، سيدنا الحسن البصري ، سيدنا حبيب العجمي ، سيدنا داود الطائي ، سيدنا معروف الكرخي ، سيدنا السَّريّ السَّقطي ، سيدنا الجنيد البغدادي ، سيدنا أبو بكر دلف { وقيل جعفر الشبلي } ، سيدنا عبد الواحد التميمي ، سيدنا أبو الفرج الطرسوسيّ ، سيدنا أبو الحسن علي بن محمد القرشي ، سيدنا أبو سعيد المخرمي المخزومي ، سيدي عبد القادر الجيلاني ، ولده أبو بكر عبد العزيز ، ولده أبو بكر محمد الهتاك الحيالي ، ولده محمد حسام الدين شرشيق ، ولده محمد شمس الدين الأكحل ، ولده بدر الدين حسن ، ابن أخيه علي نور الدين ، ولده محمد شمس الدين ، ولده موسى شرف الدين ، ولده محمد شرف الدين ، ولده أحمد أبو البقاء ، ولده محمد زين العابدين ولده علي نور الدين الكبير ، ولده أبو بكر عبد العزيز ، ولده يعقوب ، ولده محمد ، أخيه يعقوب ، ولده محمد ، ولده علي نور الدين المقرفص الزعبي ، ولده أبو بكر محمد ، ولده محمد بدر الدين شعفة ، ولده أحمد الزعبي الملقب بالذهبي وشقيقه السيّد بكار ، ابن أخيه علي بكار ، ابن عمه يوسف الناصر ، ابن عمه عبد الغني الزعبي ، ولده بكار ، ابن عمه عبد الفتاح الزعبي الثاني نقيب الأشراف ، ابن عمه الشيخ حسن الدهيبي الزعبي الجيلاني ، ابن عمه عمر بن حسين الدهيبي ، ابن عمه عبد المجيد بن طه الدهيبي .

باب شمائل النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم

المقدمة في وجوب التعرف الى جناب رسول الله صلى الله عليه وسلم

ووجوب الإطلاع على شمائله الشريفة وسجاياه اللطيفة

قال الله تعالى (واعلموا أن فيكم رسول الله .....) الآية .

وقال تعالى (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون .....) الآية ؟! .

إن حقاً على جميع العقلاء المكلفين أن يتعرفوا الى هذا الرسول الكريم وشمائله الحميدة وخصائله المجيدة ، وذلك لوجوه متعددة :

الوجه الأول : أن الله تعالى أمر العباد أن يؤمنوا بهذا الرسول الكريم ﷺ فقال (آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير) .

والإيمان به ﷺ يتطلب من العباد أن يعرفوا فضل هذا النبي الكريم ، ورفعة مستواه على غيره وما أسبغ الله تعالى عليه من الكمالات النفسية ، وما أدَّبه من الآداب الكريمة الرضية ، وما وهبه من الخُلُق العظيم والخَلْق الحسن الكريم ، وما أبدع فيه سبحانه من المحاسن ، وجمع فيه مجامع الكمالات ، فجعل جوهره الكريم عالياً على سائر الأفراد والأجناس ، بحيث لا ينقاس بغيره من الناس .

وكيف يقاس بغيره ؟ وقد ميزه الله تعالى بمميزات الكمال ، وخصَّه بأكرم الخصال ، وأعلاه ذروة الخُلُقِ العظيم ، وجمله في أحسن صورة وأبدع تقويم ، وخصه سبحانه بأنواع الإختصاص : فرباه بعنايته ، ورعاه برعايته ، فقال سبحانه (ألم يجدك يتيماً فآوى ، ووجدك ضالاً فهدى ، ووجدك عائلاً فأغنى) .

وتولى سبحانه إقراءه وتعليمه ، في حين أنه ﷺ نشأ أمياً ، فقال له سبحانه : (إقرأ باسم ربك) أي لا بدراستك ولا بثقافتك ، وقال : (سنقرئك فلا تنسى) وقال : (وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما) .

وإن مقام (يوحى إليَّ) المذكور في قوله تعالى : (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ) يلفت الأنظار الى موضع الإعتبار , في شأن هذا الرسول المختار ، ويشير الى خصائص هذا النبي الكريم ، الذي هيَّأه الله تعالى وأهَّله ، وأعده وأمدَّه في روحه وجسمه ، وعقله وفهمه ، وسمعه

وبصره ، وسائر مداركه وجوارحه ، وجوانحه ، وأعطاه قابلية الإختصاص لأن يتلقى الوحي بجميع طرق الوحي من رب العالمين .

ومن ثم لما واصل ﷺ الصيام ، واصل بعض أصحابه معه ، فنهاهم عن الوصال ، فقالوا : (نراك تواصل يا رسول الله) ؟ فقال : { إني لست مثلَكم - وفي رواية : إني لست كهيئتكم - أبيت يطعمني ربي ويسقيني } كما جاء في الصحيحين .

فهو ﷺ بشر لا كالبشر ، كما أن الياقوت حجر لا كالحجر .

الوجه الثاني : أن الله تعالى أمر العباد باتباع النبي ﷺ فقال تعالى : (قل : إن كنتم تحبُّون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) فجعل سبحانه الدليل الصادق على محبته هو اتباع النبي ﷺ وقال تعالى : (واتبعوه لعلكم تهتدون) أي : الى ما فيه سعادتكم في الدنيا والآخرة .

وهذا يتطلب البحث عن أعماله ﷺ وعن أقواله وأحواله ، ويتطلَّب التعرّف الى سجاياه الكريمة وأخلاقه العظيمة ، ليُتأسَّى به ، وليُتَّبَعَ في ذلك اتباعاً كاملاً شاملاً ، إلاَّ فيما خصه الله تعالى به من الأحكام والأحوال .

ومن ثَمَّ كان أصحاب النبي ﷺ يحرصون كل الحرص على تتبُّع أفعاله وأقواله ، وأحواله وآدابه وأخلاقه ، ليتبعوه في ذلك ، بل كانوا يحرصون كل الحرص على تتبُّع عاداته ﷺ لأن عادات السادات هي سادات العادات ، فكيف بعادات سيد السادات عليه أفضل الصلوات والتسليمات ؟! .

قال العلامة السنوسي رحمه الله تعالى في شرح مقدمته : وقد عُلم من دين الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ضرورة اتباعه ﷺ من غير توقُّفٍ ولا نظر في جميع أقواله وأفعاله ، إلا ما قام عليه دليل اختصاصه به ﷺ فقد خلعوا نعالهم لما خلع ﷺ نعله ، ونزعوا خواتيمهم الذهبية لما نزع ﷺ خاتم الذهب وحسر أبو بكر وعمر في قصة جلوسهما على البئر كما فعل عليه السلام وكاد يقتل بعضهم بعضاً من شدة الإزدحام على الحلاق عندما رأوا النبي ﷺ يحلق رأسه الشريف ، وحَلَّ من عمرته في قضية الحديبية - وكان الصحابة يبحثون البحث العظيم عن هيئات جلوسه ﷺ ونومه ، وكيفية أكله وشربه ، وغير ذلك ليقتدوا به . اهـ .

بل كانوا يحبون ما يحبه ﷺ من الطعام [1] ويكرهون ما يكره [2] وقد ذكرنا في كتابنا هذا جانباً من جوانب أخلاقه ﷺ وآدابه وأعماله وأقواله ، وأذكاره وعباداته ، ليقتدى به في ذلك صلى الله عليه وسلم .

1- كما روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن خياطاً دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه ، قال أنس : فذهبت مع رسول الله ﷺ الى ذلك الطعام فقرب الى رسول الله ﷺ خبزاً من شعير ومَرَقاً فيه دباء - أي : قرع - فرأيت النبي ﷺ يتتبع الدباء فلم أزل أحبه من يومئذٍ .

2- كما ورد في صحيح مسلم عن أبي أيوب رضي الله عنه لما صنع طعاماً للنبي ﷺ وفيه ثوم ، فقيل لأبي أيوب : لم يأكل منه النبي ﷺ ، فقال : أحرام هو ؟ فقال النبي ﷺ : (لا ، ولكني أكرهه) قال أبو أيوب : فإني أكره ما تكره .... الحديث .

الوجه الثالث : أن الله تعالى أوجب على المؤمنين أي يحبوا النبي ﷺ فوق محبة الآباء والأبناء والأزواج والعشيرة ، والتجارة والأموال ، وأوعد من تخلف عن تحقيق ذلك بالعقاب ، فقال سبحانه : (قل : إنْ كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشَوْنَ كسادها ومساكنُ ترضَوْنها أَحَبَّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) .

ولا ريب أن أسباب المحبة ترجع الى أنواع الجمال والكمال والنوال ، كما قرره الإمام الغزالي رضي الله عنه وغيره .

فإذا كان الرجلُ يُحَبُ لكرمه ، أو لشجاعته ، أو لحلمه ، أو لعلمه ، أو لتواضعه ، أو لتعَبُّدِه وتقواه ، أو لزهده وورعه ، أو لكمال عقله ، أو وفور فهمه ، أو جمال أدبه ، أو حسن خلقه ، أو فصاحة لسانه ، أو حسن معاشرته ، أو كثرة برّه وخيره ، أو لشفقته ورحمته ، أو نحو ذلك من صفات الكمال ... فكيف إذا تأصَّلَتْ واجتمعت هذه الصفات الكاملة وغيرها من صفات الكمال ، في رجل واحد ، وتحققت فيه أوصاف الكمال ومحاسن الجمال على أكمل وجوهها ، ألا وهو السيد الأكرم سيدنا محمد ﷺ ، الذي هو مجمع صفات الكمال ومحاسن الخصال ، وقد أبدع الله تعالى صورته العظيمة ، وهيئته الكريمة ، وطوى فيه أنواع الحسن والبهاء ، بحيث يقول كل من نعته : لم يُرَ قبله ولا بعده مثله .

ولذلك كان من الواجب على المكلف أن يتعرف الى جمال هذا الرسول الكريم ﷺ ومحاسنه الخلقية ، وكمالاته النفسية والروحية ، والقلبية والعقلية والعلمية ، وذلك لينال مقام محبته الصادقة ، لأنَّ المعرفة هي سبب المحبة ، فكلما زادت المعرفة بمحاسن المحبوب ، زادت المحبة له .

قال سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما سألت خالي هند بن أبي هالة - وكان وصافاً - عن حِلْية النبي ﷺ وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به ، فقال : (كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً ، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ... الحديث كما سيأتي .

الوجه الرابع : أن اطلاع الإنسان على أوصافه ﷺ العظيمة وشمائله الكريمة - ليُعطي صورة علميةً تنطبع في القلب ، وترتسم في المخيلة ، كأنه قد رأى محبوبه ﷺ .

فقد كان ﷺ يذكر لأصحابه أوصاف الرسل قبله ويقرّب إليهم ذلك بأشباههم ، حتى إنهم يصيرون بحالٍ كأنهم قد رأوهم ، وذلك أقرب سبيل للتعرف بهم ، وأقرب طريق للتحبب فيهم .

جاء في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (ليلة أسري بي لقيتُ موسى - قال الراوي : فنعته النبي ﷺ - أي : وَصَفَه - رَجِل الرأس ، كأنه من رجال شنوءة ، قال : ولقيتُ عيسى - فنعته ﷺ فقال : - رَبْعَةٌ أحمر ، كأنما خرج من ديماس - يعني الحمام - ورأيت إبرهيم وأنا أشبه ولده به ...) الحديث .

الوجه الخامس : أن في ذكر شمائله ﷺ وسماع أوصافه ونعوته ، تحيا قلوب المحبين ، وتطرب أرواحهم وعقولهم ، ويزداد حبهم ، ويتحرك اشتياقهم .

قال العارف الكبير الشيخ أبو مدين رضي الله عنه :

ونحيا بذكراكمْ إذا لم نراكمُ ... ألا إن تَذكار الأحبة ينعشنا

فلولا معانيكم تراها قلوبنا ... إذا نحن أيقاظ وفي النوم إن غبنا

لمتنا أسىً من بُعدكم وصبابةً ... ولكن في المعنى معانيكمُ معنا

يحرّكنا ذكر الأحاديث عنكمُ ... ولولا هواكم في الحشا ما تحرّكنا

ويرحم الله القائل :

أخلايَ إن شطَّ الحبيب ورَبْعه ... وعزَّ تلاقيه وناءتْ منازلهْ

وفاتكمُ أن تنظروه بعينكم ... فما فاتكم بالسمع هذي شمائله ﷺ

حول محاسن صورته الشريفة صلى الله عليه وسلم

اعلم - علمنا الله تعالى وإياك - أن الله تعالى خلق سيدنا محمد ﷺ في أجمل صورة بشرية ، وأكمل خلقة آدمية ، فهو ﷺ مجمع المحاسن المبدَعات ، والفضائل والكمالات الخَلْقيَّة والخُلُقيَّة ، وقد أجمعت كلمة الذين رأوه ووصفوه على أنه ﷺ لم يُرَ له مثيل سابق ولا نظير لاحق ، قال البراء بن عازب رضي الله عنه : (كان النبي ﷺ أحسن الناس وجهاً ، وأحسنهم خُلُقاً ، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير) متفق عليه .

وعنه رضي الله عنه أنه قال : (كان النبي ﷺ مربوعاً ، بعيد ما بين المنكبين له شعر يبلغ شحمة أذنيه ، رأيته في حُلةٍ حمراء ، لم أر شيئاً قط أحسنَ منه ﷺ) رواه مسلم .

وعن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه قال : (كان رسول الله ﷺ ليس بالقصير ولا بالطويل ضخم الرأس ، شَثْن الكفين والقدمين ، مُشْرَباً وجهه بحمرة ، طويل المسربُة ، إذا مشى تكفأ كأنما يقلع من صخر ، لم أر قبله ولا بعده مثله) رواه الإمام أحمد .

وعن علي رضي الله عنه أنه كان إذا وصف رسول الله ﷺ قال : (لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل الممغَّط ، ولا بالقصير المتردّد ، وكان ربْعة من القوم ولم يكن بالجَعْد القَطَط ، ولا بالسبْط ، كان جعْداً رَجِلاً ، ولم يكن بالمطهم ولا بالمُكَلْثم ، وكان في وجهه تدوير أبيضُ [1] ، مُشْرب بحمرة ، أدعج العينين ، أهدب الأشفار ، جليلُ المشاش والكَتَد ، أجردُ ، ذو مَسْربُةٍ ، شثن الكفين والقدمين ، إذا مشى تقلعَ كأنما ينحط من صَبَبِ ، وإذا التفتَ التفتَ معاً ، بين كتفيه خاتَم النبوَّة وهو خاتم النبيين ، أجود الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجةً ، وألينهم عريكةً ، وأكرمهم عِشْرْةً ، من رآه بديهةً هابه ، ومن خالطه معرفةً أحبه ، يقول ناعته : لم أرَ قبله ولا بعدَه مثلَه) [2] .

1- وأما ما ورد في بعض الأحاديث أنه ﷺ كان أسمر ، فقد أعله الحافظ العراقي بالشذوذ ، وقال هذه اللفظة - يعني أسمر - انفرد بها حميد عن أنس ورواه غيره من الرواة عن أنس بلفظ (أزهر اللون) وقد ورد وصف لونه ﷺ بالبياض عن خمسة عشر صحابياً كما نبه عليه المحققون .

2- قال الحافظ أبو عيسى الترمذي بعدما روى هذا الحديث : سمعت أبا جعفر محمد بن الحسين يقول : سمعت الأصمعي يقول في تفسيره صفة النبي ﷺ : الممغظ : الذاهب طولاً ، وقال : سمعت أعرابياً يقول في كلامه : تمغط في نشابته أي : مدها مداً شديداً ، فهو اسم مفعول من التمغيط ، كما حكاه في =

وروى البيهقي وغيره [1] أن رسول الله ﷺ ليلة هاجر من مكة الى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فُهَيْرة مولى أبي بكر ، ودليلهم عبد الله بن أُريقط الليثي ، فمرُّوا بخيمة أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية - وكانت أم معبد أمرأةً برزة [2] جلدة - أي : قوية - تحتبي وتجلس بفناء الخيمة فتطعم وتسقي (من يمر بها) فسألوها هل عندها لحم أو لبن يشترونه منها ؟ فلم يجدوا شيئاً من ذلك ، وقالتْ : والله لو كان عندنا شيء ما أعوزناكم القِرى - أي : ما أحوجناكم بل كنا نضيفكم - وإن القوم مُرمِلون مُسنتون [3] .

فنظر رسول الله ﷺ فإذا شاة في كِسر - أي : جانب - خيمتها فقال : (ما هذه الشاة يا أمَّ معبد؟) فقالت : شاة خلّفها الجهد [4] عن الغنم .

فقال ﷺ : (فهل فيها من لبن ؟) .

فقالت هي أجهد - أي : أضعف - من ذلك .

= (جامع الأصول) عن المحدثين . وقال القسطلاني : الممغط بتشديد الميم الثانية وبكسر الغين ، اسم فاعل ، وأصله : منمغط ، فقلبت النون ميماً وأدغمت . أهـ من (شرح المواهب) باختصار 4 : 199 .

المتردد : الداخل بعضه في بعض قصراً ، وأما القطط : فالشديد الجعودة .

والرجل : الذي في شعره حجونة أي : تثن قليلاً .

وأما المطهم : فالبادن الكثير من اللحم . والمكلثم المدور الوجه .

والمشرب : الذي في بياضه حمرة ، والأدعج : الشديد سواد العين .

والأهدب الطويل الأشفار ، أي طويل شعر الأشفار ، لأن الأشفار هي الأجفان التي تنبت عليها الأهداب .

والكتد : مجتمع الكتفين ، وهو الكاهل ، والمسربة : هو الشعر الدقيق الذي كأنه قضيب من الصدر الى السرة . والشثن : الغليظ الأصابع من الكفين والقدمين . والتقلع : أن يمشي بقوة . والصبب : الحدور ، يقال : انحدارنا في صبوب وصبب . وقوله : جليل المشاش يريد رؤوس المناكب . والعشرة : الصحبة ، والعشير : الصاحب . والبديهة : المفاجأة . يقال بدهته بأمر أي : فجأته به . اهـ .

3- ورواه الحاكم وصححه صاحب الغيلانيات وابن عبد البر وابن شاهين وابن السكن والطبراني وغيرهم . اهـ . من الزرقاني على المواهب .

وقال ابن كثير : وقصة أم معبد الخزاعية مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضاً . اهـ . ثم أورد هذا الحديث .

4- عفيفة جلية مسنة .

فقال : (أتأذني لي أن أحلبها)؟ .

فقالت : إن كان بها حَلْب فاحلُبها - وفي رواية قالت : نعم ، بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلْباً فاحلُبها - .

فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسحها ، وذكر اسم الله ومسح ضرعها - في رواية : ظهرها - وذكر اسم الله ، ودعا بإناءٍ لها يُريض الرهط - أي : يشبع الجماعة حتى يُريضوا [1] - وتفاجّت[2] ، واجترّت - وفي رواية : ودرّت - فحلب فيه ثجاً [3] حتى ملأه .

فسقى أمّ معبد وسقى أصحابه فشربوا عَلَلاً بعد نَهَل ، حتى إذا رووا شرب ﷺ آخرهم وقال : (ساقي القوم آخرهم شرباً) .

ثم حلب ﷺ فيه ثانياً عوداً على بدءٍ فغادره - أي : تركه - عندها - وفي رواية قال لها ﷺ : (ارفعي هذا لأبي معبدٍ إذا جاءك) - ثم ارتحلوا .

فقلما لبث - أي : ما لبث إلا قليلاً - أن جاء زوجها أبو معبدٍ يسوق أعنزاً عِجافاً يتساوكن هُزلاً مخّهنَّ [4] قليل ، فلما رأى اللبن عجب وقال : من أين هذا اللبن يا أم معبد ولا حلوب في البيت والشاة عازب [5] ؟! .

فقالت : لا والله إلاَّ أنه مرَّ بنا رجل مبارك ، وكان من حديثه كذا وكذا - وفي رواية كيت وكيت - .

فقال : صفيه لي يا أم معبد .

1- حتى يرووا من اللبن ويثقلو فيناموا .

2- فتحت مابين رجليها .

3- الثج : هو السيلان .

4- المخ : هو الودك الذي في العظم .

5- أي : بعيدة عن المرعى

فقالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة ، حسن الخَلقِ ، مليح الوجه ، لم تعبه ثَجْلة [1] ولم تُزْرِ بِهِ صَعْلة [2] ، قسيم وسيم [3] ، في عينيه دَعَج [4] ، وفي أشفاره وَطَف [5] ، وفي صوته صَحَل [6] أحْور [7] ، أكحل [8] ، أزجٌّ [9] ، أقرن [10] ، في عنقه سطع [11] ، وفي لحيته كثاثة ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، حلو المنطق كلامه فصل لا نزر [12] ، ولا هذر [13] كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ، أبهى الناس وأجمله من بعيد ، وأحسنه من قريب ، ربعة ، لا تَشْنَؤه [14] عين من طول ، ولا تقتحمه [15] عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قداً ، له رفقاء يَحفون به ، إن قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا لأمره ، محفود محشود [16] لا عابس ولا مفنِّد [17] .

1- الثجلة : بفتح الثاء وسكون الجيم : عِظَمُ البطن .

2- الصعلة : بفتح الصاد وسكون العين : صغر الرأس .

3- صفتان تدلان على الحسن .

4- الدعج : شدة سواد حدقة العين .

5- الوطف : مفتوح الطاء : كثرة شعر الحاجبين والعينين .

6- الصحل : بفتح الصاد والحاء : وهو كالبحة في الصوت .

7- الحور : أن يشتد بياض بياض العين وسواد سوادها ، وهو المحمود والمحبوب .

8- الكحل : بفتحتين : سواد في أجفان العين خلقة .

9- الأزج : هو دقيق طرف الحاجبين .

10- الأقرن : هو مقرون الحاجبين ، ولكن هذا مخالف لحديث هند بن أبي هالة الذي سيأتي ، وفيه أنه ﷺ أزج الحواجب سوابغ من غير قرن ، وهو المشهور ، وقد يجاب عن هذا : بان بين الحاجبين الشريفين شعراً خفيفاً يظهر إذا وقع عليه غبار السفر . اهـ .ملخصاً من شرح المواهب .

11- أي ارتفاع وطول

12- النزر بسكون الزاي : هو القليل .

13- الهذر : بفتح الذال : الكثير .

14- أي : لا يبغض لفرط طوله ، والمراد ليس فيه طول مبغوض الى النفوس .

15- أي : لا تتجاوزه الى غيره احتقاراً .

16- محفود أي : مخدوم ، والمحشود الذي عنده حشد وهم الجماعة .

17- المفند : الذي يكثر اللوم .

فقال أبو معبد : هذا والله صاحب قريش الذي تطلب ، ولو صادفتُه لالتمست أن أصحبه . وفي رواية لو رأيته لاتبعته - ولأجهدنَّ إن وجدت الى ذلك سبيلا - ثم هاجرت مع زوجها الى النبي ﷺ وأسلما [1] .

وروى مسلم والترمذي عن الجُرَيري - بالتصغير - أنه قال لأبي الطفيل : رأيت رسول الله ﷺ ؟ فقال : نعم . قلت : كيف رأيته ؟ - وفي رواية الترمذي : فقلت : صفه لي - فقال : كان رسول الله ﷺ أبيضَ مليحَ الوجه - وفي رواية : أبيض [2] مليحاً مقصَّداً [3] .

تلألؤ وجهه المنير وإشراق مُحياه

كان ﷺ أحسن الناس وجهاً ، وأنورهم مُحيًّا ، اجتمعت كلمة الصحابة الذين وصفوا رسول الله ﷺ ، على أنه ﷺ ، كان منير الوجه ، مُشرِق المحيا ، يتلألأ بالنور الباهر ، والضياء الزاهر ، والبهاء الظاهر .

فمن الصحابة من ضرب المثل لبهاء نوره ﷺ بالشمس ، ومنهم من شبّه ذلك بالقمر ، ومنهم من شبه لمعة إشراقات وجهه الشريف بلمعة القمر ، وجميع هذا مما يثبت لنا إشراقات وجهه الظاهرة ، وأنواره الباهرة ﷺ .

1- انظر شرح المواهب وتاريخ ابن كثير .

2- يعني أيضاً مشرباً بحمرة كما دلت عليه بقية الروايات .

3- أي : متوسطاً في جميع أوصافه ، والوسط هو مجمع كمال الطرفين المتقابلين .

وروى البيهقي عن أبي إسحاق الـهَمْداني (1) عن امرأة من هْمدان سماها (أبو إسحاق) قالت : حججتُ مع رسول الله ﷺ مراتٍ ، فرأيتهُ على بعيرٍ له يطوف بالكعبة ، بيده محجن عليه بُردان أحمران ، يكادُ يَمَسُّ شعره منكبه إذا مرَّ بالحجر أستلمه بالمحجن ، ثم يرفعه الى فيه فيقِّبله ، قال أبو إسحاق : فقلتُ لها : شبهيه ﷺ فقالت : (كالقمر ليلة البدر ، لم أرَ قبله ولا بعده مثله) .

ولما قدم ﷺ المدينة جعل أهلها يتناشدون .

طلع البدر علينا	من ثنيات الوداعِ
وجب الشكر علينا	ما دعا لله داعِ
أيها المبعوث فينا	جئت بالأمر المطاعِ

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً ، وأنورهم لوناً ، لم يصفه واصفٌ قطُّ إلا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر ، وكان عرقُه في وجهه مثلَ اللؤلؤ ، وأَطيبَ من المسك الأذفَر) . رواه أبو نعيم وغيره .

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة إضحيان وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر إليه والى القمر فلهو عندي أحسن من القمر .

رواه الترمذي

وعن أبي إسحاق السبعي أنه قال : سأل رجل البراء بن عازب : أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف ؟ فقال : لا ، بل مثل القمر .

رواه البخاري والترمذي

وروى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه وقال رجل : كان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف ؟ فقال جابر : لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديراً .

وفي صحيح البخاري من حديث كعب بن مالك أنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر ... الحديث .

رواه أبو نعيم وغيره

وفي ذلك يقول أبو طالب :

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وذكر ابن أبي خيثمة : كان ﷺ أجلى الجبين ، إذا طلع جبينه بين الشعر أو طلع من فلق الشعر ، أو عند الليل ، أو طلع بوجهه على الناس ، تراءى جبينه كأنه السراج المتوقِّد يتلألؤ ، وكانوا يقولون هو ﷺ كما قال شاعره حسان رضي الله عنه :

متى يبدُ في الليل البهيم جبينُه يلُح مثلَ مصباحِ الدُّجى المتوقِّدِ

فمن كان أو من قد يكون كأحمدٍ نظامٌ لحقٍّ أو نكالٌ لملحد

وفي حديث طارق بن عبد الله المحاربي - كما في سنن الدارقطني - قال : قالت الظعينة : { لا تلاوموا ، فقد رأيت وجه رجل ما كان ليحقركم ، ما رأيت وجه رجل أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه } تعني بذلك وجه رسول الله ﷺ .

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : { ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ، كأنَّ الشمس تجري في وجهه } .

قال الإمام الغزالي رضي الله عنه : وكانوا يقولون : هو كما وصفه صاحبه أبو بكر رضي الله عنه :

أمينٌ مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام

وعن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال : قلت للرُّبيِّع بنت معوِّذ : صفي لنا رسول الله ﷺ .

فقالت : { يا بنيَّ لو رأيته لرأيت الشمس طالعة } . رواه الترمذي والبيهقي وغيرهما .

ومما يثبت هذه النورانية المحمدية ما رواه علي بن الحسين عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال : { كنت نوراً بين يدي ربي } .

وهذا الحديث ذكره الحافظ أبو الحسن علي بن محمد بن القطان في أحكامه ، وابن القطان من نقاد الحديث المعروفين بصناعته ومن أشد العلماء عناية بالرواية والحفظ والإتقان .

عرقه الشريف وطيب رائحته

كان من صفاته ﷺ : أنه طيَّب الرائحة وإن لم يمسّ طيباً ومع ذلك كان يستعمل الطيب في كثير من الأوقات ، ليسنَّ ذلك لأمته فيتبعوه ، ولأنه حُبّب إليه الطيب ، كما في الحديث الذي رواه الترمذي أن النبي ﷺ قال : (حُبِّب إلي من دنياكم : الطيب والنساء ، وجُعلتْ قرَّة عيني في الصلاة) .

ومما يدل على أن طيب الرائحة كان صفة له ﷺ وهي أطيب الطيب كله ، وأن رائحته الزكية أطيب من النفحات العنبرية والمسكية : ما ورد في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال : (ما شممتُ عنبراً قطُ ولا مسكاً ، ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ ، ولا مسستُ شيئاً قط : ديباجاً ولا حريراً ألين مساً من رسول الله ﷺ) . رواه الشيخان وغيرهما .

وعن أنس رضي الله عنه قال : (كان رسول الله ﷺ أزهر اللون ، كأنّ عرقه اللؤلؤ ، إذا مشى تكفأ ، ولا مسستُ دِيباجةً ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله ﷺ) . رواه مسلم .

تطيُّب الصحابة بعرق النبي صلى الله عليه وسلم وتبرُّكهم به

روى الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : (دخل علينا النبي ﷺ فَقَالَ[1] عندنا ، فعرِق فجاءت أمي أُم سُلَيم بنت مِلحان - بقارورة[2] فجعلت تسلت العرق فيها ، فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : { يا أم سُلَيم ما هذا الذي تصنعين ؟ } قالت : هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب) .

وروى مسلم أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال : (كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها[3] وليست فيه قال : فجاء ذات يوم فنام على فراشها ، فأُتِيتُ فقيل لها هذا النبي ﷺ نام في بيتك على فراشك ، قال : فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه ﷺ على قطعة أديم على الفراش ففتحت أم سُلَيم عتيدتها[4] فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ، ففزع[5] النبي صلى الله عليه وسلم فقال : { ما تصنعين يا أم سليم ؟ } ، فقالت : يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا ، فقال : أصبت) .

وروى مسلم عن أنس عن أم سليم أن النبي ﷺ كان يأتيها فيَقيل عندها - أي : ينام في وقت القائلة - فتبسط له نِطْعاً فيقيل عليها[6] ، وكان النبي كثير العرق ، فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب والقوارير ، فقال النبي ﷺ : { يا أم سليم ما هذا ؟ } قالت : عرقك أدوف[7] به طيبي - وفي رواية أحمد فدعا لها بدعاء حسن .

1- أي : فنام وقت القيلولة وهي نصف النهار .

2- وهي : إناء من زجاج يوضع فيه الطيب وقد يطلق على غير الزجاج .

3- وكانت محرماً له ﷺ .

4- هو كالصندوق الصغير تجعل المرأة فيه ما يعز عليها من متاعها . 5- أي : استيقظ من نومه .

6- قال الإمام النووي في شرحه على هذا الحديث : إنها كانت محرماً له ﷺ ، ففيه الدخول على المحارم والنوم عندهن اهـ ، وقال أيضاً في (تهذيب الأسماء) : أم سليم : اختلف في أسمها ، فقيل : سهلة ، وقيل : رملة ، وقيل : أنيسة ، وقيل : رميثة ، وقيل : الرميصاء ، وهي بنت ملحان - بكسر الميم وقيل بفتحها - وهي أم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ لا خلاف في هذا بين أهل العلم ، ثم قال : وكانت أم سليم هذه وأختها خالتين لرسول الله ﷺ من جهة الرضاعة ، وكانت من فاضلات الصحابيات اهـ . فلا ينبغي أن يتوهم من حديث أم سليم أنه ﷺ كان يخلو بامرأة أجنبية عنه ، فإن أم سليم كانت محرماً له خالته من الرضاع ، بل إنه ﷺ قد تبرأ من ذلك الوهم ونفى عنه أن يظن به ذلك ، ففي الصحيحين عن علي بن الحسين رضي الله عنهما أن صفية زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ معتكفاً فأتيته أزوره ليلاً ، فحدثته ، ثم قمت لأنقلب=

إيثار محبة النبي صلى الله عليه وسلم على محبتهم لأنفسهم وتقديمهم له على نفوسهم ومن ذلك قصة زيد بن الدثنة

(لما أخرج المشركون في مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه بالتنعيم - لأنهم كانوا لا يقتلون في الحرم تعظيماً له - وقد أجتمع في الطرق خُبَيب وزيد بن الدثنة ، فتواصيا بالصبر والثبات على ما يلحقهما من المكاره .

قال أبو سفيان بن حرب - هو يومئذ مشرك - قال لزيد بن الدَّثِنة : أنشدك بالله - أي : أسألك بالله - يا زيد : أتحبُّ أن محمداً الآن عندنا مكانك ، تُضرَبُ عنقه ، وأنك في أهلك - أي : آمناً من القتل - فقال له زيد : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانة الذي هو فيه تصيبه شوكة ، وأني جالس في أهلي ! .

فقال أبو سفيان : ما رأيتُ أحداً من الناس يحبُ أحداً كحبّ أصحاب محمدٍ محمداً !) .

فقد آثر زيد أن يقتل ، ولا يصاب رسول الله ﷺ بأقلّ شيء من الأذى .

قال الحافظ الزرقاني : وفي رواية : أنهم ناشدوا بذلك خُبيباً .

فقال : والله ما أحب أن يفديني رسول الله ﷺ بشوكة في قدمه ! .

ولا تنافي بين ذلك ، كأنهم قالوا ذلك لكل من خُبيب وزيد بن الدثنة .

= أي : أرجع ، فقام معي ليقلبني - أي : يودعني من حيث جئت - فمر رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا ، فقال النبي ﷺ : { على رسلكما - أي : مهلكما دون إسراع - إنها صفية بنت حيي } ، فقالا سبحان الله يا رسول الله ، فقال ﷺ : { إن الشيطان يجري من ابن آم مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً - أو قال شيئاً } ، وفي هذا تشريع لأمته من بعده أن أحدهم مهما ارتفعت درجته وطابت نفسيته فإنه لا يجوز له أن يخلو بامرأة أجنبية أصلاً .

7- بالدال المهملة وبالمعجمية كما قال النووي .

وفي { المسند } عن أنس رضي الله عنه : (أن أبا طلحة كان يرمي بين يدي النبي ﷺ يوم أحد والنبي خلفه يتترَّسُ به ، وكان رامياً ، وكان إذا رمى رفع ﷺ شخصه ينظر أين يقع سهمه ، ويرفع أبو طلحة صدرَه ويقول : هكذا بأمي أنت وأبي يا رسول الله لا يصيبك سهم ! نحري دون نحرك ! وكان أبو طلحة يسوّر نفسه - أي : يجعل نفسه سوراً - بين رسول الله ﷺ ويقول : إني جلد - أي : شديد - يا رسول الله ، فوجهني في حوائجك ، ومرني بما شئت) .

ما رواه البيهقي وابن إسحاق - كما حكاه في (الشفا) وغيره - أن امرأة من الأنصار قد قتل أبوها وأخوها وزوجها ، شهداءَ يوم أحد مع رسول الله ﷺ .

فقالت لما أُخبرت بذلك : ما فَعل رسول الله ﷺ ؟ وأرادت بذلك السؤال عن سلامته وبقائه ، وعبرت بذلك تأدباً ، لأن الفعل يستلزم الحياة . - وفي بعض النسخ قالت ما فُعل برسول الله ﷺ - قالوا : خيراً هو بحمد الله كما تحبّين .

أي : هو سالم منصور مظفّر .

فقالت : أرونيه حتى أنظر إليه .

فلما رأته ﷺ قالت : كل مصيبة بعدك - أي : بعد سلامتك ورؤيتك - جَلَل - أي : هينٌ حقير ، كما في (النهاية) شَغَفُهم به ﷺ وتعشُّقُهم إيَّاه ، فلا صبر لهم ، إذا لم يشهدوا محيَّاه ، فإذا شاهدوا رسول الله ﷺ قرّت أعينهم ، وطابت نفوسهم ، وانشرحت صدورهم .

أمة محمد ﷺ أمة مرحومة في الدنيا والآخرة لأنها أمة التوحيد وشهادة لا إله إلا الله يرحم الله سبحانه وتعالى أمة محمد ﷺ وتكون ظاهرة بين الأمم جميعاً ولهذا كان أمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكون نصف أهل الجنة بل ثلثها بفضل رحمة الله سبحانه وتعالى وشفاعة سيدنا رسول الله ﷺ وما يأذن به من الشفاعات لأهل الطاعات من أمة محمد ﷺ من الشهداء والعلماء والصديقين وعموم المؤمنين .

عن سعيد بن جبير قال : حدثني بن عباس قال النبي ﷺ (عرضت عليَّ الأمم فأخذ النبي يمر ومعه الأمة ، والنبي يمر ومعه النفر ، والنبي يمر ومعه العشرة ، والنبي يمر ومعه الخمسة ، والنبي يمر ومعه الواحد فنظرت فإذا سواد كثير قلت : يا جبريل هؤلاء أمتي قال : لا ولكن أنظر الى الأفق فنظرت فإذا سواد كثير قال هؤلاء أمتك وهؤلاء سبعون ألف قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب) .

وقد ورد في بعض الأحاديث مع كل ألف من السبعين ، سبعين ألفا وثلاث حثيات من حثيات الله . { في مسند أحمد وسنن الترمذي وابن ماجه رواه البخاري }

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : { وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربي } .

قال صلوات الله عليه : (والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ، فقال : أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا ، فقال : أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبرنا ، قال : { ما أنتم في الناس إلا كشعرة سوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود }) .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (أنا أول شفيع في الجنة لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت وإن من الأنبياء ما صدق إلا رجل واحدة .

باب بيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق من نور الله

كنت نبياً وآدم منجدل في طينته

روى الإمام عبد الرزاق بسنده الى سيدنا جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر .

{ قد جاءَكم من الله نورٌ وكتاب مبينٌ } سورة المائدة آية (15) .

{ والنجم إذا هوى } سورة النجم آية (1) .

{ النجم الثاقب } سورة الطارق (3) .

{ يا أيها النبيُّ إنَّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا * وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً مُّنيرا } سورة الأحزاب الآيتين (45 ، 46) .

{ الله نورُ السماواتِ والأرض مثلُ نورهِ كَمِشْكَاةٍ فيها مصباحٌ المصباحُ في زجاجةٍ الزجاجة كأنها كوكبٌ دُرّيٌّ يوقَدُ مِن شجرةٍ مُّباركةٍ زيتونةٍ لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ يكادُ زيتها يُضيءُ ولو لمْ تمْسَسْهُ نارٌ نورٌ على نور يهدي اللهُ لنوره من يشاءُ ويضرب الله الأمثال للناسِ والله بكلِ شيء عليم } سور النور آية (35) .

حديث السيدة عائشة ، عندما أضاعت الإبرة كانت تخيط بها لما دخل رسول الله عليها فوجدت الإبرة ، قالت : ما أشد نور وجهك يا حبيبي يا محمد ، قال : الويل من لم يرى نور وجهي يا عائشة ، قالت : ومن لم يرى نور وجهك ، قال : البخيل ، قالت : ومن البخيل ، قال : الذي إذا ذكرتُ عنده ولم يصلِّ علي .

وحديث جبريل مع رسول الله في المعراج قال رسول الله ﷺ لجبريل كم لك من العمر يا أخي يا جبريل ، قال لا أعرف كم لي من العمر ، قال : إنما أعرف نجمٌ يطلع في السماء كل خمسة وعشرين ألف سنة مرة وقد رأيته خمسة وعشرين مرة ، قال عليه الصلاة والسلام لهذا النجم الذي ترى هو أنا .

كل ذلك يدل على أن رسول الله ﷺ خلق من نور الله تشريفاً لأنه نسب الى الله وإنه رسول الله كقول بيت الله ، سمي بيت الله لأنه نُسِبَ لله .

والمقصود بكلام الله المشكاة والنجم الثاقب ، والسراج المنير والنجم إذا هوى ، قد جاءكم من الله نوراً ، كل ذلك هو الحبيب الأعظم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

كتاب في ذكر كبار بعض الأنبياء

باب ذكر إدريس عليه السلام

روى ابن صالح عن ابن عباس قال :

هو أول نبيّ بُعِثَ الى الأرض بعد آدم ، وكان يصعد له في اليوم من العمل ما يصعد لنبيٍّ في الشهر ، فحسده إبليس وعصاه قومه ، فرفعه الله إليه وأدخله الجنة ، وقال : لست بمخرجه منها {!}[1] .

باب ذكر نوح عليه السلام

حدثنا عبد الله[2] قال : حدثنا أبي قال : حدثنا عبدُ الرحمن عن سفيان عن الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال : كان قوم نوح يضربونه حتى يغشى عليه فإذا أفاق قال : { اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون } .

حدثنا عبد الله[3] قال : حدثنا أبي قال : حدثنا إبراهيم بن خالد قال : حدثنا رباح قال : حدثنا عبد الملك بن عبد الحميد عن وهف بن منبه قال :

لما أمر نوح أن يحمل من كل زوجين اثنين قال : كيف أصنع بالأسد والبقر ، وكيف أصنع بالعناق والذئب ، وكيف أصنع بالحمام والهر ؟

قال : مَنْ ألقى بينهم العداوة ؟

قال : أنت .

قال : فإني أؤلف بينهم حتى لا يتضارّوا .

حدثنا عبد الله[4] قال : حدثنا أبي قال : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا وهيب بن الورد قال : لما عاتب اللهُ نوحاً في ابنه فأنزل عليه : { إني أَعِظُكَ أنْ تكونَ من الجاهلين } بكى ثلاثمائة عام حتى صار تحت عينيه مثل الجدول من البُكاءِ .

1- طبقات ابن أسعد (1/ 1 / 16) .

2- الزهد للإمام أحمد : (1/ 108) .

3- حلية الأولياء (4 / 43) .

4- الزهد لأحمد (1 / 108) .

باب ذِكر إبراهيم عليه السلام وذِكْر فضله

حدثنا أحمد[1] قال :حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن المختار بن فُلْفُل قال : سمعتُ أنس بن مالك قال :{قال رجلٌ للنبي ﷺ يا خير البرية . قال ذاك إبراهيم عليه السلام }

انفرد بإخراجه مسلم[2] فرواه عن أبي موسى عن ابن مهدي .

قصة إلقائه في النار

قال وهب بن مُنَبِّه : لما أرادوا أن يحرقوا إبراهيم بنو جسراً طوله ستون ذراعاً واحتطبوا أربعين ليلة ثم قذفوا الناس في الحطب فارتفع لهيبا وسطع دخانها حتى أظلَّت المدينة حتى كان يسمع وهجُ النار من مسيرة ليلة ، ثم بنوا بنياناً شامخاً ونصبوا فوقه منجنيقاً ، وقذفوا إبراهيم في النار ودعا إبراهيم فقال : { إلهي أنت واحدٌ في السماء وأنا واحدٌ في الأرض لا يعبدك غيري يا أحد ، يا صمد بك أستعين ، وبك أستغيث ، وعليك أتوكل ، حسبي الله لا إله إلا هو نعم الوكيل ، يا رب إنك تعلم أنّ إيماني لك وعداوة قومي فيك فانصرني عليهم ، ونجني اليوم من النار } .

فأوحى الله تعالى الى النار : { كوني برداً وسلاماً على إبراهيم }[3]

فأطاعت النار ربها ، ولبث فيها سبعة أيام ولياليهن .

فظنوا أنه قد احترق فنظروا فإذا هو لم يحترق إلا رباطه الذي ربط به ولم يتغير لونه ، ولا شعره ، ولا جسده فانطلق يمشي .

حدثنا عبد الله[4] قال : حدثني أبي قال حدثنا عبد الصمد قال : حدثنا أبو هلال ، قال عبد الله : وحدثنا شيبان قال : حدثنا أبو هلال قال : حدثنا بكر قال : لما ألقي إبراهيم ﷺ في النار جأرت عامة الخليقة الى ربها - عز وجل - فقالوا يا رب خليلك يُلقى في النار فائذن لها تطفأ عنه .

1- مسند أحمد (3 / 184) .

2- صحيح مسلم (4 / 1839) .

3- سورة الأنبياء (69) .

4- الزهد لأحمد (1 / 13) .

قال : هو خليلي ليس لي في الأرض خليل غيره ، وأنا ربه ، ليس له ربٌ غيري فإنْ استغاث بكم فأغيثوه ، وإلا فدعوه .

قال فجاءَ مَلَكُ القطرْ فقال : يا ربِّ خليلك يلقى في النار ، فائذنْ لي أنْ أطفيء عنه بالقطر .

فقال : هو خليلي ليس لي في الأرض خليلٌ غيره ، وأنا ربه ، ليس له رب غيري فإن استغاث بك فأغثه ، وإلا فدعه .

قال : فلما ألقي في النار دعا ربه بدعاءٍ نسيه أبو هلال قال : فقال الله عز وجل : { يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) .

قال : فبردت يومئذٍ على أهل المشرق والمغرب فلم ينضج بها كراع .

أحاديثُ من أَخبارِه

حدثنا أحمد[1] قال : حدثنا علي بن حفص عن ورقاء عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ (لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات قوله حين دُعي الى آلهتهم { إني سقيم } ، وقوله : { فعله كبيرهم هذا } ، وقوله لسارة { إنها أختي }.

قال : ودخل إبراهيم قرية فيها مَلِكٌ من الملوك أو جبار من الجبابرة فقيل : دخل إبراهيم الليلة بامرأة بأحسن الناس قال : فأرسل إليه الملك أو الجبار : مَنْ هذه معك قال : أختي .

قال : أرسل بها . قال : فأرسل بها إليه . وقال لها : لا تكذبي قولي فإني قد أخبرتُ أنك أختي إنْ على الأرض مؤمن غيري وغيرك .

قال :فلما أدخلت إليه قام إليها قال : فأقبلت توضأ وتصلي وتقول : اللهم إنْ كنت تعلم أني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط عليَّ الكافر .

قال : فغطَّ حتى ركض برجله . قال أبو الزناد : قال أبو سلمة عن أبي هريرة : إنها قالت { اللهم إنْ يمتُ يُقالُ : هي قتلته } .

1- مسند أحمد (2 / 403) .

قال : فأُرسل ثم قام إليها فقامت توضأ وتصلي وتقول : { اللهم أنت تعلم أني آمنت بكَ وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط عليَّ الكافر } .

قال : فغط حتى ركض برجله .

قال أبو الزناد قال أبو سلمة عن أبي هريرة أيضاً قالت : اللهم إن يمت يُقَلْ قتلته .

فأرسله قال : في الثالثة والرابعة : ما أرسلتم إليَّ إلا شيطاناً ارجعوها الى إبراهيم وأعطوها هاجر .

قال : فرجعت الى إبراهيم فقالت لإبراهيم : أشعرتَ أنَّ الله عز وجل رَدَّ كيد الكافر فأخدم وليدة

{ أخرجاه[1] في الصحيحَيْن }

وقال ابن الأنباري : تأويل { كذب } : قال قولاً يُشبه الكذب في ظاهر القول ، وهو صِدْق عند البحث والتفتيش .

حدثنا أحمد[2] حدثنا علي بن حفص قال : حدثنا ورقاء عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : اختتن إبراهيمُ خليلُ الرحمن - عليه السلام - بعدما أتتْ عليه ثمانونَ سنةً واختتن بالقدُوم .

أخرجاه[3] في الصحيحين : وليس في حديثهما ذكر سِنِّه يومئذ . والقَدُوم مخففة الدال هي اسم موضع .

1- صحيح البخاري (2117 و 2635 و 3357 و 3358 و5084) وصحيح مسلم (4 / 1840 - 1841) .

2- مسند أحمد (2 / 322) .

3- صحيح البخاري (3356 و6298) وصحيح مسلم (4 / 1839) .

ذِكر وفاته صلى الله عليه

حدثنا عبد الله قال حدثنا الصلت بن مسعود قال حدثنا جعفر بن سليمان قال أبو عمران الحربي عن عبد الله بن رباح الأنصاري عن كعب قال :

كان إبراهيم عليه السلام يقري الضيف ويرحم المسكين وابن السبيل فأبطأت عليه الأضياف حتى استراب بذلك فخرج الى الطريق يطلب فجلس فمرَّ به ملك الموت في صورة رجل فسلم عليه فرد عليه إبراهيم السلام ثم سأله : من أين أنت ؟ قال : { ابنُ سبيل } .

قال : إنما قعدتُ هاهنا لمثلك .

فأخذ بيده فقال له : أنطلقْ . فذهب به الى منزله فلما رآه إسحاق عرفه فبكى إسحاق فلما رأت سارة إسحاق يبكي بَكَت لبكائه ، فلما رأى إبراهيم سارة تبكي بكى لبكائها ، فلما رأى ملك الموت إبراهيم يبكي بكى لبكائِهِ ثم صعد ملك الموت فلما أفاقوا غضب إبراهيم فقال : بكيتم في وجه ضيفي حتى ذهب ! فقال إسحاق : لا تلمني يا أبة فإني رأيت ملك الموت معك ولا أرى أجلك إلا قد حضر فأرث في أهلك . أي أُوصِهِ . قال : وكان لإبراهيم عليه السلام بيت يتعبد فيه فإذا خرج أغلقه لا يدخله غيره فجاءَ إبراهيم ففتح بيته الذي يتعبد فيه فإذا هو برجل جالس فقال إبراهيم : من أدخلك ! بإذن مَنْ دخلت !

قال بإذن رب البيت دخلت .

قال رب البيت أحقُ به ثم تنحى في ناحية البيت فصلى ودعا كما يصنع وصعد ملك الموت فقيل له : ما رأيت ؟

فقال : يا رب جئتك من عند عبد لك ليس في الأرض بعده خير .

قيل له : ما رأيت منه ؟

قال : ما ترك خلقاً من خلقك إلا قد دعا له بخيرٍ في دينه وفي معيشته .

ثم مكث إبراهيم ما شاءَ الله ثم جاءَ ففتح بابه فإذا هو برجلٍ جالس قال له : مَنْ أنت ؟

قال : أنا ملك الموت .

قال إبراهيم : إنْ كنت صادقاً فأرني آية أعرف أنك ملك الموت .

قال اعرِضْ بوجهك يا إبراهيم . فأعرض .

قال : ثم أقبل فأراه الصورة التي يقبض فيها المؤمنين فرأى شيئاً من النور والبهاء لا يعلمه إلا الله .

ثم قال : أعرض بوجهك . فأعرض .

ثم قال : أنظرْ فأراه الصورة التي يقبض فيها الكفار والفجار فرعب إبراهيم صلوات الله عليه رُعْباً حتى ألزق بطنه بالأرض وكادت نفس إبراهيم تخرج .

فقال : أعرف فانظر الذي أمرت فامض له . فصعد ملك الموت .

فقيل له تلطفْ بإبراهيم .

فأتاه وهي في عنب له وهو في صورة شيخ كبير لم يبق منه شيء فلما رآه إبراهيم رحمه فأخذ مكتلاً ثم دخل عِنَبَهُ فقطف من العِنَبِ في مكتله ثم جاءَ فوضعه بين يديه فقال : كُلْ فجعل يمضغ ويريه أنه يأكل ويمجه على لحيته وصدره فعجب إبراهيم فقال : ما أبقت السنُّ فيك سنّاً ! كم أتى عليك . فحسب مدة إبراهيم فقال : أى كذا وكذا . فقال إبراهيم قد أتى لي هذا وإنما أنتظر أنْ أكون مثلكَ ! اللهم أقبِضْني إليك . فطابت نفسُ إبراهيم عن نفسه وقبض ملَكُ الموت نفسه على تلك الحال[1] .

وقال وهب بن منبه : قال ملك الموت : يا خليل الله على أيِّ حالٍ تحب أن أقبضَ روحكَ ؟

قال : أقبضْ روحي وأنا ساجد .

فقبض روحه وهو ساجد فصعد بها الى الله تعالى فقال الله تعالى : يا خليلي كيف وجدت طعم الموت ؟ قال : إلهي وجدتُ نفسي كأنها تشرح بالسُّلي .

قال الله تعالى له : هذا وقد يسرنا عليك .

واختلفوا في مدة عمر إبراهيم عليه السلام قولين :

أحدهما : مائة وخمسة وتسعون سنة .　　　　والثاني : مائتا سنة .

1- حلية الأولياء (6 / 27 - 29) .

باب حديث إسماعيل وهاجر ونزولهما مكة وابتداء بناء البيت

حدثنا البخاري[1] قال : حدثنا عبد الله بن محمد قال : حدثنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن أيوب السختياني وكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة يزيد أحدهما على الآخر عن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس :

أول ما اتخذ النساء المنطق من قِبَل أم إسماعيل أتخذت منطقاً ليعفي أثرها على سارة ، ثم جاءَ بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحدٌ وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندها جراب فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل فقالت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها ؟ فقالت : آلله أمرك بهذا ؟

قال : نعم .

قالت : إذن لا يضيعنا اللهُ .

ثم رجعت وانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنيّة حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال : { ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع }[2] حتى بلغ { يشكرون } .

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوَّى - أو قال يتلبَّط - فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحد فلم ترى أحد فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سَعْيَ الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتَتْ «المَرْوَة» فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً فلم ترى أحداً ففعلت ذلك سبع مرات .

1- صحيح البخاري (3364) .

2- سورة إبراهيم ، الآية (37)

قال ابن عباس : قال النبي ﷺ .

فلذلك سعى الناسُ بينهما ، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت صدى نفسها ثم تَسَمَّعتْ فسمعت أيضاً فقالت : قد أسمعت إنْ كان عندك غواث فإذا هي بالمَلَك عند موضع زمزم فبحث بعقبه - أو { قال } جناحه - حتى ظهر الماءُ فجعلت تُحوّطه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يغور بعدما تغرف .

قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : { يرحم اللهُ أم إسماعيل لوتركت زمزم - أو قال لم تغرف من الماء لكانت زمزم عَيْناً معيناً } .

قال : فشربت وأرضعت ولدها فقال لها المَلَك : لا تخافوا الطبيعة فإن ها هنا بيتاً لله يبنيه هذا الغلام وأبوه وإنَّ الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى برت بهم رفقة من جرهم مقبلين من طريق كُدَيَّ فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عايقاً فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء ، لعَهْدِنا بهذا الوادي وما فيه ماء !

فأرسلوا جرة أو جرتين فإذا هم بالماء فقالوا : تأذنين أن ننزل عندك ؟

فقالت : نعم ولكن لا حَقَّ لكم في الماء .

قالوا : نعم .

قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحبُ الأُنس فنزلوا وأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كان أهل أبيات منهم وشَبَّ الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوَّجُوه امرأة منهم وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغي لنا . ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت : نحن بشر في ضيق وشدة وشكت إليه .

قال : فإذا جاءَ زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يُغيّر عتبة بابه .

فلما جاء إسماعيل كأنه أنس شيئاً فقال : هل جاءَكم مِنْ أحد ؟

قالت : نعم جاءَنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنّا في جهد وشدة .

قال : فهل أوصاك بشيءٍ ؟

قالت : نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول : { غَيِّر عتبة بابك } .

قال : ذاك أبي وقد أمرني أنْ أفارقَكِ ، إلحَقِي بأهلك .

فطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت : خرج يبتغي لنا .

قال : كيف أنتم ، وسألها عن عيشهم وهيئتهم .

فقالت : نحن بخير وسَعَةٍ وأثنت على الله .

فقال : ما طعامكم .

قالت : اللحم .

قال : ما شرابكم .

قالت : الماء .

قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء .

قال : النبي ﷺ : { ولم يكن لهم يومئذٍ حَبّ ، ولو كان لهم دعا لهم فيه } .

قال : { فهما لا يخلوا عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه } .

قال : فإذا جاءَ زوجك فأقرأي عليه السلام ومُريه يثبت عتبة بابه .

فلما جاء إسماعيل قال : هل أتاكم من أحَدٍ ؟ قالت : نعم أتانا شيخ حسن الهيئة - وأثنت عليه فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنّا بخيرٍ .

قال : أوصاك بشيءٍ ؟

قالت : نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أنْ تثبت عتبة بابك .

قال : ذاك أبي وأنتِ العتبة ، أمرني أنْ أمسك .

ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاءَ بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً تحت دوحة قريباً من زمزم فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الولد بالوالد والوالد بالولد ثم قال : يا إسماعيل إنَّ الله أمرني بأمر .

قال : فاصنعْ ما أمرك به .

قال : وتعينني .

قال : أعينك .

قال : فإن الله أمرني أنْ أبتني ها هنا بيتاً وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها .

قال : فعند ذلك رفعنا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاءَ بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان { ربنا تقبل منا إنكَ أنت السميع العليم }[1]

وهذا من أفراد البخاري

1- سورة البقرة ، الآية 127 .

باب ذِكْر يوسُف عليه السلام

قال وهب بن مُنبّه : لما رَمَى يوسُف أخوتُهُ في الجُبِّ كان ماؤه غليظاً كدراً فعذب وصَفَا ووكل الله تعالى به ملكاً فوضعه على صخرة نابتة في الجب وكان الملك يؤنسه ويحرسه وأراد يهوذا أنْ يخادعهم عنه فأشار عليهم بإلقائه في الجب وأراد أنْ يخرجه بعد ذهابهم فقال : (ألطخوا قميصه بدم بعض ذبائحكم وأخبروا أباه أنَّ الذئبَ أكله وأقيم أنا يومي هذا هنا أحرسه لئلا يرد بعض الوراد فيستغيث به فيخرجه) .

فاتهموا يهوذا فجعلوا يحرسونه مخافة أن يخرجه ، وجعل يحرسم مخافة أنْ يقتلوه فأقام في الجب ثلاثة أيام ثم جاءَت سيارة فباعوهم إياه بعشرين درهماً فحملته السيارة الى أرض مصر فتنافس فيه أهلُ مصر حتى بلغ ثمنه وزنه مِسْكاً ووزنه وَرِقاً ووزنه حريراً !

حدثنا عبد الله قال : حدثنا أبي قال : حدثنا يزيد بن هارون قال : أخبرنا هشام عن الحسن قال : كان بين خروج يوسف من حجر أبيه الى يوم الْتقا ثمانون عاماً ، لا تجف عينا يعقوب ، وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوبَ .

حدثنا عبد الله قال حدثني أبي قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا سفيان عن ليث عن مجاهد قال فيجاء بالعبد يوم القيامة فيقال له : مامنعكَ أن تكون عبدتني ؟

فيقول : ابتليتني فجعلتَ علي أرباباً فشغلوني .

فجاء بيوسف في عبوديته فيقول : إنْ كنت أشدَّ عبوديةً أم هذا ؟

فيقول : بل هذا . فيقول : لم يمنعه ذلك أنْ عبدني[1] .

1- حلية الأولياء (3 / 288) .

بابُ ذِكْر موسى عليه السلام

قال هشام بن محمد عن أبيه : هو موسى بن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم[1] . قال وهب بن منبه : كان فرعون قد أمر بذبح الولدان عاماً وتركهم عاماً فوُلِدَ هارون في السنة التي يستحيي فيها الولدان ، وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها ، وكان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين .

ولما وُلد موسى لئمته أمه ثلاث أشهر ثم خافت فصنعت له تابوتاً فألقته في البحر فألقاه في الماء الى أنْ ألقاه بين يدي فرعون .

فلما فتح التابوت ورآه قال : عبرانِيٌّ من الأعداء . فدافعت عنه { آسية } .

ذِكْرُ فضْلِهِ وَشَرَفِهِ

حدثنا أحمد[2] قال : حدثنا أبو النضر قال : حدثنا ورقاء قال : سمعتُ عمرو بن يحيى المازنيّ يحدث عن أبيه عن أبي سعيد الخدريّ قال :

جاء يهوديٌّ الى رسول الله ﷺ قد ضُرِبَ في وجْهِهِ ، فقال له : ضربني رجلٌ من أصحابكَ .

فقال النبي ﷺ : لِمَ فعلت ؟

قال : يا رسول الله فضّلَ موسى عليكَ .

فقال النبي ﷺ : { لا تُفَضِّلوا بعضَ الأنبياء على بعض فإنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يوم القيامة ، فأكون أوَّل من يرفعُ رأسه من التراب ، وأجدُ موسى عليه السلام عند العرش لا أدري أكان ممن صعق أم لا ؟ } . أخرجه البخاري[3] عن محمد بن يوسف

وأخرجه مسلم[4] عن أبي بكر عن وكيع كلاهما عن سفيان عن عمرو .

1- أخرجه ابن أسعد في الطبقات : (1 / 55) .

2- مسند أحمد (3 / 40) .

3- صحيح البخاري (6917) .

4- صحيح مسلم (4 / 1845) .

وحدثنا البخاريّ[1] حدثنا أبو الثمان قال : حدثنا شعيب عن الزهري قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيَّب أنَّ أبا هريرة قال :

اسْتبَ رجلٌ من المسلمين ورجلٌ من اليهود ، فقال المسلمُ : والذي اصطفى محمداً على العالمين - في قسمٍ يُقْسِمُ به -

فقال اليهوديّ ، والذي اصطفى موسى على العالمين .

فرفعَ المسلمُ عند ذلكَ يَدَهُ فلطم اليهوديَّ ، فذهب اليهوديُّ الى النبي ﷺ .

فأخبره بالذي كان من أمره وأمر المسلم فقال : لا تخيَّروني على موسى فإن الناس يَصْعَقُون فأكونُ أولَ من يُفيقُ فإذا موسى باطشٌ بجانب العرش ، فلا أدري أكان فيمن صُعِقَ فأفاقَ ، أو كان فيمن استثنى اللهُ - عز وجل -   وأخرجه مسلم[2]

ذِكرُ تكليمِ اللهِ عز وجل له

حدثنا عبد الله[3] قال حدثني أبي قال حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم بن معقل عن ابن منبه { أخبرنا عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهب بن منبه } قال :

لما رأى موسى النارَ أنطلق يسير حتى وقف منها قريباً فإذا هو بنار عظيمة تضرمُ من فروع شجرة خضراء شديدة الخضرة لا تزداد النار فيما يرى إلا عظماً وتضرماً ولا تزداد الشجرة على شدة الحريق إلا خضرة وحُسْناً فوقف ينظر لا يدري على ما يصنع أمره إلا أنه قد ظن أنها شجرة تحترق أوقد إليها مُوْقِد فنالها فاخترقت وأنه إنما يمنع النار شدة خضرتها وكثرة مائها وكثرة ورقها وعظم جذعها فوضع أمرها على هذا فوقف وهو يطمع أن يسقط منها شيء فيقتبسه ، فلما طال عليه ذلك أهوى إليها بضغثٍ في يده وهو يريد أن يقتبس من لهبها فلما فعل ذلك موسى مالت نحوه كأنها تريده فاستأخر عنها وهاب ، ثم عاد فطاف بها فلم تزل تطمعه ويطمع فيها ولم يكن بأوشك من خمودها فاشتدّ عند ذلك عجبة وفكر موسى في أمرها وقال : هي نار ممتنعة لا يقتبس منها ولكنها تتضرم في جوف شجرة فلا تحرقها ثم خمودها على قدر عظمتها في أوشك من طرفة عين فلما رأى ذلك موسى قال : إنَّ لهذه النار شأناً .

1- صحيح البخاري (3408) .   2- صحيح مسلم (4 / 1843 - 1844) . 3- الزهد لأحمد (1/ 132 - 138) .

ثم وضع أمرها على أنها مأمورة أو مصنوعة لا يدري من أمرها ولا بما أمرت ولا مَنْ صنعها ولا لما صنعت فوقف متحيراً لا يدري أيرجع أم يقيم فبينما هو على ذلك إذا رمى بطرفه نحو فرعها فإذا هو أشد ما كان خضرة وإذا الخضرة ساطعة في السماء لم تزل الخضرة تنور وتسفر وتتناض حتى صارت نوراً ساطعاً عموداً ما بين السماء والأرض عليه مثل شعاع الشمس تكل دونه الأبصار كلما نظر إليه يكادُ يخطف بصره فعند ذلك اشتد خوفه فرد يده على عينيه ولصق بالأرض وسمع الحنين والوحش إلا أنه سمع حينئذ شيئاً لم يسمعه السامعون بمثله عظماً .

فبلغ موسى ﷺ الكرب واشتد عليه الهول وكاد يخاط في عقله من شدة الخوف لما يسمع ويرى فنودي من الشجرة فقيل : (يا موسى) فأجاب سريعاً وما يدري مَنْ دعاه وما كانت سرعة إجابته إلا إستئناساً بالإنس فقال : { لبيكَ } مراراً (أسمع صوتك ، وأحس رجسك ، ولا أرى مكانكَ فأين أنت) .

قال : (أنا فوقك ، ومعك ، وأمامكَ ، وأقرب إليكَ منكَ) .

فلما سمع هذا موسى علم أنه لا ينبغي ذلك إلا لربه تبارك وتعالى فأيقن به .

فقال : كذلكَ أنت يا إلهي فكلامكَ أسمعَ أم رسولك ؟

قال : بل أنا الذي أكلمك فادْن مني .

فجمع موسى يديه في العصا ثم تحامل حتى استقل قائماً وعدت فرائصه حتى اختلفت واضربت رجلاه ، وانقطع لسانه ، وأنكر قلبه ولم يبق منه عظم يحمل آخر فهو بمنزلة الميِّت إلا أن روح الحياة تجري فيه ثم زحف على ذلك وهو مرعوب حتى وقف قريباً من الشجرة التي نودي منها ، قال له الرب تبارك وتعالى : إليّ ما تلك بيمينكَ يا موسى ؟

قال : هي عصاي .

قال : وما تصنع بها ؟ ولا أعلم بذلك منه .

قال موسى أتوكأ عليها ، وأهش بها على غنمي ، ولي فيها مآرب أخرى .

وكان لموسى عليه السلام في العصا مآرب كانت لها شعبتان ومحجز تحت الشعبتين .

قال له الرب تبارك وتعالى ألقها يا موسى .

فظن موسى أنه يقول ارفضها فألقاها على وجهِ الرفض ثم حانت منه نظرة فإذا بأعظم ثعبان نظر إليه الناظرون يدب يلتمس كأنه يبتغي شيئاً يريد أخذه يمر بالعنجرة مثل الحلقة من الإبل فيقتلعا ويطعن بالناب من أنيابه في أصل الشجرة العظيمة فيجتثها ، عيناه توقدان ناراً ، وقد عان المحجن عرفاً فيه شعر مثل النيازك ، وعادت الشعبتان فَماً مثل القليب الواسع وفيه أضراس وأنياب لها صريف فلما عاين ذلك موسى عليه السلام ولَّى مدبراً فذهب حتى أمعن ورأى أنه قد أعجز الحية ، ثم ذكر ربه عز وجل فوقف استحياءً منه ثم نودي : يا موسى إليَّ ارجعْ حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف قال خذها بيمينكَ ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى .

وعلى موسى حينئذ مدرعة من صوف قد خللها بخلال من عيدان فلما أمره بأخذها ثنى طرف المدرعة على يده فقال له ملك أرأيت يا موسى لو أذن الله لما تحاذر أكانت المدرعة تغني عنك شيئا ً ؟

قال : لا ولكني ضعيف ومِنْ ضُعْفِ خلقت . فكشف عن يده ثم وضعها فِيّ الحية حتى سمع حِس الأضراس والأنياب ثم قبض فإذا هي عصاه التي عَهِدَها فإذا يده في الموضع الذي كان يضعها إذا توكأ بين الشعبتين فقال له الله عز وجل :

أدْن فلم يزل يدنيه حتى أسند ظهره بجذع الشجرة فاستقرّ وذهبت عنه الرعدة وجمع يديه في العصا وخضع برأسه وعنقه ثم قال له :

إني قد أقمتكَ اليوم مقاماً لا ينبغي لبشر بعدكَ أن يقوم مقامكَ وأدنيتكَ وقربتكَ حتى سمعت كلامي وكنت بأقرب الأمكنة مني فانطلق برسالتي فإنك بعيني وسمعي وإنَّ معك يدي وبصري

وإني قد ألبستك جُنَّة من سلطاني تستكمل بها القوة في أمري فأنت جند عظيم من جنودي بعثتك الى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وأمن مكري وغرَّته الدنيا عني حتى جحد حقي وأنكر ربع بيتي وعَبَد دوني وزعم أنه لا يعرفني وإني أقسم بعزتي لولا العذر والحجة اللذان وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبارة تغضب لغضبه السموات والأرض والجبال والبحار ، فإن أمرت السماء حصبته ، وإن أمرت الأرض ابتلعته ، وإنْ أمرت الجبال دمرته وإنْ أمرت البحار غرقته ولكنه هان عليَّ ، وسقط من عيني ، ووسعه واستغنيت بما عندي ، وحُق لي .

إني أنا الغنيّ لا غنيّ غيري فبلغه رسالتي وادعه الى عبادتي وتوحيدي وإخلاص اسمي وذَكِّرْهُ بأيامي وحَذِّرْهُ نِقْمَتي وبَأسِي ، وأخبره أني الى العفو والمغفرة أسرع مني الى الغضب والعقوبة ، ولا يرعبكَ ما ألبسته من لباس الدنيا فإنَّ ناصيته بيدي ليس يطرف ولا ينطق ولا يتنفس إلا بإذني .

قل له : أجِبْ ربك عز وجل فإنه واسع المغفرة فإنه قَد أمهلك أربعمائة سنة وفي كلها أنت مبارز لمحاربته ، تشبه وتمثل به ، وتصد عباده عن سبيله ، وهو يمطر عليك السماء ، وينبت لك الأرض لم تستقم ولم تهرم ولم تفتقر ولم تغلب ، ولو شاء أنْ يعجّل ذلك لك أو يسلكه فعل ولكنه ذو أناةٍ وحِلْمٍ عظيم .

وخذ هذه بنفسكَ وأخيكَ وأنتما محتسبان بجهاده فإني لو شئت أن آتيه بجنودٍ لا قِبَلَ له بها لفعلتُ ، ولكن ليعلم هذا العبد الضعيف الذي قد أعجبته نفسه وجموعه أنَّ الفئة القليلة ولا قليل مني تغلب الفئة الكثيرة بإذني ، ولا يعجبنكما زينته ولا ما مُتّع به ولا عَدا الى ذلك أعينكما فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين ، وإني لو شئتُ أنْ أزينكما من الدنيا بزينة يعلم فرعون حين ينظر إليها أنَّ مقدرته تعجز عن مثل ما أوتيتما فعلتُ ولكني أرغب بكما عن ذلك وأزويه عنكما وكذلك أفعل وقديماً ما خِرْتُ لهم في ذلكَ فإني لأذودهم عن نعيمها ورخائها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة ، وإني لأجنبهم سلوتها وعيشها كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن منازل الحُرّة وما ذاك لهوانهم عليَّ ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالماً { موفراً } لم تكمله الدنيا ولم يطغه الهوى .

واعلم أنه لم يتزين العباد بزينة هي أبلغ من الزهد في الدنيا فإنها زينة المتقين عليهم منها لباس يعرفون به من السكينة والخشوع ، سيماهم في وجوههم من آثار السجود أولئك أوليائي حقاً حقاً فإذا لقيتهم فاخفضْ لهم جناحكَ ، وذَلِّلْ لهم قلبك ولسانك .

واعلم أنه من اهان لي ولياً أو أخافه فقد بارزني بالمحاربة وبادأني وعرض نفسه ودعاني إليها وأنا أسرع شيءٍ الى نصرة أوليائي .

أفيظن الذي يحاربني أنْ يقوم لي ، أو يظن الذي يعازّني أن يعجزني ، أم يظن الذي يبارزني أنْ يسبقني ، أو يفوتني ، وكيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة لا أكِل نصرتهم الى غيري .

قال فأقبل موسى ﷺ الى فرعون في مدينة قد جعل حولها الأسد في غيضة قد غرسها فالأسدُ فيها مع ساستها إذا آسدتها على أحد أكل وللمدينة أربعة أبواب في الغيضة ، فأقبل موسى عليه السلام من الطريق الأعظم الذي يراه فرعون فلما رأته الأُسْدُ صاحت صياح الثعالب فأنكر ذلك الساسة وفَرَقُوا من فرعون وأقبل موسى عليه السلام حتى انتهى الى الباب الى قبة فرعون وقرعه بعصاه وعليه جُبة صوف وسراويل فلما رآه البواب عَجِب من جُرأته فتركه ولم يأذن له وقال : هل تدري باب مَنْ أنت تضرب ! إنما تضرب باب سيدكَ .

قال : أنت وأنا وفرعون عبيد لربي عز وجل وأنا ناصره .

فأخْبر البواب الذي يليه والبوابين حتى بلغ ذلك أدناهم ودونهم سبعون حاجباً كل حاجب تحت يده من الجنود ما شاءَ الله عز وجل كأعظم أمير اليوم إمارة حتى خلص الخبر الى فرعون فقال : أدخلوه عليَّ .

فأدخل فقال له فرعون : أأعرفك ؟

قال : نعم .

قال : { ألم نربك فينا وليداً } ![1].

فرد عليه موسى ﷺ الذي ذكره الله عز وجل قال فرعون : خُذُوه .

فبادرهم موسى { فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين }[2] فحملت على الناس فانهزموا منها فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً قتل بعضهم بعضاً ، وقام فرعون منهزماً حتى دخل البيت فقال لموسى : أجعلْ بيننا وبينكَ أجلاً ننظر فيه .

فقال له موسى : لم أؤمر بذلكَ وإنما أمرت بمناجزتك وإنْ أنت لم تخرج إليَّ دخلتُ إليكَ .

فأوحى إليه عز وجل الى موسى أن أجعل بينكَ وبينه أجلاً ، وقل له يجعله هو .

قال فرعون : أجعله الى أربعين يوماً .

ففعل وكان فرعون لا يأتي الخلاء إلا في الأربعين يوماً مرة فاختلف ذلك اليوم أربعين مدة ، قال وخرج موسى من المدينة فلما مرّ بالأسد مصعت بأذنابها وسارت مع موسى مشيعة ولا تهيجه ولا أحداً من بني إسرائيل .

1- سورة الشعراء , الآية { 18 } .

2- سورة الشعراء الآية { 32 } .

سياق حديثه مع الخَضِر عليهما السلام

حدثنا البخاريُّ[1] قال : حدثنا عبد الله بن محمد قال : حدثنا سفيان قال : حدثنا عمرو قال : أخبرني سعيدُ بن جُبير قال :

قلتُ لابن عباس : إنَّ نَوْفاً البَكَالِيَّ يزعمُ أن موسى ليس بموسى بني إسرائيل إنما هو موسى آخرُ فقال : كذب عدوُ الله .

حدثنا أُبيَّ بن كعب عن النبي ﷺ قال :

قامَ موسى النبي ﷺ { خطيباً } في بني إسرائيل فسُئِل : أيُّ الناس أعلم ؟

فقال : أنا أعلم ، فعتب اللهُ عليه إذ لم يَرُدَّ العلمَ إليه ، وأوحى الله إليه أنَّ عبداً من عبادي بمجمع البحرَيْن هو أعلمُ منكَ .

قال : يا رب وكيف لي به ؟

فقيل له : أحملْ حوتاً في مِكْتَلٍ ، فإذا فقدتهُ فهوَ ثَمَّ .

فانطلق وانطلق معه فتاه يُوشع بن نونٍ ، وحمل حُوتاً في مكتلٍ ، حتى كانا عند الصخرة وضعا رؤوسهما فناما . فانْسَلَّ الحوت من المكتل فاتخد سبيلِه في البحر سَرَباً ، وكان لموسى ولفتاه عجباً ، فانطلقا بقيةَ ليلتهما ويومِهما ، فلما أصبح قال موسى لفتاه : { آتنا غداءنا ، لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً }[2] .

ولم يجد موسى مَسًّا من النَّصَب حتى جاوز المكان الذي أُمِر به . فقال له فتاه : { أرأيتَ إذْ أوينا الى الصخرة فإني نسيتُ الحوت }[3] .

قال موسى : { ذلك ما كنا نبغي فارتدَّا على آثارهما قصصاً }[4] فلما انتهيا الى الصخرة إذا رجُلٌ مسَّجى بثوب - أو قال : مسجى بثوبه - فسلَّم مُوسى .

1- صحيح البخاري (122) .

2- سورة الكهف ، الآية (62) .

3- سورة الكهف ، الآية (63) .

4- سورة الكهف ، الآية (64) .

فقال الخَضِر : وأنَّي بأرضك السلامُ ؟ فقال : أنا موسى .

فقال موسى بني إسرائيل ؟!

قال : نعم .

قال : { هل أتبعكَ على أنْ تعلمنِ مما عُلِّمْتَ رُشداً ؟ } .

قال : { إنك لن تستطيع معي صبراً }[1] . يا موسى إني على علم من عِلْمِ الله علمنيه لا تعلمه أنت ، وأنت على علم علّمكهُ الله لا أعلمه . { قال : ستجدني إنْ شاءَ اللهُ صابراً ولا أعصي لك أمراً }[2] .

فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ليس لهما سفينة ، فمرت بهما سفينةٌ فكلموهم أن يحملوهما ، فعُرِفَ الخَضِر فحملوهما بغير نوْل . فجاء عصفورٌ فوقع على حَرْفِ السفينة فنقر نقرة أو نقرتين من البحر . فقال الخضر : يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور من البحر .

فعمد الخضرُ الى لوحٍ من ألواح السفينة فنزعه . فقال موسى : قومٌ حملونا بغير نوْلٍ عمدت الى سفينتهم فخرقتْها لتغرق أهْلَها !

{ قال : ألم أقل إنك لن تستطيع معيَ صبراً قال : لا تؤاخذني بما نسيت }[3] . وكانت الأولى من موسى نسياناً .

فانطلقا فإذا غلام يلعبُ مع الغِلمان فأخذ الخضر برأسه من أعلاه فاقتلع رأسه بيده . فقال موسى : { أقتلتَ نَفْساً زكيةً بغير نفس }[4].

{ قال : ألم أقل [لك] إنك لن تستطيع معي صبراً }[5].

1- سورة الكهف ، الأيتان (66 ، 67) .

2- سورة الكهف ، الآية 69 .

3- سورة الكهف ، الأيتان (72 ، 73) .

4- سورة الكهف ، الآية (74) .

5- سورة الكهف ، الآية (75)

{ فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجد [فيها] جداراً يريد أن ينقض }[1] . قال الخضرُ بيده فأقامه . فقال له موسى : { لو شئتَ لاتخذت عليه أجراً . قال : هذا فراق بيني وبينك }[2] .

قال النبي ﷺ : يرحمُ الله موسى لَوَدِدْنَا لو صبرَ حتى يقص علينا من أمرهم .

وقد أخرجه مسلم[3] أيضاً

ذِكر طرف من أخبار موسى عليه السلام

حدثنا البخاري [قال[4] حدثنا إسحاق بن نصر] قال : حدثنا عبد الرزاق ، عن مَعْمرٍ ، عن همَّام بنُ منبه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال :

كانت بنو إسرائيل يغتسلون عُراةً ينظر بعضهم الى بعض ، وكان موسى يغتسل وحده فقالوا : واللهِ ما يمنع موسى أنْ يغتسل معنا إلا أنه آدر . فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حَجرٍ ، ففر الحجر بثوبه فجمع موسى في أثره يقول (ثوبي حجر ، ثوبي يا حجر) .

حتى نظرتْ بنو إسرائيل الى موسى عليه السلام . وقالوا وإليه ما بموسى بأسْ .

وأخذ ثوبه وطفق بالحَجَرِ ضرباً .

قال أبو هريرة لندب بالحجر ستةٌ أو سبعةٌ ضرباً بالحجر .

وأخرجه مسلم[5] عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق .

1- سورة الكهف ، الآية (77) .

2- سورة الكهف ، الآيتان (77 و 78) .

3- صحيح مسلم (4 / 1847 الى 1850) .

4- صحيح البخاري (278) .

5- صحيح مسلم (1 / 267) و (4 / 1841 - 1842) .

ذكر وفاته عليه السلام

حدثنا أحمد[1] قال حدثنا عبد الرزاق قال حدثنا معمر عن همام بن منبه قال حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

جاءَ ملك الموت [الى موسى] فقال له : أجِبْ ربكَ .

قال : فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها قال : فرجع الملك الى الله عز وجل فقال : إنك أرسلتني الى عبدٍ لا يريدُ الموت وقد فقأ عيني قال : فرد اللهُ إليه عينه وقال ارجع الى عبد وقل الحياة تريد فإنْ كنت تريد الحياة فضَعْ يدكَ على متن ثور فما توارت بيدكَ من شعرة فإنك تعيش بها سنة .

قال : ثم مَهْ ؟ قال : ثم تموت .

قال : فالآن من قريب .

قال : يا رب ادنني من الأرض المقدسة رمية بحجر .

قال رسول الله ﷺ : والله لو أني عنده لأريتكم قبره الى جنب الطريق عند الكثيب الأحمر .

انفرد بإخراجه مسلم[2] من هذه الطريق .

وقد أخرجاه[3] من حديث طاوس عن أبي هريرة بمعناه .

وأخرج مسلم في أفراده من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : { مررتُ على موسى لما أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائمٌ يُصلي في قبره } .

حدثنا عبد الله قال : حدثني علي بن مسلم قال : حدثنا بشار قال : حدثنا جعفر قال : حدثنا ثابت قال : لما مات موسى بن عمران - عليه السلام - جالتِ الملائكةُ في السموات بعضها الى بعض واضعي أيديهم على الخدود ينادون : مات موسى كليمُ الله وأيُّ الخلق لا يموت[4] .

1- مسند أحمد (2 / 315) .

2- صحيح مسلم (4 / 1842 - 1843) .

3- صحيح البخاري (3407) وصحيح مسلم (4 / 1845) .

4- حلية الأولياء (2 / 312 - 313) .

باب ذكر داود عليه السلام

قال وَهْب بن مُنَبِّه : لما استَخْلَفَ اللهُ داود - عليه السلام - على بني إسرائيل ونَبَّأه عَبَدَ عبادةً لم يبلغها أحدٌ قبله وتلا كتاب الله بصوتٍ لم يُعْطَ أحد مثله فلما رأى إبليسُ ذلك قال لعفاريته : ما هذا الذي دهاكم ؟ قالوا : مُرنا بما شئْتَ .

فقال : إنه لا يصرف الناس عن داود إلا ما يشبهه به عليهم .

فجعلوا المزامير ، والبرابط ، والصنوج على أصناف صوت داود فمال السفهاءُ الى ما صنعوا من ذلك وتركوا داود وكان آل داود يقتسمون الليل بالقيام والنهار بالصيام فلم تكن ساعة من ساعات الليل إلا وفيها قائم يصلي من آل داود ولا يوم من أيام الدنيا إلا وفيه صائم من آل داود

فذلك قوله { اعملوا آلَ داود شكراً وقليل من عبادي الشكور }[1] وأوحى اللهُ تعالى إليه في الزبور : يا عبدي الشكور إني وهبتُ لك الزبور وانتقيته لك بفصح من أعين السطور وهو من لوحي المحفوظ المحجوب المستور فاعبدني به في الليالي والأيام والشهور وأحببني من كل قلبك وحببني الى خلقي .

ولم يزل داود يعبد الله عبادة شديدة الى أنْ وقع في الخطيئة فلما تسور الملكان عليه المحراب فوبَّخاه وانقطع عنه الوحي لبس المسوح وافترش الرماد وكان من تسبيحه بعد الخطيئة :

سبحان خالق النور تسبح لك الطير بأصوات ضعاف من خشيتك وليس لها ذنوب وأنا العبد المذنب .

سبحان خالق النور أنعمتَ عليَّ وحضضتني على الشكر ، وقد زلت قدماي أبعد ما بين المشرق والمغرب إذ لم أرع وصيتكَ ولم أحفظ عهدك .

سبحان خالق النور تبكي الثكلى على ثكلها ، وأنا أبكي على خطيئتي التي أوقرَتْ ظهري ، سبحان خالق النور دبرت ركبتاي ، وقرحت جبهتي ، ودمعت عيناي ، وحق لي البكاء ، كلما ذكرتُ خطيئتي وكلما ذكرتُ الموت ضاقت عليَّ الأرض برحبها ، فإذا ذكرت رحمتك ارتدت إليَّ روحي .

1- سورة سبأ ، الآية 13 .

سبحان خالق النور تتوقد جهنم لغضبك وتقوم الملائكة من خشيتك . ولا تكلمُ نفسٌ إلا بإذنك .

سبحان خالق النور ، إلهي : ارحم ضعفي ، ورقة جلدي من النار التي تعذب بها أعداءَك ، فلا تجعلني لكَ عدوّاً بعد إذ توليتني .

سبحان خالق النور إلهي امدد عيني بالدموع ، وقلبي بالخشية وضعفي بالقوة ، حتى أبلغ رضاكَ عني .

سبحان خالق النور ، أين أَهْربُ من عملي ، وأين أَفر من خطيئتي ، وهي ألزم لي من جلدي ، سبحان خالق النور .

حدثنا عبد الله قال : حدثنا إسماعيل أبو معمر الهذليّ قال : حدثنا عبد الله بن إدريس عن ليث عن مجاهد قال :

لَمَّا أصاب داود الخطيئة خَرَّ لله ساجداً أربعين يوماً ، حتى نَبَتَ من دُموعه من البقل ما غطى رأسَه . ثم نادى :

ربِّ قَرَحَ الجبينُ : وخمدتِ العينُ ، وداود لم يرجع إليه في خطيئته شيءٌ فنودي : أجائعٌ فتطعم أو مريض فتشفى ، أم مظلوم فَنَنْتَصرُ لك .

فَنَحَبَ نحيباً هاج كلُّ شيْ نَبَتَ . فعند ذلك غفر له .

قال : وكان يؤْتى بالإناء ليشرب فيذكر خطيئته فينتحب نحبةً فتكاد مفاصله يزولُ بعضها من بعض فما يشرب إلا بعض الإناء حتى يملأه من دموعه .

وكان يقال دمعة داود تعدل دمعة الخلائق . ودمعة آدم تعدلُ دمعة داود ودمعة الخلائق .

حدثنا عبد الله قال : حدثني أبي قال : حدثنا [سيار] قال : حدثنا جعفر قال : سمعت ثابتاً يقول اتخذ داود - عليه السلام - سبعُ حشايا من شعر وحشاهن من الرماد ثم بكى حتى أنفذهما دموعاً ولم يشرب داود شراباً إلا ممزوجاً بدموع عينه[1] .

1- حلية الأولياء (2 / 327) .

بابُ ذِكْرِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

حدثنا أحمد[1] قال : حدثنا يونس قال : حدثنا ليث عن محمد عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال :

خَرَجَتِ امرأتانِ ومعهما صَبِيَّان فعدا الذئب على أحدهما ، فأخذتا تختصمان في الصبيّ الباقي واختصما الى داود عليه السلام ، فقضى به للكبرى منهما فمرتا على سليمان النبي ﷺ فقال : كيف أمركما ؟ فقصَّتَا عليه القصة .

فقال أئتوني بالسكين أشقُ الغلام بينكما .

فقالت الصغرى أتشقه !

قال : نعم .

قالت : لا تفعل حَظِّي منه لها . فقال : هو ابنك ، فقضى به لها .

أخرجاه [2]في الصحيحين ومحمد هو ابن عَجْلاَن .

حدثنا البخاري[3] قال : حدثنا أبو اليمان قال : أخبرنا شعيب قال : أخبرنا أبو الزِّناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : قال سليمان لأطوفنَّ الليلة على تسعينَ امرأة كلهن تأتي بفارسٍ يجاهدُ في سبيل الله . فقال له صاحبه : قل إنشاء الله ، فلم يقل إن شاءَ الله ، فطاف عَلَيهنَّ جميعاً فلم تحملْ منهن إلا امرأةٌ واحدةٌ جاءت بشقِ رجل . وأيمُ الذي نفسي بيده لو قال : إن شاءَ الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون .

وأخرجه مسلم[4] أيضاً .

1- مسند أحمد (2 / 340) .

2- صحيح البخاري (6769) وصحيح مسلم (3 / 1344 - 1345) .

3- صحيح البخاري (6639) .

4- صحيح مسلم (3 / 1276) .

في عدد النساء في هذا الحديث أربع روايات كلها في الصحيح : أحدها : مائة رواها هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة[1] . والثانية : تسعون وهي التي قد ذكرناها .

والثالثة سبعون رواها طاوس عن ابن عباس[2] .

والرابعة ستون رواها أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة[3] .

وفي حديث ابن المدينيّ عن ابن عيينة فقال له صاحبه : قل إن شاءَ الله فنسي . قال ابن عيينة : يعني الملَك[4] .

وفي الصحيحَيْن[5] من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : إنَّ عفْريتاً من الجنِّ تفلَّت عليَّ البارحة ليقطع صلاتي ، فأمكنني اللهُ منه ، فأخذتُه فأردْتُ أن أرْبَطَهُ على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلُّكم . فذكرت دعوة أخي سليمانَ (رَبِّ هبْ لي مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعْدِي) فرددتهُ خاسِئاً .

حدثنا عبد الله قال حدثنا أبي[6] قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهديّ قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح قال : قال سليمان بن داود : أوتينا ما أوتي النأسُ وما لم يؤتوا . وعُلِّمنا ما عُلِم الناس وما لم يُعلَّموا . فلم نجدْ شيئاً أفضلَ من ثلاث كلماتٍ : الحلم في الغضب ، والرضا والقصد في الفقر والغنى ، وخشية الله في السر والعلانية .

حدثنا عبد الله قال : حدثني أبي قال : حدثنا عبد الرزاق قال : أخبرنا سفيان عن ليث عن مجاهد قال : يجاءُ بالغني فيقول : ما منعك أن تكون عبدتني ؟ فيقول : ربِّ كثرت لي من المال - فيذكر ما ابتلى به - .

قال : فيجاءُ بسليمان بن داود في مُلْكِهِ فيقول : أكنت أغنى أم هذا ؟ فيقول : بل هذا .

قال : فلم يمنعْهُ ذلك أن عبدني[7] .

1- صحيح البخاري (5242) من طريق معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة .

2- صحيح البخاري (3224) وصحيح مسلم (3 / 1275 - 1276) كلاهما من طريق طاوس عن أبي هريرة .

3- صحيح البخاري (7469) وصحيح مسلم (3 / 1275) .

4- صحيح مسلم (3 / 1275) . 5- صحيح البخاري (461 و3423) وصحيح مسلم (1 / 384) .

6- الزهد لأحمد (1 / 160) . 7- حلية الأولياء (3 / 288) .

باب ذِكْر أَيوب عليه السلام

حدثنا عبد الله قال : حدثني أبي قال حدثنا كثير بن هشام قال : حدثنا حماد بن سلمة قال : حدثنا عليّ بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال :

عرج الشيطان فقال : أي رب سَلِّطْنَي على أيوب .

قال : قد سلطتك على ماله وولده ولم أسلطكَ على جسده .

قال : فنزل فجمع جنوده فقال : إني سُلِّطْتُ على أيوب فأروني سلطانكم .

قال : فصاروا نيراناً ثم صاروا ماءً قال : وبينما هم بالمشرق فأرسل طائفة الى زرعه ، وطائفة الى إبله ، وطائفة الى بقره ، وطائفة الى غنمه ، وقال : اعلموا أنه لا يعتصم منكم إلا بمعرفة .

فأْتوه بالمصائب بعضها على إثر بعض قال : فجاء صاحب الزرع فقال : يا أيوب ألم تر الى ربكَ أرسل الى زرعكَ ناراً فأحرقته .

وجاءَ راعي الإبل فقال : يا أيوب ربك أرسل الى إبلك عدواً فذهب بها .

وجاء صاحب البقر فقال : يا أيوب ألم تر الى ربك أرسل الى بقركَ عدواً فذهب بها .

ثم جاء صاحب الغنم فقال مثل ذلك .

وتفرد هو لبنيه فجمعهم في بيت أكبرهم فبينما هم يأكلون ويشربون فجمع أركان البيت فهدم عليهم البيت قال : فجاءَ الى أيوب في هيئة الغلام وفي أذنيه قرطان قال يا أيوب ألم تر الى بنيكَ اجتمعوا في بيت أكبرهم يأكلون ويشربون فبينما هم كذلك إذ جاءت ريح فأخذت بأركان البيت فألقته عليهم فلو رأيتهم حين اختلطت دماؤهم ولحومهم وطعامهم وشرابهم .

فقال له أيوب : أين كنت أنت ؟

قال : كنتُ معهم .

قال : فكيف انفلتَّ ؟

قال : انفلتّ .

قال : أنت الشيطان ؟

قال : أنا الآن مثلي يوم خرجتُ من بطن أُمي فقام فحلق رأسه ثم قام يُصلي فأرنَّ الشيطان رنةً سمعها أهلُ السموات وأهل الأرض ثم عرج فقال : أي رب إنه قد اعتصم وإني لا أستطيعه إلا بتسليطك فسلطني عليه .

قال : قد سلطتكَ على جسده ولم أسلطك على قلبه .

قال : فنزل فنفخ تحت قدمه نفخة فقرح من قرنه الى قدمه حتى بدا حجابُ بطنه وألقى عليه الرماد قال : فقالت امرأته ذات يوم : يا أيوب قد والله نزل بي من الجهد والفاقة ما بعت قرناً من قروني برغيف فأطعمتك فادع ربكَ فليشفيك .

قال : ويحَك كنا في النعماء سبعين عاماً .

قال : فكان في ذلك البلاءُ سبعُ سنين قال : وقعد الشيطان في الطريق فأخذ تابوتاً يتطبب فأتته امرأة أيوب فقال : يا عبد الله إن هاهنا إنساناً مبتلى فهل لك أن تداويه ؟ قال : إنْ شاء . فقلت على أنْ يقول لي كلمة واحدة إذ أبرأ يقول : { أنت شفيتني } .

قال : فاتته فقالت : يا أيوب إن ها هنا رجلاً يزعم أنه يداويك على أن تقول له كلمة واحدة أنت شفيتني ؟ .

قال : ويلُكَ ذلك الشيطان ، لِلهِ عليَّ إنْ شفاني اللهُ أنْ أجلدك مائة جلدة .

فبينما هم كذلك إذ جاءَه جبريل فأخذ بيده فقال له : قم .

فقال له : اركض برجلكَ . فركض فنبعت عين فقال : اغتسلْ فاغتسل ثم تجَّاه ثم قال له : اركض برجلك . فركض فنبعت عين فقال : اشْرب . فشرب . قال : يقول الله : { هذا مغتَسَلٌ باردٌ وشراب } .

قال : ثم ألبسه حُلَّة من الجنة .

وجاءت امرأته فقالت يا عبد الله أين المبتلى الذي كان ها هنا لعل الذئاب ذهبت به أو الكلاب .

قال : فقال : ويحكَ أنا أيوب قد ردّ اللهُ إلي نفسي .

قال : فقالت : يا عبد الله أتق الله لا تسخر بي .

قال : ويحك أنا أيوب .

فردَّ اللهُ إليه ماله وولده عياناً ومثلهم معهم ، وأمطر عليهم جراداً من ذهب .

قال : فجعل يأخذ الجراد بيده ثم يجعله في ثوبه وينشر أثناءه فيأخذ فيجعل فيه فأوحى الله إليه يا أيوب أما شبعت .

قال أيوب : مَنْ ذا الذي يشبعُ من فضلكَ ورحمتكَ . قال : فأخذ ضغثاً بيده فجلدها به .

قال : وكان الضغث مائة شمراخ فجلدها به جلدةً واحدة .

حدثنا البخاري[1] قال : حدثنا إسحاق بن نصر قال : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ . قال : بينما أيُّوبُ يغتسلُ عُرياناً فَخَرَّ عليه جَرادٌ من ذهب ، فجعل أيوبُ يحتثي في ثوبه ، فناداه ربُّه (عز وجل) : يا أيُّوبُ ألم أَكنْ أغنيتك عما ترى ؟ قال : بلى : وعزتك ولكن لا غناء بي عن بركتك . انفرد بإخراجه البخاري

حدثنا عبد الله قال : حدثني أبي قال : حدثنا عبد الرزاق قال : حدثنا سفيان عن ليث عن مجاهد قال : يُجَاء بالمريض فيقولُ : ما مَنعكَ أنْ تعبدني ؟ قال : فيَقول : رب ابتليتني .

فيُجاء بأيوب في ضُرِّهِ فيقول : أنت كنت أشدُّ ضراً أو هذا ؟ فيقول : بل هذا .

فيقول : لم يمنعه ذلك أنْ عَبَدَنِي[2] .

حدثنا عبد الله قال : حدثنا أبي قال[3] : حدثنا يزيد قال : أخبرنا جرير بن حازم قال : سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول : كان لأيوب أخَوان فأتياه ذات يوم فوجدا ريحاً فقالا : لو كان الله علم من أيوب خيراً ما بلغ به كل هذا .

قال : فما سمع شيئاً كان أشدُ عليه من ذلكَ فقال : اللهم إنْ كنت تعلم أني لم أبِت ليلة شبعاناً وأنا أعلم مكان جائع فصدقني ، قال : فصدق وهما يسمعان .

ثم قال : اللهم إنْ كنت تعلم أني لم ألبس قميصاً قط وأنا أعلم مكان عارٍ فصدقني .

قال : فصُدِّقَ وهما يسمعان .

قال : ثم خرَّ ساجداً ثم قال : اللهم لا أرفع رأسي حتى تكشف ما بي ، فكشف الله ما به .

1- صحيح البخاري (279) . 2- حلية الأولياء (3 / 288) .

3- الزهد لأحمد (1 / 122) أول الجزء الثالث بتجزئة الأصل .

باب ذكر يونس عليه السلام

قال وهب بن منبه :

كان يونس قبل النبوة رجلاً صالحاً من عباد بني إسرائيل لا يعلم فيهم أصلح منه فرأى فَسَاداً في أمورهم فخاف أنْ ينزل بهم عقوبة فخرج هارباً بنفسه وذريته حتى نزل ناحية الموصل على شط دجلة وكان رجلاً فيه حِدَّة وضيْق وغَضَب فلما تحملت عليه أثقال النبوة تفسَّخَ تحتها [تفسخ] الربعُ [عند] الحمل - يعني الفصيل - فقذفها من يديه وخرج هارباً فركب البحر فالتقمه الحوت[1] .

حدثنا عبد الله[2] قال : حدثني سفيان بن وكيع قال : حدثنا جميع بن عمر عن مجالد عن الشعبي قال : قال رجل عنده : مكث يونس في بطن الحوت أربعين يوماً .

فقال الشعبي : ما مكث إلا أقل من يوم التقمه ضحًّى فلما كان بعد العصر وقاربت الشمس الغُرُب تثاءَب الحوت فرأى يونس ضوءَ الشمس فقال : { لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين } فنبذه وقد صار كأنه فرخ .

حدثنا عبد الله قال : حدثني أبي قال : حدثنا عبد الرزاق قال : أخبرنا منذر بن النعمان الأفطس أنه سمع وهب بن منبه يقول : لما خرج يونس من البحر نام فأنبت الله عليه شجرة من يقطين وهي الدُبّاء فرآها قد أظلته ورأى خضرتها فأعجبته ثم نام فاستيقظ فإذا هي قد يَبِسَتْ فجعل يحزن عليها فقيل له :

أنت الذي لم تخلق ولم { تسق } ولم تنبت تحزن عليها وأنا الذي خلقت مائة ألف من الناس أو يزيدون فرحمتهم { فشق } عليكَ .

وقد أخرج البخاري[3] ومسلم[4] في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : ما ينبغي لعبدٍ أنْ يقولَ أنا خير من يونس بن متى .

1- حلية الأولياء (4 / 50) .

2- الزهد لأحمد (1 / 129) .

3- صحيح البخاري (3416) .

4- صحيح مسلم (4 / 1846) .

باب ذكر عيسى عليه السلام

قال وهب بن منبه : لما كانت الليلة التي وُلد فيها عيسى عليه السلام أصبحت الأصنام في جميع الأرض منكسة على رؤوسها فلما ردوها على قوائمها انقلبَتْ فحارت الشياطين لذلك ولم تعلم السبب فشكت الى إبليس فطاف إبليس الأرض ثم عاد إليهم فقال :

رأيتُ مولوداً والملائكة قد حفت به فلم أستطع أن أدنو إليه ومن أعظم أمره أنَّ الله كتمني مولده ولم تضع أنثى إلا وأنا حاضرها !

ثم خرج إبليس متمثلاً في صورة رجل ذي هيئة وسن فأذاع على مريم الفاحشة فأقبل[1] بنو إسرائيل إليها فقالوا :

يا مريم { لقد جئت شيئاً فرياً }[1] فأشارت إليه .

فقال : { إني عبد الله } الى قوله { ويوم أبعث حيّاً }[2] .

ومكث في قومه يريهم الآيات والعجائب الى أنْ رفعه الله عز وجل لثلاث ساعات من النهار وكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فصار ملكاً إنسيّاً سمائيّاً أرضيّاً .

1- سورة مريم الآية 27 .

2- سورة مريم الآيات : 30 الى 33 .

باب من أحاديث بني إسرائيل وغيرهم من الأوائل

حدثنا أحمد[1] قال : حدثنا وهب بن جرير قال : حدثني أبي قال : سمعتُ محمد بن سيرين يُحدث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى بن مريم قال : وكان من بني إسرائيل رجلٌ عابد يُقالُ له { جريج } فابتنى صومعة وتعبد فيها قال : فذكر بنو إسرائيل يوماً عبادة جريج فقالت بغيٌّ منهم : إنْ شئتم لأفتننه .

فقالوا : قد شئنا .

قال : فأتته فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأمكنت نفسها من راعٍ كان يؤوي غنمه الى أصل صومعة جريج فحملت فولدت غلاماً فقالوا : ممن ؟ .

قالت : مِنْ جريج .

فأتَوْهُ فاستنزلوه فشتموه وضربوه وهدموا صومعته فقال : ما شأنكم ؟!

قالوا : إنك زنيت بهذه البَغِيّ فولدت غلاماً .

قال : وأين هو ؟ قالوا : ها هو ذا .

قال : فقام فصلى ثم انصرف الى الغلام فطعنه بأصبعه وقال : باللهِ يا غلام مَنْ أبوكَ .

قال : أنا ابن الراعي .

قال : فوثبوا الى جريج فجعلوا يقبلونه وقالوا : نبني صومعتك من ذهب .

قال : لا حاجة إليّ في ذلكَ ابنوها من طين كما كانت .

قال : وبينما امرأة في حِجْرها ابنٌ لها ترضعه إذْ مر بها راكب ذو شارة فقالت : { اللهم اجعل ابني مثل هذا } .

1- مسند أحمد (2 / 307) وقال شاكر (8057) إسناده صحيح .

قال : فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال : { اللهم لا تجعلني مثله } .

قال : ثم عاد الى ثديها يمصه .

قال أبو هريرة : فكأني انظر الى رسول الله ﷺ يحكي صنيع الصبِيَّ ووضع إصبعه في فيه فجعل يمصها ثُم مُرَّ بأمَةٍ تَضرب فقالت : { اللهم لا تجعل ابني مثلها } .

قال : فترك ثديها وأقبل على الأمَةِ فقال : { اللهم اجعلني مثلها } .

قال : فذاك حين تراجعا الحديث فقال : حين مُرَّ بالراكب ذي الشارة فقلت : اجعل ابنِي مثله فقلت : اللهم لا تجعلني مثله ، ومُرّ بهذه الأمة فقلتَ : لا تجعل ابني مثلها فقلت : اللهم اجعلني مثلها !

فقال : يا أمتاه إن الراكب ذا الشارة جبار من الجبابرة وإنَّ هذه الأمة يقولون زنت ولم تَزْن وسَرَقَتْ ولم تسرق وهي تقول : { حسبي الله } .

أخرجه البخاري[1] عن مسلم بن إبراهيم وأخرجه مسلم[2] عن يزيد بن هارون كلاهما عن جرير بن حازم .

حدثنا البخاري[3] قال : حدثنا سعيد بن أبي مريم قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة قال : أخبرني نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال :

بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر فمالوا الى غارٍ في الجبل فأغطت على فم الغار صخرة من الجبل فأطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها .

1- صحيح البخاري (3436) .

2- صحيح مسلم (4 / 1976 الى 1978) .

3- صحيح البخاري (5974) .

فقال أحدُهم : اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران ولي صبية صغيرة كنت أرعى عليهم فإذا رُحْتُ عليهم فحلبت بدأت بوالديّ أسقيهما قبل ولدي وإنه نأى بي الشجر فما أتيت حتى أمسيتُ فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رؤوسهما أكره أنْ أوقظهما من نومهما وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدميّ فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أني فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء . ففرج الله لهم فرجة حتى رأوا منها السماء .

وقال الثاني : اللهم إنه كانت لي ابنةُ عم أحبها كأشد ما تحب الرجال النساءَ فطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار فسعيتُ حتى جمعتُ مائة دينار فلقيتها بها فلما قعدتُ بين رجلَيْها قالت : { يا عبد الله اتَّقِ الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه } فقمتُ عنها ، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاءَ وجهكَ فافرج لنا منها ففرج لهم فرجة .

وقال الآخر : إني كنتُ استأجرتُ أجيراً بفرق أرز فلما قضى عمله قال : أعطني حقي فعرضتُ عليه حقه فتركه ورغب عنه فلم أزل أزرعه حتى جمعتُ منه بقراً وراعيها فجاءَني وقال : اتق الله ولا تظلمني وأعطني حقي . فقلتُ له : اذهبْ الى تلك البقر وراعيها فخذها .

فقال : اتق الله ولا تهزأ بي . فقلتُ : إني لا أهزأُ بكَ فَخُذْ تلك البقر وراعيها .

فأخذها فانطلق بها ، فإنْ كنت تعلم أني فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فافرج عنا ما بقي ففرج الله عنهم .

انفرد البخاري بإخراج هذا الحديث من هذه الطريق وليس لإسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن نافع عن ابن عمر في الصحيح غير هذا . وإسماعيل هو ابن أخي موسى بن عقبة .

وقد أخرجه البخاري[1] ومسلم[2] من حديث موسى بن عقبة عن نافع .

ومن حديث عبيد الله عن نافع[3] ، ومن حديث الزهري عن سالم[4] .

وفي بعض طرق هذا الحديث : { فقمتُ عنها وأعطيتها المائة دينار }[5] .

1- صحيح البخاري (2215 و 2333) .

2- صحيح مسلم (4 / 2099 – 2100) .

3- صحيح البخاري (3465 وصحيح مسلم (4 / 2100)

4- صحيح البخاري (2272) وصحيح مسلم (4 / 2100) .

5- صحيح البخاري (3465) .

حدثنا البخاري[1] قال حدثنا أحمد بن إسحاق قال : حدثنا عمرو بن عاصم قال حدثنا همام قال : حدثنا إسحاق بن عبد الله قال : حدثني عبد الرحمن بن أبي عمرة أنَّ أبا هريرة حدثه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

إنَّ ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال : أيُّ شيءٍ أحبُّ إليكَ ؟ قال لونٌ حسنٌ وجلدٌ حسن قد قذرني .

قال فمسحه فذهب فأعطي لوناُ حسناً وجلداً حسناً . فقال : أيُّ المال أحبُ إليكَ ؟ قال : الإبل - أو البقر شكَ إسحاق في ذلكَ أنَّ الأبرص والأقرع قال أحدهما : الإبل والآخر البقر فأعطي ناقة عشراء فقال يبارك لك فيها .

وأتى الأقرع فقال أيُّ شيءٍ أحب إليكَ قال شعرٌ حسنٌ ويذهب عني هذا قد قذرني الناس .

قال فمسحه فذهب وأعطي شعراً حسناً قال : فأيُّ المال أحبُ إليكَ ؟

قال : البقر .

قال فأعطاه بقرة حاملاً قال : يبارك لك فيها .

وأتى الأعمى فقال : أيُّ شيءٍ أحب إليك ؟

قال يرد الله إليّ بصري .

فأبصر به الناس قال : فمسحه فردّ الله إليه بصره قال : فأيُّ المال أحبُّ إليكَ ؟

قال : الغنم .

قال : فأعطاه الله شاة والداً فأنتج هذان وولد هذا فكان لهذا وادٍ من الإبل ، ولهذا وادٍ من البقر ، ولهذا وادٍ من الغنم .

ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال : رجلٌ مسكين تقطعت به الحبال في سفره فلا بلاغ اليوم إلا بإذن الله ثمَّ بكَ ، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن بعيراً أتبلغ عليه في سفري .

1- صحيح البخاري (3464) .

فقال له : إن الحقوق كثيرة .

فقال له : كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله ؟

فقال : لقد ورثت كابراً عن كابر . فقال : إنْ كنت كاذباً فصيرك الله الى ما كنت .

وأتى ٱلأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا وردَّ عليه مثل ما ردَّ هذا فقال : إن كنت كاذباً فصيرك الله الى ما كنت .

وأتى الأعمى في صورته وقال : رجلٌ مسكين وابن سبيل وتقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي ردَّ عليكَ بصرك شاة أتبلغ بها في سفري .

فقال : قد كنتُ أعمى فردَّ اللهُ بصري ، وفقيراً فَخُذْ ما شئتَ .

فقال : وللهِ لا أجهدك اليوم بشيءٍ أخذته لله .

فقال : أمسك مالكَ فإنما ابتليتم فقد رُضي عنك وسُخط على صاحبيك .

وأخرجه مسلم[1] عن شيبان عن همام .

حدثنا البخاري[2] قال : حدثنا إسحاق بن نصر قال : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : اشترى رجلٌ من رجل عقاراً له فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرةً فيها ذهب فقال له الذي اشترى العقار : خُذ ذهبكَ مني إنما اشتريت منكَ الأرض ولم أبتع الذهب .

وقال الذي له الأرض : إنما بعتك الأرض وما فيها فتحاكما الى رجلٍ فقال الذي تحاكما إليه : ألكما ولد ؟

قال أحدهما : لي غلام . وقال الآخر : لي جارية .

قال : انكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدقا .

وأخرجه مسلم[3] عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق .

1- صحيح مسلم (4 / 2275 الى 2277) .
2- صحيح البخاري (2472)
3- صحيح مسلم (3 / 1345) .

حدثنا أحمد[1] قال : حدثنا يونس بن محمد قال : أخبرنا ليث عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ :

إنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائل أنْ يسلفه ألف دينار فقال : ائتني بشهداء أشهدهم .

قال : كفى بالله شهيدا .

قال : ائتني بكفيل .

قال : كفى بالله وكيلا . قال : صدقت . فدفعها إليه الى أجلٍ مسمى .

فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركباً يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركباً فأخذ خشبةً فنقرها وأدخل فيها ألف ديناراً وصحيفة منه الى صاحبها ثم زجج موضعها ثم أتى بها البحر فقال : اللهم إنكَ قد علمت بأني استسلفت فلاناً ألف دينار فسألني كفيلاً فقلتُ { كفى بالله كفيلاً } . فرضي بك ، وسألني شهيداً فقلت : { كفى بالله شهيداً } . فرضي بك ، وإني قد جهدت أنْ أجد مركباً أبعث إليه بالذي له فلم أجد مركباً وإني أستودعكها .

فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلكَ يطلبُ مركباً يخرج الى بلده فخرج الذي كان أسلفه ينظر لعلّ مركباً قد جاءَ بماله فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطباً فلما كسرها وجد المال والصحيفة .

ثم قدِم الرجلُ الذي كان تسلف منه فأتاه بألف دينار وقال : واللهِ ما زلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدتُ مركباً قبل الذي أتيتُ فيه .

قال : هل كنتَ بعثتَ إليَّ بشيءٍ .

قال : ألم أخبرك أني لم أجدُ مركباً قبل هذا الذي جئت فيه !

قال : فإنَّ الله عز وجل أدَّى عنك الذي بعثت به في الخشبة فَانْصَرفْ بألفِكَ راشداً .

انفرد بإخراجه البخاري[2] فرواه في سبعة مواضع من صحيحه .

1- مسند أحمد (2 / 348) .

2- صحيح البخاري (1498 و 2291 و 2404 و 2430 و 2734 و 6261) معلقاً ، ووصله (2063) .

حدثنا أحمد[1] قال : حدثنا يزيد قال : أخبرنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون عن وهب بن كيسان عن عبيد بن عمير الليثي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

بينما رجل بفلاةٍ من الأرض فسمع صوتاً في سحابة : { اسق حديقة فلان } فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءَه في حرة فإذا هي في أذناب شِراج وإذا شرجه من تلكَ الشراج قد استوعبت ذلك الماءَ كله فنبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يُحَوِّلُ الماءَ بمساحته فقال له : يا عبد الله ما اسمك ؟

قال : فلان بالاسم الذي سمع في السحابة .

فقال له : يا عبد الله لم سألتني عن اسمي ؟

قال : إني سمعتُ صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول : اسقِ حديقة فلان لاسمك : فما تصنع فيها ؟

قال : أما إذْ قلتَ هذا فإني أنظر الى ما خرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثه وأرد فيها ثلثه .

انفرد بإخرجه مسلم[2] فرواه عن أبي بكر عن يزيد بن هارون وليس لعبيد بن عمير عن أبي هريرة في الصحيح غيره .

1- مسند أحمد (2 / 296) وقال شاكر (7928) : إسناد صحيح .

2- صحيح مسلم (4 / 2288) .

إسلام حمزة[1]

وكان بعض إيذائهم هذا سبباً لإسلام عمّه حمزة بن عبد المطلب فقد أدركته الحميّة عندما عيّرته بعض الجواري بإيذاء أبي جهل لابن أخيه[2] فتوجه الى ذلك الشقي وغاضبه وسبّه وقال كيف تسبّ محمداً وأنا على دينه ، ثم أنار الله بصيرته بنور اليقين حتى صار من أحسن الناس إسلاماً وأشدّهم غيرة على المسلمين ، وأقواهم شكيمة على أعداء الدين حتى سمي أسدَ الله .

وكما أُوذي الرسول عليه الصلاة والسلام أُوذي أصحابه لاتّباعهم له خصوصاً من ليس له عشيرة تحميه وتردّ كيد عدوه عنه ، وكل هذا الأذى كان حلواً في أعينهم ما دام فيه رضاء الله فلم يفتنوا عن دينهم بل ثبتهم الله حتى أتمّ أمره على أيديهم ، وصاروا ملوك الأرض بعد أن كانوا مستضعفين فيها ، كما قال جلّ ذكره في سورة القصص : { وَنُرِيْدُ أَن نَمُنَّ عَلى الَّذيْنَ اسْتُضْعِفوا في الأَرْضِ وَنَجْعَلَهم أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثيْنَ }[3]وقد حقّق ما أراد .

{ ومن } الذين أُوذوا في الله بلال بن رباح كان مملوكاً لأميّة بن خلف الجمحي القرشي ، فكان يجعل في عنقه حبلاً يدفعه الى الصبيان يلعبُون به وهو يقول : أحد أحد . لم يَشْغَلْهُ ما هو فيه عن توحيد الله . وكان أمية يخرج به في وقت الظهيرة في الرمضاء - وهي الرمل الشديد الحرارة لو وضعت عليه قطعة لحم لَنَضِجت - ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزّى ، فيقول : أحد أحد[4]مرَّ به أبو بكر يوماً فقال يا أميّة أما تتقي الله في هذا المسكين حتى متى تعذبه ؟ قال أنت أفسدته فأنقذه مما ترى . فاشتراه منه وأعتقه فأنزل الله فيه وفي أمية في سورة الليل { فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى لا يصْلاها إلاَّ الأشْقَى } أمية بن خلف { الذي كَذَّبَ وَتَوَلى وَسَيُجَنَّبُهَا الأتْقى } الصدّيق { الذي يُؤْتِي ماله يَتَزَكى وما لأحَدٍ عِنْدَهُ من نِعْمَةٍ تُجْزى إلا ابْتِغاءَ وَجْه رَبِّهِ الأعْلى وَلَسوْفَ يَرْضَى }[5] بما يعطيه الله في الأخرى جزاء أعماله .

1- حمزة بن عبد المطلب ، سيد الشهداء أسد الله وأسد رسوله ، أسنّ من النبي ﷺ بسنتين ، أحد صناديد قريش وساداتهم في الجاهلية والإسلام ، شجاعاً ، ويوم أُحُد رماه وحشي بحربة فقتله فدفن بالمدينة سنة 3هـ .

2- وقد أخبرته مولاة عبد الله بن جدعان بذلك وهو راجع من قنص له ، فجاء المسجد فعلا رأس اللعين أبي جهل بقوسه فشجّه شجّة منكرة ، وقال أتشتمه وأنا على دينه فرُد ذلك عليّ إن استطعت ، ديني دين محمد إن كنتم صادقين فامنعوني .

3- سورة القصص الأية (5) .   4- يقولها وهو صادق الإسلام ، طاهر القلب ، مزج مرار العذاب بحلاوة الإيمان .

5- سورة الليل الآيات : (14 - 2) .

وقد نّبه الله جلّ ذكره على أن بذل الصديق ماله في شراء بلال وعتقه لم يكن إلا ابتغاء وجه ربه ، وكفى بهذا شرفاً وفضلاً للصديق رضي الله عنه وأرضاه ، وقد أعتق غيرَ بلال جماعة من الأرقاء أسلموا فعذبهم مواليهم . { ومنهم } حَمَامَةُ أُم بلال ، وعامر بن فُهَير[1] كان يعذب حتى لا يدري ما يقول ، وأبو فُكيهة كان عبداً لصفوان بن أمية بن خلف .

{ ومنهم } امرأة تسمى زِنّيرة عذّبت في الله حتى عميت فلم يزدها ذلك إلاّ إيماناً[2] ، وكان أبو جهل يقول : ألا تعجبون لهؤلاء وأتباعهم لو كان ما أتى به محمداً خيراً ما سبقونا إليه أفتسبقنا زنيرة الى رشد ، فأنزل الله في سورة الأحقاف { وَقَالَ الذيْنَ كَفَرُوا للّذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه وَإذْ لمْ يَهْتدوا بهِ فَسَيَقلون هذا إفْكٌ قَديْمٌ }[3] { وممن } أعتق أبو بكر بعد شرائه : أم عُنَيس كانت أمّة لبني زهرة وكان يعذبها الأسود بن عبد يغوث .

{ وممن } عُذب في الله عمار بن ياسر وأخوه وأبوه وأمه كانوا يعذبون بالنار فمرّ بهم رسول الله ﷺ فقال : صبراً آل ياسر فموعدكم الجنة ، اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت أما أبو عمار وأمه فماتا تحت العذاب رحمهما الله ، وأما هو فثقل عليه العذاب فقال بلسانه كلمة الكفر ، فإن أبا جهل كان يجعل له دروعاً من الحديد في اليوم الصائف ويلبسه إيّاها ، فقال : المسلمون : كفر عمار ، فقال عليه الصلاة والسلام : (عمارٌ مليء إيماناً من فرقه الى قدمه) ، وأنزل الله في شأنه استثناء في حكم المرتد ، فقال جلّ ذكره في سورة النحل : { من كفرَ بالله مِنْ بَعدِ إيمانِهِ إلا مَنْ أُكْرِه وقَلْبُهُ مطمئِنٌّ بالإيمان ولَكِنْ مَنْ شرح بالكفر صدْراً فعليْهِمْ غضبٌ من الله ولهم عَذابٌ عظيْمٌ }[4] .

1- شهد بدراً وأحداً وقتل يوم بئر معونة شهيداً .

2- أمَة عمر بن الخطاب أسلمت قبله ، فكان يضربها ، فذهب بصرها ، فتأبى إلاّ الإسلام ، فقال المشركون : ما أصاب بصرها إلا اللات والعزّى . فقالت : والله ما هو كذلك ، فرد الله عليها بصرها .

3- سورة الأحقاف الآية (11) .

4- سورة النحل الآية (106) .

{ وممن أوذي في الله } خبَّاب بن الأرت ، سُبي في الجاهلية فاشترته أم أنمار ، وكان حداداً وكان النبي يألفه قبل النبوة ، فلما شَرّفه الله بها أسلم خباب ، فكانت مولاته تعذبه بالنار فتأتي بالحديدة المحماة فتجعلها على ظهره ليكفر ، فلا يزيده إلا إيماناً ، وجاء خباب مرة الى رسول الله وهو متوسد بُرْدَة في ظل الكعبة فقال يا رسول الله ألا تدعوا الله لنا ؟ فقعد عليه الصلاة والسلام محمراً وجهه فقال : { إنه كان مَنْ قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد مادون عظمه من لحم وعصب ويوضع المنشار على فرق رأس أحدهم فيشقّ ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليظهرن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت[1] لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه }[2] ، قال ذلك عليه الصلاة والسلام وهو في هذه الحال الشديدة التي لا يتصور فيها أعقل العقلاء وأنبل النبلاء قوة منتظرة أو سعادة مستقبلية ، اللهم إلا أن ذلك وحي يوحى إليه ، ثم أنزل الله تعالى تثبيتاً للمؤمنين أول سورة العنكبوت : { آلم أحَسِبَ النَّاسُ أنْ يُتْركُوا أن يَقولوا آمَنا وهُم لا يُفتنون وَلقد فَتنا الذين من قبلِهم فَلَيَعْلَمنَّ الله الذين صدقوا وَلَيَعْلمنَّ الكاذبينَ }[3] .

وممن أوذي في الله أبو بكر الصديق ، ولما اشتد عليه الأذى أجمع أمره على الهجرة من مكة الى جهة الحبشة ، فخرج حتى أتى بَرْكَ الغِماد[4] فلقيه ابن الدُّغُنَّة وهو سيد قبيلة عظيمة اسمها القارةُ[5] فقال : الى أين يا أبا بكر ؟ فقال أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي فقال ابن الدغنة : مِثْلُكَ يا أبا بكر لا يخرج ، إنك تكسب المعدوم ، وتَصِل الرَحم وتحمل الكل وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فأنا لك جار ، فارجع واعبد ربك ببلدك ، فرجع وارتحل ابن الدغنة معه ، وطاف في أشراف قريش ، فقال لهم : أبو بكر لا يُخْرَج مثله . أتخرجون رجلاً يُكْسب المعدوم ، ويصل الرحم ، ويحمل الكل ، ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق! فلم تُكذِّب قريش بجوار ابن الدغنة ، وقالوا له مُرْ أبا بكر فليبعد ربه في داره ، فليصلِّ فيها ما شاء ، وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستلعن ، فإنَّا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا ، فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر ، فلبث بذلك يعبد ربه في داره ولا يستلعن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره ، وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن ، فيتقذف عليه نساء المشركون وأبناؤهم وهم يَعْجَبُون منه وينظرون إليه .

1- حضر موت : وهي ناحية في شرقي عدن . 2- رواه البخاري ، في مناقب الأنصار رقم : (3852) .

3- سورة العنكبوت الآيات : (1 - 3) . 4- برك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليال ممايلي البحر من ياقوت المؤلف

5- قبيلة مشهورة من بني الهون يُضرب بهم المثل في قوة الرمي واسم ابن الدغنة ربيعة بن رفيع وفي السيرة الحلبية الحارث بن رفيع .

وكان رجلاً بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، فأفزع ذلك أشراف قريش ، فأرسلوا الى ابن الدغنة ، فقدم عليهم فقالوا : إنَّا كنَّا قد أجَرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك ، فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه ، وإنَّا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فإنْ أحبَّ أن يقتصر على أن يتعبد ربه بفناء داره فعل ، وإن أبى إلاَّ أن يعلن ذلك فسَلْه أن يردّ إليك ذمتك ، فإنا قد كرهنا أن نُخْفِرَك[1] ولسنا مقرّين لأبي بكر الإستعلان . فأتى ابن الدغنة أبا بكر فقال : قدعلمت الذي عاقدتُ لك عليه ، فإمَّا أن تقتصر على ذلك ، وإما أن تُرجع إليَّ ذمتي ، فإني لا أُحبُّ أن تسمع العرب أني أُخْفِرتُ في رجل عقدت له . فقال أبو بكر : فإني أردّ عليك جوارك وأرضى بجوار الله . (رواه البخاري)[2] وكان ذلك سبباً لإيصال أذى عظيم الى أبي بكر رضي الله عنه .

وبالجملة فلم يخلُ أحد من المسلمين من أذيّةٍ لحقته ولكن كل ذلك ضاع سدىً تلقاء ثباتهم وعظم إيمانهم ، فإنهم لم يسلموا لغرض دنيوي يرجون حصوله فيسهل إرجاعهم ، ولكن وفّقهم الله لإدراك حقيقة الإيمان فرأوا كل شيْ دونه سهلاً .

ولما رأى كفار قريش أن ذلك الأذى لم يُجدِهم نفعاً ، بل كلما زادوا المسلمين أذىً ازداد يقينهم اجتمعوا للشورى فيما بينهم ، فقال لهم عتبة بن ربيعة العبشمي من بني عبد شمس بن عبد مناف وكان سيداً مطاعاً في قومه : يا معشر قريش ألا أقوم لمحمد فأُكلِّمه وأعرضُ عليه أموراً علَّه يقبلُ بعضها فنعطيه إياها ويكفَّ عنَّا ؟ فقالوا يا أبا الوليد فقمْ إليه فكلمه .

فذهب الى رسول الله وهو يصلي في المسجد ، وقال : يا ابن أخي إنكَ منّا حيث قد علمتَ من خيارنا حسباً ونسباً وإنكَ قد أتيتَ قومك بأمر عظيم ، فرَّقْتَ به جماعتهم ، وسفَّهت أحلامهم ، وعِبتَ آلهتهم ودينهم ، وكفَّرت مَنْ مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلّك تقبل منها بعضها : فقال عليه الصلاة والسلام : قل يا أبا الوليد أسمع .

فقال : يا ابن أخي إن كنتَ تريدُ بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنتَ تريدُ شرفاً سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنتَ تريد مُلكاً ملكناكَ علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًّاً[3] من الجن لا نستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى

1- الخفر : نقض العهد .

2- في كتاب الكفالة ، رقم (2297) .

3- ما يتراءى للإنسان من الجن .

فقال عليه الصلاة والسلام : لقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ، قال فاسمع مني فقرأ رسول الله ﷺ أول سورة فصّلت :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ حم (1) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (4) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (5) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (6) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (7) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (8) قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (9) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (10) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (12) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (13) إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ }[1] (14) .

فأمسك عتبة بفيه ، وناشده الرحم أن يَكُفّ عن ذلك فلما رجع عتبة سألوه فقال : والله لقد سمعت قولاً ما سمعت مثله قطّ ، والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة ولا بالسحر ، يا معشر قريش أطيعوني فاجعلوها بي ، خلُّوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونَنَّ لكلامه الذي سمعت نبأ ، فإن تُصبه[2] العرب كُفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فعزّه عزّكم فقالوا لقد سحرك محمد ، فقال هذا رأيي .

1- سورة فصلت الآيات (1 ، 14) .

2- تصبه العرب : تقتله .

إسلام عمر

وفي ذلك الوقت أسلم الشهم الهمام عمر بن الخطاب العدوي القرشي[1] بعدما كان عليه من كراهية المسلمين وشدة أذاهم ، قالت ليلى[2] : إحدى المهاجرات لأرض الحبشة مع زوجها ، كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا في إسلامنا ، فلما ركبتُ بعيري أُريد أن أتوجه الى أرض الحبشة إذا أنا به فقال لي : الى أين يا أم عبد الله ؟ فقلت قد آذيتمونا في ديننا ، نذهبُ في أرض الله حيث لا نُؤذى ، فقال : صحبكم الله ، فلما جاء زوجي عامر أخبرته بما رأيت من رقة عمر ، فقال : ترجين أن يُسْلِم ! والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب ! وذلك لما كان يراه من قسوته وشدته على المسلمين ، ولكن حصلت له بركة دعوة المصطفى ﷺ فإنه قال قبيل إسلامه : { اللهم أعِز الإسلام بعمر } ، وكان إسلامه في دار الأرقم بن أبي الأرقم التي كان المسلمون يجتمعون فيها وقد حقق الله بإسلامه ما رجاه عليه الصلاة والسلام ، فقد قال عبد الله بن مسعود من رواية البخاري : { ما زلنا أعزّة منذ أسلم عمر[3] فإنه طلب من رسول الله أن يعلن صلاته في المسجد ففعل ، وقد أدرك الكفار كآبةٌ شديدة حينما رأوا عمر أسلم ، وكانوا قد أرادوا قتله حتى اجتمع جمع حول داره ينتظرونه ، فجاء العاص بن وائل السَّهمي (وهو من بني سهم حلفاء بني عدي قوم عمر) وعليه حُلَّة حِبَرَة[4] وقميص مكفوف بحرير ، فقال لعمر : ما بالُكَ ؟ فقال : زعم قومك أنهم سيقتلونني إن أسلمت . قال : لا سبيل إليك فأنا لك جار ، فأمِنَ عمر ، وخرج العاص فوجد الناس قد سال بهم الوادي ، فقال أين تريدون ؟ قالوا نريد هذا ابن الخطاب الذي صبأ . قال : لا سبيل إليه . فرجع الناس من حيث أتوا[5] .

1- وكان إسلامه بعد حمزة بثلاثة أيام ، والمسلمون إذ ذاك بضعة وأربعون رجلاً .

2- هي ليلى بن أبي حثمة بن حذيفة ، أسلمت قديماً وبايعت ، ويقال أنها أول ظعينة دخلت المدينة في الهجرة .

3- رواه البخاري في مناقب الأنصار ، رقم (3863) .

4- حبرة : يعني بردة مخططة بالنقش .

5- رواه البخاري في مناقب الأنصار رقم (386) .

غزوة بدر الكبرى[1]

لم يطل العهد بتلك العِير العظيمة التي خرج لها عليه الصلاة والسلام وهي متوجهة الى الشام ، فلم يدركها ولم يزل مترقباً رجوعها ، فلما سمع برجوعها نَدَبَ إليها أصحابَهُ ، وقال : هذه عيرُ قريش فاخرجوا إليها لعلّ الله أن يُنْفِلكُموها فأجاب قوم وثَقُلَ آخرون لظنهم أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يُرِدْ حرباً ، فإنه لم يحتفل بها بل قال : من كان ظهره حاضراً فليركب معنا . ولم ينتظر من كان ظهره غائباً . فخرج لثلاث ليالٍ خَلَوْنَ من رمضان بعد أن ولَّى على المدينة عبد الله ابن مكتوم ، وكان معه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً : مائتان ونيف وأربعون من الأنصار ، والباقون من المهاجرين ، ومعهم فَرَسان ، وسبعون بعيراً يعتقبونها[2] ، والحامل للواء مصعب بن عمير العَبْدَري . ولما علم أبو سفيان بخروج الرسول ﷺ استأجر راكباً[3] ليأتي قريشاً ويخبرهم الخبر ، فلما علموا بذلك أدركتهم حميتهم ، وخافوا على تجارتهم ، فنفروا سراعاً ولم يتخلف من أشرافهم إلا أبو لهب بن عبد المطلب ، فإنه أرسل بدله العاص بن هشام بن المغيرة [4] . وأراد أمية بن خلف أن يتخلَّف لحديث حدثّه إياه سعد بن معاذ حينما كان معتمراً بعد الهجرة بقليل ، حيث قال كما رواه البخاري[5] : سمعتُ من رسول الله يقول : إنهم قاتلوك ، قال : بمكة ؟ قال : لا أدري . ففزع لذلك وحلف ألاّ يخرج ، فعابه أبو جهل ولم يزل به حتى خرج قاصداً الرجوع بعد قليل ، ولكن إرادة الله فوق كل إرادة ، فإن منيته ساقته الى حتفه رغم أنفه . وكذلك عَزَمَ جماعةٌ من الأشراف على القعود فَعِيْبَ عليهم ذلك ، وبهذا أجمعت رجالُ قريش على الخروج ، فخرجوا على الصعب والذلول ، أمامهم القَيْنات يغنين بهجاء المسلمين : { وَإِذْ زَيَّنَ لهُمُ الشَّيْطَانُ أعمالهُم وقال لا غالبَ لكُمُ اليوم مِنَ الناس وإني جارٌ لكم }[6] .

1- بدر : هي قرية مشهورة بين مكة والمدينة .

2- الإعتقاب والتعاقب بمعنى ، وهو التناوب والتداول .

3- هو ضمضم بن عمرو الغفاري .

4- أخا أبي جهل .

5- في المغازي ، رقم : 3950 .

6- سورة الأنفال الآية (48) .

وقد ضرب الله عمل الشيطان هذا مثلاً يعتبر به ذوو الرأي من بعدهم فقال في سورة الحشر :

{ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إذ قَالَ للإنسان اكفُرْ فَلمَّا كَفَرَ قَال إنِّي بَرِيء ٌ مِنْكَ إني أخافُ الله ربَّ العالمين }[1] وهكذا كان عمله في هذه الواقعة { فَلمَّا تَراءَتِ الفِئَتَانِ نَكَصَ على عَقِبَيْهِ وَقَال إني برِيءٌ مِنْكُم إنّي أرى مَا لا تَرونَ إنّي أَخَافُ الله والله شديد العِقَابِ }[2] . وكان عدّةُ من خرج من المشركين تِسعَمائة وخمسين رجلاً معهم مائة فرس وسبعمائة بعير .

أما رسول الله ﷺ فلم يكن يعرف شيئاً مما فعله المشركون ، ولم يكن خروجه إلا للعير ، فعسكر ببيوت السّقْيا خارج المدينة ، واستعرض الجيش فردّ من ليس له قدرة على الحرب ، ثم أرسل اثنين يتجسسان الأخبار[3] عن العير . ولما بلغ الرَّوحاء[4] جاء الخبر بمسير قريش لمنع عيرهم ، وجاء مخبراه بأن العير ستصل بدراً غداً أو بعد غد ، فجمع عليه الصلاة والسلام كبراء الجيش وقال لهم : { أيها الناس إن الله قد وعدني إحدى الطائفتين أنها لكم : العير أو النفير ، فتبين له عليه الصلاة والسلام أن بعضهم يريدون غير ذات الشوكة وهي العير ليستعينوا بما فيها من الأموال ، فقد قالوا هلاّ ذكرت لنا القتال فنستعد ، وجاء مصداق ذلك قوله تعالى في سورة الأنفال : { وَإذ يَعِدكُمُ الله إحْدى الطائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ وَتوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذات الشَّوكةِ تَكُونُ لكُم }[5] ثم قام المقداد بن الأسود[6] رضي الله عنه فقال : يا رسول الله امض لما أمرك الله فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : { فاذْهَبْ أنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا إنَّا هَهُنَا قَاعِدونَ }[7] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون ، والله لو سرت بنا الى بَرْكِ الغماد[8] لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فدعا له بخير .

1- سورة الحشر الآية (16) .

2- سورة الأنفال الآية (48) .

3- هما بَسْبس بن الجهني ، وعدي بن أبي الزَّغْباء .

4- موضع على ثلاثين أو أربعين ميلاً جنوب المدينة الغربي . المؤلف .

5- سورة الأنفال الآية (7) .

6- هو المقداد بن عمرو ، أسلم قديماً ، وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله .

7- سورة المائدة الآية (24) .

8- برك الغماد : موضع على خمس ليالٍ من مكة الى جهة اليمن .

ثم قال عليه الصلاة والسلام : أشيروا عليَّ أيّها الناس وهو يريد الأنصار لأن بيعة العقبة ربما يفهم منها أنه لا تَجِب عليهم نصرته إلا ما دام بين أظهرهم . فإن فيها : يا رسول الله إنَّا بُرآء من ذمتك حتى تصل الى دارنا ، فإذا وصلت إليها فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبنائنا ونساءنا . فقال سعد بن معاذ[1] سيد الأوس : كأنك تريدنا يا رسول الله ؟ فقال أجل ، فقال سعد : قد آمنا بك وصدّقناك ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ، فامض لما أمرك الله ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضنه معك ، وما نكره أن تكون تلقى العدو بنا غداً ، إنَّا لصُبُر عند الحرب صُدُق عند اللقاء ، ولعلّ الله يُريك منّا ما تقرّ به عَيْنُك فسر على بركة الله . فأشرق وجهه عليه الصلاة والسلام وسُرّ بذلك وقال كما في رواية البخاري : [أبشروا والله لكأني أنظر الى مصارع القوم][2] فعلم القومُ من هذه الجملة أن الحرب لا بد حاصلة ، وحقيقةً حصلت ، فإن أبا سفيان لما علم بخروج المسلمين له ترك الطريق المسلوكة وسار متّبعاً ساحل البحر فنجا ، وأرسل الى قريش يُعْلِمهم بذلك ، ويشير عليهم بالرجوع ، فقال أبو جهل : لا نرجع حتى نحضر بدراً[3] فنقيم فيه ثلاثاً ننحر الجزور ونطعم الطعام ونُسقى الخمر ، وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبداً . فقال الأخنس بن شريق الثقفي لبني زهرة وكان حليفاً لهم : ارجعوا يا قوم فقد نجَّى الله أموالكم ، ولم يشهد بدراً زهري ولا عدوي ، ثم سار الجيش حتى وصلوا وادي بدر فنزلوا عدوته القصوى[4] عن المدينة في أرض سهلة لينة .

أما جيش المسلمين ، فإنه لمّا قارب بدراً أرسل عليه الصلاة والسلام عليَّ بن أبي طالب والزبير بن العوّام ليعرفا الأخبار ، فصادفا سُقاة لقريش فيهم غلام لبني الحجاج وغلام لبني العاص السهميين ، فأتيا بهما ، والرسول عليه الصلاة والسلام قائم يصلي ، ثم سألاهما عن أنفسهما فقالا نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم الماء ، فضرباهما لأنهما ظنا أن الغلامين لأبي سفيان ، فقال الغلامان : نحن لأبي سفيان فتركاهما . ولما أتمَّ الرسول عليه الصلاة والسلام صلاته قال : إذا صدقاكم ضربتموهما . وإذا كذباكم تركتموهما ؟! صدقا . والله إنهما لقريش . ثم قال لهما : أخبراني عن قريش ؟ قالا : هم وراء هذا الكَثِيب ، فقال لهما : كم هم ؟ فقالا لا ندري . قال كم ينحرون كل يوم . قالا يوماً تسعاً ويوماً عشراً .

1- كان من أطول الناس وأعظمهم جسماً ، ورُمي بسهم يوم الخندق ، فمات من أثر جرحه ، ودفن بالبقيع وعمره 37 سنة .

2- أي الذين سيقتلون ببدر .

3- محل بين مكة والمدينة .

4- عدوة الوادي : شاطئه . المؤلف .

قال : القوم مابين التسعمائة والألف ، ثم سألهما عمّن في النفير من أشراف قريش فذكرا له عدداً عظيماً ، فقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه : هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبادها[1] ثم ساروا حتى نزلوا بعُدْوَة الوادي الدنيا من المدينة بعيداً عن الماء في أرض سبخة[2] ، فأصبح المسلمون عِطاشاً بعضهم جُنب وبعضهم مُحْدث ، فحدّثهم الشيطان بوسوسته ، ولولا فضل الله عليهم ورحمته لثنيت عزائمهم ، فإنه قال لهم : ما ينتظر المشركون منكم إلا أن يقطع العطش رقابكم ، ويُذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاؤوا .

فأرسل الله لهم الغيث حتى سال الوادي ، فشربوا واتخذوا الحياض على عُدْوَةِ الوادي ، واغتسلوا وتوضأوا وملأوا الأسقية ، ولبدت الأرض[3] حتى ثبتت عليها الأقدام ، على حين أن كان هذا المطر مصيبة على المشركين ، فإنه وَحَّل الأرض حتى لم يعودوا يقدرون على الإرتحال ومصداق هذا قوله تعالى في سورة الأنفال : { وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم من السَّماءِ مَاءً لِيُطهركُمْ بِهِ وَيُذهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيطان وَلِيَرْبِطَ على قُلُوبِكُم وَيُثَبِّتَ بِهِ الأقدَامَ }[4] وقد أرى الله رسوله في منامه الأعداء كما أراهموه وقت اللقاء قليلي العدة كيلا يفشل المسلمون ، وليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، قال تعالى في سورة الأنفال : { إذْ يُرِيْكَهُمُ الله في مَنَامِكَ قليلاً وَلَو أراكَهُمْ كَثيراً لَفَشِلْتم وَلتنَازَعْتُمْ في الأمر ولَكِنَّ الله سَلَّم إنّهُ عليمٌ بذات الصُّدُورِ وَإذا يُرِيكُمُوهُمْ إذ التَقَيْتُمْ في أَعيُنِكُم قَلِيْلاً وَيُقَلِّلكمْ في أعْيُنِهم لِيَقْضي الله أمْراً كانَ مَفْعُولاً والى الله تُرْجَعُ الأمُورُ }[5] ثم سار جيش المسلمين حتى نزل أدنى ماء من بدر ، فقال الحُباب بن المنذر الأنصاري[6] وكان مشهوراً بجودة الرأي : يا رسول الله هذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فقال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال يا رسول الله : ليس لك هذا بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم ، فإني أعرف غزار مائه وكثرته فننزله ونغوّر[7] ما عداه من الآبار ، ثم نبني عليه حوضاً ، فنملأه ماءً فنشرب ولا يشربون . فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : لقد أشرت بالرأي . ونهض حتى أتى أدنى ماء من القوم ، ثم أمر بالآبار التي خلفهم فغُوِّرت لينقطع أمل المشركين في الشرب من وراء المسلمين ، وبنى حوضاً على القَلِيب[8] الذي نزل عليه .

1- قطع كبدها .
2- سبخة : مالحة .
3- أي صارت قوية لا تسوخ فيها الأرجل .
4- سورة الأنفال الآية (11) .
5- سورة الأنفال الآيتان : (43 ، 44) .
6- الحبّاب بن المنذر بن الجموح الأنصاري ، أخذ النبي ﷺ برأيه يوم بدر .
7- أي ندفن ونطمس .
8- هو البئر .

ثم قال : له سعد بن معاذ سيد الأوس : يا نبي الله ألا نبني لك عريشاً[1] تكون فيه ونُعِدُّ عندك ركائبك ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله تعالى وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك ، فلحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلّف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبّاً منهم ، ولا أطوع لك منهم ، لهم رغبة في الجهاد ونيّة ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلَّفوا عنك ، إنما ظنوا أنها العير ، يمنعك الله بهم ويناصحونك ويجاهدون معك فقال عليه الصلاة والسلام : أو يقضي الله خيراً من ذلك . ثم بُني للرسول عريش فوق تل مشرف على ميدان الحرب ، ولما اجتمعوا عدَّل عليه الصلاة والسلام صفوفهم ، مناكبهم متلاصقة ، فصاروا كأنهم بنيان مرصوص ثم نظر لقريش فقال : { اللهم هذه قريش قد أقبلت بخُيلائها[1] وفخرها تُحادّك[2] وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به } وفي هذا الوقت وقع خُلْفٌ بين رؤساء عسكر المشركين ، فإن عتبة بن ربيعة أراد أن يمنع الناس من الحرب ويحمل دم حليفه عمرو بن الحضرمي الذي قتل في سرية عبد الله بن جحش ، ويحمل ما أصيب من عيره ودعا الناس الى ذلك ، فلما بلغ أبا جهل الخبر وسَمَه بالجبن وقال : والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وقبل أن تقوم الحرب على ساقها ، خرج من صفوف المشركين الأسود بن عبد الأسد المخزومي وقال أعاهد الله لأشربنَّ من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتنَّ دونه ، فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب وضربه ضربة قطع بها قدمه بنصف ساقه فوقع على ظهره ، فزحف على الحوض حتى اقتحم فيه لِيَبَرَّ قسمه فأتبعه حمزة فقتله . ثم وقف عليه الصلاة والسلام يحرّض الناس على الثبات والصبر وكان فيما قال : { وإن الصبر في مواطن البأس مما يفرِّج الله به الهمّ وينجّي به من الغم } ، ثم ابتدأ القتال بالمبارزة فخرج من صفوف المشركين ثلاثة نفر : عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد ، فطلبوا أكفاءهم فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار[3] ، فقالوا : لا حاجة لنا بكم إنما نريد أكفاءنا من بني عمنا ، فأخرج لهم عليه الصلاة والسلام عبيدة بن الحارث بن المطلب[4] للأول ، وحمزة بن عبد المطلب للثاني وعلي بن أبي طالب للثالث .

1- الخيلاء : الكبر والإعجاب .

2- تحادّك : تعاديك .

3- هم : عوف ، ومعاذ ، ابنا الحارث ورجل آخر قيل هو عبد الله بن رواحة .

4- في الأصل - ابن عبد المطلب وهو غلط ، والصواب ما أثبتنا .

فأما حمزة وعلي فقتلا صاحبيهما ، وأما عبيدة وعتبة فاختلفا بضربتين كلاهما جرح صاحبه ، فحمل رفيقاً[1] عبيدة على عتبة فأجهزا عليه ، وحُمِل عبيدة بين الصفوف جريحاً يسيل مخّ ساقه وأضجعوه الى جانب موقفه ﷺ ، فأفرشه رسول الله ﷺ قدمه الشريفة ، فوضع خده عليها وبشّره عليه الصلاة والسلام بالشهادة ، فقال : وددتُ والله أن أبا طالب كان حياً ليعلم أننا أحقّ منه بقوله :

ونُسلمه حتى نُصرع حوله ونَذهل عن أبنائنا والحَلائِل

وبعد انقضاء هذه المبارزة وقف عليه الصلاة والسلام بين الصفوف يعدلها بقضيب في يده ، فمرّ بسواد بن غَزِيَّة حليف بني النجار وهو خارج من الصف ، فضربه بالقضيب في بطنه وقال : استقم يا سواد ، فقال أوجعتني يا رسول الله ، وقد بعثت بالحق والعدل فاقدني[2] من نفسك فكشف الرسول عليه الصلاة والسلام عن بطنه . فقال استقد يا سواد ، فاعتنقه سواد وقبّل بطنه . فقال عليه الصلاة والسلام : ما حملك على ذلك ؟ فقال يا رسول الله قد حضر ما ترى فأردتُ أن يكون آخر العهد أن يمس جلدي جلدك ، فدعا له بخير ، ثم ابتدأ عليه الصلاة والسلام يوصي الجيش فقال : { لا تحملوا حتى آمركم وإن اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل ولا تسلُّوا السيوف حتى يَغْشَوكم } ثم حضّهم على الصبر والثبات ثم رجع الى عريشه ومعه رفيقه أبو بكر وحارسه سعد بن معاذ واقف على باب العريش متوشح سيفه ، وكان من دعاء الرسول عليه الصلاة والسلام ذاك الوقت كما جاء في صحيح البخاري[3] [اللهم أُنشدك عهدك ووعدك اللهمّ إن شئت لم تُعبد] فقال أبو بكر : حَسْبُك فإن الله سينجز لك وعده فخرج عليه الصلاة والسلام من العريش وهو يقول : { سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلّونَ الدُّبُرَ }[4] . ثم قال عليه الصلاة والسلام يُحرّض الجيش : [والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة ومن قتل قتيلاً فله سَلَبه] فقال عُمير بن الحُمام[5] وبيده تمرات يأكلها بخ بخ[6] ! ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ، ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه ، وقاتل حتى قُتِل .

1- أي علي وحمزة رضي الله عنهما .

2- أقدْني : أي اقتصّ لي من نفسك .

3- في المغازي ، رقم : 3953 .

4- سورة القمر الآية : (45) .

5- هو عمير بن الحمام بن الجموح الأنصاري السلمي كان أول من قتل في سبيل الله يوم بدر .

6- بخ بخ : كلمة تُقال في موضع الإعجاب .

واشتد القتال[1] وحمي الوطيس ، وأيّد الله المسلمين بالملائكة بُشرى لهم ولتطمئن به قلوبهم[2] فلم تكن إلا ساعة حتى هُزم الجمع ، وولّوا الدبر ، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ، فقتل من المشركين نحوُ السبعين ، منهم : من قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة ، قُتلوا مبارزة أول القتال ، وأبو البختري بن هشام ، والجراح والد أبي عبيدة[3] قتله ابنه بعد أن ابتعد عنه فلم يزدجر ، وقُتل أُمية بن خلف وابنه علي ، اشترك في قتلهما جماعة من الأنصار مع بلال بن رباح وعمّار بن ياسر ، وقد سعيا في ذلك لما كان يفعله بهما أمية في مكة . ومن القتلى حنظلة بن أبي سفيان ، وأبو جهل بن هشام ، أثخنه فَتيان صغيران من الأنصار ، لما كان يسمعانه من أنه كان شديد الإيذاء لرسول الله ، وأجهز عليه عبد الله بن مسعود ، وقُتل نوفل بن خويلد قتله علي بن أبي طالب ، وقتل عبيدة والعاص والد أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية ، وقُتل كثيرون غيرهم ، أما الأسرى فكانوا سبعين أيضاً ، قتل منهم عليه الصلاة والسلام وهو راجع عقبة بن أبي مُعيط ، والنضر بن الحارث اللذين كانا بمكة من أشد المستهزئين . وكانت هذه الواقعة في 17 رمضان ، وهو اليوم الذي ابتدأ فيه نزول القرآن .

1- قال ابن اسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ أخذ حفنة من الحصباء ثم قال : شاهت الوجوه ، ثم نفحهم بها .

2- وذلك قوله تعالى في سورة آل عمران : { إذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم أن يمدّكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ، بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين ، وما جعله الله إلا بُشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم } الآيات 124 - 126 .

3- هو عامر بن الجراح مشهور بكنيته أبو عبيدة وبالنسبة الى جده ومنهم من لم يذكر بين عامر والجراح عبد الله وبذلك جزم مصعب الزبيري في (نسب قريش) . والأكثر على أثباته .

غزوة حمراء الأسد

لما رجع عليه الصلاة والسلام الى المدينة أصبح حَذِراً من رجوع المشركين الى المدينة ليتمموا انتصارهم ، فنادى في أصحابه بالخروج خلف العدو ، وألا يخرج من كان معه بالأمس[1] ، فاستجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ، فضمَّدوا جراحاتهم وخرجوا واللواء معقود لم يُحَلَّ ، فأعطاه علي بن أبي طالب ، وولى على المدينة ابن مكتوم ، ثم سار الجيش حتى وصلوا حمراء الأسد[2] وقد كان ما ظنه الرسول حقاً ، فإن المشركين تلاموا على ترك المسلمين من غير شن الغارة على المدينة حتى يتم لهم النصر ، فأصرّوا على الرجوع ، ولكن لما بلغهم خروج الرسول في أثرهم ظنوا أنه قد حضر معه مَنْ لم يحضر بالأمس ، وألقى الله الرعب في قلوبهم ، فتمادوا في سيرهم الى مكة ، وظفر عليه الصلاة والسلام وهم في حمراء الأسد بأبي عزة الشاعر الذي مَنَّ عليه ببدر بعد أن تعهد ألاَّ يكون على المسلمين فأمر بقتله ، فقال : يا محمد أقلْني ، وامنُن عليّ ودعني لبناتي ، وأعطيك عهداً ألاَّ أعود لمثل ما فعلت ، فقال عليه الصلاة والسلام : (لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول : خدعتُ محمداً مرتين ، لا يُلْدَغُ المؤمنُ من جحرٍ مرتين)[3] ، إضرب عنقه يا زيد[4] فضرب عنقه ، وفي هذا تأديب عظيم من صاحب الشرع الشريف فإن الرجل الذي لا يحترز مما أصيب منه ليس بعاقل فلا بدّ من الحزم لإقامة دعائم المُلْك .

زواج علي بفاطمة عليهما السلام

وفي هذه السنة تزوج علي بن أبي طالب وعمره إحدى وعشرون سنة بفاطمة بنت رسول الله ، وسنّها خمس عشرة سنة ، وكان منها عقب بنوه : الحسن والحسين وزينب[5] وفيها دخل عليه الصلاة والسلام بعائشة بنت أبي بكر وسنُّها إذ ذاك تسع سنوات .

1- ليكون بذلك مرهِّباً للعدو .

2- موضع على ثمانية أميال من المدينة بطريق مكة . المؤلف .

3- رواه البخاري في الأدب رقم : 6133 .

4- قال ابن هشام : بلغني أنه قال : اضرب ثابت .

5- وأم كلثوم .

بناء البيت

ولما بلغت سنّه عليه الصلاة والسلام خمساً وثلاثين سنة ، جاء سيل جارف فصدَّع جدران الكعبة بعد توهينها من حريق كان أصابها قبل ، فأرادت قريش هدمها ليرفعوها ويسقفوها[1] ، فإنها كانت رضيمة[2] فوق القامة ، فاجتمعت قبائلهم لذلك ، ولكنهم هابوا هدمها لمكانها في قلوبهم فقال لهم الوليد بن المغيرة[3] أتريدون بهدمها الإصلاح أم الإساءة ؟ قالوا بل الإصلاح ، قال إن الله لا يهلك المُصْلِحين ، وشرع يهدم فتبعوه وهدموا حتى وصلوا الى أساس إسماعيل ، وهناك وجدوا صِحافاً نُقش فيها كثير من الحِكَم على عادة منْ يضعون أساس بناء شهير ليكون تذكرة للمتأخرين بعمل المتقدمين . ثم ابتدأوا في البناء وأعدّوا لذلك نفقة ليس فيها مَهرُ بغيّ ولا بيعُ ربا ، وجعل الأشراف من قريش يحملون الحجارة على أعناقهم ، وكان العباس ورسول الله فيمن يحمل ، وكان الذي يلي البناء نجار رومي اسمه باقوم[4] ، وقد خصّص لكل ركن جماعة من العظماء ينقلون إليه الحجارة ، وقد ضاقت بهم النفقة الطيبة عن إتمامه على قواعد إسماعيل ، فأخرجوا منها الحِجر ، وبنوا عليه جداراً قصيراً علامة على أنه من الكعبة . ولما تم البناء ثماني عشر ذراعاً بحيث زيدَ فيه عن أصله تسع أذرع ورفع الباب عن الأرض بحيث لا يصعد إليه إلا بدرج أرادوا وضع الحجر الأسود موضعه ، فاختلف أشرافهم فيمن يضعه ، وتنافسوا في ذلك حتى كادت تشبّ بينهم نار الحرب ، ودام بينهم هذا الخصام أربع ليال ، وكان أسنّ رجل في قريش إذ ذاك أبو أمية بن المغيرة المخزومي عمُّ خالد بن الوليد فقال لهم يا قوم لا تختلفوا وحكِّموا بينكم من ترضَون بحكمه . فقالوا : نكل الأمر لأول داخل فكان هذا الداخل هو الأمين المأمون عليه الصلاة والسلام فاطمأن الجميع له لما يعهدونه فيه من الأمانة وصدق الحديث وقالوا : هذا الأمين رضيناه ، هذا محمد لأنهم كانوا يتحاكمون إليه إذ كان لا يُداري ولا يُماري .

1- بنيت الكعبة خلال الدهر كله أربع مرات بيقين . أ- حين بناها إبراهيم استجابة لأمر الله { وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت } . ب- حين بَنَتها قريش واشترك في بنائها النبي ﷺ . ج- حين احترقت زمن يزيد بن معاوية ، فنقضها الزبير وأعاد بناءها . د- حين بناها الحجاج بن يوسف بأمر عبد الملك بن مروان .

2- الرضم : أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط .

3- الوليد بن المغيرة : من زعماء قريش ، وكان ممّن حرّم الخمر في الجاهلية .

4- وهو مولى سعيد بن العاص .

فلما أخبروه الخبر بسط رداءه وقال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم وضع فيه الحجر وأمرهم برفعه حتى انتهوا الى موضعه فأخذه ووضعه فيه . وهكذا انتهت هذه المشكلة التي كثيراً ما يكون أمثالها سبباً في انتشار حروب هائلة بين العرب لولا أن يمنّ الله عليهم بعاقل مثل أبي أمية يرشدهم الى الخير ، وحكيم مثل الرسول ﷺ يقضي بينهم بما يُرضي جميعهم .

ولا يُستغرب من قريش تنافسهم هذا ، لأن البيت قِبلَة العرب وكعبتهم التي يحجون إليها ، فكل عمل فيه عظيم ، به فخر والسيادة ، وهو أول بيت وُضِع للعبادة بشهادة القرآن الكريم قال تعالى في سورة آل عمران : { إنَّ أوّل بَيْتٍ وُضِعَ للنَّاس للذي بِبَكَّة مُباركاً وهُدَى للعالمين ، فيه آيات بَيِنّاتٌ مقامُ إبراهيم ومَن دخلهُ كَانَ آمناً }[1] وكان يلي أمره بعد ولد إسماعيل قبيلة جرهم فلما بَغوا وظلموا مَنْ دخل مكة اجتمعت عليهم خزاعة وأجلوهم عن البيت ، ووليته خزاعة حيناً من الدهر ، ثم أخذته منهم قريش في عهد قصي بن كلاب وبسببه أَمِنوا في بلادهم فكانت قبائل العرب تهابهم . وإذا احتموا به كان حصناً أميناً من اعتداء العادين ، وامتنّ الله عليهم بذلك في تنزيله فقال في سورة العنكبوت : { أَوَ لَمْ يَرَوا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ الناسُ مِنْ حَوْلِهْم }[2]

1- سورة آل عمران الآيتان : (96 ، 97) .

2- سورة العنكبوت الآية : (67) .

معيشته عليه الصلاة والسلام قبل البعثة

لم يَرِث عليه الصلاة والسلام من والده شيئاً ، بل ولد يتيماً عائلاً[1] فاستُرضع في بني سعد ، ولما بلغ مبلغاً يمكّنه أن يعمل عملاً كان يرعى الغنم مع أخوته من الرضاع في البادية ، وكذلك لمّا رجع الى مكة كان يرعاها لأهلها على قراريط[2] كما ذكر ذلك البخاري في صحيحه[3] ووجود الأنبياء في حال التجرّد عن الدنيا ومشاغلها أمر لا بد منه ، لأنهم لو وجدوا أغنياء لألهتهم الدنيا وشغلوا بها عن السعادة الأبدية ، ولذلك ترى جميع الشرائع الإلهية متفقة على استحسان الزهد فيها والتباعد عنها ، وحال الأنبياء السالفين أعظمُ شاهد على ذلك ، فكان عيسى عليه السلام أزهد الناس في الدنيا وكذلك كان موسى وإبراهيم . وكانت حالتهم في صغرهم ليست سَعَة بل كلهم سواء ، تلك حكمة بالغة أظهرها الله على أنبيائه ليكونوا نموذجاً لمتبعيهم في الإمتناع عن التكالب على الدنيا والتهافت عليها ، وذلك سبب البلايا والمحن . وكذلك رعاية الغنم ، فما من نبي إلا رعاها كما أخبر عن ذلك الصادق المصدوق في حديث للبخاري ، وهذه أيضاً من بالغ الحِكَم فإن الإنسان إذا استرعى الغنم - وهي أضعف البهائم - سكن قلبه الرأفةُ واللطف تعطفاً ، فإذا انتقل من ذلك الى رعاية الخلق كان لما هُذِّب أولا من الحدّة الطبيعية والظلم الغريزي ، فيكون في أعدل الأحوال . ولما شبّ عليه الصلاة والسلام كان يتجر ، وكان شريكه السائب بن أبي السائب ، وذهب بالتّجارة لخديجة ، رضي الله عنها ، الى الشام على جُعْل[4] يأخذه . ولما شُرّفَتْ خديجة بزواجه ، وكانت ذات يَسَار عمل في مالها وكان يأكل من نتيجة عمله . وحقق الله ما امتنّ عليه به في سورة الضحى بقوله جلّ ذكره : { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيْماً فآوى ، وَوَجَدَك ضَالاً فَهَدى وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى }[5] بالإيواء والإغناء قبل النبوّة والهداية بالنبوّة ، هداه للكتاب والإيمان ودين إبراهيم عليه السلام ولم يكن يدري ذلك قبل قال تعالى في سورة الشورى : { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ روْحَاً مِنْ أمرِنَا مَا كُنْتَ تدْري مَا الكِتابُ ولا الإيمانُ ولَكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنا }[6] .

1- فقيراً لا مال له ، قال تعالى { ووجدك عائلاً فأغنى } . سورة الضحى الآية (8) .

2- القراريط أجزاء من الدراهم والدنانير يشتري بها الحوائج الصغيرة .

3- عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : (ما بعث الله نبيّاً إلا رعى الغنم) فقال أصحابه وأنت ؟ فقال : (نعم ، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة) . رواه البخاري في كتاب الإجارة ، رقم (2262) .

4- ما يُجْعَلُ للإنسان من أجر على عمله . 5- سورة الضحى الآيات : (7 ، 9) . 6- سورة الشورى الآية (52) .

باب ذِكْر نسبه صلى الله عليه وسلم

أخبرنا محمد بن أبي منصور الحافظ قال : أخبرنا طراد بن محمد قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن وصيف قال : أخبرنا أبو بكر الشافعي قال : حدثنا عمر بن حفص السدوسي قال :

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار .

وأم رسول الله ﷺ آمنةُ بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة .

وقال محمد بن السائب : اسمُ عبد المطلب { شيبة الحمد } ، واسم هاشم : عمرو ، واسم عبد مناف المغيرة ، واسم قُصَيْ : زيد ، والى فِهر جماع قريش وما فوق فِهْر فليس يُقال له قريشي يقال له كناني ، واسمُ النضر : قيس ، واسم مدركة عمرو ، ونزار هو ابن معد بن عدنان .

وحكى أبو صالح عن ابن عباس أنَّ النبي ﷺ كان إذا انتسب لم يجاوز في نسبه { مَعَدّ بن عدنان بن أدد } ثم يمسك ويقول : { كذب النسابون } .

باب ذكر طهارة آباء النبي صلى الله عليه وسلم وشرفهم

روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال :

خرجت من لدن آدم في نكاحٍ غير سفاح .

وقال ابن عباس في قوله : ﴿ وتقلبك في الساجدين ﴾ قال : من نبيٍ الى نبيٍ حتى أخرجكَ نبياً

حدثنا أحمد قال حدثنا محمد بن مصعب قال : حدثنا الأوزاعي عن شداد أبي عمارة عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ قال :

إن الله عز وجل اصطفى من ولد إبراهيم ﴿ إسماعيل ﴾ ، واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة ، واصطفى من كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم .

انفرد بإخراجه مسلم ، فرواه عن محمد بن مهران عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي .

قال أبو صالح عن ابن عباس :

أصابت قريشاً سنواتٌ أذهبن الأموال فخرج هاشم الى الشام فأمر بخبزٍ كثير فخبز له فحمله في الغرائر على الإبل حتى أتى مكة ، فهشم ذلك الخبز - يعني كسره - وترده ونحر الإبل وأمر الطهاة فطبخوا ثم كفأ القدور على الجفان فأشبع أهلُ مكة فقال ابنُ الزبعري في ذلك :

عَمْرُو العُلى هَشَمَ الثَّرِيد لقَوْمِهِ   وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجافُ

وقال هشام بن محمد عن أبيه : وُلد هشام بن عبد مناف أربعة :

شيبةُ الحمد وهو عبد المطلب ، وكان سيد قريش حتى هلك ، وأبا صيفي واسمه عَمرو ، وأسد ونَضْلة ، وخمس نسوة .

باب ذكر احتفار عبد المطلب ﴿ زمْزَم ﴾

قال محمد بن عمر بن واقد :

كان المطلب بن عبد مناف أكبرَ من هاشم ، وكانت قريش تُسَمِّه ﴿ الفيض ﴾ لسماحته ، فولى بعد هاشم السقاية والرفادة ، فوُصف له شيبة ابن أخيه فرحل من مكة الى المدينة فلما رآه عرف شيبة ابن أخيه ففاضت عيناه وضَمَّه إليه وكساه حُلَّة يمانية ثم قَدِم به مكة .

فقالت قريش : هذا عبد المطلب .

فقال : ويحكم إنما هو شيبة ابن أخي .

فلما هلك المطلب ولى عبد المطلب بعده الرفادة والسقاية ، وأتى في المنام مرات فأمر بحفر زمزم ووصف له موضعها ، فقيل له : احفر ﴿ طيبة ﴾ .

فقال : وما طيبة ؟

فلما كان من الغد أتى فقيل : أحفر برة .

قال : وما برة ؟

فأتي من الغد فقيل : أحفر المضنونة .

قال : وما المضنونة ؟

فأتى فقيل : احفر زمزم .

قال : وما زمزم ؟

قال : لا تنزح ولا تذم تسقي الحجيج الأعظم وهي بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الأعظم ، وهي شرف لك ولولدكَ .

وكان غراب أعصم لا يبرح عند الذبائح مكان الفرث والدم .

فغدا عبدُ المطلب بمعوله ، ومعه ابنه الحارث وليس له يومئذ ولدٌ غيره ، فجعل يحفر ثلاثة أيام حتى بدا له الطَّويّ فكبّر ، وقال : هذا طَوِيّ إسماعيل .

فقالت قريش : أشركنا فيه .

قال : ما أنا بفاعل هذا شيءٌ خُصصت به دونكم ، فاجعلوا بيني وبينكم من نتحاكم إليه .

فقالوا : كاهنة بني سعد .

فخرجوا إليها فعطشوا في الطريق حتى أيقنوا بالموت فقال عبد المطلب : إنَّ إلقاءَنَا بأيدينا هكذا لعجز ألا نضرب في الأرض فعسى الله يرزقنا ماءً .

فارتحلوا وقام عبد المطلب فركب راحلته ، فلما انبعثت به انفرج تحت خُفِّها عينُ ماءٍ عذب فكبر عبد المطلب فقالوا له : قد قضى لك الذي سقاك فوالله لا نخاصِمُكَ فيها أبداً ، وخلوا بينه وبين زمزم .

باب ذِكر نذر عبد المطلب أنْ يذبح بعض أولاده

روى قَبيصة بن ذؤيب عن ابن عباس قال :

لما رأى عبد المطلب قلة أعوانه في حفر بئر زمزم ، نذر لئن أكمل اللهُ له عشرة ذكور ليذبحنَّ أحدَهم ، فلما تكاملوا عشرة : الحارث ، والزبير ، وأبو طالب ، وعبد الله ، وحمزة ، وأبو لهب والغيداق ، والمقدم ، وضرار ، والعباس جَمَعَهُمْ وأخبرهم بنذره فقالوا : أوفِ بنذركَ .

فقال : ليكتب كُل رجلٍ منكم اسمَه في قِدْحه ففعلوا ، ودخل الى الكعبة فقال للسادن : اضربْ بقداحهم .

فضرب فخرج قِدْحُ عبد الله ، وكان عبد المطلب يحبه ، فأخذ بيده يقوده الى المذبح ومعه المُدية ، فبكى بنات عبد المطلب ، وقالت إحداهن : اعذر فيه بأن تضرب في إبلكَ السوائم التي في الحرم ، فقال للسادن : اضربْ عليه بالقداح وعليَّ عشرةٌ من الإبل .

فضربَ ، فخرجَ القِدْحُ على عبد الله ، فجعل يزيدُ عشراً عشراً ، كل ذلك يخرج القدحُ على عبد الله حتى كملت مائةً ، فضرب بالقدح فخرج على الإبل ، فكبر عبدُ المطلب والناسُ معه واحتمل بناتُ عبد المطلب أخاهم عبد الله .

وقدَّم عبدُ المطلب الإبل فنحرها بين الصفا والمروة .

وقال سعيد بن جبير : لمَّا نحرها خلَّى بينها وبين كلِّ وارد من إنسيّ أو سبع أو طائر ، ولم يأكل منها هو ولا أحد من ولده .

وقال عكرمةُ عن ابن عباس : كانت الدَّيةُ يومئذٍ عشراً من الإبل ، فأول مَنْ سَنَّ ديةَ النفس مائة مِنَ الإبل عبدُ المطلب فجرت في قريش والعرب ، فأقَرها رسول الله ﷺ على ما كانت عليه .

باب ذِكْر تزويجِ عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال المسور بن مخرمة :

كانت آمنة بنت وهب في حِجْر عمها وُهيب فمشى إليه عبد المطلب بابنه ﴿ عبد الله ﴾ فخطب إليه آمنة فزوجها عبد الله ، وخطب إليه عبد المطلب في ذلك المجلس ابنته هالة بنت وُهيب على نفسه فزوجهُ إياها ، فكان تزويج عبد المطلب وتزويج عبد الله في مجلسٍ واحد .

فولدت هالة حمزة ، فهو عم رسول الله في النسب وأخوه في الرضاعة .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزاز قال : أخبرنا الحسنُ بنُ علي الجوهريّ قال : أخبرنا أحمد بن معروف قال : أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال : أخبرنا محمد بن سعد قال : أخبرنا هشام بن محمد بن السائب عن أبي الفياض الخثعميّ قال :

مرّ عبد الله بن عبد المطلب بامرأة من خثعم يُقالُ لها { فاطمة بنت مُرّ } وكانت من أجمل الناس وأسبّه وأعفّه ، قد قرأتْ الكتب وكان شبابُ قريش يتحدثون إليها .

فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت : يا فتى مَنْ أنت ؟

فأخبرها قالت : هل لكَ أنْ تقع عليَّ وأعطيكَ مائة من الإبل ، فنظر إليها وقال :

أمَّا الحرام فالممات دونه   والحِلّ لا حِلّ فأستبينه

فكيف بالأمر الذي تنوينه

باب ذِكر حَمْل آمنة برسُول الله صلى الله عليه وسلم

روى يزيدُ بن عبد الله بن وهب بن زمْعَة عن أبيه ، عن عمته قالت : كنا نسمعُ أنَّ آمنةَ لما حملت برسول الله ﷺ كانت تقول : ما شعرتُ أني حملت ولا وجدتُ له ثقلاً كما يجد النساء ، إلا أني قد أنكرت رفع حيضتي ، وأتاني آتٍ وأنا بين النوم واليقظة فقال : هل شعرت أنك حملتِ ؟

فكأني أقول : ما أدري ، فقال : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبيها ، وذلك يوم الإثنين .

قالت : فكان ذلك مما يقر عندي الحمل ، فلما دنت ولادتي أتاني ذلك الآتي فقال : ﴿ قولي أعيذه بالواحد الصمد من شرِ كل حاسد ﴾ ، فكنت أقول ذلك ، فذكرت ذلك لنسائي فقلْنَ لي : تعلقي في عضديك وفي عنقك ، ففعلتُ فلم يكن يُترك علَيّ إلا أياماً فأجده قد قطع فكنت لا أتعلقه .

باب ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو جعفر محمد بن علي : وُلد رسول الله ﷺ يوم الإثنين لعشر ليالٍ خلون من شهر ربيع الأول ، وكان قدوم أصحاب الفيل قبل ذلك للنصف من المحرم فبين الفيل وبين مولد رسول الله ﷺ خمس وخمسون ليلة .

وقال أبو معشر المدني :

ولد رسول الله ﷺ يوم الإثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول .

ونقل محمد بن سعد عن جماعة من أهل العلم :

أن آمنة قالت : لقد عَلِقْتُ به فما وجدتُ له مشقة ، فلما فَصَلَ منها خرج معه نور أضاءَ له ما بين المشرق والمغرب ، ووقع الى الأرض معتمداً على يديه ، ثم أخذ قبضة من تراب فقبضها

وقال بعضهم : وقع جاثياً على ركبتيه وخرج معه نور أضاءَ له قصور الشام .

وقال عكرمة : لما ولدته وضعته تحت بُرمة فانفلقت عنه ، قالت : فنظرت إليه ، فإذا هو قد شُقَّ بصرهُ ينظر الى السماء .

وقال العباس بن عبد المطلب : وُلد رسول الله ﷺ مختوناً مسروراً ، وأعجب ذلك عبدَ المطلب ، وحَظِيَ عنده ، وقال : ﴿ ليكونن لابني هذا شأنٌ ﴾ .

وروى يزيد بن عبد الله بن وهب عن عمته : أنَّ آمنة لما وضعت رسول الله - ﷺ - أرسلتْ الى عبد المطلب فجاءهُ البشيرُ وهو جالس في الحجر ومعه ولده ورجال قومه ، فأخبر أنَّ آمنة ولدت غلاماً فسُرّ بذلك عبد المطلب وقام هو ومن معه فأخبرتْه بكل ما رأت وما قيل لها وما أُمرتْ به ، فأخذه عبدُ المطلب فأدخله الكعبة ، وقام عندها يدعوا الله ويشكر ما أعطاه ، وَنُقِلَ أنَّه قال يومئذٍ :

الحمدُ للهِ الذي أعطاني ... هذا الغلامَ الطيّبَ الأردانِ

قد سادَ في المهدِ على الغلمان ... أعيذُهُ بالله ذِي الأركانِ

حتى أراهُ بالغَ البُنيانِ ... أُعيذُهُ من شرّ كل ذي شنآن

من حَاسِدِ مضطرِبِ العِنَانِ

باب ذكر أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنا البخاري قال : حدثنا إبراهيم بن المنذر قال : حدثني معن عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ :

لي خمسةُ أسماءٍ أنا محمدٌ وأحمد ، وأنا الماحي يمحو الله بي الكُفْرَ ، وأنا الحاشر الذي يُحشرُ الناس على قدميّ ، وأنا العاقب .

وأخرجه مسلم أيضاً

وفي أفراد مسلم من حديث أبي موسى قال : سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه فقال أنا محمد ، وأحمد ، والمقفّى ، والحاشر ، ونبي التوبة ، والملحمة - وفي لفظ الرحمة - .

وقد ذكر أبو الحسين بن فارس اللغويّ :

أنَّ لنبينا ﷺ ثلاثة وعشرين اسماً ، محمد ، وأحمد ، والماحي ، والحاشر ، والعاقب ، والمقفى ، ونبي الرحمة ، ونبي التوبة ، ونبي الملاحم ، والشاهد ، والمبشر ، والنذير ، والضحوك ، والقَتَّال ، والمتوكل ، والفاتح ، والأمين ، والخاتم ، والمصطفى ، والرسول ، والنبي ، والأُميّ ، والقُثَم ، والماحي الذي يُمحى به الكفر .

والحاشر الذي يُحشر الناس على قدمه - أي يقدمهم وهم خلفه - ، والعاقب آخر الأنبياء ، والمُقَفَّى - بمعنى العاقب لأنه تبع الأنبياء - ، والملاحم : الحروب ، والضحوك : صفته في التوراة لأنه كان طيب النفس فكهاً ، والقثم : من معنيين أحدهما من القَثْم وهو الإعطاء يقال قَثَم له من العطاء يَقْثِم إذا أعطاه وكان عليه السلام أجود بالخير من الريح الهابة ، والثاني من القَثْم الذي هو الجمع يقال للرجل الجَمُوع للخير قَثُوم وقُثَم .

باب ذِكْر مَنْ أَرضع النبي صلى الله عليه وسلم

ذكر محمد بن سعد في كتاب الطبقات عن بَرّة بنت أبي تَجراة قالتْ : أول مَنْ أرضع رسولَ الله ﷺ ثُويبة بلبن ابن لها ، يقال له مسْرُوح ، أياماً قبل أنْ تقدم حليمة ، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب وأرضعت بعده أبا سلمة وهذه ثويبة هي مولاة أبي لهب وكان قد أعتقها ولا نعلم أحداً ذكر أنها أسلمت غير ما حكى أبو نعيم الأصفهاني عن بعض العلماء أنه قال : قد اختلف في إسلامها .

وروى الواقدي عن جماعة من أهل العلم أنَّ رسول الله ﷺ كان يكرم ثويبة ويصلها وهو بمكة فلما هاجر كان يبعث إليها بكسوة وصِلَة فجاءَه خبرها سنة سبع مرجعه من خيبر أنها توفيت .

أخبرنا محمد بن أبي منصور قال : أخبرنا محمد بن علي بن ميمون قال : أخبرنا محمد بن علي الحَسَنِيّ وعلي بن محمد الثُماليّ قالا : أخبرنا محمد بن الحسين التيمُليّ قال : أخبرنا عبد الله بن زيد قال : حدثنا هارون بن إدريس السلميّ قال : حدثنا عبد الرحمن يعني المحاربيّ عن محمد بن إسحاق قال : حدثني جهم بن أبي جهم الجمحيّ عن عبد الله بن جعفر عن حليمة بنت الحارث أم رسول الله ﷺ التي أرضعته السعدية قالت :

خرجتُ في نِسْوَة من بني سعد بن بكر بن هوازن نلتمسُ الرضعاء بمكة فخرجت على أتانٍ لي قَمُراء قد أذمّت بالركب قالت : وخرجنا في شنه شهباء لم تبق شيئاً أنا وزوجي الحارث بن عبد العزى قالت : ومعنا شارف لنا والله إنْ تبُضّ علينا بقطرة من لبن ومعي صبيّ لنا والله ما ننام ليلنا من بكائه ما في ثدي من لبن يُغنيه ولا في شارفنا من لبن يُغذيه إلا أنّا نرجوا ، فلما قدمنا مكة لم تبق منا امرأة إلا عُرِضَ عليها رسول الله ﷺ ، فتأباه وإنما كنا نرجوا الكرامة في رضاعة من ترضع له من والد المولود وكان يتيماً ﷺ فقلنا ما عسى أنْ تصنع بنا أُمُّهُ !

فكنا نأْبى حتى لم تَبْقَ من صواحباتي امرأة إلا أخذت غيري ، قالت : فكرهتْ أنْ أرْجعَ ولم آخُذْ شيئاً وقد أخذ صواحباتي فقلتُ لزوجي الحارث : والله لأرجعنَّ الى ذلك اليتيم ولأخذنَّه .

قالت : فأتيته فأخذته ثم رجعت به الى رَحِلي ، قالت : فقال لي زوجي : قد أخذتِيْه !

قالت : قلتُ : نعم وذلك أني لم أجد غيره .

قال : قد أصبتِ ، عسى أنْ يجعلَ اللهُ فيه خيراً .

قالت : واللهِ ما هو إلا وضعتُه في حِجْرِي .

فأقبل عليه ثدياي بما شاءَ من لبن فشرب حتى روي وشرب أخوه حتى روي ، وقام زوجي الحارث الى شارفنا من الليل فإذا هي ثجّا علينا ما شئنا فشرب حتى روي وشربتُ حتى رويتُ قالت : فمكثنا بخير ليلة شِبَاعاً رِواءً .

قالت : فقال زوجي يا حليمة ما أبالي إلا قد أصبتِ نسمة مباركة قد نام صِبِيَّانا وقد رَوِينا ورَوِتا .

قالت : ثم خرجنا فوالله لخرجتُ أتاني أمام الركب قد قطعتهم حتى ما يتعلق بها منهم أحد حتى إنهم يقولون : ويحكِ يا بنت الحارث كفى علينا أليسَتْ هذه بأتانِكِ التي خرجتِ عليها ؟ ! .

فأقولُ : بلى والله .

فيقولون : إنَّ لها لشأناً ، حتى قدمت منازلنا من حاضر منازل بني سعد بن بكر ، قالت : فقدمنا على أجدب أرض الله قالت : فوالذي نفس حليمة بيده إنْ كانوا ليسرحون أغنامهم إذا أصبحوا ، وأسرّح راعي غنيمتي وتروح غنمي حُفَّلاً بطاناً وتروح أغنامهم جياعاً هالكة ما لها من لبن فنشرب ما شئنا من اللبن وما من الحاضرين أحد يحلبُ قطرة ولا يجدها .

قالت : فيقولون لرعائهم : ويلكم ألا تسرحون حيث يسرح راعي حليمة ! فيسرحون في الشِّعْب الذي يسرح فيه وتروح أغنامهم جياعاً ما لها من لبن وتروح غنمي حُفّلاً لُبْناً .

قالت : وكان يشبُّ في اليوم شباب الصبي في شهر ويشب في الشهر شباب الصبيّ في سنة قالت : فبلغ سنتين وهو غلام جَفْر قالت : فقدمنا به على أمُه فقلت لها وقال لها زوجي : دَعِي ابني فلنرجع به فإنّا نخشى عليه وباء مكة .

قالت : ونحن أضنّ شيء به لما رأينا من بركته ﷺ فلم نزل بها حتى قالت : ارجعا به .

قالت : فمكث عندنا شهرَيْن .

قالت : فبينما هو يلعبُ يوماً من الأيام هو وأخوه خلف البيت إذا جاءَ أخوه يشتد فقال لي ولأبيه أدركا أخي القرشِيّ فقد جاءَه رجلان فأضجعاه فشقَّا بطنه .

قالت : فخرجتُ وخرج أبوه يشتد نحوه فانتهينا إليه وهو قائم منتقع لونه فاعتنقته واعتنقه أبوه وقال : ما لك يا بني ؟

قال أتاني رجلان عليهما ثياب بِيْض فأضجعاني فشقَّا بطني والله ما أدري ما صنعا .

قالت : فاحتملناه فرجعنا به ، قالت : يقول زوجي : يا حليمة واللهِ ما أرى الغلام إلا قد أصيب فانطلقي فلنرده الى أمه قبل أنْ يظهر به ما نتخوف عليه .

قالت : فرجعنا به الى أمه ، فقالت : ما ردكما به فقد كنتما حريصَيْن عليه ؟

فقلنا : لا واللهِ إلا أنَّا كفلناه وأدينا الذي عليه من الحق منه ثم تخوفنا عليه الأحداث فقلنا : يكون عند أمه .

قالت : واللهِ ما ذاك بكما فأخبراني خبركما وخبره .

قالت : فوالله ما زالَتْ بنا حتى أخبرناها خبره .

قالت : أتخوفتما عليه ! لا واللهِ إنَّ لأبني هذا شأناً ألا أخبركما عنه ، إني حملتُ به فلم أحمل حِمْلاً قط هو أخفّ منه ولا أعظم بركة منه لقد وضعته فلم يقع كما يقعُ الصبيان لقد وقع واضعاً يده في الأرض رافعاً رأسه الى السماء ، دعاه والحقا بشأنكما .

قلت : قَوْلُهَا { لم أَحْمِلْ حِمْلاً } إنما هو بكسر الحاء أي كان أخف مما أحمله لأنها لم تحمل قط سواه .

وحليمة هذه : بنت عبد الله بن الحارث بن شحنة ، وقدمت حليمة على رسول الله ﷺ وقد تزوج خديجة فشكت إليه جَدْب البلاد فكلم خديجة فأعطتها أربعين شاة وأعطتها بعيراً .

ثم قدمت عليه بعد النبوة فأسلمت وبايعت وأسلم زوجها الحارث بن عبد العُزَّى .

وقال محمد بن المنكدرَ :

استأذنت امرأةٌ على النبي ﷺ ، قد كانت أرضعته ، فلما دخلتْ قال : { أمي أمي } ، وعمد الى ردائه فبسطه لها فجلست عليه .

حدثنا أحمد قال : حدثنا حسن قال : حدثنا حماد قال : أخبرنا ثابت البُناني عن أنس بن مالك : أنَّ رسول الله ﷺ أتاه جبريلُ وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه وشقَّ عن قلبه فاستخرج القلب ، ثم شقَّ القلب فاستخرج منه علقة ، فقال : هذا حظ الشيطان منكَ .

قال : فغسله في طَسْتٍ من ذهب بماءِ زمزم ثم لأمهُ ، ثم أعاده في مكانه ، قال : وجاءَ الغلمان يسْعَوَنَ الى أمِّه يعني ظئره ، فقالوا : إنَّ محمداً قد قتل .

قال : فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال أَنس : وقد كُنتُ أرى أثر المِخْيَط في صدرِه ﷺ .

انفرد بإخرجه مسلم فرواه عن شَيْبَان عن حماد بن سلمة .

باب ذِكْرِ كفالة أبي طالب النبي صلى الله عليه وسلم

روى محمد بن سعد : عن جماعة من العلماء منهم ابنُ عباس : أنَّ عبد المطلب لما توفي ، قبض رسولَ الله ﷺ أبو طالب وكان يحبه حبّاً شديداً ، وقدَّمَهُ على أولاده .

وروى الواقدي عن أشياخه : أن رسول الله ﷺ لما بلغ اثنتي عشرة سنة خرج أبو طالب الى الشام للتجارة وخرج به معه ونزلوا بالراهب بحيراً فقال لأبي طالب في النبي ما قال ، وأمره أنْ يحتفظ به ، فرده أبو طالب معه الى مكة فصار أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقاً ، وأكرمهم مخالطة ، وأعظمهم حلماً وأصدقهم حديثاً ، وأبعدهم من الفحش والأذى حتى سماه الأمين فكان أبو طالب يحوطه ويحفظه حتى مات .

باب ذِكْر وفاة أبي طالب

حدثنا البخاري قال : حدثنا محمود قال : حدثنا عبد الرزاق قال : أخبرنا مَعْمَر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبيه : أنَّ أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل فقال : أي عم قل : لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله .

فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب .

فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر كل شيء كلمهم به : { على ملة عبد المطلب } .

فقال النبي ﷺ : لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنهُ .

فنزلت : { ما كان للنبي والذين آمنوا أنْ يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم } سورة التوبة (الآية 113) .

ونزلت : { إنك لا تهدي من أحببت } سورة القصص (الآية 56) .

وأخرجه مسلم عن ابن راهوية عن عبد الرزاق .

حدثنا أحمد قال : حدثنا يحيى عن يزيد بن كيسان قال : حدثني أبو حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ لعمه : قُل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة .

قال : لولا أنْ تعيرني قريش يقولون إنما حمله على ذلك الجَزَع لأقررتُ بها عينكَ .

فأنزل الله عز وجل { إنَّك لا تهدي من أحببتَ } .

انفرد بإخراجه مسلم فرواه عن محمد بن حاتم عن يحيى بن سعيد .

وقال عبد الله بن ثعلبة بن صُعير : قال أبو طالب يا بن أخي : والله لولا رَهْبَة أنْ تقولَ قريشٌ دَهَرَنِي الجزعُ فيكون سُبَّةٌ عليك وعلى بني أبيكَ لفعلتُ الذي تقول ، وأقررتُ عينكَ بها .

ثم إنَّ أبا طالب دعا بني عبد المطلب فقال : لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فاتبعوه ترشدوا .

فقال رسول الله ﷺ : أتأمرهم بها وتدعها لنفسك !

فقال أبو طالب : أما إنك لو سألتني الكلمة وأنا صحيح لتابعتُك على الذي تقول ، ولكني أكره أنْ ترى قريش أني أخذتها جزعاً .

وروى عبيدُ الله بن أبي رافع ، عن علي عليه السلام قال : أخبرتُ رسول الله ﷺ بموت أبي طالب فبكى ، ثم قال : أذهبْ فاغسله وكفنه ووارِهِ ، غفر الله له ورحمه .

قال : ففعلتُ ، وجعل رسول الله ﷺ يستغفر له أياماً ولا يخرج من بيته حتى نزل عليه جبريلُ بهذه الآية : { ما كان للنبي والذين آمنوا أنْ يستغفروا للمشركين } ، وأمرني رسول الله ﷺ فاغتسلت .

قال عروة بن الزبير : ما زالت قريش تكف عن النبي ﷺ حتى مات أبو طالب .

قال الواقدي : توفي أبو طالب للنصف من شوال في السنة العاشرة من حين بعث رسول الله ﷺ وهو يومئذ ابن بضع وثمانين .

وتوفيت بعده خديجة بشهر وخمسة أيام وهي ابنة خمس وستين سنة .

باب ذكر مآل أبي طالب

حدثنا أحمد قال : حدثنا وكيع قال : حدثنا سفيان بن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن الحارث عن العباس بن عبد المطلب أنه قال : يا رسول الله عمك أبو طالب كان يحوطك ويفعل .

قال : إنه في ضحضاح من النار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل .

أخرجه البخاري عن مُسَدَّد .

وأخرجه مسلم عن محمد بن حاتم كلاهما عن يحيى القَطَّان عن سفيان .

وقد رواه مسلم عن ابن أبي عمر عن سفيان فقال فيه : فهل ينفعه ذلك ؟

قال : نعم ، وجدتُه في غمراتٍ من النار فأخرجتهُ الى ضحْضاحٍ .

باب رعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنم

حدثنا البخاري قال حدثنا أحمد بن محمد المكي قال حدثنا عمرو بن يحيى عن جده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

ما بعث الله نبياً إلاَّ رعى الغنم .

فقال أصحابه : وأنت ؟

قال : نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة .

انفرد به البخاريُّ .

وقال إبراهيم الحربي : { قراريط } موضع ولم يُرِد بذلك القراريط من الفضة .

وقال سويد بن سعد يعني كل شاة بقِراط .

باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة

قالت نفيسة بنت مُنية :

كانت خديجة امرأة حازمة ، جلدة ، شريفة ، أوسط قريش نسباً ، وأكثرهم مالاً ، وكل قومها كان حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك ، قد طلبوها ، وبذلوا لها الأموال ، فأرسلتني دسيساً الى محمد بعد أنْ رجع من الشام ، فقلت : يا محمد ، ما يمنعك أنْ تزوَّج ؟

فقال : ما بيدي ما أتزوَّج به ؟

قلتُ : فإنْ كُفيْتَ ذلك ودُعيت الى الجَمالِ والمال والشرف والكفاءَة ، ألا تجيب ؟

قال : فمن هي ؟ قلتُ : خديجة .

قال : وكيف لي بذلك ؟

قلتُ : عليّ ، قال : فأنا أفعلُ ، فذهبتُ فأخبرتُها ، فأرسلت إليه أنْ أئتِ الساعة كذا وكذا ، وأرسلت الى عمها عمرو بن أسد ليزوجها ، فحضر ودخل رسول الله ﷺ في عمومته ، فتزوجها ، وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة .

باب ذِكر أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى أبو صالح عن ابن عباس : أن أول من وُلد لرسول الله ﷺ القاسم ، ثم زينب ، ثم رُقَيَّة ، ثم فاطمة ، ثم أم كلثوم ، ثم ولد له في الإسلام عبد الله فسُمي الطيب ، والطاهر ، أمهم جميعاً خديجة .

وأول من مات من ولده القاسم ثم عبد الله .

كذا في هذه الرواية والصحيح أن فاطمة هي الصغرى .

قال محمد بن جبير بن مطعم : مات القاسم وهو ابن سنتين .

قال أهلُ السير : وأهدى له المقوقس { مارية } ، فأسلمت فوطئها بالمِلْك فولدت له إبراهيم وتوفي وهو ابن ثمان عشر شهراً .

باب ذكر نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة و الإنجيل واعتراف أهل الكتاب بنبوته

قال كعب الأحبار :

نجدُ نعت رسول الله ﷺ في التوراة : ﴿ محمد بن عبد الله عبدي المختار ، مولده بمكة ، ومُهاجره الى المدينة ، لا فظّ ولا غليظ ولا صخّاب في الأسواق ولا تجزي بالسيئة مثلها ، ولكن يعفو ويصفح ﴾ .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال : أخبرنا الحسن بن علي الجوهري قال : أخبرنا ابن حيوية قال أخبرنا ابن معروف قال : أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال : حدثنا محمد بن سعد قال : أخبرنا علي بن محمد عن علي بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن سالم مولى عبد الله بن مطيع عن أبي هريرة قال : أتى رسول الله ﷺ بيت المدارس فقال : أخرجوا إليَّ أعلمكم .

فقالوا : عبد الله بن صوريا ، فخلا به رسول الله ﷺ ، فناشده بدينه وبما أنعم الله عليهم وأطعمهم من المنّ والسلوى وظللهم به من الغمام ، أتعلم أني رسول الله ؟

قال : اللهمّ نعم ، وإنَّ القوم ليعرفون ما أعرف ، فإنَّ صفتكَ ونعتكَ لمبين في التوراة ، ولكنهم حسدوك .

قال : فما يمنعك أنت ؟

قال : أكره خلاف قومي ، وعسى أن يتبعوكَ ويُسلموا فأُسلم .

حدثنا محمد بن سعد قال : أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثني الضحاكَ ابن عثمان عن مَخْرَمَة بن سليمان عن كريب عن ابن عباس قال : كانت يهود قُريظة والنضير وفدكَ وخيبر يجدون صفة النبي ﷺ عندهم قبل أنْ يبعث ، وإنَّ دار هجرته المدينة ، فلما وُلد رسول الله ﷺ قال أحبار يهود : وُلد ﴿ أحمد ﴾ الليلة ، هذا الكوكب قد طلع ، فلما تُنبّئ ، قالوا : قد تُنبّئ أحمد ، يعرفون

ذلك ويقرون به فما منعهم عن إجابته إلا الحسد والبغي .

قال : وأخبرنا محمد بن عمر قال : حدثني عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال : كان الزبير بن باطا وكان أعلم اليهود ، يقول :

إني وجدتُ سِفْراً ، كان أبي يختمه { عليّ } فيه ذكر أحمد ، نبيّ صفته كذا وكذا .

فتحدث به الزبير بعد أبيه والنبي ﷺ لم يبعث فما هو إلا أن سمع بالنبي ﷺ قد خرج بمكة ، عمد الى ذلك السفر فمحاه ، وكتم شأن النبي ﷺ وقال ليس به .

حدثنا أحمد قال : حدثنا يعقوب قال : حدثنا أبي عن ابن إسحاق قال حدثني صالح بن عبد الصمد بن عوف عن محمود بن لبيد عن سلمة بن سلامة بن وقش قال :

كان لنا جارٌ من يهود في بني عبد الأشهل قال : فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث النبي ﷺ حتى وقف على مجلس بني عبد الأشهل قال سلمة : فأنا يومئذ أحدثُ من فيه سناً ، عليّ بردة مضطجعاً فيها بفناء أهلي ، فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار ، فقال ذلك لقوم أهل شرك وأصحاب أوثان لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت فقالوا له : ويحك يا فلان ترى هذا كائناً أن الناس يبعثون بعْدَ موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم ؟

قال : نعم والذي يحلف به يود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدار يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبقونه عليه وإن ينجو من تلك النار غداً .

قالوا له : ويحك وما آية ذلك .

قال : نبي يبعث من نحو هذه البلاد ، وأشار بيده نحو مكة واليمن .

قالوا : ومتى تراه ؟

قال : فنظر إليَّ وأنا من أحدثهم سنّاً ، فقال : إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه .

قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله تعالى رسوله ﷺ وهو حي بين أظهرنا فآمنا به وكفر به بغياً وحسداً ، فقلنا : ويلكَ يا فلان ألست بالذي قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال : بلى ، وليس به .

باب ذكر مبعث النبي صلى الله عليه وسلم

قال ابن عباس وأنس : بُعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة ، ونُبِّئ يوم الإثنين .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزاز قال : أخبرنا الحسن بنُ علي الجوهري قال : أخبرنا أبو عمر بن حيوية قال : أخبرنا أحمد بن معروف قال : أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا يزيد بن هارون قال : حدثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بنُ المسيب

إنَّ رسول الله ﷺ نزل عليه القرآن وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

قلت : إنما نزل عقيب الأربعين ولكنه إنما حمي الوحي وتكاثر بعد ثلاث سنوات .

باب ذكر رمي الشياطين بالشهب لمبعثه صلى الله عليه وسلم

حدثنا البخاري قال : حدثنا موسى بن إسماعيل قال : أخبرنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال :

انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه الى سوق عُكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأُرْسِلَتْ عليهم الشُهُبُ ، فرجعتِ الشياطين الى قومهم ، فقالوا : ما لكم ؟

قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب ، قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث ، فاضْربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث ؟

فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء .

قال : فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة الى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد الى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن تسمَّعوا له فقالوا : هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فهنالك رجعوا الى قومهم فقالوا : يا قومنا { إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً } سورة الجن الآيتان (1 ، 2) .

وأنزل الله على نبيه : { قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن } سورة الجن (1) .

وأخرجه مسلم عن شيبان عن أبي عوانة .

حدثنا أحمد قال : حدثنا أبو أحمد - هو الزبيريّ - قال : حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال :

كان الجن يستمعون الوحي ، فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشراً ، فيكون ما سمعوا حقاً وما زادوا باطلاً ، وكانت النجوم لا يرقى بها قبل ذلك : فلما بُعث النبي ﷺ ، كان أحدهم لا يقعد مقعده إلا رُمي بشهاب يحرق ما أصابه ، فشكوا ذلك الى إبليس ، فقال : ما هذا إلا من أمر قد حدث ، فبث جنوده فإذا هم بالنبي ﷺ يصلي بين جَبَلي نخلة ، فأتوه وأخبروه فقال : هذا الحدث الذي حدث في الأرض .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسنٌ صحيح .

قلت هذا الحديث يدل على أن النجوم لم يُرْمَ بها إلا لمبعث نبينا ﷺ ، وقد ذكرنا في كتاب المبتدأ والخبر عن الزهري أنه قال : كان يُرمى بها قبل ذلك ولكنها غلظت حين بعث النبي ﷺ .

وقال وهب بن منبه :

كان إبليس يصعدُ الى السموات كلها ويتقلب فيهن ويقف منهن حيث شاء ولا يُمنع ولا يحجب منذ أخرج آدم من الجنة الى أن رُفع عيسى فحينئذٍ حجب من أربع سموات وصار يتردد في ثلاث سموات حتى ابتعث الله محمداً ﷺ فحجب من الثلاث الباقية فصار مسترقاً محجوباً هو وجنوده الى يوم القيامة يقذفون بالكواكب .

باب ذكر بدء الوحي

حدثنا أحمد قال : حدثنا عبد الرزاق قال : حدثنا معمر عن الزهري قال : أخبرني عروة عن عائشة أنها قالت :

أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءَت كفلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجأه الحق وهو في غار حَراء فجَاءَه الملك فيه فقال : اقرأ .

فقال رسول الله ﷺ فقلت : ما أنا بقارئ .

قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ .

فقلت : ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثمَّ أرسلني فقال : اقرأ .

فقلت : ما أنا بقارئ .

فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : { اقرأ باسم ربك الذي خلق } حتى بلغ { ما لم يعلم } .

قال : فرجع بها ترجف بوادره حتى رجع الى خديجة عليها السلام فقال : زملوني زملوني .

فزملوه حتى ذهب عنه الورع فقال : يا خديجة مالي .

فأخبرها الخبر وقال : قد خشيت عليّ .

فقالت له : كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً إنكَ لتصلُ الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق .

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابنُ عم خديجة أخي أبيها وكان امرءاً تنصَّر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي فكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت خديجة : أي ابن عم اسمع من ابن أخيكَ .

فقال ورقة : ابن أخي ما ترى ؟

فأخبره رسول الله ﷺ ما رأى ؟

فقال ورقة هذا الناموس الذي أنزل على موسى ﷺ يا ليتني فيها جذعاً أكون حياً حين يخرجكَ قومك .

فقال رسول الله ﷺ : أومخرجيّ هم ؟

فقال ورقة : نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلاّ عُودِي وإنْ يدركني يومكَ انصركَ نصراً مؤزراً .

ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدّى له جبريل عليه السلام فقال : (يا محمد إنكَ رسول الله حقاً) ، فيسكن لذلك جأْشه وتقر نفسه ﷺ فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدّى له جبريل عليه السلام فقال مثل ذلك .

أخرجه البخاري عن عبد الله بن محمد .

وأخرجه مسلم عن ابن رافع كلاهما عن عبد الرزاق .

حدثنا البخاري قال : حدثنا يحيى بن بكير قال : حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبدُ الله قال : سمعتُ النبي ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه :

فبينا أنا أمْشِي سمعتُ صوتاً من السماء ، فرفعت رأسي فإذا الملَك الذي جاءَني بحراء جالس على كرسيّ بين الأرض والسماء ، فجئثت منه رعباً ، فرجعتُ ، فقلتُ زملوني زملوني ، فدثروني ، فأنزل الله عز وجل : { يا أيها المدثر } .

قال الخطابي : فجئثت : أي فَرَقْتُ يُقال رجل مَجْؤْوث وقد صحّف بعضهم فقال : فجبنت من الجبن .

باب ذكر كيف كان يأتي الوحي

حدثنا أحمد قال قرأت على عبد الرحمن عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة : أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال :

يا رسول الله : كيف يأتيكَ الوحي ؟

فقال رسول الله ﷺ : أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أشدُّه عليّ فيفصِمُ عني وقد وعيت ما قال ، وأحياناً يأتيني يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول .

قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإنَّ جبينه ليتفصّد عرقاً

أخرجه البخاري عن عبد الله بن يوسف عن مالك ، وأخرجه مسلم عن أبي بكر عن أبي أسامة كلاهما عن هُشام .

وأخرجا من حديث يعلى بن أمية أنه قال : يقول لعمر ليتني أرى رسول الله ﷺ حين يُنزلُ عليه الوحي .

فلما كان النبي ﷺ بالجعرانة جاءَه رجل فسأله عن شيءٍ فجاءَه الوحي فأشار عمر الى يعلى أي تَعَالَ ، فجاءَ يعلَى فأدخل رأسَهُ ، فإذا هو مُحَمر الوجه يَغِطٌّ كذلك ساعة ، ثم سُرِّي عنه .

حدثنا أحمد قال : حدثنا سليمان بن داود قال : أخبرنا عبد الرحمن عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد قال : قال زيد بن ثابت .

إني قاعد الى جنب النبي ﷺ يوماً إذْ أُوحي إليه ، قال وغشيته السكينة ، ووقع فخذه على فخذي حين غشيته السكينة ، قال زيد : فلا والله ما وجدتُ شيئاً قط أثقل من فخذ رسول الله ﷺ ثم سُرّي عنه فقال : اكتب يا زيد ، فأخذت كتفاً فقال : اكتب { لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون } الآية كلها الى قوله { أجراً عظيماً } ، فكتبت ذلكَ في كتف فقام حين سمعها ابن أم مكتوم وكان رجلاً أعمى فقام حين سمع فضيلة المجاهدين فقال : يا رسول الله فكيف بمن لا يستطيع الجهاد ممن هو أعمى وأشباه ذلكَ ؟

قال زيد : فوالله ما قضى كلامه أو ما هو إلا أن قضى كلامه غشيت النبي صلى النبي ﷺ السكينة فوقعت فخذه على فخذي فوجدت من ثقلها كما وجدت في المرة الأولى ثم سُرِّي عنه

فقال : اقرأ ، فقرأت عليه { لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون } فقال النبي ﷺ { غير أولي الضَّرَر } .

قال زيد : فألحقتها فوالله لكأني أنظر الى ملحقها عند صدع في الكتف .

وقد أخرج البخاري في أفراده من حديث زيد ين ثابت قال : أملي عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم : { لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله } فجاءَه ابنُ مكتوم وهو يُمليها عليّ فقال : يا رسول الله : لو أستطيع الجهادَ لجاهدتُ ، وكان أعمى فأنزَلَ الله عز وجل على رسوله وفَخِذُهُ على فَخِذِي حتى خِفْتُ أنْ ترُضَّ فخذي ثم سُرِّي عنه ، فأنزل الله عز وجل { غير أولي الضرر } سورة النساء الآية (95) .

وقال عبادة بن الصامت : كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي كُرب وتربّد وجهه .

قال أبو أَرْوى الدوسي : رأيت الوحي ينزل على رسول ﷺ ، وإنه على راحلته فترغو وتفتل يديها حتى لأظن أنَّ ذراعها تنقصم ، فربما بركت وربما قامت مُوتَّدة يديهما حتى يُسرّى عنه من ثقل الوحي وإنه لينحدر عنه مثلُ الجُمات .

باب ذكر بَدءِ دُعاءِ رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى الإسلام

روى عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه :

أن رسول الله ﷺ كان يدعوا من أول ما نزلت عليه النبوة ثلاث سنين مستخفياً ثم أُمِر بإظهار الدعاء .

وقال يعقوب بن عتبة :

كان أبو بكر وعثمان وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح يدعون الى الإسلام سِرًّا ، وكان عمر وحمزة يدعوان علانية ، فغضبت قريش لذلك .

باب ذِكر الهجرة الى الحبشة

لما أظهر رسول الله ﷺ الإسلام بالغ المشركون في أذاه فمنعه الله عز وجل بعمه أبي طالب وأمر أصحابه بالخروج الى الحبشة وقال :

إن بها ملكاً لا يُظلم الناس ببلاده فتحرروا عنده حتى يأتيكم الله بفرج ، فخرج منهم جماعة ثم سمعوا أنَّ المشركين قد كفوا عن بعض الأذى فرجعوا فعاد المشركون بالأذى فخرجوا وخرج معهم خلق كثير وقد أحصيت عدد الكل في كتابي المسمى بالتلقيح .

حدثنا أحمد قال : حدثنا يعقوب قال : حدثنا أبي عن ابن إسحاق قال : حدثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج النبي ﷺ قالت :

لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أمنّا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه .

فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا أنْ يبعثوا الى النجاشي فينا رجلين جلدين وأنْ تهدى الى النجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة .

وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدَم فجمعوا له أدَماً كثيراً ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا إليه هدية ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وعمرو بن العاص وأمروهما أمرهم وقالوا لهما : ادفعوا الى كل بطريق هديته قبل أنْ تكلموا النجاشي فيهم ثم قدموا الى النجاشي هداياه ثم سلوه أنْ يسلمهم إليكم قبل أنْ يكلمهم .

قالت : فخرجا فقدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار عند خير جار فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أنْ يكلما النجاشي ثم قالا لكل بطريق منهم : إنه قد صَبَأ الى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا الى الملك فيهم أشراف قومهم ليردّهم إليهم فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن تسلمهم إلينا ولا تكلمهم فإن قومهم أغلى بهم عيناً ، وأعلم بما عابوا عليهم .

فقالوا لهما : نعم .

ثم إنهما قربا هداياهم الى النجاشي فقبلها منهم ثم كلماه فقالا له : أيها الملك إنه قد صبأ الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين آبائهم ولم يدخلوا في دينكَ وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا إليك منهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم فهم أغلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا وعاتبوهم فيه .

قالت : ولم يكُ شيء أبغض الى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم فقالت بطارقته حوله : { أيها الملك قومهم أغلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهم فليرداهم الى بلادهم وقومهم } ، قالت فغضب النجاشي ثم قال : لا هآيم الله إذن لا أسلمهم إليهما ولا أكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على مَنْ سواي حتى أدعوهم وأسألهم ما يقول هذان في أمرهم فإن كانوا كما يقولان سلمتهم إليهما ورددتهم الى قومهم وإنْ كانوا على غير ذلك منعتهم منهم وأحسنت جوارهم ما جاوروني .

قالت : ثم أرسل الى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم فلما أن جاءَهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟

قالوا : نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا ﷺ كائن في ذلك ما هو كائن .

فلما جاؤوه وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله فسألهم فقال : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم ؟

قالت : فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له : أيها الملك كنا قوماً أهلُ جاهلية نعبد الأصنام ونأكلُ الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيءُ الجوار ويأكل القويّ منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا الى الله عز وجل لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان فأمرنا بصدق الحديث وآداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهى عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ، وأمرنا أنْ نعبد الله لا نشركَ به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام قال : فعدد علينا أمور الإسلام فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاءَ به فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحلَّ لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الأوثان من عبادة الله عز وجل وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلدكَ فاخترناك على مَنْ سواك ورغبنا في جواركَ ورجونا أنْ لا نظلم عندك أيها الملك .

قالت : فقال له النجاشي : هل معك مما جاءَ به من الله عز وجل من شيءٍ ؟

قال : فقال له جعفر : نعم .

فقال له النجاشي : فاقرأه عليَّ .

قال : فقرأ عليه صدراً من كهيعص .

قالت : فبكى والله النجاشي حتى أَخضَلَّ لحيته وبكى أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلى عليهم ثم قال النجاشي : إنَّ هذا والذي جاءَ به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقوا فوالله لا أسلمهم إليكم أبداً ولا أكاد .

قالت أم سلمة : فلما خرجنا من عنده قال عمر بن العاص : والله لآتينه غداً أعيبهم عنده ثم أستأصل به خضرائهم .

فقال له عبد الله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلَيْن فينا : لا تفعل فإن لهم أرحاماً وإنْ كانوا قد خالفونا .

قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عَبْدٌ .

قالت : ثمَّ غدا عليه الغد فقال له : أيها الملك إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً فأرسل إليهم فأسألهم عما يقولون فيه .

قالت : فأرسل إليهم يسألهم عنه ، قالت : ولم ينزل بنا مثلها فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض : ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه ؟

قالوا : نقول والله فيه ما قال الله عز وجل وما جاءَ به نبينا كائن في ذلك ما هو كائن .

فلما دخلوا عليه قال لهم : ما تقولون في عيسى ابن مريم ؟

قال له جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاءَ به نبينا ﷺ ، هو عبد الله وروحه ورسوله وكلمته التي ألقاها الى مريم العذراء البتول .

قالت : فضرب النجاشي يده الى الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال : ما عدا عيسى ابنُ مريم ما قلت هذا العود .

فتنافرت بطارقته حوله حين قال ما قال فقال : وإنْ تحزبتم والله اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي - السيوم الآمنون - مَنْ سبكم غرم من سبكم غرم من سبكم غرم ، ما أحب أنَّ لي دَبْر ذهب وأني آذيت رجلاً منكم - والدبر بلسان الحبشة الجبل - ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردّ عليّ ملكي فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه .

قالت : فخرجا من عنده مقبوحَيْن مردود عليهما ما جاءَا به فأقمنا عنده بخير دار مع خير جار

قالت : فوالله إنّا على ذلك إذ نزل به تعني من ينازعه في ملكه قالت : فوالله ما علمنا حزناً قط أشد من حُزْنٍ حَزِنَّاه عند ذلكَ تخوفاً أنْ يظهر ذلك على النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشيُّ يعرف منه .

قالت : وسار النجاشي وبينهما عرض النيل قالت : فقال أصحاب رسول الله ﷺ مَنْ رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم حتى يأتينا بالخبر ؟

فقال الزبير بن العوام : أنا .

قالت : وكان مِنْ أحدث القوم سِنّاً قالت : فنضحُوا له بقربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج الى باب النيل التي بها ملتقى القوم ثم انطلق حتى حضرهم قالت : ودعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده واستوسق عليه أمر الحبشة وكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة .

باب ذكر معجزاته صلى الله عليه وسلم

باب ذِكرُ معجزاته صلى الله عليه وسلم

حدثنا أحمد قال : حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود قال انشقَّ القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين حتى نظروا إليه فقال رسول الله ﷺ : اشهدوا .

أخرجه البخاري عن علي .

وأخرجه مسلم عن زهير كلاهما عن سفيان .

والروايات في الصحيح بانشقاق القمر عن ابن عمر وابن عباس وأنس .

حدثنا أحمد قال : حدثنا يحيى عن عوف .

وحدثنا البخاري قال : حدثنا مسدد قال : حدثنا يحيى بن سعيد قال : حدثنا عوف قال : حدثنا أبو رجاء قال : حدثني عمران بن حصين قال : كنا في سفر مع رسول الله ﷺ وإنَّا أسرينا حتى إذا كنا في آخر الليل وقعنا تلك الوقعة ولا وقعة أحلى عند المسافر منها قال : فما أيقظنا إلا حر الشمس وكان أول من استيقظ فلان ثم فلان ثم فلان - وكان يسميهم أبو رجاء ونسيهم عوف - ثم عمر بن الخطاب الرابع وكان رسول الله ﷺ إذا نام لم نوقظه حتى يكون هو يستيقظ لأنّا لا ندري ما يُحدِثُ أو يَحدث له في نومه فلما استيقظ عمر ورأى ما أصاب الناس وكان رجلاً أجوف جليداً قال : فكبَّرَ ورفع صوته بالتكبير فما زال يكبر ويرفع صوته حتى استيقظ لصوته رسول الله ﷺ فلما استيقظ رسول الله ﷺ شكوا إليه الذي أصابهم فقال : لا ضير ولا تضير ارتحلوا .

فارتحل فسار غير بعيد ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ ونودي بالصلاة فصلى بالناس فلما انفتل من صلاته إذا هو برجل معتزل لم يصل مع القوم فقال : ما منعكَ يا فلان أن تصلي مع القوم؟

فقال : يا رسول الله أصابني جنابة ولا ماء .

قال : عليك بالصعيد فإنه يكفيكَ .

ثم سار رسول الله ﷺ فاشتكى إليه الناس العطش فنزل فدعا فلاناً كان يسميه أبو رجاء ونسيه عوف ودعا علياً عليه السلام فقال : اذهبا فابغيانا الماء .

قال : فانطلقا فتلقيا امرأة بين مزداتين أو سطيحتين من ماءٍ على بعير فقالا لها : أين الماءُ ؟

فقالت : عهدي بالماء أمسى هذه الساعة ، ونَفَرُنَا خلوف .

فقالا لها : انطلقي إذن .

قالت : الى أين ؟

قالا : الى رسول الله ﷺ .

قالت : هذا الذي يُقالُ له { الصابئ } ؟

قالا : هو الذي تعنين فانطلقي ، فجاءَا بها الى رسول الله ﷺ فحدثاه الحديث فاستنزلوها عن بعيرها ودعا رسول الله ﷺ بإناءٍ فأفرغ فيه من أفواه المزداتين أو السطيحتين وأوكأ أفواههما وأطلق العزالي ونودي في الناس أن اسقوا واستقوا فسقى مَنْ شاء واستقى من شاء وكان آخر ذلك أنْ أعطى الذي أصابه الجنابة إناء من ماء .

فقال : اذْهَبْ فأفرغه عليكَ .

قال : وهي قائمة تنظر ما يفعل بمائها .

قال : وأيم الله لقد أقلع عنها وأنه ليُخيلْ إلينا أنها أشد ملية حين ابتدئ منها فقال رسول الله ﷺ : اجمعوا لها ، فجمع لها من بين عجوة ودقيق وسويقة حتى جمعوا لها طعاماً كثيراً وجعلوه في ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها فقال لها رسول الله ﷺ : تعلمين ما رزأناك من مائك شيئاً ولكن الله عز وجل هو الذي سقانا .

قال : فأتت أهلها وقد احتبست عنهم فقالوا : ما حبسك يا فلانة ؟ .

قالت : العجب لقيني رجلان فذهبا بي الى هذا الذي يقال له الصابئ ففعل بمائي كذا وكذا فوالله إنه لأسحر مَنْ بين هذه وهذه - وقالت بإصبعها الوسطى والسبابة فرفعتهما الى السماء تعني السماءَ والأرض - أو إنه لرسول الله حقاً قال : فكان المسلمون بعد يُغيْرُون على ما حولها من المشركين فلا يصيبون الصرم الذي هي منه فقالت يوماً لقومها : ما أدري إنَّ هؤلاءِ القوم يدعونكم عمداً فهل لكم في الإسلام ، فأطاعوها فدخلوا في الإسلام .

وأخرجه مسلم عن ابن راهوية عن النضر بن شميل كلاهما عن عوف .

حدثنا أحمد قال : حدثنا محمد بن جعفر قال : حدثنا سعيد - إملاءً - عن قتادة عن أنس بن مالك أنَّ نبي الله ﷺ كان بالزوراء فأتى بإناء فيه ماء لا يغمر أصابعه أو قدر ما ترى أصابعه فأمر أصحابة أن يتوضئوا فوضع كفه في الماء فجعل الماءُ ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه حتى توضأ القوم قال : فقلنا لأنس : كم كنتم ؟ قال : كنا ثلاثمائة .

أخرجه البخاري عن بندار عن ابن أبي عدي .

وأخرجه مسلم عن أبي موسى عن غندر كلاهما عن سعيد بن أبي عروبة .

حدثنا البخاري قال : حدثنا يوسف بن عيسى قال : حدثنا ابن فضيل ، قال : حدثنا حصين عن سالم ، عن جابر قال : عطش الناسُ يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ منها ثم أقبل الناسُ نحوه فقال رسول الله ﷺ : ما لكم ؟

قالوا : يا رسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا نشرب إلا ما في ركوتكَ .

فوضع النبي ﷺ يده في الركوة فجعل الماءُ يفور من بين أصابعه كأمثال العيون قال فشربنا وتوضأنا فقلت لجابر : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة .

وأخرجه مسلم .

وأخرج مسلم في أفراده من حديث أبي هريرة قال : كنا مع النبي ﷺ في مسيرٍ ، فنفدتْ أزْوَادُ القْومِ حتى همَّوا بنحر جمالهم ، فقال عمر : يا رسول الله ، لو جمعت ما بقيَ من أزواد القوم فدعوتَ اللهَ عليها ، ففعل ، قال : فجاءَ ذو البُرِّ بِبُرِّه وذو التَّمر بتمره ، قال { وقال مجاهد : وذو النَّواةِ بنواهُ } قلتُ : وما كانوا يصنعون بالنَّوى ؟ قال : يمصونه ويشربون عليه الماء ، فدعا عليها حتى ملأ القوم أزوِدتُهم ، فقال عند ذلك : أشهد أنْ لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى اللهَ بها عبدُ غَيْرَ شاكٍ فيهما ، إلا دخل الجنة .

وأخرج في أفراده من حديث سلمة بن الأكوع قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فأصابنا جهد حتى هممنا أنْ ننحر بعد ظهرنا فأمر نبي الله ﷺ فجمعنا مزاودنا فبسطنا له نطعاً فاجتمع زاد القوم على النطع فتطاولت لأحرزه فإذا هو كربضة العنز ونحن أربع عشرة مائة قال : فأكلنا حتى شبعنا جميعاً ثم حشونا جربنا فقال نبي الله ﷺ هل من وضوء ؟ ، فجاء رجل بأدواة فيها نطفة فأفرغتها في قدح فتوضأ فأكلنا بدغفقة دغفقة ثم جاءَ بعد ثمانية فقالوا : هل من طَهُور فقال رسول الله ﷺ فرغ الوضوء .

وقد أخرجه البخاري في أفراده من حديث سلمة بمعناه فلم يذكر الماء .

حدثنا أحمد قال : حدثنا الوليد بن القاسم قال : حدثنا إسرائيل عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : بينا نحن مع رسول الله ﷺ وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله ﷺ : اطلبوا مَنْ معه - يعني ماء - .

ففعلنا فأُتِيَ بماء فصَبَّه في إناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماءُ يخرج من بين أصابعه ثم قال : حي على الطَّهُور المبارك والبركة من الله ، فملأت بطني منه واستقى الناسُ قال عبد الله : وقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤكل .

انفرد بإخراجه البخاريُّ فرواه عن محمد بن المثنى عن أبي أحمد الزبيري عن إسرائيل .

حدثنا أحمد قال : حدثنا حسين الأشقر قال : حدثنا أبو كدينة عن عطاء عن أبي الضحى عن ابن عباس قال : أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم وليس في العسكر ماء ، فأتاه رجل فقال : يا رسول الله ليس في العسكر ماء ، قال : هل عندك شيء ؟ قال : نعم ، قال فأتى به ، قال : فأتاه بإناء فيه شيء من ماءٍ قليل ، قال : فجعل رسول الله ﷺ أصابعه على فم الإناء ، وفتح أصابعه فانفجرتْ من بين أصابعه عُيونٌ ، وأمر بلالاً فقال : نادِ في الناس : الوضوء المبارك .

حدثنا البخاري قال : حدثنا محمد بن مقاتل قال : أخبرنا عبد الله قال : أخبرنا الأوزاعي قال : حدثنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري قال : حدثني أنس بن مالك قال : أصابت الناسَ سنةٌ على عهد رسول الله ﷺ فبينا رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يوم الجمعة إذْ قام أعرابي فقال : : يا رسول الله هلك الماء وجاع العيال فادع الله لنا أن يسقينا .

فرفع رسول الله ﷺ يديه وما في السماء قزعة فثار سحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأينا المطر يتحادر على لحيته قال : فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذي يليه الى الجمعة الأخرى فقام ذلك الأعرابي أو رجل غيره فقال : يا رسول الله تَهَدَّمِّ البناء وغرق المال أدع الله لنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال : اللهم حوالينا ولا علينا .

قال : فما جعل يشير بيده الى ناحية من السماء إلا انفرجت حتى صارت المدينة في مثل الجوبة حتى سال الوادي وادي قناة شهراً قال : فلم يَجِئ أحد من ناحية إلا حدّث بالجوْد .

وأخرجه مسلم عن داود بنُ رَشيد عن الوليد عن الأوزاعي .

حدثنا أحمد قال : حدثنا روح قال : حدثنا عمر بن ذر ، عن مجاهد أنَّ أبا هريرة كان يقول : والله إنْ كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع وإن كنتُ لأشدُ الحَجَر على بطني من الجوع ، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه فمَرَّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليستتبعني فلم يفعل ثم مرّ عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا

ليستتبعني فلم يفعل فمرَّ أبو القاسم ﷺ فعرف ما في وجهي وما في نفسي فقال أبا هِرّ .

فقلتُ : لبيك يا رسول الله فقال : الحَقْ ، فاتبعته فاستأذنتُ فأذن لي فوجد لبناً في قدح فقال : من أين لكم هذا اللبن : فقالوا : أهداه لنا فلان أو آل فلان ، قال : أبا هرّ ، قلت لبيك يا رسول الله ، قال : انطلق الى أهل الصفة ، قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام لم يأووا الى أهل ولا مال إذا جاءَت رسول الله ﷺ هدية أصاب منها وبعث إليهم منها وإذا جاءَته الصدقة أرسل بها إليها ولم يصب منها ، قال : فأحزنني ذلك وكنت أرجو أنْ أصيب من اللبن شربة أتقوى بقية يومي وليلتي فقلتُ : أنا الرسول فإذا جاءَ القوم كنت الذي أعطيهم فلم يَبْقَ لي مِنْ هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بُدّ فانطلقتُ فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم فأخذوا مجالسهم من البيت فقال : أبا هريرة خُذْ فأعطهم ، فأخذت القَدَح فجعلتُ أعطيهم فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروى ثم يرد القدح وأعطيه الآخر فيشرب حتى يروى ثم يرد القدح حتى أتيت على آخرهم ودفعته في يده وقد بقي فيه فضلة ثم رفع رأسه فنظر وتبسم وقال : أبا هرّ فقلت : لبيك يا رسول الله قال : بقيتُ أنا وأنت ، فقلت صدقت يا رسول الله ، فقال : اقعد واشرب ، قال : فقعدت فشربت ثم قال لي : اشرب ، فشربت ، ثم قال لي : اشرب ، فشربت فما زال يقول لي : اشرب واشرب حتى قلتُ : لا والذي بعثك بالحق ما أجد لها فِيَّ مَسْلِكاً ، قال : ناولني القدح ، فرددتُ إليه القدح فشرب من الفَضْلَة .

انفرد بإخراجه البخاري فرواه عن أبي نعيم عن عمر بن ذرّ .

حدثنا أحمد قال : حدثنا وكيع قال : حدثنا عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه ، عن جابر قال : كان رسول الله ﷺ يخطب الى جذع نخلة قال : فقالت امرأة من الأنصار كان لها غلام نجار : يا رسول الله إنَّ لي غلاماً نجاراً أفلا آمره يتخذ لك منبراً تخطبُ عليه ؟ قال : بلى .

فلما كان يوم الجمعة خطب على المنبر قال : فأَنَّ الجذع الذي كان يقوم عليه كما يئنّ الصبي فقال النبي ﷺ : إن هذا بكى لما فقد من الذِّكْر .

انفرد بإخراجه البخاري فرواه عن أبي نعيم عن عبد الواحد .

وقد أخرجه من طريق آخر وفيه : فسمعنا للجذع مثل أصوات العِشَار حتى نزل فوضع يده عليه .

حدثنا أحمد قال : حدثنا حسن بن موسى قال : حدثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس وثابت البناني عن أنس : أن رسول الله ﷺ كان يخطب الى جذع نخلة ، فلما اتخذ المنبر تحول الى المنبر ، فحنَّ الجِذْعُ حتى أتى رسول الله ﷺ فاحتضنه ، فسكن ، فقال رسول الله ﷺ : لو لم احتضنه لحنَّ الى يوم القيامة .

وقد أخرج مسلم في أفراده من حديث سلمة بن الأكوع : أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ لما وَلَّوْا يوم حُنينِ وغشى العدو رسول الله ﷺ نزل عن البغلة ، ثم قبض قبضة من تراب الأرض ، ثم استقبل به وُجُوههم فقال : شاهَتِ الوجوه .

فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه من تراب تلكَ القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله وقسم رسول الله غنائمهم بين المسلمين .

حدثنا البخاري قال : حدثنا عبد الله بن يوسف قال : أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : هل ترون قِبْلَتي هاهنا ؟ فواللهِ ، ما يخفى عليَّ خُشُوعُكُم ولا رُكُوعُكُمْ ، إني لأراكم مِنْ وراء ظهري .

وأخرجه مسلم عن قتيبة عن مالك .

حدثنا أحمد قال : حدثنا عبد الله بن نُمير عن عثمان بن حكيم قال : أخبرني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن يعلى بن مرة قال : لقد رأيتُ من رسول الله ثلاثاً ما رآها أحدٌ قبلي ولا يراها أحد بعدي لقد خرجت معه في سفر حتى إذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة معها صبي لها فقالت : يا رسول الله هذا أصابه بلاء وأصابنا منه بلاء يؤخذ في اليوم ما أدري كم مرة قال : ناولينيه ، فرفعته إليه فجعلته بينه وبين واسطة الرحل ثم فَغَرَ فاه فنفث فيه ثلاثاً , وقال بسم الله أنا عبد الله أخسأ عدوّ الله .

ثم ناولها إياه فقال : القينا في الرجعة في هذا المكان فأخبرينا ما فعل .

فذهبنا ورجعنا فوجدناها في ذلك المكان معها شياهٌ ثلاث فقال : ما فعل صبيك ؟ قالت : والذي بعثك بالحق ما أحسسنا منه شيئاً حتى الساعة فاجترر هذه الغنم قال : انزل فخذ منها واحدة ورد البقية ، قال : وخرجت معه ذات يوم الى الجبانة حتى إذا أبرزنا قال : انظر ويحكَ هل ترى من شيء يواريني قلت : ما أرى شيئاً يواريك إلا شجرة ما أراها تواريك قال : فما قربها قلت شجرة مثلها أو قريب منها ، قال : فاذهب إليها فقل إن رسول الله يأمركما أن تجتمعا بإذن

الله قال : فاجتمعتا فبرز لحاجته ثم رجع فقال : اذهب إليهما فقال لهما : إن رسول الله يأمركما أنْ ترجع كل واحدة منكما الى مكانها فرجعت ، قال : وكنت معه جالساً ذات يوم إذ جاء جمل يخبّب حتى ضرب بجراته بين يديه ثم ذرفت عيناه فقال : ويحك انظر لمن هذا الجمل إنَّ له لَشَأناً قال : فخرجت ألتمسُ صاحبه فوجدته لرجل من الأنصار فدعوته إليه فقال : ما شأن جملكَ هذا ؟ فقال : وما شأنه لا أدري والله ما شأنه عملنا عليه ونضحنا عليه حتى عجز عن السقاية فائتمرنا البارحة أنْ ننحره ونقسم لحمه قال : فلا تفعل هِبْه لي أو بعنيه ، فقال : بل هو لك يا رسول الله ، قال : فوسمه بسمة الصدقة ثم بعث به .

باب إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بالغائبات

حدثنا أحمد قال : حدثنا عبد الأعلى عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال : إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله .

أخرجه البخاري عن أبي اليمان عن شعيب .

وأخرجه مسلم عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق عن معمر كلاهما عن الزهري ، وأخرجا من حديث جابر بن سمرة عن النبي ﷺ سواء .

وأخرجا من حديث عدي بن حاتم قال : بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل ، فقال : يا عدي هل رأيت { الحيرة } قلت : لم أرها وقد أنبئت عنها ، قال : فإذا طالت بكَ حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله ، وإنْ طالت بك حياة لتفتحنّ كنوز كسرى بن هرمز ، وإنْ طالت بك حياة لترين الرجل يُخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه ، قال عدي : فرأيتُ الظعينة ترتحل من الكوفة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي ﷺ يخرج ملء كفه .

وأخرجا من حديث ابن حُمَيْدٍ السَّاعدي قال : خرجنا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك حتى قدمنا تبوك فقال رسول الله ﷺ : ستهب عليكم الليلة ريحٌ شديدة فلا يَقُمْ فيها أحدٌ ، فمن كان له بعيرٌ فليشُدَّ عِقاله .

فهبت ريحٌ شديدة ، فقام الرجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طَيَّء .

حدثنا أحمد قال : حدثنا عبد الرزاق قال : حدثنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة قال : شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر فقال لرجل ممن يدعي بالإسلام هذا من أهل النار .

فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً فأصابته جراحة فقيل : يا رسول الله الرجل الذي قلتَ إنه من أهل النار فإنه قاتل اليوم قتالاً شديداً وقد مات ، فقال النبي ﷺ : الى النار .

فكاد بعض القوم يرتاب فبينما هم على ذلك إذْ قيل : إنه لم يمت ولكن به جراح شديدة فلما كان من الليل لم يصبر فقتل نفسه فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال : الله أكبر أشهد أني عبد الله ورسوله ثم أمر بلالاً فنادى في الناس : إنه لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مسلمة ، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر .

أخرجه البخاري عن محمود بن غيلان .

وأخرجه مسلم عن عبد الله بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق ، وقد أخرجا من حديث سهل بن سعد نحوه .

حدثنا البخاريُّ قال : حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود قال : انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بن خلف وأبي سفيان وكان أمية إذا انطلق الى الشام فمرّ بالمدينة نزل على سعد فقال أمية لسعد : انتظر حتى إذا انتصف النهار وعقل الناس انطلقت فطفت فبينا سعد يطوف إذا أبو جهل فقال : مَنْ هذا الذي يطوف بالكعبة ؟ فقال : أنا سعد ، فقال أبو جهل : تطوف بالكعبة آمناً وقد آويتم محمداً وأصحابه ؟ فقال نعم .

فتلاحيا بينهما قال أمية لسعد : لا ترفع صوتكَ على أبي الحكم فإنه سيدُ أهل الوادي ثم قال سعد : والله لئن منعتني أنْ أطوف بالبيت لأقطعنَّ متجركَ بالشام قال : فجعل أمية يقول لسعد : لا ترفع صوتك وجعل يمسكه فغضب سعد وقال : دعنا عنكَ فإني سمعتُ محمداً ﷺ يزعم أنه قاتِلَكَ قال : إياي ؟ قال : نعم قال : والله ما يكذب محمد إذا حدّث .

فرجع الى امرأته فقال : أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربي ؟ قالت وما قال ؟ قال : زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلي ، قالت : فوالله ما يكذب محمد ، قال : فلما خرجوا الى بدر وجاءَ الصريخ قالت له امرأته : أمّا ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي ؟ قال : فأراد أنْ لا يخرج فقال له أبو جهل : إنكَ من أشراف الوادي فسِرْ يوماً أو يومين ، فسار معهم فقتله الله .

انفرد بإخراجه البخاري .

حدثنا أحمد قال : حدثنا يحيى بن سعيد قال : حدثنا سليمان بن المغيرة قال : حدثنا ثابت عن أنس قال : كنا مع عمر بين مكة والمدينة فتراءينا الهلال وكنت حديد البصر فرأيته فجعلت أقول لعمر : أما تراه ؟ قال : سأراه وأنا مستلق على فراشي ، ثم أخذ يحدثنا عن أهل بدر قال : إنْ كان رسول الله ﷺ ليرينا مصارعهم بالأمس يقول : هذا مصرعُ فلان غداً إن شاء الله ، وهذا مصرع فلان غداً إنْ شاءَ الله قال : فجعلوا يصرعون عليها قال : قلتُ والذي بعثَك بالحق ما أخطأوا تيكَ كانوا يصرعون عليها ، ثم أمر بهم فطرحوا في بئر فانطلق إليهم فقال : يا فلان يا فلان هل وجدتم ما وعدكم الله حقاً فإني وجدت ما وعدني الله حقاً ، فقال عمر يا رسول الله أتكلم قوماً قد جيفوا ؟ قال : ما أنتم بأسمع لما أقولُ منهم ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا .

انفرد بإخراجه مسلم فرواه عن شيبان عن سليمان بن المغيرة .

أخبرنا ابنُ الحصين قال : أخبرنا ابنُ المُذَهّب قال : أخبرنا القطيعي قال : حدثنا عبد الله قال حدثني علي بن حليم الأودي قال : أخبرنا شريك عن عثمان بن أبي زرعة عن زيد بن وهب قال : قدم على عليٍّ قومٌ من أهل البصرة من الخوارج فيهم رجل يقال له الجعد بن بعجة فقال له : اتق الله يا علي إنكَ ميت ، فقال عليٌّ : بل مقتول ضربةٌ على هذا تخضب هذه - يعني لحيته من رأسه - عهد معهود وقضاء مقضيّ وقد خاب مَنْ افترى ، وعاتبه في لباسه فقال : ما لكم وللباسي ، هو أبعد من الكِبْر وأجدر أن يقتدي بي المسلم .

باهِرَاتٌ من معجزات سيِّد المرسَلينَ وأشرَفِ أهلِ السّموات والأرضيين

نبيّنا وَشفيعنا محمد عليه صلوات رب العالمين

انشقاق القمر له صلى الله عليه وسلم

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين , فرقة فوق الجبل وفرقه دونه فقال رسول الله ﷺ (اشهدوا)[1]

وروى الأسود التابعي هذا الحديث عن ابن مسعود أيضاً بزيادة حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر , فقال كفار قريش سحركم ابن أبي كبشة فقال رجل منهم إن محمداً إن كان سَحَرَ القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا مثل هذا ؟ فأتوا فسألوا فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك[2] .

رد الشمس بعد غيابها وحبسها له عليه الصلاة والسلام

خرج الإمام الطحاوي[3] عن أسماء بنت عميّس من طريقين أن النبي عليه السلام كان يوحى إليه أي بعد أن صلى العصر , ورأسه في حجر علي , فلم يصلّ العصر (أي فلم يمكن لعلي أن يصلي العصر) حتى غربت الشمس فقال رسول الله ﷺ ((أصليت يا علي)) ؟ فقال لا . فقال عليه السلام ((اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فارددْ عليه الشمس)) فقالت أسماء : فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت ووقفت على الجبال والأرض وذلك بالصهباء في خيبر .

1- المرجع السابق 282/1

2- المرجع السابق 282/1

3- هو يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري , القرطبي , المالكي , أبو عمر , من أكابر حفاظ الحديث مؤرخ , أديب , علامة , ولد بقرطبة سنة 368هـ , وتوفي بشاطبة سنة 463هـ .

نبع الماء من بين أصابعه الشريفة عليه الصلاة والسلام

وقد روى حديث نبع الماء جماعة من الصحابة منهم أنس وابن مسعود وجابر رضي الله عنهم أجمعين .

وقد كان ذلك مراراً فكفى ذلك الماء المئات من أصحابه رضي الله عنهم , مرة بالزوراء قرب سوق المدينة المنورة وكانوا ثلاثمائة ومرة في الحديبية وقد كانوا خمس عشر مائة , ومرة في بواط , ومرة في طريق تبوك ومرة في قبا .

وأما حديث جابر رضي الله عنه قال : عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يده ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك . فوضع النبي ﷺ يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون وفيه : فقلت كم كنتم ؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشر مائة .

وقد نقل ابن عبد البر عن الإمام المزني أنه قال : نبع الماء من بين أصابعه عليه السلام أبلغُ في المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى عليه السلام بالعصا فتفجرت منه المياه لأن خروج الماء من الحجارة معهود بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم .

تكثير الطعام القليل ببركة دُعائه عليه من الله أفضل السلام

عن جابر رضي الله عنه أنه قال إنكفأت في غزوة الخندق الى امرأتي (أي انقلبت إليها) فقلت هل عندك شيء ؟ فإني رأيت بالنبي خمصاً شديداً(أي جوعاً) .

فأخرجت جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن (أي عناق سمين) فذبحتها وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة (أي في القدر) ثم جئت النبي ﷺ فساررته (أي تكلمت معه سراً) فقلت يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنت (أي امرأتي) صاعاً من شعير فتعال أنت ونفر معك (أي مخصوص بك من بين النفر) فصاح النبي ﷺ يا أهل الخندق إن جابراً صنع سؤراً (أي طعاماً يُدعى إليه الناس) فحي هلاً بكم (أي هلموا مسرعين)فقال رسول الله ﷺ (أي لجابر) لا تنزلن بُرمتكم (أي من مطبخها) ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء برجال (وقد مر أنهم ألف رجل) فأخرجت (أي امرأة جابر) له عليه السلام عجيناً فبصق عليه السلام فيه وبارك , قال جابر ثم عمد عليه السلام الى برمتنا فبصق وبارك ثم قال عليه السلام (أي لامرأة جابر) إدعي خابزة فلتخبز معك واقدحي (إغرفي من برمتكم ولا

تنزلوها) قال جابر فأقسم بالله لأكلوا , حتى تركوه وانحرفوا وهم ألف رجل وإن برمتنا لتغط (أي تغلي في مطبخها كما هي) (أي مملوءة بالعناق) وإن عجيننا ليخبز كما هو .

كلام الأشجار وطاعتها له صلى الله عليه وسلم

وعن بريدة رضي الله تعالى عنه أنه قال سأل إعرابي النبي ﷺ آية فقال له قلْ لتلك الشجرة رسولْ الله يدعوك قال فدعوتها فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها , ثم جاءت تخدُ الأرض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الأعرابي مُرْها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلَّت عُرُقها في ذلك الموضع فاستوت .

قوله فدلَّت بتشديد اللام أي أرسلت عرقها ومكنتها فقال الأعرابي ائذن لي أسجد لك قال عليه السلام لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها . قال فأذن لي أقبل يديك ورجليك فأذن له .

حنين الجذع له صلى الله عليه وسلم

روي عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه أنه قال : كان المسجد (أي مسجد النبي عليه السلام في المدينة) مسقوفاً على جذوع نخل , وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم , إذا خطب يقوم الى جذع منها , فلما وضع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار (أي الحوامل من النوق) .

وفي رواية المطلب ابن أبي وداعة , وأبي بن كعب رضي الله تعالى عنهما (حتى تصدع وانشق) قوله ((وانشق)) عطف تفسير لتصدع , حتى جاء النبي عليه السلام فوضع عليه يده فسكت .

تسبيح الجمادات وكلامها معه وتحركها طرباً به صلى الله عليه وسلم

وفيما رواه الإمام البزار والطبراني والبيهقي عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه أنه ذكر تسبيح الحصى في كفه عليه السلام ثم في كف أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم .

وفيما رواه الإمام الدارمي والترمذي بسند حسن عن سيدنا عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال ((كنا بمكة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها , فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال له السلام عليك يا رسول الله)) .

تكلم الحيوانات وتأدبها معه وشهادتها له صلى الله عليه وسلم

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان في محفل[1]من أصحابه إذ جاء إعرابي قد صاد ضباً , فقال من هذا , فقالوا نبي الله , فقال واللات والعزى لا أومن بك حتى يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال النبي عليه السلام يا ضب فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعاً لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال عليه السلام من تعبد ؟ قال : الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته , وفي النار عقابه قال عليه السلام فمن أنا ؟ قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين قد أفلح من صدقك , وقد خاب من كذبك فأسلم الأعرابي .

إحياء الموتى له صلى الله عليه وسلم

ومنها ما روي في دلائل البيهقي أنه عليه السلام دعا رجلاً الى الإسلام فقال لا أومن بك حتى تحي لي بنتي فقال عليه السلام أرني قبرها فأراه فقال عليه السلام يا فلانة فقالت لبيك وسعديك قال عليه السلام أتحبين أن ترجعي الى الدنيا ؟ فقالت لا والله يا رسول الله إني وجدت الله خيراً لي من أبوي , ووجدت الآخرة خيراً من الدنيا .

ومنها ما رواه أبو نعيم أن جابراً ذبح شاة وطبخها وثرد في جفنة (أي صنع ثريداً في قصعة) وأتى بها النبي عليه السلام فأكل القوم وكان عليه السلام جمع العظام ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام فإذا الشاة قامت تنفض ذنبها .

إبراء المرضى وأهل العاهات بريقه المبارك ودعواته الشريفة صلى الله عليه وسلم

ومنها ما روي عن عروة أن ابن مُلاعِب الأسنة أصابه استسقاء , فبعث الى النبي عليه السلام فأخذ عليه السلام بيده حثية من الأرض (أي قبضة من ترابها) .

فتفل عليها (أي بصق) ثم أعطاها رسوله , فأخذ متعجباً يرى أنْ قد هزىء به فأتاه بها وهو على شفا من الموت فشربها (أي بعد ما خلطها بالماء) فشفاه الله تعالى مما ابتلاه عقب شربه على الفور .

ومنها ما رواه العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال فريك أنَّ أباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئاً فنفث رسول الله ﷺ في عينيه فأبصر قال فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين سنة .

إجابة دُعائه عليه صلوات رب العباد وسريان سره في الأحفاد بعد الآباء والأجداد

فمنها ما روي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال : قالت أمي يا رسول الله خادمك أنس أدع الله له قال عليه السلام اللهم أكثر ماله وولده وبارك فيما آتيته قال أنس فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليُعَادون اليوم على نحو المائة .

ومنها أنه عليه السلام دعا لمعاوية بن أبي سفيان بالتمكين بالبلاد فنال الإمارة ودعا عليه السلام أيضاً لسعد بن أبي وقاص أن يُجيب الله دعوته فما دعا بعدُ سعدٌ على أحد أو لأحد إلا استجيب له ودعا عليه السلام أيضاً بعز الإسلام بأحد العمرين فاستجيب له في عمر .

دعاؤه صلى الله عليه وسلم على بعض المنافقين والكافرين

ودعا عليه الصلاة والسلام على صبي مراهق قطع على النبي عليه السلام صلاته بمروره بين يديه بأن يقطع الله أثره فأقعِد (أي صار مقعداً في ساعته) .

كان من أولاد الكفار وقد أمره قومه بأن يقطع الصلاة على النبي عليه السلام .

ودعا على عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب فقال : اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فأكله الأسد في طريق الشام .

ودعا على مُحلم بن جثامة بعد سبعة أيام مضت بعد دفنه فلفظته الأرض ثم وُوري فلفظته هكذا مرات فألقوه بين صدين (أي جبلين) ورضموا عليه الحجارة وسبب ذلك أن النبي عليه السلام جعل عامراً في غزوة أمير سرية ومعهم مُحَلَمٌ ,فقتل هو عامراً غدراً وخيانة فظهر أنه منافق فدعا عليه النبي عليه السلام فلفظته الأرض .

أنواع عديدة من معجزاته صلى الله عليه وسلم

روي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنَّ أهل المدينة فزعوا واستغاثوا مرة فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرساً لأبي طلحة كان به قِطافٌ (أي بطؤ في السير) فلما رجع عليه السلام قال وجدنا فرسك بحراً فكان بعدُ لا يجارى ونخس جمل جابر وكان قد أعيي فنشط حتى كان (اي جابراً) لا يملك زمامه . رواه الشيخان

وثبت أنَّ شعرات من شعره عليه أكمل السلام كان في قلنسوة سيدنا خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه فلم يشهد بها قتالاً إلا رُزق النصر بها .

وروي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما أنها أخرجت جبة طيالسية وقالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يلبَسُها فنحن نغسلها للمرض نستشفي بها .

وأعطى ﷺ الحسن والحسين لسانه فمَصَّاهُ وكانا يبكيان عطشاً فسكنا لسكون عطشهما . رواه الطبراني عن أبي هريرة

باب ذكر معراج النبي صلى الله عليه وسلم

حدثنا أحمد قال : حدثنا عفان قال : حدثنا همام بن يحيى قال : سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك أن مالك بن صعصعة حدثه أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به قال بينما أنا في الحطيم - وربما قال قتادة في الحجر - مضطجع إذْ أتاني آتٍ فجعل يقول لصاحبه الأوسط بين الثلاثة قال : فأتاني فقدّ وسمعت قتادة يقول : فشق ما بين هذه الى هذه قال قتادة : فقلتُ للجارود : وهي الى جنبي : ما يعني ؟

قال من ثغرة نحره الى شعرته وقد سمعته يقول من قصّة الى شعرته قال: فاستخرج قلبي قال : فأتيت بطست من ذهب ملؤه إيماناً وحكمة فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض قال : فقال الجارود : هو البُرَاق يا أبا حمزة قال : نعم يقع خطوة عند أقصى طرفه قال : فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى بي السماءَ الدنيا فاستفتح فقيل : مَنْ هذا ؟ قال جبريل ، قيل : ومَنْ معكَ ؟ قال محمد ، قيل : أوقد أرسل إليه ؟ قال : نعم فقيل : مرحباً به ، ونعم المجيءُ جاء ، قال ففتح فلما خلصت إذا فيها آدم ﷺ قال : هذا أبوكَ آدم سلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحباً بالأبن الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح فقيل : مَنْ هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومَنْ معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد أرسل إليه ، قال : نعم ، قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء .

قال : ففتح فلما خلصت فإذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال : هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما ، قال : فسلمت فردّا السلام ثم قالا : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة فاستفتح فقيل : مَنْ هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومَنْ معك ؟ قال : محمد قيل : أو قد أرسل إليه ، قال : نعم ، قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء ، قال : ففتح فلما خلصت إذا يوسف ﷺ قال : هذا يوسف فسلم عليه ، فسلمت عليه فردّ السلام ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح فقيل : مَنْ هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومَنْ معك ؟ قال : محمد ، قيل أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء ، قال : ففتح فلما خلصت فإذا إدريس قال : هذا إدريس فسلم عليه ، قال : فسلمتُ عليه فردَّ السلام ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .

قال : ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح فقيل : مَنْ هذا ؟ قال : جبريل ، قيل ومَنْ معك ؟ قال : محمد ، قيل أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء ، قال : ففتح فلما خلصت فإذا هارون قال : هذا هارون فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .

قال : ثم صعد حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال : محمد قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت فإذا أنا بموسى قال : هذا موسى فسلم عليه فسلمتُ عليه فردَّ السلام ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح قال : فلما تجاوزت بكى فقيل له : ما يبكيك قال أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي .

قال : ثم صعد حتى أتى السماء السابعة فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد أرسل إليه ، قال : نعم ، قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء قال ففتح فلما خلصت فإذا إبراهيم فقال : هذا إبراهيم فسلم عليه ، فسلمتُ عليه فردَّ السلام ثم قال : مرحباً بالإبن الصالح والنبي الصالح .

قال : ثم رفعت الى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة فقال : هذه { سِدْرة المنتهى } قال : وإذا أربعة أنهار نهران باطنيان ونهران ظاهران فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ، قال : ثم رفع لي البيت المعمور .

قال قتادة : وحدثنا الحسن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه أرى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون فيه ثم رجع الى حديث أنس قال : ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل قال : فأخذت اللبن قال : هذه الفطرة أنت عليها وأمتكَ قال : ثم فرضت عليّ الصلاة خمسين صلاة كل يوم قال : فرجعت فمررت على موسى فقال بما أمرت : قلت : أمرت بخمسين صلاة كل يوم ، قال : إن أمتكَ لا تستطيع لخمسين صلاة وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجِعْ الى ربك عز وجل فسله التخفيف لأمتكَ قال : فرجعت فوضع عني عشراً أخر فرجعت الى موسى فقال بما أمرت قلت : بعشرين صلاة كل يوم ، فقال : إن أمتك لا تستطيع لعشرين صلاة كل يوم وإني قد خبرت الناس من قبلكَ وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربكَ فسله التخفيف لأمتكَ .

قال : فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، قال فرجعت الى موسى ، فقال : بم أمرت ؟ قلت بعشر صلوات كل يوم ، قال : إن أمتكَ لا تستطيع لعشر صلوات كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك عز وجل فسله التخفيف لأمتك ، قال : فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعتُ الى موسى فقال : بم أمرت ؟ قلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم ، قال : إن أمتكَ لا تستطيع لخمس صلوات كل يوم وإني خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربكَ فسله التخفيف لأُمتكَ .

قال : قلت : قد سألت ربي حتى استحييت ولكني أرضى وأسلم فلما نفذت نادى مناد قد أمضيتُ فريضتي وخففت عن عبادي .

أخرجه البخاري في أربعة مواضع من صحيحه عن هدبة عن همام .

وأخرجه مسلم عن أبي موسى عن محمد بن أبي عدي عن سعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة وليس لمالك بن صَعصَعَة في الصحيحين غيره .

حدثنا أحمد قال : حدثنا حسين بن موسى قال : حدثنا حماد بن سلمة قال : أخبرنا ثابت البُناني عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءَني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن قال جبريل : أصبت الفطرة ، قال : ثم عرج بنا الى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من أنت فقال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : قد أرسل إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : قد أرسل إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى فرحبا ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال : جبريل ، فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، فقيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم قد أرسل إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف وإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ فقال : جبريل ، قيل : ومن معك قال : محمد ، قيل وقد أرسل إليه ؟ قال : قد أرسل إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب ودعا لي بخير ثم

قال : يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ورفعناه مكاناً علياً ﴾ سورة مريم الآية 57 .

ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، فقيل قد بُعث إليه ؟ قال وبُعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بهارون فرحب ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : قد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، فقيل : ومن معكَ ؟ فقال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام وإذا هو مستند الى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ، ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر الله عز وجل ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله عز وجل يستطيع أن يصفها من حسنها قال : فأوحى الله عز وجل إليَّ ما أوحى وفرض عليّ في كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتى انتهيت الى موسى فقال : ما فرض ربك على أمتك قال : قلت : خمسين صلاة كل يوم وليلة .

قال : ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك وإني قد بلوت الناس وخبرتهم ، فرجعت الى ربي عز وجل فقلت : أي ربي خفف عن أمتي ، فحط عني خمساً فرجعت الى موسى فقال : ما فعلت ؟ قلت حط عني خمساً ، قال : إن أمتك لا تطيق ذاك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، قال فلم أزل أرجع بين ربي عز وجل وبين موسى عليه السلام ويحط عني خمساً خمساً حتى قال : يا محمد هنَّ خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشرة فتلك خمسون صلاة ومَنْ همّ بحسنة فلم يعملها كتبت حسنة فإن عملها كتبت عشراً ، ومَنْ هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً فإن عملها كتبت شيئة واحدة .

فنزلت حتى انتهيت موسى عليه السلام فأخبرته فقال : ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : لقد رجعت الى ربي تبارك وتعالى حتى لقد استحييت .

انفرد بإخراجه مسلم فرواه عن شيبان عن حماد بن سلمة .

وقد أخرجه البخاري ومسلم من حديث شريك بن عبد الله عن أنس إلا أن في الألفاظ اختلافاً والصحيح أنه حَطَّ عنه عشراً عشراً اتفق على ذلك حديث ابن صعصعة وشريك عن أنس .

حدثنا البخاري قال : حدثنا يحيى بن بكير قال : حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال : كان أبو ذرّ يحدث أن رسول الله ﷺ قال : فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماءِ زمزم ثم جاءَ بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه

في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي الى السماء فلما جئت الى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء افتح ، قال : من هذا ؟ قال : هذا جبريل ، قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم ، معي محمد ، قال : أأرسل إليه ؟ فقال : نعم ، فلما فتح علونا السماءَ الدنيا فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة فإذا نظر قبل يمينه ضحكَ وإذا نظر عن شماله بكى فقال : مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح .

قلت لجبريل : من هذا ؟ قال : هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار فإذا نظر عن يمينه ضحكَ وإذا نظر عن شماله بكى ثم عرج بي الى السماء الثانية فقال لخازنها : افتح ، فقال له خازنها مثل ما قاله الأول ففتح قال أنس : فذكر أنه وجد في السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة

قال الزهري فأخبرني ابن حزم أنَّ ابن عباس وأبا حية الأنصاري كانا يقولان : قال النبي ﷺ : ثم عُرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع صريف الأقلام .

وأخرجه مسلم أيضاً .

وقد روى حديث الإسراء والمعراج عن النبي ﷺ جماعة منهم علي وأبيّ وحذيفة وأبو سعيد وجابر وأبو هريرة وابن عباس وأم هانئ .

وقال ابن عباس وعائشة : كان الإسراء لسبع عشر مضت من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة .

حدثنا أحمد قال : حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس : في قوله عز وجل : { وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس } قال : هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ ليلة أُسري به .

انفرد بإخراجه البخاري فرواه عن علي عن سفيان .

حدثنا أحمد قال : حدثنا أسود بنُ عامر قال : حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : رأيتُ ربي تبارك وتعالى .

حدثنا أحمد قال : حدثنا ابن نمير قال : أخبرنا مالك بن مِغْول عن الزبير بن عدي عن طلحة عن مرة عن عبد الله قال : لما أُسْرِيَ برسول الله ﷺ انتهى به الى سدرة المنتهى ، وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما يُعرج به من الأرض فيقبض منها { وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها } قال :{ إذ يغشى السدرة ما يغشى } سورة النجم آية 16 قال : فراش من ذهب

، قال : فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً أعطي الصَّلوات الخمس ، وأعطي خواتيم البقرة ، وغُفِيرَ لمن لا يشرك بالله من أمته شيئاً المُقْحِمَات .

انفرد بإخراجه مسلم فرواه عن زهير عن عبد الله بن نمير .

وقد اخرج البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال : لما كذبتني قريش فقمت في الحِجْر ، فجلَّى الله لي بيت المقدس ، فَطِفقْتْ أخبرهم عن آياته ، وأنا أنظر إليه .

وقد روى عروة عن عائشة قالت : لما أسري برسول الله ﷺ أصبح يحدث الناس بذلك فسعى رحال المشركين الى أبي بكر فقالوا : هل لك في صاحبكَ يزعم أنه أسري به الى بيت المقدس ، فقال : أوقال ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : إنْ كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا تصدقه أنه ذاهب الى الشام في ليلة وجاءَ قبل أنْ يُصبح ؟ قال : نعم إني لأُصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوه أو رواحه ، قالت : ولذلك سمي أبو بكر { الصديق } .

باب ذكر قصص عن حياة بعض الصحابة الكرام

عَبْدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ حَبْرُ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ

إنه فتى الكُهُول ، له لسانٌ سَؤولٌ ، وقلبٌ عقول

هذا الصحابي الجليل ملك المجد من أطرافه ، فما فاته منه شيٌ ، فقد اجتمع له مجد الصحبة ، ولو تأخر ميلاده قليلاً لما شرف بصحبة رسول الله ﷺ ، ومجد القرابة ، فهو ابن عم نبي الله صلوات الله وسلامه عليه ، ومجد العلم فهو حَبرُ أمة محمد وبحر علمها الزاخر ومجد التقى ، فقد كان صواماً بالنهار قواماً بالليل ، مستغفراً بالأسحار بكاءً من خشية الله حتى خدد الدمع خديه إنه عبد الله بن عباس رَبَّانِيٌّ أمة محمد وأعلمها بكتاب الله ، وأفقهُهَا بتأويله ، وأقدرُها على النفوذ الى أغواره ، وإدراك مراميه وأسراره .

ولد ابن عباس قبل الهجرة بثلاث سنوات ، ولما توفي الرسول صلوات الله وسلامه عليه كان له ثلاث عشر سنة فقط ومع ذلك فقد حَفيظ للمسلمين عن نبيهم ألفاً وستمائة وستين حديثاً أثبتها البخاري ومسلم في صَحِيحَيْهِمَا ولما وضعته أمه حملته الى رسول الله ﷺ فحنكه بريقه فكان أول ما دخل جوفه ريق النبي المبارك الطاهر ، ودخلت معه التقوى والحكمة { وَمَنْ يُؤتَ الحِكْمةَ فَقَد أُوتيَ خيراً كثيراً } سورة البقرة : (آية 269) .

وما إن حلت عن الغلام الهاشمي تمائمه ودخل سن التمييز حتى لازم رسول الله ﷺ ملازمة العين لأختها ، فكان يعد له ماء وضوئه إذا هم أن يتوضأ ، ويصلي خلفه إذا وقف للصلاة ، ويكون رديفه إذا عزم على السفر ، حتى غدا له كظله يسير معه أنى سار ، ويدور في فلكه كيفما دار ، وهو في كل ذلك يحمل بين جنبيه قلباً واعياً ، وذهناً صافياً ، وحافظة دونها كلُ آلات التسجيل التي عرفها العصر الحديث .

حدث عن نفسه قال : هم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بالوضوء ذات مرة فما أسرع أن أعددت له الماء ، فسر بما صنعت ، ولما هم بالصلاة أشار إلي أن أقف بإزاره فوقفت خلفه ، فلما انتهت الصلاة مال علي وقال : (ما منعك أن تكون بإزاري يا عبد الله ؟!) .

فقلت : أنت أجل في عيني وأعز من أن أوازيك يا رسول الله ، فرفع يديه الى السماء وقال : اللهم آتيه الحكمة ، وقد استجاب الله دعوة نبيه عليه الصلاة والسلام فآتى الغلام الهاشمي من الحكمة ما فاق به أساطين الحُكماء ، ولا ريب في أنك تود أن تقف على صورة من صور حكمة عبد الله بن عباس ، فإليك هذا الموقف ففيه بعض مما تريد .

لما اعتزل بعض أصحاب علي وخذلوه في نزاعه مع معاوية رضي الله عنهما ، قال عبد الله بن عباس لعلي رضي الله عنه ، ائذن لي يا أمير المؤمنين أن آتي القوم وأُكلمهم .

فقال : إني أتخوف عليك منهم .

فقال : كلا إنْ شاء الله .

ثم دخل عليهم فلم يرَ قوماً قط أشد اجتهاداً منهم في العبادة فقالوا : مرحباً بك يا بن عباس ما جاء بكَ ؟! فقال : جئت أحدثكم .

فقال بعضهم : لا تحدثوه .

وقال بعضهم : قل نسمع منك .

فقال : أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله وزوج ابنته وأول من آمن به ؟!

قالوا : ننقم عليه ثلاثة أمور .

قال : وما هي ؟!

قالوا : أولها : أنه حكم الرجال في دين الله[1].

وثانيها : أنه قاتل عائشة ومعاوية ولم يأخذ غنائم ولا سبايا .

وثالثها : أنه محا عن نفسه لقب أمير المؤمنين مع أن المسلمين قد بايعوه وأمَّروه .

فقال : أرأيتم إنْ أسمعتكم من كتاب الله وحدثتكم من حديث رسول الله ما لا تنكرونه ، أفترجعون عما أنتم فيه ؟

قالوا : نعم .

قال : أما قولكم : إنه حكَّم الرجال في دين الله ، فالله سبحانه وتعالى يقول { يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرمٌ ومن قتله منكم متعمداً فجزاءٌ مثلُ ما قتل من النعم يحكم به ذو عدل مِّنكم }[2].

1- يشيرون بذلك الى قبول علي بأن يحكم بينه وبين معاوية كل من أبي موسى الأشعري وعمر بن العاص .

2- سورة المائدة : (آية 95) .

أنشدُكم الله[1] أفحكم الرجال في حقن[2] دمائهم وأنفسهم ، وصلاح ذات بينهم أحق ، أم حكمُهُمْ في أرنبٍ ثمنهُها رُبع درهمٍ ؟!

فقالوا : بل في حقن دماء المسلمين وصلاح ذات بينهم .

فقال : أخرجنا[3] من هذه ؟

قالوا : اللهم نعم .

قال : وأما قولكم : إن عليّاً قاتل ولم يسبِ[4] كما سبى رسول الله ﷺ أفكنتم تريدون أن تسبوا أمكم عائشة وتستحلونها كما تستحل السبايا ؟!

فإن قلتم : نعم ، فقد كفرتم ، وإن قلتم : إنها ليست بأمكم كفرتم أيضاً ، فالله سبحانه وتعالى يقول { النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم }[5] فاختاروا لأنفسكم ما شئتم .

ثم قال : أخرجنا من هذه أيضاً ؟

قالوا : اللهم نعم .

قال : وأما قولكم : إن علياً قد محا عن نفسه لقب إمرة المؤمنين ، فإن رسول الله ﷺ حين طلب من المشركين يوم (الحديبية) أن يكتبوا في الصلح الذي عقده معهم { هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله } ، قالوا لو كنا نؤمن أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب { محمد بن عبد الله } فنزل عند طلبهم وهو يقول : { والله إني لرسول الله وإن كذبتموني }

.

فهل خرجنا من هذه ؟ .

فقالوا : اللهم نعم .

1- أنشدكم الله : أستحلفكم بالله .

2- حقن دمائهم : صون دمائهم .

3- أخرجنا من هذه ؟ هل انتهينا من هذه ؟ .

4- لم يَسْبِ : لم يأخذ سبايا ، والسبايا : النساء اللواتي يؤسرن في الحرب .

5- سورة الأحزاب : (آية 6) .

وكان من ثمرة هذا اللقاء ، ما أظهره فيه عبد الله ابن عباس من حكمة بالغة وحجة دامغة أن عاد منهم عشرون ألفاً الى صفوف علي ، وأصر أربعة آلاف على خصومتهم له عناداً وإعراضاً عن الحق .

وقد سلك الفتى عبد الله بن عباس الى العلم كل سبيل ، وبذل من أجل تحصيله كل جهد .

فقد ظل ينهلُ[1] من معين[2] رسول الله ﷺ ما امتدت به الحياة ، فلما لحق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بجوار ربه اتجه الى البقية من علماء الصحابة وطفق يأخذ منهم ويتلقى عنهم .

حدث عن نفسه قال :

كان إذا بلغني الحديث عند رجل من صحابة رسول الله ﷺ ، أتيت باب بيته في وقت قيلولته[3] وتوسدت ردائي عند عتبة داره ، فيسفي[4] عليَّ الريحٌ من التراب ما يسفي ، ولو شئتُ أن أستأذن عليه لأذن لي وإنما كنت أفعل ذلك لأطيب نفسه .

فإذا خرج من بيته رآني على هذه الحال ، وقال : يا بن عم رسول الله ، ما جاء بك ؟!

هلا أرسلت إلي فآتيك ؟

فأقولُ : أنا أحق بالمجيء إليك فالعلم يؤتى ولا يأتي ، ثم أسأله عن الحديث .

وكما كان ابن عباس يُذل نفسه في طلب العلم ، فقد كان يعلي من قدر العلماء ، فها هو ذا زيد بن ثابت كاتب الوحي ورأس أهل المدينة في القضاء والفقه والقراءة والفرائض[1] يهم بركوب دابته فيقف الفتى (الهاشمي) عبد الله بن عباس بين يديه وقفة العبد بين يدي مولاه ، ويمسك له ركابه ، ويأخذ بزمام دابته ، فقال له زيد : دع عنك يا بن عم رسول الله .

فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا .

فقال له زيد : أرني يدك .

فأخرج له ابن عباس يده ، فمال عليها وقبلها وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا .

1- الفرائض : علم قسمة التركة على مستحقيها .

وقد دأب ابن عباس على طلب العلم حتى بلغ فيه مبلغاً أدهش الفحول ، فقال فيه مسرُوقُ بن الأجدع أحد كبار التابعين[1] كنت إذا رأيت ابن عباس قلتُ أجمل الناس .

وإذا نطق قلت : أفصح الناس .   فإذا تحدث قلت : أعلم الناس .

ولما أكتمل لابن عباس ما طمح إليه من العلم تحول الى معلم يعلم الناس ، فأصبح بيته جامعة للمسلمين ، نعم أصبح جامعة بكل ما تعنيه هذه الكلمة في عصرنا الحديث ، وكل ما بين جامعة ابن عباس وجامعاتنا من فرق ، هو أن جامعات اليوم يحشد فيها عشرات الأساتذة ، وأحياناً المئات ، أما جامعة ابن عباس فقد قامت على أكتاف أستاذ واحد ، هو ابن عباس نفسه .

روى أحد أصحابة قال : لقد رأيت من ابن عباس مجلساً لو أن جميعَ قريش افتخرت به لكان لها مفخرة ، فلقد رأيت الناس اجتمعوا في الطريق المؤدية الى بيته حتى ضاقت بهم وسدوها في وجوه الناس ، فدخلت عليه وأخبرته باحتشاد الناس على بابه فقال : ضع لي وضوءاً[2] فتوضأ وجلس وقال : اخْرج وقل لهم : من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه فليدخل ، فخرجت فقلت لهم ، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به ، وزادهم مثل ما سألوا عنه وأكثر ، ثم قال لهم أفسحوا الطريق لإخوانكم ، فخرجوا .

ثم قال لي : اخْرج فقل : من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل ، فخرجت فقلت لهم ، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فما سألوا عن شيء إلا أخبرهم به ، وزادهم مثل ما سألوا عنه وأكثر ، ثم قال لهم : أفسحوا الطريق لإخوانكم ، فخرجوا .

ثم قال لي : اخْرج فقل : من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل ، فخرجت فقلت لهم ، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله ، ثم قال لهم : أفسحوا الطريق لإخوانكم ، فخرجوا .

ثم قال لي : اخْرج فقل : من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل ، فخرجت فقلت لهم ، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله ، ثم قال لهم : أفسحوا الطريق لإخوانكم ، فخرجوا .

1- التابعون : هم الرعيل الأول بعد صحابة النبي ﷺ وقد قسمهم علماء الحديث الى طبقات ، أولهم من لحق العشرة المبشرين بالجنة وآخرهم من لقي صغار الصحابة أو من تأخر وفاتهم .

2- الوَضوء بفتح الواو : الماء الذي يتوضأ به .

ثم قال لي : اخْرج فقل : من أراد أن يسأل عن العربية والشعر وغريب كلام العرب فليدخل ، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به ، وزادهم مثله .

قال راوي الخبر : فلو أن قريشاً فخرت بذلك لكان ذلك لها فخراً .

وكأن ابن عباس رضي الله عنه رأى أن يوزع العلوم على الأيام حتى لا يحدث على بابه مثل ذلك الزحام ، فصار يجلس في الأسبوع يوماً لا يذكر فيه إلا التفسير ، ويوماً لا يذكر فيه إلا الفقه ، ويوماً لا يذكر فيه إلا المغازي[1] ، ويوماً لا يذكر فيه إلا الشعر ، ويوماً لا تذكر فيه إلا أيام العرب ، وما جلس إليه عالمٌ قط إلا خضع له ، وما سأله سائل قط إلا وجد عنده علماً .

وقد غدا ابن عباس ، بفضل علمه وفقهه ، مستشاراً للخلافة الراشدة على الرغم من حداثة سنه فكان إذا عرض لعمر ابن الخطاب أمرٌ أو واجهته معضلة[2] دعا جلة[3] الصحابة ودعا معهم عبد الله بن عباس ، فإذا حضر رفع منزلته وأدنى مجلسه وقال له : لقد أعضل علينا أمرٌ أنت له ولأمثاله .

وقد عوتب مرة في تقديمه له وجعله مع الشيوخ ، وهو ما زال فتى فقال : إنه فتى الكُهُول ، له لسان سؤول وقلب عقول .

على أنَّ ابن عباس حين انصرف الى الخاصة ليعلمهم ويفقههم ، لم ينسى حق العامة عليه ، فكان يعقد لهم مجالس الوعظ والتذكير ، فمن مواعظه قوله مخاطباً أصحاب الذنوب : يا صاحب الذنب لا تأمن عاقبة ذنبك ، واعلم أن ما يتبع الذنب أعظم من الذنب نفسه .

فإن عدم استحيائك ممن على يمينك وعلى شمالك وأنت تقترف[4] الذنب لا يقل عن الذنب ، وإن ضَحِكَكَ عند الذنب وأنت لا تدري ما الله صانع بك أعظم من الذنب .

وإن فرحك بالذنب إذا ظفرت به أعظم من الذنب ، وإن حزنك على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب ، وإن خوفك من الريح إذا حركت سترك ، وأنت ترتكب الذنب كونك لا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب ، يا صاحب الذنب : أتدري ما كان ذنب أيوب عليه السلام حين ابتلاه الله عز وجل بجسده وماله ؟ إنما كان ذنبه أنه استعان به مسكين ليدفع عنه الظلم فلم يعنه .

1- المغازي : غزوات رسول الله ﷺ   2- المعضلة : المشكلة الصعبة .

3- جِلّة الصحابة : شيوخ الصحابة ومتقدموهم .   4- تقترف الذنب : ترتكب الذنب .

ولم يكن ابن عباس من الذين يقولون ما لا يفعلون ، وينهون الناس ولا ينتهون ، إنما كان صوَّامَ نهارٍ قوام ليلٍ .

أخبرَ عنه عبد الله بن ملكية قال : صحبت ابن عباس رضي الله عنه من مكة الى المدينة ، فكنا إذا نزلنا منزلاً قام شطر الليل والناس نيام من شدة التعب .

ولقد رأيته ذات ليلة يقرأ { وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد }[1] فظل يكررها وينشج[2] حتى طلع عليه الفجر .

وحسبُنا بعد ذلك كله أن نعلم أن عبد الله بن عباس كان من أجمل الناس جمالاً ، وأصبحهم وجهاً ، فما زال يبكي في جوف الليل من خشية الله حتى خدد الدمع الهتُونُ[3] خديه الأسيلين[4] .

وقد بلغ ابن عباس من مجد العلم غايته ذلك أنه خليفة المسلمين معاوية بن أبي سفيان خرج ذات سنة حاجاً وخرج عبد الله بن عباس حاجاً أيضاً ، ولم يكن له صولةٌ ولا إمارة ، فكان لمعاوية موكب من رجال دولته ، وكان لعبد الله بن عباس موكب يفوق موكب الخليفة من طلاب العلم .

عُمِّرَ ابنُ عباس إحدى وسبعين سنة ملأ فيها الدنيا علماً وفهماً وحكمة وتقى ، فلما أتاه اليقين[5] صلى عليه محمد ابن الحنفية[6] والبقية الباقية من صحابة رسول الله ﷺ وجلة التابعين ، وفيما كان يوارونه تُرابهُ ، سمعوا قارئاً يقرأ : { يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي الى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي }[7].

1- سورة ق : (آية 19) .

2- ينشج : يبكي بصوت عالٍ .

3- الدمع الهتون : الدمع المتصبب بغزارة .

4- خديه الأسيلين : خديه المستويين الناعمين .

5- اليقين : الموت .

6- محمد ابن الحنفية : هو محمد بن علي بن أبي طالب : وقد نسب لأمه لتمييزه من الحسن والحسن ، لأن أمهما فاطمة بنت النبي ﷺ ، وأم محمد امرأة من بني الحنفية .

7- سورة الفجر : (من الآية 27 .....30) .

طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ التَّيْمِيُّ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ من سره أن ينظر الى رجل يمشي على الأرض وقد قضى نحبه فلينظر الى طلحة بن عبيد الله ﴾

كان طلحة بن عبيد الله التيمي يمضي مع قافلة من قوافل قريش في تجارة له الى بلاد الشام ، فلما بلغت القافلة مدينة { بصرى }[1] هب الشيوخ من تجار قريش الى سوقها العامرة يبيعون ويشترون ، وعلى الرغم من أن طلحة كان شاباً حدثاً[2] ليس له مثل خبرتهم في التجارة ، إلا أنه كان يملك من حدة الذكاء ونفاذ البصيرة ما يُتيحُ له منافستهم ، والفوز من دونهم بأفضل الصفقات ، وفيما كان طلحة يروح ويغدوا في السوق التي تموج بالوافدين عليها من كل مكان حدث له أمرٌ لم يكن سبباً في تغيير مجرى حياته كلها فحسب ، وإنما كان بشيراً بتغيير سير التاريخ كله ، فلنترك الكلام لطلحة بن عبيد الله ليروي لنا قصته المثيرة .

قال طلحة : بينما نحن في سوق (بصرى) إذا راهبٌ[3] ينادي في الناس : يا معشر التجار ، سلوا أهل هذا الموسم[4] أفيهم أحدٌ من أهل الحرم[5] ؟ وكنت قريباً منه فبادرت إليه وقلت : نعم أنا من أهل الحرم . فقال : هل ظهر فيكم أحمد ؟ قلت ومن أحمد ؟!

فقال : ابن عبد الله بن عبد المطلب ، هذا شَهْرُهُ الذي يظهر فيه ، وهو آخر الأنبياء ، يخرج من أرضكم من الحرم ، ويهاجر الى أرض ذات حجارة سود ، ونخيل وسِباخ[6] يَنِزُّ[7] منها الماء ، فإياك أن تُسْبَقَ إليه يا فتى ، قال طلحة : فوقعت مقالته في قلبي ، فبادرت الى مطاياي[8] فَرَحلْتُها[9] ، وخلفت القافلة ورائي ، ومضيتُ أهوي هوياً[10] الى مكة .

1- بصرى : مدينة في بلاد الشام ، وهي الآن من محافظة حوران في سورية ، كانت مشهورة عند العرب بقصورها .

2- حدثاً : صغير السن . 3- الراهبُ : رجل الدين عند النصارى .

4- الموسم : مجتمع الناس للحج ، أو للبيع والشراء . 5- أهل الحرم : أهل مكة .

6- أرض ذات سباخ : أرض فيها نز وملح . 7- ينزُّ : يتحلب 8- مطاياي : جِمالي .

9- رَحلْتُها : وضعت عليها رحالي استعداداً للسفر . 10- أهوي هُوياً : أندفع مسرعاً .

فلما بلغتها ، قلتُ لأهلي : أكان من حديث بعدنا في مكة ؟

قالوا : نعم ، قام محمد بن عبد الله ، يزعم أنه نبيٌّ ، وقد تبعَه ابن أبي قحافة [يريدون أبا بكر] قال طلحة : وكنت أعرف أبا بكر ، فقد كان رجلاً سهلاً محبباً موطأ الأكناف[1]لقومه وكان تاجراً ذا خلق واستقامة ، وكنا نألفه ، ونحب مجالسه ، لعلمه بأخبار قريش ، وحفظه لأنسابها ، فمضيت إليه وقلت له : أحقاً ما يقال من أن محمد بن عبد الله أظهر النبوة ، وأنك اتبعته؟!

قال : نعم وجعل يقص علي من خبره ، ويُرغبني في الدخول معه ، فأخبرته خبر الراهب ، فدهش لهُ وقال : هلمَّ[2] معي الى محمد لنقص عليه خبرك ، ولتسمع ما يقول ، ولتدخل في دين الله ، قال طلحة : فمضيت معه الى محمد فعرض علي الإسلام ، وقرأ علي شيئاً من القرآن ، وبشرني بخيري الدنيا والآخرة ، فشرح الله صدري الى الإسلام ، وقصصت عليه قصة راهب (بصرى) فسُرَّ بها سروراً بدا على وجهه ، ثم أعلنت بين يديه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فكنت رابع ثلاثة أسلموا على يدي أبي بكر .

ثم جعلتِ الأيام تدور ، والأحداث تتلاحق ، وطلحة بن عبيد الله يزدادُ مع الأيام اكتمالاً ، وبلاؤهُ في سبيل الله ورسوله يكبر ويتعاظم ، وبرهُ بالإسلام والمسلمين ينمو ويتسع ، حتى أطلق عليه المسلمون لقب { الشهيد الحي } ، ودعاهُ الرسول عليه الصلاة والسلام : بطلحة الخير ، وطلحة الجود ، وطلحة الفياض .

أما قصة تلقيبه بالشهيد الحي فكانت يوم ((أحد)) حين انهزم المسلمون عن رسول الله ﷺ ، ولم يبقى معه غير أحدَ عشر رجلاً من الأنصار وطلحة بن عبيد الله من المهاجرين ، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يصعد هو ومن معه في الجبل ، فلحقت به عصبة من المشركين تريد قتله ، فقال عليه الصلاة والسلام : { من يرد عنا هؤلاء ، وهو رفيقي في الجنة ؟) ، فقال طلحة : أنا يا رسول الله .

فقال عليه الصلاة والسلام : { لا ، مكانك[3] } .

فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله ، فقال : { نعم ، أنت } .

1- موطأ الأكناف : لين الجانب .

2- هلم معي : أمضي معي .

3- مكانك : ألزم مكانك .

فقاتل الأنصاري حتى قتل ، ثم صعد الرسول عليه الصلاة والسلام بمن معه فلحقه المشركون فقال : ألا رجل لهؤلاء ؟! ، فقال طلحة : أنا يا رسول الله .

فقال عليه الصلاة والسلام : لا مكانك .

فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله .

فقال : نعم أنت ، ثم قاتل الأنصاري حتى قتل أيضاً .

وتابع الرسول صعوده ، فلحق به المشركون ، فلم يزل يقول مثل قوله ، ويقول طلحة : أنا يا رسول الله ، فيمنعه النبي ﷺ ، ويأذن لرجل من الأنصار حتى استُشْهدوا جميعاً ولم يبق معه إلا طلحة فلحق به المشركون ، فقال لطلحة : { الآن ، نعم } .

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام قد كسرت رباعيته[1] وشج جبينه ، وجرحت شفته ، وسال الدم على وجهه ، وأصابه الإعياء[2] فجعل طلحة يكرُّ[3] على المشركين حتى يدفعهم عن رسول الله ﷺ ثم ينقلب الى النبي ﷺ فيرقى به قليلاً في الجبل ، ثم يسنِده الى الأرض ، ويكر على المشركين من جديد ، وما زال كذالك حتى صدهم عنه .

قال أبو بكر : وكنت آنئذٍ أنا وأبو عبيدة بن الجراح بعيدين عن رسول الله ﷺ فلما أقبلنا عليه نريد أسعافه قال : أتركاني وانصرفا الى صاحِبكُما ، ((يريد طلحة)) ، فإذا طلحة تنزف دماؤه ، وفيه بضع وسبعون ضربةً بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، وإذا هو قد قُطِعت كفهُ ، وسقط في حفرة مغشياً عليه ، فكان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول بعد ذلك : { من سره أن ينظر الى رجل يمشي على الأرض ، وقد قضى نحبهُ فلينظر الى طلحة بن عبيد الله } ، وكان الصديق رضوان الله عليه إذا ذكر ((أُحُدٌ)) يقول : ذلك يومٌ كله لطلحة .

1- رباعيته : سنه التي بين الناب والثنية .

2- الإعياءُ : التعب .

3- يكرُّ : يهجم .

سَعدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ

ارْمِ سَعْدُ . . . ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمّي ، مُحَمّدٌ رَسُولُ اللّهِ يُحرِّضُ سَعْداً يَوْمَ أُحُدٍ

أما بطل القصة ففتى من أكرم فتيان مكة نسباً ، وأعزهم أمَّاً وأباً ، ذلك الفتى هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأرضاه ، كان سعد حين أشرق نور النبوة في مكة شاباً ريان الشباب[1] غض الإهاب[2] رقيق العاطفة كثير البر بوالديه شديد الحب لأمه خاصةً ، وعلى الرغم من أن سعداً كان يومئذٍ يستقبل ربيعهُ السابع عشر ، فقد كان يضمُ بين برديه[3] كثيراً من رجاحة الكُهُولِ[4] ، وحكمة الشيوخ .

كان يصرف همه الى بري[5] السهام ، وإصلاح القسي[6] والتمرس بالرماية ، وفيما هو كذلك شاء الله جل وعزَّ أن يكرم الإنسانية كلها بهذه اليد الحانية البانية ، فإذا هي يد سيد الخلق محمد بن عبد الله ﷺ ، فما أسرع أن استجاب سعد بن أبي وقاص لدعوة الهدى والحق ، حتى كان ثالث ثلاثة أسلموا من الرجال أو رابع أربعة ، ولذا كثيراً ما كان يقول مفتخراً : لقد مكثتُ سبعة أيام وإني لثلثُ الإسلام ، كانت فرحة الرسول صلوات الله عليه بإسلام سعد كبيرة ، ففي سعد من مخايل[7] النجابة ، وبواكير الرجولة[8] ما يبشر بأن هذا الهلال سيكون بدراً كاملاً في يوم قريب .

ولسعدٍ من كرم النسب ، وعزة الحسب ما قد يُغري[9] فتيان مكة بأن يسلكوا سبيله ، وينسجوا على منواله[10] ثم إن سعداً فوق ذلك كله من أخوال النبي عليه الصلاة والسلام ، فهو من بني (زُهْرَةَ) ، وبنو زهرة أهل (آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ) ، أم النبي ﷺ ، وقد كان الرسول صلوات الله عليه يعتز بهذه الخؤولة .

1- ريان الشباب : طريَّ الشباب مونقه .

2- غض الإهاب : غض الجلد ، كناية عن أنه في مقتبل العمر ورونقه .

3- برديه : ثوبيه

4- رجاحة الكهول : عقل الكهول ورصانتهم .

5- بري السهام : إعدادها وإصلاحها .

6- القِسيَّ : الأقواس التي يُرمى بها .

7- مخايل : علامات .

8- بواكير الرجولة : تباشيرُها .

9- يغري : يرغب ويحض .

10- ينسجون على منواله : يسلكون طريقته فيسلمون كما أسلم .

فقد روي أن النبي الكريم ﷺ كان جالساً مع نفر من أصحابه فرأى سعد بن أبي وقاص مقبلاً فقال لمن معه : { هذا خالي .... فليُرني امرؤٌ خاله } .

قال سعد : رأيت في المنام قبل أن أسلم بثلاث ليال كأني غارقٌ في ظلمات بعضها فوق بعض وبينما كنت أتخبط في لجَجِها[1] إذْ أضاء لي قمر فأتبعته فرأيت نفراً أمامي قد سبقوني الى ذلك القمر ، رأيت زيد بن حارثة ، وعلي بن أبي طالب ، وأبا بكر الصديق ، فقلت لهم : منذُ متى أنتم ها هنا ؟! فقالوا : الساعة .

ثم إني لما طلع علي النهار بلغني أن رسول الله ﷺ يدعوا الى الإسلام مستخفياً ، فعلمت أن الله أراد بي خيراً ، وشاء أن يخرجني بسببه من الظلمات الى النور ، فمضيت إليه مسرعاً ، حتى لقيته في شعب (جياد)[2]وقد صلى العصر ، فأسلمتُ ، فما تقدمني أحد سوى هؤلاء النفر الذين رأيتهم في الحُلُمِ .

وما إن سمعت أمي بخبر إسلامي حتى ثارت ثائرتها[3] وكنت فتى براً بها مُحباً لها ، فأقبلت علي تقول : يا سعد ما هذا الدين الذي اعتنقته فصرفك عن دين أمكَ وأبيكَ والله لتدعن دينك الجديد أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فيتفطر[4] فؤادك حُزناً علي ، ويأكلك الندم على فعلتك التي فعلت ، وتعيرك الناس بها أبدَ الدهر .

فقلتُ : لا تفعلي يا أماه ، فأنا لا أدعُ ديني لأي شيء .

لكنها مضت في وعيدها ، فاجتنبتِ الطعام والشراب ، ومكثتْ أيّاماً على ذلك لا تأكلُ ولا تشربُ ، فهزلَ جسمُها ووهن عظمُها وخارت قُواها ، فجعلت آتيها ساعةً بعد ساعةٍ أسألها أن تتبلع[5]بشيءٍ من طعامٍ أو قليلٍ من شراب ، فتأبى ذلك أشد الإباء ، وتقسم ألا تأكل أو تشرب حتى تموت أو أدعَ ديني ، عند ذلك قلتُ لها ، يا أماه إني على شديد حبي لك لأشدُ حباً لله ورسوله ، و والله لو كان ألف نفسٍ فخرجت منكِ نفساً بعد نفسٍ ما تركت ديني هذا لشيء ، فلما رَأتِ هذا الجِد مني أذعنت للأمر ، وأكلت وشربتْ على كُره منها ، فأنزل الله فينا قوله عز وجل : { وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا }[6] .

1- لجججها : جمع لجة وهي معظم الماء وأعمقه .

2- شعب جياد : أحد شعاب مكة المكرمة .

3- ثارت ثائرتها : اشتعلت نار غضبها .

4- يتفطر : يتشقق .

5- تتبلع : تتناول القليل الذي يحفظ حياتها .

6- سورة لقمان (آية 15) .

لقد كان يوم إسلام سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من أكثر الأيام بِرّاً بالمسلمين ، وأجزلها خيراً على الإسلام : ففي يوم (بدر) كان لسعد وأخيه (عُمَيْرٍ) موقف مشهود ، فقد كان عمير يومئذٍ فتى حدثاً لم يجاوز الحُلم إلا قليلاً ، فلما أخذ الرسول عليه الصلاة والسلام يعرض جُند المسلمين قبل المعركة توارى عمير أخو سعد خوفاً من أن يراه الرسول ﷺ فيرده لصغر سنه ، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام أبصره ورده ، فجعل عمير يبكي حتى رق له قلب النبي ﷺ وأجازه .

عند ذلك أقبل عليه سعد فرحاً ، وعقد عليه حمالةَ سيفه[1] عقداً لصغره ، وانطلق الأخوان يجاهدان في سبيل الله حق جهاد ، فلما انتهت المعركة عاد سعد الى المدينة وحده ، أما عُمَيْرٌ فقد خلفه شهيداً على أرض بدر واحتسبه عند الله[2] .

وفي أحد حين زُلزلت الأقدام[3] ، وتفرق المسلمون عن النبي عليه الصلاة والسلام حتى لم يبق إلا في نفر قليل لا يُتمون العشرة ، وقف سعد بن أبي وقاص يناضلُ عن رسول الله صلوات الله عليه بقوسه ، فكان لا يرمي رمية إلا أصابت من مشرك مقتلاً ، ولما رآه الرسول عليه السلام يرمي هذا الرمي ، جعل يحضه[4] ويقول له { ارمِ سعدُ .... ارمِ فداكَ أبي وأمي } .

فظل سعد يفتخر بها طوال حياته ويقول : ما جمع الرسول ﷺ لأحدٍ أبويه إلا لي ، وذلك حين فداه بأبيه وأمه معاً .

ولكن سعداً بلغ ذروة مجده حين عزم الفاروق على أن يخوض مع (الفرس) حرباً تُديلُ دولتهم[5] وتَثُلُّ عرشهم[6] ، وتجتثُّ جذورهم[7] الوثنية من على ظهر الأرض ، فأرسل كُتبهُ الى عماله في الأفاق ، أن أرسلوا إلي كل من كان له سلاح أو فرس ، أو نجدة أو رأي ، أو مزية من شعر ، أو خطابةٍ أو غيرها مما يجدي على المعركة .

1- حمالة السيف : ما يعلق به على عاتق صاحبه .

2- احتسبه عند الله : طلب من الله أجره على فقده .

3- زلزلت الأقدام : دب الضعف والخوف في النفوس .

4- يحضه : يحثه .

5- تديل دولتهم : تطيح بدولتهم وتذهب بها .

6- تَثُلُّ عرشهم : تهدِم ملكهم

7- تجتث جذور الوثنية : تقتلعها من أصولها .

فجعلت وفود المجاهدين تتدفق على المدينة من كل صوب[1] ، فلما تكاملت ، أخذ الفاروق يستشير أصحاب الحل والعقد[2] ، في من يوليه على الجيش الكبير ويسلم إليه قياده ، فقالوا بلسان واحد : الأسد عادياً سعد بن أبي وقاص ، فاستدعاه عمر رضوان الله عليهما ، وعقد له لواء الجيش[3] ، ولما هم الجيش الكبير بأن يفصل[4] عن المدينة وقف عمر بن الخطاب يودعه ويوصي قائده فقال : يا سعد ، لا يغرنك من الله أن قيل : خال رسول الله ، وصاحب رسول الله فإن الله عز وجل لا يمحو السَّيِّئَ بالسَّيِّئَ ، ولكنه يمحو السيئة بالحسنة .

يا سعد : إن الله ليس بينه وبين أحد نسبٌ إلا الطاعة ، فالناس شريفهم و وضيعهم في ذات الله[5]سواءٌ ، الله ربهم وهم عبادهُ يتفاضلون بالتقوى ويدركون ما عند الله بالطاعة ، فانظر الأمر الذي رأيت النبي عليه فالتزمه فإنه الأمر[6] .

ومضى الجيش المبارك وفيه تسعة وتسعون بدرياً[7] وثلاثمائة وبضعة عشر ممن كانت لهم الصحبة فيما بين بيعة الرضوان فما فوق ذلك ، وثلاثمائة ممن شهدوا فتح مكة مع رسول الله ، وسبعمائة من أبناء الصحابة .

مضى سعد وعسكر بجيشه في { القادسية }[8] ، ولما كان يوم { الهرير }[9] عزم المسلمون على أن يجعلوها القاضية[10] ، فأحاطوا بعدوهم إحاطة القيد بالمعصم ، ونفذوا الى صفوفه من كل صوبٍ مهللين[11] مكبرين ، فإذا رأس { رستم } قائد جيش الفرس مرفوع على رماح المسلمين وإذا بالرعب والهلع يدبان في قلوب أعداء الله حتى كان المسلم يشير الى الفارسي فيأتيه فيقتله وربما قتله بسلاحه ، أما الغنائم فحدث عنها ولا حرج ، وأن القتلى فيكفيك أنت تعلم أن الذين قضوا غرقاً فحسب قد بلغوا ثلاثين ألفاً ، عُمِّرَ سعد طويلاً وأفاء الله عليه من المال الشيء الكثير ، لكنه حين أدركته الوفاة دعا بجُبة من صوف بالية وقال : كفنوني بها فإني لقيت بها المشركين يوم بدر ، وإني أريد أن ألقى بها الله عز وجل أيضاً .

1- من كل صوب : من كل جهة .
2- أصحاب الحل والعقد : أهل الشورى وذوو الرأي والمكانة .
3- عقد له لواء الجيش : ولاه عليه .
4- يفصل : يخرج .
5- في ذات الله : عند الله .
6- فإنه الأمر : أي فإنه الأمر الذي يجب إنفاذه .
7- البدري : من شهد معركة بدر .
8- القادسية : موضع يبعد عن الكوفة خمسة عشر فرسخاً ، وقعت فيها المعركة الفاصلة بين المسلمين والفرس سنة ست عشرة للهجرة وانتصر فيها المسلمون نصراً كبيراً لم تقم بعدها للفرس قائمة .
9- يوم الهرير : اليوم الأخير من أيام القادسية ، وسمي كذلك لأنه لم يكن يسمع للجند أصوات إلا الهرير من شدة القتال .
10- القاضية : المهلكة المدمرة .
11- مهللين : صائحين لا إله إلا الله .

عُثمَانُ بن عفّانَ

إنَّ تاريخ النبوّات لم يعرف أحداً أصهر الى نبيٍّ مرّتين سوى عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه

إنه ذو النورين ، وصاحب الهجرتين ، وزوج الابنتين ، عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه ، كان عثمان بن عفان رضوان الله عليه في الذروة[1] من قومه في الجاهلية فهو عريضُ[2] الجاه ، وافرُ الثراء[3] سابغُ[4] النعمة ، جمٌّ[5] التواضع ، شديد الحياء ، فأحبه قومه أشد الحب وأصدقه ، حتى إن المرأة من قريش كانت ترقص صبيها الصغير وتقول :

أُحِبُّكَ والرَّحْمَانْ حُبَّ قُرَيْشَ لِعُثْمَانْ

ولَمَّا أهلَّ[6] الإسلام بنوره على مكة كان عثمان من السابقين الى الاستضاءة بمشكاته[7] .

ولإسلام عثمان بن عفان قصة ما زال يرويها الرواة .

ذلك أنه حين بلغه في الجاهلية أن محمداً بن عبد الله زوج ابنته رقية من ابن عمها عُتبة بن أبي لهب ، ندم أشد الندم لأنه لم يسبِقْ إليها ، ولم يحظَ بخلقها الرفيع وبيتها العريق[8] فدخل على أهله مهموماً ، فوجد عندهم خالته سُعدى بنت كُريز وكانت هذه امرأة حازمة ، عاقلة ، طاعنة[9] في السن ، فسرَّتْ[10] عنه ، وبشرته بظهور نبي يبطل عبادة الأوثان[11] ويدعو الى عبادة الواحد الديان[12] ، ورغتبه في دين ذلك النبي ، وبشرته بأنه سينال عنده ما يبتغيه .

1- الذروة : المقام الرفيع في قومه .
2- عريض الجاه : ذو قدر عظيم .
3- وافر الثراء : كثير المال .
4- سابغ النعمة : تام النعمة كاملها .
5- جَمٌّ : كثير التواضع .
6- أهلَّ : ابتداء كما يبدأ الشهر بظهور الهلال .
7- المشكاة : ما يوضع عليه المصباح .
8- بيتها العريق : أي كريمة الآباء والأجداد .
9- طاعنة في السن : متقدمة في السن .
10- سرت عنه : كشفت الهم عنه .
11- الأوثان : الأصنام .
12- الدَّيَّان : اسم من أسماء الله عز وجل ، وهو المحاسب المجازي .

قال عثمان : فانطلقت وأنا أفكر فيما قالته خالتي ، فلقيت أبا بكر ، وحدثته بما أخبرتني به ، فقال : والله لقد صدقت خالتك ، فيما أخبرتك ، وبشرتك بالخير يا عثمان ، وإنك لرجل عاقل حازم[1] ما يخفى عليك الحق ، ولا يشتبه عندك مع الباطل ، ثم قال لي : ما هذه الأصنام التي يعبدها قومنا ؟! أليست من حجارة صُمٍّ[2] لا تسمع ولا تبصر ؟

فقلت : بلى .

فقال : وإن ما قالته خالتك - يا عثمان - قد تحقق ، فلقد أرسل الله رسوله المرتقب[3] ، وبعثه الى الناس ، كافة بدين الهدى والحق .

فقلت : ومن هو ؟

فقال : إنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب .

فقلت : الصادق الأمين[4] ؟

فقال أبو بكر : نعم ، إنه هو .

فقلت : هل لك أن تصحبني إليه ؟

فقال : نعم ، ومضينا الى النبي عليه الصلاة والسلام .

فلما رآني قال : أجبْ يا عُثْمَانُ داعِيَ اللهِ ، فإني رسول الله إليكم خاصة ، والى خلق الله عامة .

قال عثمان : فوالله ما إن ملأتُ عيني منه ، وسمعتُ مقالته ، حتى استرحتُ له ، وصدقتُ رسالتهُ ، ثم شهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدهُ ورسولهُ .

لم يؤمن بالرسول عليه الصلاة والسلام أحدٌ من قومه بني هاشم حتى ذلك اليوم ، غير أنه لم يكن فيهم أحدٌ يناصبهُ[5] العداء غير عمه أبي لهب[6]

1- حازم : حكيم قاطع في الرأي صائب . 2- صُم : لا تسمع من يدعوها . 3- المُرتقب : المنتظر .

4- الصادق الأمين : لقب شُهِرَ به محمد ﷺ قبل أن يبعث .

5- يناصبه العداء : يعلن العداوة ضده .

6- أبو لهب : هو عبد العزى بن عبد المطلب مات على الكفر بعد غزوة بدر .

فقد كان هو وزوجته أم جميل من أشد قريش قسوة عليه ، وأعنفهم إيذاءً له وتنكيلاً[1] به ، فأنزل الله فيه وامرأته : { تبت[2] يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب * سيصلى ناراً ذات لهب * وامرأته حمالة الحطب * في جيدها حبل من مسد[3] }[4] ، فازداد أبو لهب ضغينة[5] على الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، واشتد حقده وحقد زوجته أم جميل عليه ، وعلى المسلمين معه ، فأمرا ابنهما عتبة بأن يطلق زوجته رقية بنت محمد عليه الصلاة والسلام فطلقها نكايةً[6] بأبيها .

ما كاد عثمان بن عفان رضوان الله عليه يسمع بخبر طلاق رقية حتى استطار[7] فرحاً ، وبادر فخطبها من رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فزوجها الرسول الكريم ﷺ منه وزفتها[8] أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ، وقد كان عثمان من أبهى قريش طلعة[9] ، وكانت هي تضاهيه قَسَامَةً[10] وصباحةً ، فكان يقال لها حين زفت إليه :

أحسن زوجين رآهما إنسان   رقية وزوجها عثمان

لم يسلم عثمان بن عفان - على الرغم من سابق فضله ، وسابغ[11] معروفه - من أذى قومه حين أسلم ، فلقد عز على عمه الحكم أن يصبأ[12] فتى بني عبد شمس عن دين قريش ، وكبر عليه ذلك ، فتصدى[13] له هو وأتباعه أعنف التصدي وأقساه ، وأخذه ، وشد عليه الوثاق[14] وقال : أَوَ ترغب عن ملةِ آبائك وأجدادك ، وتدخل في دين مُحدث[15] ؟! والله لا أدعك حتى تَنْبُذَ[16] ما أنت عليه .

1- تنكيلاً به : يجعله عظة لغيره .

2- تبَّتْ : هلكت وخسرت .

3- مَسَدٍ : القوي من الحبال .

4- سورة المسد .

5- الضغينة : الحقد والحسد وإضمار الكراهية في الصدور .

6- نكاية : إغاظة له وقهراً .

7- استطار فرحاً : كاد يطير من شدة الفرح .

8- زفتها : قدمتها الى زوجها .

9- الطلعة : ملامح الوجه .

10- تضاهيه قسامة : تشبهه في حسن تقاسيم الوجه وملامحه .

11- السابغ : الكثير .

12- يصبأ : يترك دينه الى دين آخر .

13- تصدى له : توجه له لمقاومته .

14- الوثاق : القيد والحبل .

15- دين محدث : دين جديد حديث .

16- تنبذ : تترك .

فقال عثمان : والله لا أدع ديني أبداً ، ولا أفارق نبيي ما امتدت بي الحياة ، فما زال عمه الحكم يُنكل به ، وما زال هو يشتد صلابةً في دينه ، واستمساكاً بعقيدته حتى يئس عمه منه ، وأطلق سراحه ، وكف عنه .

لكن قريشاً ظلت تضمر له العداوة ، وتلحق به الأذى ، حتى حملته[1] على الفرار بدينه ، ومفارقته نبيه عليه الصلاة والسلام .

فكان أول المسلمين هجرة الى الحبشة ، هو وزوجته رقية رضوان الله عليهما ، ولما أزف[2] رحيلهما ودعهما الرسول صلوات الله وسلامه عليه وهو يقول :

صحب الله عثمان وزوجته رقية .....

صحب الله عثمان وزوجته رقية .....

إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد نبي الله لوط .

لم يطل عثمان وزوجته المُكث[3] في الحبشة كما فعل غيرهما من المهاجرين ، فقد اشتد به وبرقية الشوق الى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه والحنين الى مكة ، فعاد إليها ، ولبثا[4] فيها الى أن أذن الله لنبيه ﷺ والمؤمنين بالهجرة الى المدينة ، فانطلقا مع المهاجرين .

شهد عثمان بن عفان مع الرسول عليه الصلاة والسلام مشاهده[5] كلها ، وحضر معه غزواتِه جميعها ، ولم يحرم من غزوة غير غزوة بدر ، فقد شغل عنها بتمريض[6] زوجته رقية رضوان الله عليها .

ولما عاد الرسول الكريم ﷺ من بدر ، وجد رقية قد لحقت بجوار ربها فحزن عليها أشد الحزن .

1- حملته على الفرار : دفعته على الهروب .

2- أزف : حان .

3- المكث : البقاء .

4- لبثا : استقرا .

5- مشاهده : غزواته وحروبه .

6- تمريض زوجته : رعايتها أثناء مرضها .

وواسى[1] عثمان بن عفان على مصابه بها أكرم المواساة ، فعده من أهل بدر ، وأسهم[2] له في غنيمتها ، وزوجه من ابنته الثانية أم كلثوم ، فدعاه الناس (ذا النورين) ، وكان زواجه الثاني من ابنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه منقبة[3] لم يظفر بها زوج سواه .

ولقد كان إسلام عثمان رضوان الله عليه من أعظم النعم التي أنعم الله بها على المسلمين ، وأجزل[4] الخير الذي أمد به الإسلام ، فما مس المسلمين ضرٌ إلا كان عثمان أول من واساهم[5] فيه ، ولا نزل بالإسلام خَطبٌ[6] إلا كان ابن عفان طليعةَ كاشفهِ[7] من ذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما عزم على غزوة تبوك[8] كانت حاجته الى المال ، لا تقل عن حاجته الى الرجال ، فجيش الروم كثير العدد ، وافر العُدَدِ وهو يقاتل على أرضه ، أما المسلمون فكانت رحلتهم طويلة ، ومئونتهم قليلة ، ورواحلهم[9] أقلَّ ، وكانوا يعانون من جدبٍ[10] قلما أصيبتْ جزيرة العرب بمثله ، فاضطر الرسول صلوات الله وسلامه عليه الى رد نفر كبير منهم عن الجهاد ، وحرمانهم من الاستشهاد ، لأنهم لا يملكون راحلة تحملهم فتولوا[11] وأعينهم تفيضُ من الدمع ، عند ذلك صعد الرسول عليه الصلاة والسلام المنبر ، وحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم طفق يحضُ[12] المسلمين على البذل ويُمَنِّيهِم[13] بعظيم الأجر .

فوقف عثمان بن عفان وقال : عليَّ مائة بعير بأحلاسها[14] وأقتابها[15] يا رسول الله

1- واسى : عزَّاه .

2- وأسهم له : جعل له نصيباً من غنائم بدر .

3- منقبة : فضيلة .

4- أجزل : أكثر .

5- واساهم : أعانهم وساعدهم .

6- الخَطْبُ : المصيبة .

7- طليعة كاشفيه : في أول من يكشف هذه المصيبة

8- غزوة تبوك : غزوة النبي ضد الروم ، وكانت تسمى عزوة العسرة .

9- الرواحل : الركائب التي يحتاج إليها المسافرون والراحلة واحدة الرواحل .

10- جدب : قلة الزرع ، وعدم المطر .

11- تولوا : عادوا من حيث جاءوا .

12- طَفِقَ يحض : أخذ يحث .

13- يُمنيَهمْ : يجعلهم يؤملون ويتمنون الأجر العظيم .

14- الأحلاس : كل ما يوضع على ظهر الدابة تحت الرحال والسروج .

15- الأقتاب : هي الرحل الذي يوضع على الدابة .

فنزل الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن المنبر درجة ، غير أنه وقف يحض الناس على البذل من جديد ، فنهض عثمان بن عفان ثانيةً وقال : علي مائة بعيرٍ أخرى بأحلاسها وأقتابها يا رسول الله ، فتهلل[1] وجه الرسول الكريم ﷺ سروراً ونزل عن المنبر درجة ، ثم ما لبث أن وقف وجعل يحض الناس على البذل كَرَةً[2] أخرى فنهض عثمان بن عفان ثالثةً وقال : علي مائة بعير أخرى بأحلاسها وأقتابها ، يا رسول الله ، عند ذلك أخذ الرسول عليه الصلاة والسلام يشير بيده الكريمة رضاً عما صنع عثمان بن عفان ، ويقول :

ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم .....

ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم .....

ثم إن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ما كاد ينزل عن منبره حتى انطلق عثمان بن عفان الى بيته ، وبعث إليه مع النوق ألف دينارٍ ذهباً ، فلما صبت الدنانير في حِجر الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، جعل يقلبها بيديه الطاهرتين ظهراً لبطن ، وبطناً لظهر[3] وهو يقول : غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما كان منك وما هو كائن الى أن تقوم الساعة .

وفي خلافة الفاروق رضوان عليه ، أصابت الناس سنةٌ مجدبة أهلكت الزرع والضرع[4] حتى دعي عامُهَا لشدة قحطه بعام الرمادة[5] ثم إن الكرب ما فتئ يشتد على الناس حتى بلغت الأرواح الحناجر[6] فاقبلوا ذات صباح على عمر وقالوا : يا خليفة رسول الله ، إن السماء لم تمطر ، وإن الأرض لم تُنبت ، وقد أشفى[7] الناس على الهلاك ، فما نصنع ؟!

فنظر إليهم عمر بوجه عصرهُ الهم عصراً وقال : اصبروا ، واحتسبوا[8] فإني أرجوا ألا تمسوا حتى يفرج الله عنكم .

1- تهلل : اسبشر فرحاً .   2- كرة أخرى : مرة أخرى .

3- ظهراً لبطن ، وبطناً لظهر : يعني على كل الوجوه .

4- الضرع كناية عن الماشية .

5- عام الرمادة : عام أجدبت فيه الأرض حتى صار لونها كالرمادة ، وجاع الناس ، فسمي عام الرمادة .

6- بلغت الأرواح الحناجر : كناية عن شدة الضيق .

7- اشفى الناس على الهلاك : قاربوا على الهلاك .   8- احتسب الشيء : نوى به خيراً .

فلما كان آخر النهار ، وردت أخبار بأن عيراً[1] لعثمان بن عفان جاءت من الشام ، وأنها ستصل المدينة عند الصباح ، فما إن قضيت صلاة الفجر حتى هب[2] الناس يستقبلون العير جماعة إثر جماعة ، وانطلق التجار يتلقونها ، فإذا هي ألف بعير قد وسقت[3] بُراً وزيتاً وزبيباً .

أناخت العير[4] بباب عثمان بن عفان رضوان الله عليه وطفق الغلمان ينزلون عنها أحمالها ، فدخل التجار على عثمان وقالوا : بِعنا ما وصل إليك يا أبا عمرو .

فقال : حباً وكرامة[5] ولكن كم تربحوني على شرائي ؟

فقالوا : نعطيك بالدرهم درهمين .

فقال : أعطيت أكثر من هذا ، فزادوا له .

فقال : أعطيت أكثر مما زدتموه لي ، فزادوا له .

فقال : أعطيت أكثر من هذا .

فقالوا : يا أبا عمرو ، ليس في المدينة تجار غيرنا وما سبقنا إليك أحد ، فمن الذي أعطاك أكثر مما أعطينا ؟!

فقال : إن الله أعطاني بكل درهم عشرة[6] فهل عندكم زيادة ؟

قالوا : لا يا أبا عمرو .

فقال : إني أشهد الله تعالى أني جعلت ما حملت هذه العير صدقة على فقراء المسلمين ، لا أبغي من أحداً درهماً ولا ديناراً ، وإنما أبتغي ثواب الله ورضاه .

1- العير : القافلة .

2- هب الناس : نهضوا وبادروا .

3- وسقت : حمِّلت

4- أناخت العير : بركت الجمال .

5- حباً وكرامة : قبلت قولكم بكل حب والتكريم .

6- أعطاني بكل درهم عشرة : أي ضاعف الله ربحي عشرات المرات .

ولما آلت[1] الخلافة الى عثمان بن عفان رضوان الله عليه ، فتح الله على يديه أرمينية والقوقاز ونصر المسلمين وسودهم على خراسان وكرمان وسجستان وقبرص[2] وطرف غير قليل من إفريقية ولقي الناس في عهده من الثراء[3] ما لم يحظ[4] به شعبٌ على ظهر الأرض .

حدث الحسن البصري[5] رضي الله عنه عما نعم به الناس في عهد ذي النورين من الرخاء وبُلْهْنية[6] العيش وما غمروا[7] به من الهناء والطمأنينة وقال : رأيت منادي عثمان بن عفان رضي الله عنه ينادي قائلاً أيها الناس اغدوا على أُعطياتكم[8] ، فكان الناس يغدون عليها ، ويأخذونها وافية ، أيها الناس أقبلوا على أرزاقكم[9] ، فكانوا يقبلون عليها ، فيعطونها غزيرة وفيرة[10] ، ولقد سمعته - والله أذناي وهو يقول اغدوا على كسوتكم ، فكانوا يأخذون الحُلل السابغة[11] ، وكان يقول : هلموا على السمن والعسل أيضاً .

حتى تألبت[12] عليه طائفة كبيرة من أوباش[13] الأمصار ، فحصروه في داره نحواً من الأربعين ليلة ، ومنعوا عنه الماء العذب ، وقد تناسى هؤلاء الظلمة الظغمة[14] أنه هو الذي اشترى بئر رومية[15] من ماله الخاص ، ليرتوي منه سكان المدينة المنورة ، ورُوَّادُها[16] ، ولم يكن لهم قبل ذلك ماءٌ عذبٌ يرتوون منه .

1- آلت الخلافة الى فلان : صارت إليه وتولاها .

2- قبرص : جزيرة في البحر المتوسط .

3- الثراء : الغني .

4- يحظ به : يفز به .

5- الحسن البصري { انظره في كتاب صور من حياة التابعين } للمؤلف .

6- بُلْهْنية العيش : الرفاهية والرخاء .

7- غُمِروا : فازوا به .

8- اغدوا على أعطياتكم : هلموا الى العطايا التي تستحقونها .

9- أرزاقكم : رواتبكم .

10- غزيرة وفيرة : كثيرة .

11- الحلل السابغة : الحلل الطويلة الواسعة .

12- تألبت عليه : اجتمعوا على عداوته .

13- الأوباش : مجموعة من قبائل شتى .

14- الطغمة : الفئة القليلة .

15- بئر رومية : بئر في المدينة اشتراها عثمان من أحد اليهود .

16- روادها : زائروها .

ولما اشتد على عثمان الكرب ، وتفاقم[1] عليه الشر نفر[2] الى حمايته نحو سبعمائة من الصحابة وأبنائهم ، فيهم عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن الزبير بن العوام ، والحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب ، وأبو هريرة ، وغيرهم ، وغيرهم ، لكن عثمان ذا النورين ، وصاحب الهجرتين ، وباذل المعروف ، آثرَ[3] أن يراق دمه على أن تراق دماء المسلمين دفاعاً عنه ، وفضل أن تزهق روحه[4] على أن يقتتل المسلمون دونه ، فعزم[5] على الذين نفروا الى حمايته أن يتركوه لقضاء الله ، وقال لهم : أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده .

وقال لأرقائه[6] : من أغمد منكم سيفه[7] ، فهو حر ، ولقد غفت عين[8] خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لحظات قبيل مصرعه فرأى النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، ومعه صاحباه أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب .

وسمع الرسول ﷺ يقول له : { أفطر عندنا الليلة يا عثمان } فأيقن[9] عثمان أنه لا حق بربه ، مقبل على لقاء نبيه ، أصبح عثمان رضوان الله عليه صائماً ، ودعا بسراويل طويلة فلبسها خشية أن تكشف عورته ، إذا قتله الأثمة[10] السفاحون ، وفي يوم الجمعة لثماني عشر ليلة خلت من ذي الحجة قُتل العبَّادُ الزهَّادُ ، الصوام القوامُ جَمّاع[11] القرآن الكريم ، صهر رسول الله فلحق بجوار ربه وهو ظمآن صائم ، وكتاب الله منشور[12] بين يديه .

1- تفاقم : اشتد وانتشر .

2- نفر : بادر بسرعة .

3- آثر : فضل .

4- تزهق روحه : يموت .

5- عزمَ عليهم : أقسم عليهم .

6- أرقائه : عبيده .

7- أغمد سيفه : وضع سيفه في غمده وترك القتال .

8- غفت عينه : نام نوماً خفيفاً .

9- أيقن : تأكد .

10- الأثمة : الآثمون .

11- جماع القرآن : جامع القرآن ، كتب في عهده المصحف الأول طبقاً للنسخة المجفوظة لدى حفصة بنت عمر ابن الخطاب والذي كان قد جمعه زيد بن ثابت بتكليف من أبي بكر الصديق ، وقد راعى في كتابته اختلاف القراءات حسماً للخلاف ، وكلف بذلك زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام .

12- منشور : مفتوح .

مصعب بن عمير

أَوّلُ سُفَرَاءِ الإِسلام

هذا رجل من أصحاب محمد ، ما أجمل أن نبدأ به الحديث ، غرة من فتيان قريش ، وأوفاهم بهاء ، وجمالاً ، وشباباً ، يصف لنا المؤرخون والرواة شبابه ، فيقولون كان أعطر أهل مكة وُلدَ في النعمة ، وغذي بها ، وشب تحت خمائلها ، ولعله لم يكن بين فتيان مكة من ظفر من تدليل أبويه كما ظفر به { مصعب ابن عمير } ، ذلك الفتى الريان المدلل المنعم ، حديث حِسان مكة ، ولؤلؤة ندواتها و مجالسها ، أيمكن أن يتحول الى أسطورة من أساطير الإيمان والفداء ؟

بالله ما أروعه من نبأ ، نبأ مصعب بن عمير أو مصعب الخير ، كما كان لقبه بين المسلمين إنه واحد من أولئك الذين صاغهم الإسلام ورباهم محمد عليه الصلاة والسلام ، ولكن أي واحد كان ؟

إن قصة حياته لشرف لبني الإنسان جميعاً ، لقد سمع الفتى ذات يوم ، ما بدأ أهل مكة يسمعونه عن محمد الأمين .

محمد الذي يقول إن الله أرسله بشيراً ونذيراً ، وداعياً الى عبادة الله الواحد الأحد .

وحين كانت مكة تمسي وتصبح ولا هم لها ، ولا حديث يشغلها إلا الرسول ﷺ ودينه ، كان فتى قريش المدلل أكثر الناس استماعاً لهذا الحديث ، ذلك أنه كان على الرغم من حداثة سنه ، زينة المجالس والندوات ، تحرص كل ندوة على أن يكون مصعب بين شهودها ، ذلك أن أناقة المظهر ورجاحة العقل كانتا من خصال ابن عمير التي تفتح له القلوب والأبواب .

ولقد سمع فيما سمع أن الرسول ومن آمن معه ، يجتمعون بعيداً عن فضول قريش وأذاها ، هناك على الصفا في دار الأرقم بن أبي الأرقم ، فلم يطل به التردد ، ولا التلبث والانتظار ، بل صحب نفسه ذات مساء الى دار الأرقم تسبقه أشواقه ورُؤاه ، هناك كان الرسول يلتقي بأصحابه فيتلو عليهم من القرآن ، ويصلي معهم لله العلي الكبير .

ولكن الرسول بسط يمينه المباركة الحانية حتى لامست الصدر المتوهج ، والفؤاد المتوثب ، فكانت السكينة العميقة عمق المحيط ، وفي لمح البصر كان الفتى الذي آمن وأسلم يبدو ومعه من الحكمة ما يفوق ضعف سنه وعمره ، ومعه من التصميم ما يغير سير الزمان .

كانت أم مصعب خناس بنت مالك تتمتع بقوة فذة في شخصيتها ، وكانت تهاب الى حد الرهبة ولم يكن مصعب حين أسلم ليحاذر أو يخاف على ظهر الأرض قوة سوى أمه ، فلو أن مكة بكل أصنامها وأشرافها وصحرائها ، استحالت هولاً يُقارعه ويصارعه ، لاستخف به مصعب الى حين ، أما خصومة أمه ، فهذا هو الذي لا يطاق !

ولقد فكر سريعاً ، وقرر أن يكتم إسلامه حتى يقضي الله أمراً ، وظل يتردد على دار الأرقم ، ويجلس الى رسول الله ﷺ ، وهو قرير العين بإيمانه ، وبتفاديه غضب أمه التي لا تعلم عن إسلامه خُبراً .

ولكن مكة ، وفي تلك الأيام بالذات ، لا يخفى فيها سر ، فعيون قريش وآذانها على كل طريق ووراء كل بصمة قدم فوق رمالها الناعمة اللاهبة الواشية .

ولقد أبصر به عثمان بن طلحة وهو يدخل خفية الى دار الأرقم ، ثم رآه مرة أخرى وهو يصلي كصلاة محمد ، فسابق ريح الصحراء وزوابعها ، شاخصاً الى أم مصعب ، حيث ألقى عليها النبأ الذي طار بصوابها .

ووقف مصعب أمام أمه ، وعشيرته ، وأشراف مكة المجتمعين حوله يتلو عليهم في يقين الحق وثباته ، القرآن الذي يغسل به الرسول قلوبهم ، ويملؤها به حكمة وشرفاً ، وعدلاً وتقى .

وهمت أمه أن تسكته بلطمة قاسية ، ولكن اليد التي امتدت كالسهم ، ما لبثت أن استرخت وترنحت أمام النور الذي زاد وسامة وجهه وبهاءه جلالاً يفرض الاحترام ، وهدوءاً يفرض الإقناع .

وهكذا مضت به الى ركن قصي من أركان دارها ، وحبسته فيه ، وأحكمت عليه إغلاقه ، وظل رهين محبسه ذاك ، حتى خرج بعض المؤمنين مهاجرين الى أرض الحبشة ، فاحتال لنفسه حين سمع النبأ ، وغافل أمه وحراسُه ، ومضى الى الحبشة مهاجراً أواباً .

ولسوف يمكث بالحبشة مع إخوانه المهاجرين ، ثم يعود معهم الى مكة ، ثم يهاجر الى الحبشة للمرة الثانية مع الأصحاب الذين يأمرهم الرسول بالهجرة فيطيعونه .

خرج يوماً على بعض المسلمين وهم جلوس حول رسول الله ، فما أن بصروا به حتى حنوا رؤوسهم وغضوا أبصارهم وذرفت بعض عيونهم دمعاً شجياً ، ذلك أنهم رأوه يرتدي جلباباً مرقعاً بالياً وعاودتهم صورته الأولى قبل إسلامه ، حين كانت ثيابه كزهور الحديقة نضرة ، وألقاً ، وعطراً ، وتملى رسول الله مشهده بنظرات حكيمة ، شاكرة ، مُحبة ، وتألقت على شفتيه ابتسامته الجليلة ، وقال :

لقد رأيت مصعباً هذا ، وما بمكة فتى أنعمَ عند أبويه منه ، لقد ترك ذلك كله حباً لله ورسوله **!!**

لقد منعته أمه حين يئست من رِدَّته كل ما كانت تفيض عليه من نعمة وأبت أن يأكل طعامها إنسان هجر الآلهة وحاقت به لعنتها ، حتى لو يكون هذا الإنسان ابنها **!!**

وآنئذ ، اختاره الرسول لأعظم مهمة في حينها : أن يكون سفيره الى المدينة ، يفقه الأنصار الذين آمنوا وبايعوا الرسول عند العقبة ، ويُدخل غيرهم في دين الله ، ويعدُّ المدينة ليوم الهجرة العظيم .

كان في أصحاب الرسول يومئذٍ من هم أكبر منه سناً وأكثر جاهاً ، وأقرب من الرسول قرابة ولكن الرسول اختار مصعب الخير ، وهو يعلم أنه يكل إليه بأخطر قضايا الساعة ، ويلقي بين يديه بمصير الإسلام في المدينة التي ستكون دار الهجرة ، ومنطلق الدعوة والدعاة ، والمبشرين والغزاة ، بعد حين من الزمان قريب ، وحمل مصعب الأمانة مستعيناً بما أنعم الله عليه من عقل راجح وخلق كريم ، ولقد غزا أفئدة أهل المدينة بزهده وترفعه وإخلاصه ، فدخلوا في دين الله أفواجاً .

لقد جاءها يوم بعثه الرسول إليها وليس فيها سوى اثني عشر مسلماً هم الذين بايعوا النبي من قبلُ بيعة العقبة ، ولكنه لم يكد يتم بينهم بضعة أشهر حتى استجابوا لله وللرسول **!!**

وفي موسم الحج التالي لبيعة العقبة ، كان مسلمو المدينة يرسلون الى مكة للقاء الرسول وفوداً يمثلهم وينوب عنهم ، وكان عدد أعضائه سبعين مؤمناً ومؤمنة جاؤوا تحت قيادة معلمهم ومبعوث نبيهم إليهم { مصعب بن عمير } ، لقد أثبت مصعب بكياسته وحسن بلائه أن رسول الله ﷺ عرف كيف يختار .

ولقد تعرض لبعض المواقف التي كان يمكن أن تودي به وبمن معه ، لولا فِطنة عقله وعظمة روحه ، وذات يوم فاجأه وهو يعظ الناس { أسيد بن حُضير } متوشحاً غضبه المتلظي ، وثورته المتحفزة ، حتى وَجِلوا لكن مصعب الخير ظل ثابتاً ، وديعاً ، متهللاً .

وقف أسيد أمامه مهتاجاً ، وقال يخاطبه هو وأسعد بن زارة : ما جاء بكما الى حيِّنا ، تُسفِّهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا ، إذا كنتما لا تريدان الخروج من الحياة ، فقال :

أولا تجلس فتستمع ؟! فإن رضيتَ أمرنا قَبِلتهُ ، وإن كرهته كفَفنَا عنك ما تكره .

كان أسيد رجلاً أريباً عاقلاً ، وها هو ذا يرى مصعباً يحتكم معه الى ضميره ، فيدعوه الى أن يسمع لا غير ، فإن اقتنع ، تركه لاقتناعه ، وإن لم يقتنع ترك مصعب حيهم وعشيرتهم ، وتحول الى حي آخر وعشيرة أخرى غير ضارّ ولا مُضَارّ .

هنالك أجابه أسيد قائلاً : أنصفت ، وألقى حربته الى الأرض وجلس يُصغي ولم يكد مصعب يقرأ القرآن ، ويفسر الدعوة التي جاء بها محمد بن عبد الله ﷺ ، حتى أخذت أسارير أسيد تبرق وتشرق ، ولم يكد مصعب يفرغ من حديثه حتى هتف به أسيد بن حضير وبمن معه قائلاً : ما أحسن هذا القول وأصدقه كيف يصنع من يريد أن يدخل في هذا الدين ؟؟

وأجابوه بتهليلة رجّت الأرض رجاً ، ثم قال له مصعب : يطهر ثوبه وبدنه ، ويشهد ألا إله إلا الله .

فغاب أسيد عنهم غير قليل ثم عاد يقطر الماء الطهور من شعر رأسه ، ووقف يعلن أنه يشهد ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .

وسرى الخبر كالضوء ، وجاء سعد بن معاذ فاصغى لمصعب واقتنع وأسلم ، ثم تلاه سعد بن عبادة وتمت بإسلامهم النعمة ، وأقبل أهل المدينة بعضهم على بعض يتساءلون : إذا كان أسيد بن حضير ، وسعد بن معاذ ، وسعد ابن عبادة قد أسلموا ، ففيم تخلفنا ؟ هيا بنا الى مصعب ، لنؤمن معه ، فإنهم يتحدثون أن الحق يخرج من بين ثناياه !!

لقد نجح أول سفراء الرسول ﷺ نجاحاً منقطع النظير نجاحاً هو له أهل وبه جدير ، وتمضي الأيام والأعوام ، ويهاجر الرسول وصحبه الى المدينة ، وتتلمظ قريش بأحقادها ، وتعد عدة باطلها ، لتواصل مطاردتها الظالمة لعباد الله الصالحين ، وتقوم غزوة بدر فيتلقون فيها درساً يفقدهم بقية صوابهم ويسعون الى الثأر ، وتجيء غزوة أحد ويعبئ المسلمون أنفسهم ، ويقف الرسول ﷺ وسط صفوفهم يتفرس الوجوه المؤمنة ليختار من بينها من يحمل الراية ، ويدعوا مصعب الخير فيتقدم ويحمل اللواء .

وَتَشِبُّ المعركة الرهيبة ، ويحتدم القتال ، ويخالف الرماة أمر الرسول عليه السلام ، ويغادرون مواقعهم في أعلى الجبل بعد أن رآوا المشركين ينسحبون منهزمين ، لكن عملهم هذا ، سرعان ما يحوِّل نصر المسلمين الى هزيمة ، ويفاجأُ المسلمون بفرسان قريش تغشاهم من أعلى الجبل

وتُعمل فيهم على حين غرة ، السيوف الظامئة المجنونة ، وحين رأوا الفوضى والذعر يمزقان صفوف المسلمين ، ركزوا على رسول الله ﷺ لينالوه ، وأدرك مصعب بن عمير الخطر الغادر ، فرفع اللواء عالياً ، وأطلق تكبيرة كالزئير ، ومضى يصول ويجول ويتواثب ، وكل همه أن يلفت نظر الأعداء إليه ويشغلهم عن رسول الله ﷺ بنفسه ، وجرد من ذاته جيشاً بأسره ، أجل ذهب مصعب يقاتل وحده كأنه جيش لَجِبٌ غزير ، يد تحمل الراية في تقديس ، ويد تضرب بالسيف في عنفوان ، ولكن الأعداء يتكاثرون عليه ، يريدون أن يعبروا فوق جثته الى حيث يلقون الرسول ، ولندع شاهد عيان يصف لنا مشهد الختام في حياة مصعب العظيم !!

يقول ابن سعد : أخبرنا إبراهيم بن محمد بن شرحبيل العبدري ، عن أبيه قال : حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أحد ، فلما جالَ المسلمون ثبت بهِ مصعب ، فأقبل ابن قميئة وهو فارس ، فضربه على يده اليمنى فقطعها ، ومصعب يقول : وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه ، فضرب يده اليسرى فقطعها ، فحنا على اللواء وضمَّه بعضديه الى صدره وهو يقول : وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل ، ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه واندق الرُّمح ، ووقع مصعب وسقط اللواء .

وجاء الرسول وأصحابه يتفقدون أرض المعركة ويودعون شهداءها ، وعند جثمان مصعب ، سالت دموع وفية غزيرة ، فلم يوجد له شيء يكفن فيه إلا نَمِرَة فكنا إذا وضعناها على رأسه تَعَرَّتْ رجلاه ، وإذا وضعناها على رجليه برزت رأسه ، فقال لنا رسول الله ﷺ اجعلوها مما يلي رأسهُ ، واجعلوا على رجليه من نبات الإذْخر .

حمزة بن عبد المطلب

أَسَدُ اللّه ، وَسَيّد الشُّهَدَاء

كانت مكة تغط في نومها ، بعد يوم ملء بالسعي ، وبالكد ، وبالعبادة ، وباللهو ، والقرشيون يتقلبون في مضاجعهم هاجعين ، غير واحد هناك يَتَجَافَى عن المضجع جَنْبَاه ، يأوي الى فراشه مبكراً ، ويستريح ساعات قليلة ، ثم ينهض في شوق عظيم ، لأنه مع الله على موعد ، فيعمد الى مصلاه في حجرته ، ويظل يناجي ربه ويدعوه ، وكلما استيقظت زوجته على أزير صدره الضارع وابتهالاته الحارة المُلِحَّة ، وأخذتها الشفقة عليه ، ودعته أن يرفق بنفسه ، ويأخذ حظه من النوم - يجيبها ودموع عينيه تُسابقُ كلماته : لقد انقضى عهدُ النومُ يا خديجة !

كان الذين آمنوا به يومئذ قليلين جداً وكان هناك من غير المؤمنين من يحمل له كل الحب والإجلال ، ويطوي جوانحه على شوق عظيم الى الإيمان به والسير في قافلته المباركة ، لا يمنعه سوى مُوضعات العرف والبيئة ، وضغوط التقاليد والوراثة ، والتردد بين نداء الغروب ونداء الشروق .

من هؤلاء كان حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة ، كان حمزة يعرف عظمة ابن أخيه وكماله ، وكان على بينة من حقيقة أمره وجوهر خصاله ، فهو لا يعرفه معرفة العم بابن أخيه فحسب ، بل يعرفه معرفة الأخ والصديق ، ذلك أن الرسول وحمزة من جيل واحد ، وسِنٍّ متقاربة معاً ، ولعبا معاً ، وتآخيا معاً ، وسارا معاً على الدرب من أوله خطوة خطوة ، ولئن كان شباب كل منهما قد مضى في طريق فأخذ حمزة يُزاحم أنداده في نيل طيبات الحياة ، وإفساح مكان لنفسه بين زعماء مكة وسادات قريش ، بينما عكف { محمد } على أضواء روحه التي انطلقت تُنير له طريق الله وعلى حديث قلبه الذي نأى به من ضوضاء الحياة الى التأمّل العميق ، والى التهيُّؤ لمصافحة الحق وتلقيه .

في صبيحة ذلك اليوم خرج حمزة كعادته ، وعند الكعبة وجد نفراً من أشراف قريش وسادتها فجلس معهم ، يستمع لما يقولون ، كانوا يتحدثون عن محمد ، ولأول مرة رآهم حمزة يستحوذ عليهم القلق من دعوة ابن أخيه وتظهر في أحاديثهم عنه نبرة الحقد والغيظ ، والمرارة .

لقد كانوا من قبل لا يبالون ، أو هُم يتظاهرون بعدم المبالاة والاكتراث ، أما اليوم ، فوجوههم تموج موجاً بالقلق والهم ، والرغبة في الافتراس .

وضحك حمزة من أحاديثهم طويلاً ورماهم بالمبالغة وسوء التقدير ، وعقّب أبو جهل مؤكداً لجلسائه أن حمزة أكثر الناس علماً بخطر ما يدعو إليه محمد ولكنه يريد أن يهون من الأمر حتى تنام قريش ، ثم تصبح يوماً وقد ساء صباحُها ، وظهر أمر ابن أخيه عليها .

ومَضَوْا في حديثهم يزمجرون ، ويتوعدون وحمزة يبتسم تارة ، ويمتعض تارة أخرى ، وحين انفضَّ الجمع وذهب كلٌّ الى سبيله ، كان حمزة مُثقَل الرأس بأفكار جديدة ، وخواطر جديدة ، راح يستقبل بها أمر ابن أخيه ويناقشه مع نفسه من جديد .

وجاء اليوم الموعود ، وخرج حمزة من داره ، متوشحاً قوسهُ ، مُيَمِّماً وجهه شطرَ الفلاة ليمارس هوايته المحببة ، ورياضته الأثيرة - الصيد - وكان صاحب مهارة فائقة فيه ، وقضى هناك بعض يومه ، ولما عاد من قنصه ذهب كعادته الى الكعبة ليطوف بها قبل أن يَقْفِل راجعاً الى داره ، وقريباً من الكعبة لَقيته خادم لعبد الله بن جُدْعان ، ولم تكد تبصره حتى قالت له :

يا أبا عُمَارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفاً من أبي الحكم بن هشام ، وجده هناك جالساً فآذاه وسَبَّه وبلغ منه ما يَكْرَه ، ومضت تشرح له ما صنع أبو جهل برسول الله ، واستمع حمزة جيداً لقولها ، ثم أطرق لحظة ، ثم مد يمينه الى قوسه فَثَبَّتَهَا فوق كتفه ثم انطلق في خُطىً سريعة حازمة صوب الكعبة راجياً أن يلتقي عندها بأبي جهل فإن هو لم يجده هناك فسيُتابعُ البحث عنه في كل مكان حتى يلاقيه ، ولكنه لا يكاد يبلغ الكعبة حتى يُبصر أبا جهل ثم استل قوسَهُ وهَوَى بها على رأس أبي جهل فَشَجَه وأدمَاه ، وقبل أن يُفيق الجالسون من الدهشة صاح حمزة في أبي جهل : أَتَشْتُم محمداً ، وأنا على دينه أقولُ ما يقول ؟! ألا فَرُدَّ ذلك عليَّ إن استطعت .

وفي لحظة نسي الجالسون جميعاً الإهانة التي نزلت بزعيمهم أبي جهل والدم الذي ينزفُ من رأسه وشغلتهم تلك الكلمة التي حاقَتْ بهم كالصاعقة الكلمة التي أعلن بها حمزة أنه على دين محمد يرى ما يراه ويقول ما يقوله ، أحمزةُ يُسْلِم ؟؟

أعَزُّ فِتيان قريش وأقواهم شكيمة ؟؟

إنها الطَّامَّة التي لم تملك قريش لها دفعاً ، فإسلام حمزة سيغْرِي كثيرين من الصَّفْوَةِ بالإسلام وسيجد محمد حوله من القوة والبأس ما يُعَزِّز دعوته ويشدُّ أزْرَه ، وتصحو قريش ذات يوم على هدير المعاول تُحطم أصنامها ، وآلهتها !!

أجل أسلم حمزة ، وأعلن على الملأ الأمر الذي كان يطوي عليه صدره ، وترك الجمعَ الذَّاهل يَجْتَرُّ خيبة أمله ، وأبا جهل يلعق دماءه النازفة من رأسه المشجوج ومدَّ حمزة يمينه مرة

أخرى الى قوسه فَثَبّتها فوق كتفه ، واستقبل الطريق الى داره في خطواته الثابته ، وبأسه الشديد ! كان حمزة يحمل عقلاً نافذاً ، وضميراً مستقيماً .

أعزَّ الله الإسلام بحمزة ووقف شامخاً قوياً يذود عن رسول الله ، وعن المستضعفين من أصحابه ورآه أبو جهل يقف في صفوف المسلمين ، فأدرك أنها الحرب لا محالة ، وراح يُحرض قريشاً على إنزال الأذى بالرسول وصحبه ، ومضى يُهّيئ لحرب أهليه يشفي عن طريقها مغايظه وأحقاده .

ومنذ أسلم حمزة نذَر كل عافيته ، وبأسه ، وحياته ، لله ولدينه حتى خلع النبي عليه هذا اللقب العظيم أسَدُ الله ، وأسَدُ رسوله ، وأول سرية خرج فيها المسلمون للقاء عدو ، كان أميرها حمزة ، وأول راية عقدها رسول الله ﷺ لأحد من المسلمين ، كانت لحمزة ، ويوم التَقى الجمعان في غزوة بدر ، كان أسَدُ الله وأسَدُ رسوله هناك يصنع الأعاجيب !!

وعادت فلول قريش من بدر الى مكة تتعثَّر في هزيمتها وخيبتها ورجع أبو سفيان مخلوع القلب ، مطأطئ الرأس ، وقد خلف على أرض المعركة جُثثَ سادة قريش ، من أمثال أبي جهل ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبي مُعَيط ، والأسود بن عبد الأسد المخزومي ، والوليد بن عتبة ، والنضر بن الحارث والعاص بن سعيد ، وطعمة بن عَدِي وعَشَرات مثلهم من رجال قريش وصناديدها .

وما كانت قريش لتتجرع هذه الهزيمة المنكرة في سلام ، فراحت تُعِدُّ عُدّتها وتحشد بأسها ويأسها ، لتثأر لنفسها ولشرفها ولقتلاها ، وصمَّمت قريش على الحرب وجاءت غزوة أُحُد حيث خرجت قريش على بَكرة أبيها ، ومعها حُلفاؤها من قبائل العرب ، بقيادة أبي سفيان مرة أخرى ، وكان زعماء قريش يَهدفون بمعركتهم الجديدة هذه الى رجلين اثنين الرسول عليه صلاة الله وسلامه ، وحمزة رضي الله عنه وأرضاه .

أجل والذي كان يسمع أحاديثهم ومؤامراتهم قبل الخروج للحرب ، يرى كيف كان حمزة بعد الرسول ، ببيت القصيد وهَدَفَ المعركة ، ولقد اختاروا قبل الخروج ، الرجل الذي وكلوا إليه أمر حمزة ، وهو عبدٌ حَبَشي ، كان ذا مهارة خارقة في قذف الحربة ، جعلوا كل دوره في المعركة أن يتصيد حمزة ويُصَوِّب إليه ضربةً قاتلة من رمحه ، وحذروه من أن ينشغل عن هذه الغاية بشيء آخر ، مهما يكن مصير المعركة واتجاه القتال .

ووعدوه بثمن غال وعظيم - هو حريته ، فقد كان الرجل واسمه { وَحْشِيّ } عبداً لجبير بن مُطْعَم ، وكان عم جُبَيْر قد لقي مصرعه يوم بَدر فقال له جُبَيْر : اخرج مع الناس ، وإن أنت قتلت حمزة فأنت عتيق !

ثم أحالوه الى هند بنت عُتبة زوجة أبي سفيان لتزيده تحريضاً ، ودفعاً الى الهدف الذي يريدون وكانت هند قد فقدت في معركة بدر أباها ، وعمها ، وأخاها ، وابنها ، وقيل لها إن حمزة هو الذي قتل بعض هؤلاء وأجهز على البعض الآخر .

ولقد وعدته إن هو نجح في قتل حمزة بأثمن ما تملكه المرأة من متاع وزينة فلقد أمسكت بأناملها الحاقدة قُرطها اللؤلؤي الثمين وقلائدها الذهبية التي تزدحم حول عنقها ، ثم قالت وعيناها تحدقان في وحْشِيّ ، كلُّ هذا لك ، إن قتلت حمزة !!!

وسال لعاب وحشي وطارت خواطره تواقة مشتاقة الى المعركة التي سيربح فيها حريته ، فلا يصير بعدُ عبداً أو رقيقاً ، والتي سيخرج منها بكل هذا الحلي الذي يزين عنق زعيمة نساء قريش ، وزوجة زعيمها ، وابنة سيدها !!

كانت المؤامرة إذن وكانت الحرب كلها تريد حمزة رضي الله عنه بشكل واضح وحاسم ، وجاءت غزوة أحد والتقى الجيشان ، وتوسط حمزة أرض الموت والقتال ، مرتدياً لباس الحرب ، وعلى صدره ريشة النعام التي تعود أن يزين بها صدره في القتال ، وراح يصول ويجول ، ولا يريد رأساً ، إلا قطعه بسيفه ، ومضى يضرب في المشركين ، وكأن المنايا طوع أمره ، يقذف بها من يشاء فتصيبه في صميمه !!

وصال المسلمون جميعاً حتى قاربوا النصر الحاسم وحتى أخذت فلول قريش تنسحب مذعورة هاربة ، ولولا أن ترك الرماة مكانهم فوق الجبل ، ونزلوا الى أرض المعركة ليجمعوا غنائم العدو المهزوم ، لولا تركهم مكانهم وفتحهم الثغرة الواسعة لفرسان قريش لكانت غزوة أحد مقبرة لقريش كلها : رجالها ونسائها ، بل وخيلها وإبلها !!

لقد دَهَم فرسانها المسلمين من ورائهم على حين غفلة ، وأعملوا فيهم سيوفهم الظامئة المجنونة ورأى حمزة ما حدث فضاعف قوته ونشاطه وبلاءه وأخذ يضرب عن يمينه وشماله ، وبين يديه ومن خلفه ووحشي هناك يرقبه ، ويتحين الفرصة الغادرة ليوجه نحوه ضربته ولندع وحشياً يصف لنا المشهد بكلماته :

وكنت رجلاً حبشياً ، أقذف بالحربة قذف الحبشة ، فقلما أخطئ بها شيئاً فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره حتى رأيته في عرض الناس مثل الجمل الأوْرَق يهدُّ الناس بسيفه هداً ، ما يقف أمامه شيء ، فوالله إني لأتهيأ له أريده وأستتر منه بشجرة لأتقحمَهُ أو ليدنو مني ، إذ تقدمني إليه سباعُ بن عبد العُزَّى فلما رآه حمزة صاح به : هلم إليَّ يا ابن مقطعة البظور ، ثم ضربه ضربة فما أخطأ رأسه ، عندئذ هَزَزتُ حربتي ، حتى إذا رضيت منها دفعتها فوقعت في ثُنَّتِه حتى خرجت من بين رجليه ، ونهض نحوي ، فغلب على أمره ثم

مات ، وأتيته فأخذت حربتي ، ثم رجعت الى المعسكر فقعدتُ فيه ، إذا لم يكن لي فيه حاجة فقد قتلته لأعتق ، فلما قدمت مكة أعْتِقْت ، ثم أقمت بها حتى دخلها رسول الله ﷺ يوم الفتح فهربت الى الطائف ، فلما خرج وفد الطائف الى رسول الله ﷺ ليُسلِم تَعَيَّتْ علي المذاهب وقلت ألْحق بالشام ، أو اليمن ، أو سواها فوالله إني لفي ذلك من همي إذ قال لي رجل : ويحَكَ إن رسول الله ، والله لا يقتل أحداً من الناس يدخل دينه .

فخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة فلم يرني إلا قائماً أمامه أشهد شهادة الحق ، فلما رآني قال : أوحشي أنت ؟

قلت : نعم يا رسول الله ، قال : فحدثني كيف قتلت حمزة ، فحدثته فلما فرغت من حديثي قال : ويحك غيب عني وجهك فكنت أتنكب طريق رسول الله ﷺ حيث كان ، لئلا يراني حتى قبضه الله إليه .

فلما خرج المسلمون الى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرجتُ معهم ، وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة فلما التقى الناس ، رأيت مسيلمة الكذاب قائماً ، في يده السيف ، فتهيأت له ، وهززت حربتي ، حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فيه فإن كنت قد قتلت بحربتي هذه خير الناس وهو حمزة فإني لأرجو أن يغفر الله لي إذ قتلت بها شرَّ الناس مسيلمة .

وفي لحظات الوداع هذه لم يجد الرسول صلى الله عيه وسلم تحية يودعه بها خيراً من أن يصلي عليه بعدد شهداء المعركة جميعاً .

ولقد ذهب أصحاب الرسول يتبارون في رثاء حمزة وتمجيد مناقبه العظمى وقال عبد الله بن رَوَاحَة :

بكت عيني وحقَّ لها بُكاها — وما يُغْني البكاء ولا العويل

على أسَدِ الإله غَداةَ قالوا — أحَمْزةُ ذاكم الرجُل القتيل

أصيبَ المسلمون به جميعاً — وهناك وقد أصيبَ به الرسول

أبا يَعْلى ، لك الأركان هُدَّت — وأنتَ الماجدُ البَرُّ الوصول

وقالت صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول ﷺ وأخت حمزة :

دعاهُ إليهُ الحقِّ ذو العرش دعوةً — الى جنة يحيا بها وسرور

فذلك ما كُنَّا نُرجِّي ونرتجي — لحمزةَ يومَ الحشرِ خيرَ مصير

فوالله لا أنْساك ما هَبَّتِ الصَّبا بكاءً وحزناً ، مَحْضري وَمَسِيري

على أسدِ الله الذي كان مِدْرَهاً يذودُ عن الإسلام كلّ كَفُور

أقولُ وقد أعْلَى النَّعِيُّ عشيرتي جزى الله خيراً من أخ ونَصِير

جعفر بن أبي طالب

أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي

انظروا جلال شبابه ، انظروا نضرة إهابه .....

انظروا أناته وحِلمه حدَبَه وبِرَّه تواضعه وتقاه .....

انظروا شجاعته التي لا تعرف الخوف ، وجوده الذي لا يخاف الفقر .....

انظروا طهره وعفته ، انظروا صدقه وأمانته .....

انظروا فيه كل رائعة فيه من روائع الحسن والفضيلة ، والعظمة ، ثم لا تعجبوا ، فأنتم أمام أشبه الناس بالرسول خلقاً وخلقاً .....

أنتم أمام من كناه الرسول بـ أبي المساكين ، أنتم تجاه من لقبه الرسول بـ ذي الجناحين .....

أنتم تِلقاء طائر الجنة الغِرِّيد جعفر بن أبي طالب ، عظيم من عظماء الرعيل الأول الذين أسهموا أعظم أسهام في صوغ ضمير الحياة !!

أقبل على الرسول ﷺ مسلماً ، آخذاً مكانه العالي بين المؤمنين المبكرين ، وأسلمت معه في نفس اليوم زوجته أسماء بنت عميس ، وحملا نصيبيهما من الأذى ، ومن الاضطهاد في شجاعة وغِبْطَة ، فلما اختار الرسول لأصحابه الهجرة الى الحبشة ، خرج جعفر وزوجته حيث لبثا بها سنين عدداً ، رُزقا خلالها بأولادهما الثلاثة محمد ، وعبد الله وعَوف ، وفي الحبشة كان جعفر بن أبي طالب المتحدث اللبق ، الموفق باسم الإسلام ورسوله ذلك أن الله أنعم عليه فيما أنعم بذكاء القلب ، وإشراق العقل ، وفطنة النفس ، وفصاحة اللسان ولئن كل يوم مُؤتة

الذي سيقاتل فيه فيما بعد حتى يستشهد أروع أيامه وأمجدها وأخلدها فإن يوم المحاورة التي أجراها أمام النجاشي بالحبشة ، لن يقل روعة ولا بهاء ، ولا مجداً ، لقد كان يوماً فذاً ، ومشهداً عجباً .

وذلك أن قريشاً لم يُهدئ من ثورتها ، ولم يذهب من غيظها ، ولم يطامن من أحقادها ، هجرة المسلمون الى الحبشة ، بل خَشِيَت أن يقوى هناك بأسهم ، ويتكاثر جمعهم ، قرر سادتها إرسال مبعوثين الى النجاشي يحملان هدايا قريش النفيسة ، ويحملان رجاءها في أن يخرج من بلاده هؤلاء الذين جاءوا إليها لائذين ومستجيرين ، وكان هذان المبعوثان : عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص ، وكانا لم يسلما بعد .

كان النجاشي الذي كان يجلس أيامئذٍ على عرش الحبشة ، رجلاً يحمل إيماناً مستنيراً ، وكان في قرارة نفسه يعتنق مسيحية صافية واعية ، بعيدة من الانحراف ، نائية عن التعصب والانغلاق ، وكان ذكره يسبقه ، وسيرته العادلة ، تنتشر عبيرها في كل مكان تبلغه من أجل هذا اختار الرسول ﷺ بلاده دار هجرة لأصحابه ومن أجل هذا ، خافت قريش ألا تبلغ لديه ما تريد فحمَّلت مَبْعُثيها هدايا ضخمة للأساقفة ، وكبار رجال الكنيسة هناك وأوصى زعماء قريش مبعوثيهم ألا يقابلا النجاشي حتى يعطيا الهدايا للبطارقة أولاً ، وحتى يُقْنِعاهُم بوجهة نظرهما ليكونوا لهما عوناً عند النجاشي ، وحط الرسولان رحالهما بالحبشة ، وقابلا بها الزعماء الروحانيين كافة ، ونثرا بين أيديهم الهدايا التي حملاها إليهم ، ثم أرسلا للنجاشي الهدايا .

وفي وقار مهيب ، وتواضع جليل ، جلس النجاشي على كرسيه العالي تحفُّ به الأساقفة ورجال الحاشية ، وجلس أمامه المسلمون المهاجرون ، تَغْشَاهُم سَكِينةُ الله ، وتُظِلهُمْ رَحمتهُ ، ووقف مبعوثا قريش يكّرران الاتهام الذي سبق أن ردَّداه أمام النجاشي حين أذن لهم بمقابلة خاصة قبل هذا الاجتماع الحاشد الكبير :

أيها الملك إنه قد ضَوَى إلى بلدك غلمان سُفَهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ، بل جاءوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بَعثنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم ، وأعمامهم ، وعشائرهم ، لتردَّهُم إليهم .

وولّى النجاشي وجهه شطر المسلمين ، ملقياً عليهم سؤاله :

ما هذا الدين الذي فارقْتُم فيه قومكم ، واستغنيتم به عن ديننا ، نهض جعفر في تؤدةٍ وجلال ، وألقى نظراتٍ مُحِبَّةٍ على الملك الذي أحسن جوارهم وقال :

يا أيها الملك ، كُنا قوماً أهل جاهلية : نعبد الصنام ، ونأكل المَيْتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونُسيءُ الجوار ، ويأكل القويُّ منا الضعيف حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه ، وصدقهُ ، وأمانته ، وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبدهُ ، ونخلع ما كُنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان .

وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحُسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المُحصنات ، فَصَدَّقْناه وآمنَّا به ، واتبعناه على ما جاء من ربه ، فعبدنا الله وحده ولم نشرِك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحلَلنا ما أحلَّ لنا ، فغدا علينا قومنا ، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ، ليردونا الى عبادة الأوثان ، والى ما كُنا عليه من الخبائث ، فلما قهرونا ، وظلمونا ، وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك ورغبنا في جوارك ، ورجونا ألا نُظلم عندك .

ألقى جعفر بهذه الكلمات المسفرة كضوء الفجر ، فملأت نفس النجاشي إحساساً وروعة والتفت الى جعفر وسأله :

هل معك مما أُنزل على رسولكم شيء ؟؟

قال جعفر : نعم .....

قال النجاشي : فاقرأهُ عليَّ .....
ومضى جعفر يتلو آيات من سورة مريم ، في أداء عَذب ، وخشوع آسر فبكى النجاشي ، وبكى معه أساقِفَتُهُ جميعاً ، ولما كَفكَفَ دموعه الهاطلة الغزيرة ، التفت الى مبعوثي قريش ، وقال : إن هذا والذي جاء به عيسى ، ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا فلا والله لا أسلمهُم إليكما !!!

وقد نصر الله عباده وآزرهم ، بينما رُزئ مندوبا قريش بهزيمة منكرة ، لكن عمرو بن العاص كان داهية واسع الحيلة ، لا يتجرَّع الهزيمة ، ولا يذعن لليأس ، وهكذا لم يكد يعود مع صاحبه الى نُزُلهما ، حتى ذهب يفكر ويُدبّر ، وقال لزميله :

والله لأرجعن للنجاشي غداً ، ولآتينَّه عنهم بما يَستَأْصِلُ خَضْرَاءَهم ، وأجابه صاحبه : لا تفعل فإن لهم أرحاماً ، وإن كانوا قد خالفونا قال عمرو : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد ، كبقية العِباد ، وفي الغداة أغَذّا السير الى مقابلة الملك ، وقال له عمرو : أيها الملك إنهم ليقولون في عيسى قولاً عظيماً .....

واضطرب الأساقفة .....

واهتاجتهم هذه العبارة القصيرة .....

ونادوا بدعوة المسلمين مرة أخرى لسؤالهم عن موقف دينهم المسيح ، وعلم المسلمون بالمؤامرة الجديدة ، فجلسوا يتشاورون ، ثم اتفقوا على أن يقولوا الحق الذي سمعوه من نبيهم عليه الصلاة والسلام ، لا يحيدون عنه قيد شعرة ، وليكن ما يكون !!

وانعقد الاجتماع من جديد ، وبدأ النجاشي الحديث سائلاً جعفر : { ماذا تقولون في عيسى } ؟؟

ونهض جعفر مرة أخرى كالمنار المضيء وقال: نقول فيه ما جاءنا به نبينا ﷺ : هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم ، وروحٌ منهُ ، فهتف النجاشي مصدقاً ومعلياً أن هذا هو ما قاله المسيحُ عن نفسه ، لكن صفوف الأساقفة ضَجَّت بما يشبه النكير .

ومضى النجاشيُّ المستنير المؤمن يتابع حديثه قائلاً للمسلمين : اذهبوا ، فأنتم آمنون بأرضي ، ومن سبَّكم أو آذاكم فعليه غُرْمُ ما يفعل .

ثم التفت صوب حاشيته ، وقال وسبَّابتُهُ تشيرُ الى مبعوثي قريش : ردُّوا عليهما هداياهما ، فلا حاجة لي بها ، فوالله ما أخذ الله مني الرَّشوة حين ردَّ عَليَّ مُلكي ، فآخذ الرَّشوة فيه .

وخرج المسلمون بزعامة جعفر ليستأنفوا حياتهم الآمنة في الحبشة ، لابثين فيها كما قالوا بخير دار مع خير جار ، حتى يأذن الله لهم بالعودة الى رسولهم وإخوانهم وديارهم ، كان رسول الله ﷺ يحتفل مع المسلمين بفتح خيبر حين طلع عليهم قادماً من الحبشة جعفر بن أبي طالب ، ومعه من كانوا لا يزالون بالحبشة من المهاجرين .

وأُفْعِمَ قلبُ الرسول عليه الصلاة والسلام بمقدمه غبطة ، وسعادة ، وبشراً وعانقه النبي صلى الله عليه والسلام وهو يقول :

لا أدري بأيَّهما أنا أُسَرُّ : بفتح خيبر ..... أم بقدوم جَعْفر

وقد امتلأت نفس جعفر روعة بما سمع من أنباء إخوانه المؤمنين الذين خاضوا مع النبي ﷺ غزوة بدر ، وأحد وغيرهما من المشاهد والمغازي ، وفاضت عيناه بالدمع على الذين صَدَقوا ما عاهدوا الله عليه ، وقضوا نحبهم شهداء أبراراً ، وطار فؤاده شوقاً الى الجنة ، وأخذ يتحين فرصة الشهادة ، ويترقب لحظتها المجيدة !!

وكانت غزوة مؤتة التي أسلفنا الحديث عنها ، تتحرك راياتها في الأفق مُتأهِّبة للزحف ، وللمسير ، ورأى جعفر في هذه الغزوة فرصة العمر ، فإمَّا أن يحقق فيها نصراً كبيراً لدين الله

وإما أن يظفر باستشهاد عظيم في سبيل الله ، وتقدم من رسول الله ﷺ يرجوه أن يجعل له في هذه الغزوة مكاناً .

كان جعفر يعلم علم اليقين أنها ليست نزهة بل ولا حرباً صغيرة ، إنما هي حرب لم يَخُضِ الإسلام مثلها من قَبْلُ ، حرب مع جيوش امبراطورية عريضة باذجة ، تملك من العتاد والأعداد ، والخبرة والأموال ملا قِبَلَ للعرب ولا للمسلمين به ، ومع هذا طار قلبه شوقاً إليها ، وكان ثالث ثلاثة جعلهم الرسول قواد الجيش وأمراءه ..... وخرج الجيش وخرج جعفر معه .

والتقى الجمعان في يوم رهيب .....

وبينما كان من حق جعفر أن تأخذه الرهبة عندما بَصُر بجيش الروم ينتظم مائتي ألف مُقاتل ، فإنه على العكس ، أخذته نَشَوة عارمة إذ أحسَّ في أَنَفَةِ المؤمن العزيز ، واعتداد البطل المقتدر أنه سيقاتل أكفاءً له وأنداداً !!

وما كادت الراية توشك على السقوط من يمين زيد بن حارثة ، حتى تلقاها جعفر باليمين ومضى يقاتل بها في إقدام خارق ، إقدام رجل لا يبحث عن النصر ، بل يبحث عن الشهادة ، وتكاثر عليه وحوله مقاتلة الروم ، ورأى فرسه تعوق حركته فاقتحم عنها فنزل وراح يُصَوب سيفه ويسدده الى نحور أعدائه كنقمة القدر ، ولمح واحداً من الأعداء يقترب من فرسه ليَعلو ظهرها ، فعز عليه أن يمتطي صهوتها هذا الرَّجس ، فبسط نحوها سيفه ، وعقرها !!

وانطلق وسط صفوف الروم المتكالبة عليه يُدَمْدِمُ كالإعصار ، وصوته يتعالى بهذا الرَّجَز المتوهج :

يا حَبَّذَا الجنةُ واقترابُها طَيِّبَةً ، وبارداً شرابُها

والروم رُومٌ ، قد دنا عذابها كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُها

عَلَيَّ إذْ لاَقَيْتُها ضِرابُها

وأدرك مقاتلو الروم مقدرة هذا الرجل الذي يقاتل ، وكأنه جيش لَجِب وأحاطوا به في إصرار مجنون على قتله ، وحوصر بهم حصاراً لا منفذ فيه لنجاة .

وضربوا بالسيوف يمينه ، وقبل أن تسقط الراية منها على الأرض تلقاها بشماله ، وضربوها هي الأخرى ، فاحتضن الراية بعَضُدَيْه ، في هذه اللحظة تركزت كل مسؤليته في ألاّ يدع راية رسول الله ﷺ تلامسُ التراب وهو حيّ .

وحين تكَّوَمَتْ جثته الطاهرة ، كانت سارية الراية مغروسة بين عَضُدَيْ جُثمانه ، ونادت خَفَقَاتُها عبد الله بن رواحة فشق الصفوف كالسهم نحوها وأخذها في قوة ، ومضى بها الى مصيرٍ عظيم !!

وهكذا صنع جعفر لنفسه موتة من أعظم موتات البشر !!

وهكذا لقي ربه الكبير المتعال ، مُضَمَّخاً بفدائيته ، مُدَّثِّراً ببطولته ، وأنبأ العليمُ الخبير رسوله بمصير المعركة وبمصير جعفر ، فاستودعه الله وبكى .

وقام الى بيت ابن عمه ، ودعا بأطفاله وبنيه ، فَتَشَمَّمهُم ، وَقَبَّلَهم ، وَذرِفَتْ عيناه ، ثم عاد الى مجلسه ، وأصحابه حافُّون به ، ووقف شاعر الإسلام { حسان بن ثابت } يرثي جعفراً ورفاقه

غَداةَ مَضَوْا بالمؤمنين يقودهم — الى الموتِ مَيمونُ النَّقيبة أزهَرُ

أعزّ كضوء البدر من آل هاشم — أبيٌّ إذا سِيمَ الظُّلامَةَ ، مِجْسَرُ

فطاعنَ حتى مالَ غير مُوَسدٍ — لمعترك فيه القنا يتكسَّرُ

فصار مع المستشهدين ثوابه — جنانٌ ومُلْتفُّ الحدائق أخضَرُ

وكُنا نرى في جعفر من محمدٍ — وفاءً وأمراً حازماً حين يأمرُ

فما زال في الإسلام من آل هاشم — دعائمُ عزِّ لا يَزُلْنَ ومفْخَرة

وينهض بعد حسان ، كعب بن مالك فيرسل شِعره الجزل :

وَجْداً على النَّفرِ الذين تتابعوا — يوماً بموتة أسْنِدُوا لم يُنقلوا

صلى الإله عليهمو من فتية — وسقى عظامَهم الغمامُ المُسْبِلُ

صَبَرُوا بمُؤتَةَ للإله نفوسَهم — حذرَ الرَّدي ، ومخافةً أن يَنْكُلوا

إذ يهتدون بجعفر ولواؤه — قُدَّام أَوَّلِهم ، فَنِعْم الأوَّلُ

حتى تفرَّجت الصفوف وجعفر — حيث الْتقى وعْث الصفوف مُجَدَّل

فتغير القمر المنير لِفقده — والشمس قد كَسَفَتْ وكادت تأفِل

وذهب المساكين جميعاً يبكون أباهم ، فقد كان جعفر رضي الله عنه أبا المساكين .....

يقول أبو هريرة : كان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب .

يقول عبد الله بن عمر : كنتُ مع جعفر في غزوة مُؤتة ، فالتمسناه ، فوجدناه وبه بضع وتسعون مابين طعنة ورَمْية !!

{ بضع وتسعون طعنة سيف ، ورمية رُمح } .

فاسمعوا قول الرسول ﷺ : لقد رأيته في الجنة له جناحان مُضرَّجان بالدماء مصْبوغ القوادم .

أبو عبيدة بن الجرّاح

أمينُ هَذِهِ الأُمّة

من هذا الذي أمسك الرسول بيمينه وقال عنه :

{ إن لكل أمة أميناً ، وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح } ؟؟

مَن هذا الذي أرسله النبي في غزوة ذات السّلاسل مدداً لعمرو بن العاص ، وجعله أميراً على جيش فيه أبو بكر ، وعمر ؟؟

من هذا الصحابي الذي كان أول من لُقِّب بـ أمير الأمراء ؟؟

من هذا الطويل القامة ، النحيف الجسم ، المعروق الوجه ، الخفيف اللحية ، الأثرم ، ساقط الثَنِيَّتَيْن ؟؟

أجل من هذا القوي الأمين الذي قال عنه عمر ابن الخطاب وهو يجود بأنفاسه : لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيّاً لاستخلفتُه فإن سألني ربي عنه ، قلت : استخلفت أمين الله ، وأمين رسوله ؟؟

إنه أبو عبيدة { عامر بن عبد الله بن الجرَّاح } ، أسلم على يد أبي بكر الصديق في الأيام الأولى للإسلام ، قبل أن يدخل الرسول ﷺ دار الأرقم ، وهاجر الى الحبشة في الهجرة الثانية ،

ثم عاد منها ليقف الى جوار رسوله في بدر ، وأحد ، وبقية المشاهد جميعها ، ثم ليواصل سيره القوي الأمين بعد وفاة الرسول ﷺ في صحبة خليفته أبي بكر ، ثم في صحبة أمير المؤمنين عمر ، نابذاً الدنيا وراء ظهره ، مستقبلاً تبعات دينه في زُهد ، وتقوى ، وصمود ، وأمانة .

عندما بايع أبو عبيدة رسول الله ﷺ على أن ينفق حياته في سبيل الله ، كان مدركاً تمام الإدراك ما تعنيه هذه الكلمات الثلاث - في سبيل الله - وكان على أتم استعداد لأن يُعطي هذا السبيل كل ما يتطلبه من بذل وتضحية ، ومنذ بسط يمينه مُبايعاً رسوله ، وهو لا يرى في نفسه ، وفي أيامه ، وفي حياته كلها سوى أمانة استودعه الله إياها لينفقها في سبيله وفي مرضاته ، فقال عليه الصلاة والسلام :

{ أمين هذه الأمة ، أبو عبيدة بن الجّراح }

وكلما تراءى لأبي عبيدة خطر يقترب من النبي ، انخلع من موقفه ، البعيد وقطع الأرض وثْباً حيث يدحض أعداء الله ويردُّهم على أعقابهم قبل أن ينالوا من الرسول منالاً !!

وفي إحدى جولاته تلك ، وقد بلغ القتال ذروة ضراوته أحاط بأبي عبيدة طائفةٌ من المقاتلين ، وكانت عيناه كعادتها تُحدقان كعيني الصقر في موقع رسول الله ﷺ ، وكاد أبو عبيدة يفقد صوابه إذ رأى سهماً ينطلق من يد مشركة فيصيب النبي ، وعمِل سيفه في الذين يحيطون به وكأنه مائة سيف ، حتى فرَّقهم عنه ، وطار صَوْبَ الرسول ، فرأى دمه الزكي يسيل على وجهه ، ورأى الرسول الأمين يمسح الدم بيمينه وهو يقول :

{ كيف يُفلح قوم خَضَبُوا وجه نبيهم ، وهو يدعوهم الى ربهم } ...؟؟

ورأى حلقتين من حلَق المغفر الذي يضعه الرسول فوق رأسه قد دخلَتاَ في وجنتي النبي ، فلم يُطيق صبراً ، واقترب يقبض بثناياه على حلقة منهما حتى نزعها من وجنة الرسول ، فسقط ثَنِيَّته ، ثم نزع الحلقة الأخرى ، فسقطت ثنيته الثانية ، وما أجمل أن نترك الحديث لأبي بكر الصديق يصف لنا هذا المشهد بكلماته .....

لما كان يوم أحد ، ورومي رسول الله ﷺ حتى دخلت في وجنتيه حلقتان من المغفر ، أقبلت أسعى الى رسول الله ﷺ ، وإنسان قد أقبل من المشرق يطير طيراناً ، فقلت : اللهم اجعله طاعة ، حتى إذا توافينا الى رسول الله ﷺ ، إذا هو أبو عبيدة بن الجراح قد سبقني فقال : أسألك بالله يا أبا بكر أن تتركني فأنزعها من وجه رسول الله ﷺ ، فتركته ، فأخذ أبو عبيدة بثَنِيَّته إحدى حَلقتي المغفر ، فنزعها وسقط على الأرض وسقطت ثنيته معه ، ثم أخذ الحلقة الأخرى بثنيته

الأخرى فسقطت ، فكان أبو عبيدة في الناس أثرم . !!!

لقد أحب الرسول عليه السلام أمين الأمة أبا عبيدة وآثره كثيراً ، ويوم جاءه وفد نجران من اليمن مُسلمين ، وسألوه أن يبعث معهم مَنْ يعلمهم القرآن والسنة والإسلام ، قال لهم الرسول :

{ لأَبْعَثَنَّ معكم رجلاً أميناً ، حَقَّ أمين ، حَقَّ أمين ، حَقَّ أمين } !!

وسمع الصحابة هذا الثناء من رسول الله ﷺ ، فتمنى كل منهم لو يكون هو الذي يقع عليه اختيار الرسول ، فتصير هذه الشهادة الصادقة من حظه ونصيبه .

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه { ما أحببتُ الإمارة قط ، حُبيَّ إياها يومئذ ، رجاء أن أكون صاحبها ، فرُحتُ الى الظهر مُهَجراً ، فلما صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر ، سلم ، ثم نظر عن يمينه ، وعن يساره ، فجعلت أتطاوَلُ له ليراني ، فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح ، فدعاه فقال : اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه ، فذهب بها أبو عبيدة . !!!

{ وتوفي على أرض الأردن بمرض الطاعون رضي الله عنه وأرضاه }

الزبير بن العوام

حَوَارِيُ رَسُولِ الله

لا يجيء ذكر طلحة إلا ويذكر الزبير معه .....

ولا يجيء ذكر الزبير إلا ويذكر طلحة معه .....

فحين كان الرسول عليه الصلاة والسلام يُؤَاخي بين أصحابه في مكة قبل الهجرة ، آخى بين طلحة والزبير ، وطالما كان عليه السلام يتحدث عنهما معاً مثل قوله :

{ طلحة والزبير ، جَارَايَ في الجنة }

وكلاهما يجتمع مع الرسول في القرابة والنسب .

أما طلحة ، فيجتمع نسبه مع الرسول في مُرة بن كعب .

وأما الزبير ، فيلتقي نسبه مع الرسول في قُصَيّ بن كلاب ، كما أن أمه صفية عمة رسول الله

وكل منهما طلحة والزبير كان أكثر الناس شَبهاً بالآخر في مقادير الحياة ، فالتماثل بينهما كبير في النشأة ، في الثراء ، في السخاء ، في قوة الدين ، في روعة الشجاعة ، وكلاهما من المسلمين المبكرين بإسلامهم ، ومن العشرة الذين بشَّرهم الرسول بالجنة ، ومن أصحاب الشورى الستة الذين وكل عمر إليهم أمر اختيار الخليفة من بعده .

حتى مصيرهما كان كامل التماثل ..... بل كان مصيراً واحداً ... !!

ولقد أسلم الزبير كما قلنا إسلاماً مبكراً إذ كان واحداً من السبعة الأوائل الذين سارعوا الى الإسلام ، وأسهموا مع طليعته المباركة في دار الأرقم .

وكان عمره يومئذ خمس عشرة سنة ، وهكذا رزق الهُدى والنور والخير صبياً .

ولقد كان فارساً ومقداماً منذ صِباه ، حتى إن المؤرخين ليذكرون أن أول سيف شُهر في الإسلام كان سيف الزبير .

ففي الأيام الأولى للإسلام ، والمسلمون يومئذ قلة يستخْفُون في دار الأرقم سرت إشاعة ذات يوم أن الرسول قُتِلَ فما كان من الزبير إلا أن استلَّ سيفه وامتشقه ، وسار في شوارع مكة على حداثة سنه كالإعصار !!

ذهب أولاً ، يتبين الخبر ، معتزماً إن هو ألْفاه صحيحاً أن يُعمل سيفه في رقاب قريش كلها حتى يظفر بهم أو يظفروا به .

وفي أعلى مكة لقيه رسول الله ﷺ ، فسأله ماذا به ؟؟ فأنهى إليه الزبير النبأ فصلى عليه الرسول ، ودعا له بالخير ولسيفه بالغلَب .

وعلى الرغم من شرف الزبير في قومه فقد حمل من اضطهاد قريش وعذابها ، وكان الذي تولى تعذيبه عمه ، كان يلفُّه في حصير ، ويدخن عليه بالنار كي تزهق أنفاسه ، ويناديه وهو تحت وطأة العذاب : { اكفر برب محمد } أدرأ عنك هذا العذاب .

فيجيبه الزبير الذي لم يكن يومذاك أكثر من فتى ناشئ ، غض العظام يجيب عنه في تحدٍّ رهيب : لا ... والله لا أعود للكفر أبداً .

ويهاجر الزبير الى الحبشة ، الهجرتين الأولى والثانية ، ثم يعود ، ليشهد المشاهد كلها مع رسول الله ، لا تفقده غزوة ولا معركة ، وما أكثر الطعنات التي تلقاها جسده واحتفظ بها بعد اندمال جراحاتها أوسمة تحكي بطولة الزبير وأمجادَه ...!!

ولْنُصغ لواحد من أصحابه رأى تلك الأوسمة التي تزدحم على جسده ، يحدثنا عنها فيقول : صحبت الزبير بن العوام في بعض أسفاره ورأيت جسده ، فرأيته مُجَذَّعاً بالسيوف ، وإن في صدره لأمثال العيون الغائرة من الطعن والرمي .

فقلت له : والله لقد شهدت بجسمك ما لم أرَه بأحد قط .

فقال لي : أما والله ما منها جراحة إلا مع رسول الله وفي سبيل الله .

وفي غزوة أحد بعد أن انقلب جيش قريش راجعاً الى مكة ، ندبه الرسول هو وأبو بكر لتعقب جيش قريش ومطاردته حتى يروا أن المسلمين قوة فلا يفكروا في الرجوع الى المدينة واستئناف القتال .

وقاد أبو بكر والزبير سبعين من المسلمين ، وعلى الرغم من أنهم كانوا يتعقبون جيشاً منتصراً إلا أن اللباقة الحربية التي استخدمها الصديق و الزبير جعلت قريشاً تظن أنها أساءت تقدير خسائر المسلمين ، وجعلتها تحسب أن هذه الطليعة القوية التي أجاد الزبير مع الصديق إبراز

قوتها ، ما هي إلا مقدمة لجيش الرسول الذي يبدو أنه قادم ليشن مطاردة رهيبة فأغذّت قريش سيرها ، وأسرعت خطاها الى مكة . !!

ويوم اليرموك كان الزبير جيشاً وحده فحين رأى أكثر المقاتلين الذين كان على رأسهم يتقهقرون أمام جبال الروم الزاحفة ، صاح هو الله أكبر ، واخترق تلك الجبال الزاحفة وحده ، ضارباً بسيفه ، ثم قفل راجعاً وسط الصفوف الرهيبة ذاتها ، وسيفه يتوهج في يمينه لا يكبو ، ولا يخبو ! وكان رضي الله عنه شديد الولع بالشهادة ، عظيم الغرام بالموت في سبيل الله .

فلو كان يشاركه في القتال مائة ألف ، لرأيته يقاتل وكأنه وحده في المعركة ...

وكأن مسؤلية القتال والنصر تقع على كاهله وحده وكانت فضيلته كمقاتل ، تتمثل في الثبات ، وقوة الأعصاب .

وحين طال حصار { بني قريظة } دون أن يستسلموا أرسله الرسول ﷺ مع علي بن أبي طالب ، فوقف أمام الحصن المنيع يردد مع علي قوله :

{ والله لَنذُقنَ ما ذاقَ حمزة أو لنفتَحَنَ عليهم حصنهم }

ثم ألقيا نفسيهما وحيدين داخل الحصن ، وبقوة أعصاب مذهلة ، أحكما إنزال الرعب في أفئدة المتحصنين داخله وفتحا للمسلمين أبوابه .

ويوم حنين أبصر مالك بن عوف زعيم هوازن وقائد جيوش الشرك في تلك الغزوة ، أبصره بعد هزيمتهم في حنين واقفاً وسط فيلق من أصحابه وبقايا جيشه المنهزم ، فاقتحم حشدهم وحده وشتتَ شملهم وحده ، وأزاحهم عن المكمن الذي كانوا يتربصون فيه ببعض زعماء المسلمين ، العائدين من المعركة .

ولقد كان حظه من حب الرسول وتقديره عظيماً ، وكان الرسول عليه السلام يباهي به ويقول :

{ إن لكل نبي حوارياً ، وحواريَّي الزبير بن العوام }

ذلك أنه لم يكن ابن عمته فحسب ، ولا زوج أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين فحسب ، بل وكان ذلك الوفي القوي ، والشجاع الأبي ، والجواد السخي ، والبائع نفسه وماله لله رب العالمين :

ولقد أجاد حسان بن ثابت وصفه حين قال :

أقام على عهد النبي وهديه حَوارِيُّه والقول بالفعل يعدل

أقام على منهاجه وطريقه يُوالي وليَّ الحق ، والحقُّ أعدلُ

هو الفارس المشهور والبطل الذي يصول ، إذا ما كان يوم مُحجَّل

له من رسول الله قربة قريبةٌ ومن نصرة الإسلام مجد مؤَثَّل

فكم كربة ذبَّ الزبير بسيفه عن المصطفى ، والله يعطي ويجزل

كان رفيع الخصال ، عظيم الشمائل ، وكانت شجاعته وسخائه كفرسي رهان .

وفي يوم الجمل على النحو الذي ذكرنا في حديثنا السالف عن طلحة كانت نهاية الزبير ومصيره ، فبعد أن رأى الحق في نفض يديه من القتال ، تبعه نفرٌ من الذين كانوا يريدون للفتنة دوام الإشتعال ، وطعنه القاتل الغادر وهو بين يدي ربه يصلي ، وذهب القاتل الى الإمام علي يظن أنه يحمل إليه بشرى حين يسمعه نبأ عدوانه على الزبير ، وحين يضع بين يديه سيفه الذي استلبه منه ، بعد اقتراف جريمته .

لكن علياً صاح حين علم أن بالباب قاتل الزبير يستأذن ، صاح آمراً بطرده قائلاً :

{ بَشّر قاتل ابن صفيّة بالنار }

وحين أدخلوا عليه سيف الزبير ، قبله الإمام وأمعن في البكاء وهو يقول :

{ سَيْفٌ طالما واللهِ جلاَ به صاحِبُه الكرب عن رسول الله }

أهناك تحية نوجهها للزبير في ختام حديثنا عنه ، أجمل وأجزل من كلمات الإمام ... ؟

سلامٌ على الزبير في مماته بعد محياه ...

سلامٌ ، ثم سلامٌ على حواري رسول الله ...

عبد الرحمن بن عوف

ما يُبكيكَ يَا أَبَا مُحَمّد ؟ !

ذات يوم ، والمدينة ساكنة هادئة ، أخذ يقترب من مشارفها نقعٌ كثيف ، راح يتعالى ويتراكم حتى كاد يغطي الأفق ، ودفعت الريح هذه الأمواج من الغُبار الأصفر المتصاعد من رمال الصحراء الناعمة ، فاندفعت تقترب من أبواب المدينة ، وتهبُّ هبوباً قوياً على مسالكها وحسبها الناس عاصفة تكنس الرمال وتذروها ، ولكنهم سرعان ما سمعوا وراء ستار الغبار ضجة تنبئ عن قافلة كبيرة مديدة .

ولم يمض غير وقت وجيز ، حتى كانت سبعمائة راحلة موقرة الأحمال تزحم شوارع المدينة وترجها رجاً ، ونادى الناس بعضهم بعضاً ليروا مشهدها الحافل ، وليستبشروا ويفرحوا بما تحمله من خير ورزق .

وسألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وقد ترامت الى سماعها أصداء القافلة الزاحفة ، سألت ما هذا الذي يحدث في المدينة ؟؟

وأجيبت : إنها قافلة لعبد الرحمن بن عوف جاءت من الشام تحملُ تجارة له ، قالت أم المؤمنين قافلة تحدث كل هذه الرَّجَّة ؟!

أجل يا أم المؤمنين ، إنها سبعمائة راحلة !!

وهزت أم المؤمنين رأسها ، وأرسلت نظراتها الثاقبة بعيداً ، كأنها تبحث عن ذكرى مشهد رأته أو حديث سمعته ، ثم قالت : أما إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً .

عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حَبواً ؟

ولماذا لا يدخلها وثباً وهرولة مع السابقين من أصحاب الرسول .. ؟

ونقل بعض أصحابه مقالة عائشة إليه ، فتذكر أنه سمع من النبي ﷺ هذا الحديث أكثر من مرة ، وبأكثر من صيغة .

وقبل أن تُفَضَّ مغاليق الأحمال من تجارته ، حثَّ خُطاه الى بيت عائشة وقال لها : لقد ذكرتني بحديث لم أنْسَه .

ثم قال : أما إني أشهدك أنَّ هذه القافلة بأحمالها ، وأقتابها ، وأحلاسها ، في سبيل الله عز وجل ووزعت حُمُولة سبعمائة راحلة على أهل المدينة وما حولها في مهرجان برٍّ عظيم . !!

هذه الواقعة وحدها ، تمثل الصورة الكاملة لحياة صاحب رسول الله عبد الرحمن بن عوف .

فهو التاجر الناجح ، أكثر ما يكون النجاح وأوفاه .....

وهو الثريُّ ، أكثر ما يكون الثراء وَفْرَة وإفراطاً .....

وهو المؤمن الأريب ، الذي يأبى أن تذهب حظوظه من الدنيا بحظوظه من الدين ، ويرفض أن يتخلف به ثراؤه عن قافلة الإيمان ومثوبة الجنة ، فهو رضي الله عنه يجود بثروته في سخاء وعطاء وغبطة ضميره . !!

متى وكيف دخل هذا العظيم الإسلام ؟

لقد اسلم في وقت مبكر جداً .....

بل أسلم في الساعات الأولى للدعوة ، وقبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم ويتخذها مقراً لالْتِقائه بأصحابه المؤمنين ، فهو أحد الثمانية الذين سبقوا الى الإسلام .

عرضَ عليه أبو بكر الإسلام هو وعثمان بن عفان و الزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص ، فما غُمَّ عليهم الأمر ولا أبطأ بهم الشك ، بل سارعوا مع الصديق الى رسول الله يُبايعونه ويحملون لواءه .

ومنذ أسلم الى أن لقي ربه في الخامسة والسبعين من عمره ، وهو نموذج باهر للمؤمن العظيم مما جعل النبي ﷺ يضعه مع العشرة الذين بشَّرهم بالجنة .

وجعل عمر رضي الله عنه يضعه مع أصحاب الشورى الستة الذين جعل الخلافة فيهم من بعده قائلاً : لقد توفي رسول الله وهو عنهم راض .

وَفَوْرَ إسلام عبد الرحمن حَمَل حظه المناسب من اضطهاد قريش وتحدياتها .

وحين أمر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة هاجر ابن عوف ثم عاد الى مكة ، ثم هاجر الى الحبشة في الهجرة الثانية ثم هاجر الى المدينة ، وشهد بدراً وأحداً ، والمشاهد كلها .

وكان محظوظاً في التجارة الى حد أثار عجبه ودهشه فقال : لقد رأيتني ، لو رَفَعْتُ حجراً ، لوجدت تحته فضة وذهباً . !!

ولم تكن التجارة عند عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه شَرَهاً ولا احتكاراً ، بل لم تكن حرصاً على جمع المال وشَغَفاً بالثراء ، كلا .....

إنما كانت عملاً ، وواجباً يزيدهما النجاح قُرْباً من النفس ، ومزيداً من السعي .

وكان ابن عوف يحمل طبيعة جيَّاشة ، تجد راحتها في العمل الشريف حيث يكون ، فهو إذا لم يكن في المسجد يصلي ، ولا في الغزو يجاهد فهو في تجارته التي نَمَت نُمواً هائلاً ، حتى أخذت قوافله تَفِدُ على المدينة من مصر ، ومن الشام ، محملة بكل ما تحتاجه جزيرة العرب من كساء وطعام .

ويدلنا على طبيعته الجياشة هذه ، مسلكه غداة هجرة المسلمين الى المدينة ، لقد جرى نهجُ الرسول يومئذ على أن يُواخي بين كل اثنين من أصحابه ، أحدهما مهاجر من مكة والآخر أنْصاري من المدينة .

وكانت تتم هذه المؤاخاة على نسق يبهر الألباب ، فالأنصاري من أهل المدينة يقاسم أخاه المهاجر كل ما يملك ، حتى فراشه ، فإذا كان متزوجاً باثنتين ، طلق إحداهما ، ليزوجها أخوه ويومئذ آخى الرسول الكريم بين عبد الرحمن بن عوف ، وسعد ابن الربيع .

ولْنُصْغ للصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه يروي لنا ما حدث ، وقال سعد لعبد الرحمن : أخي ، أنا أكثر أهل المدينة مالاً فانظر شطر مالي فخذه !!

وتحتي امرأتان ، فانظر أيتهما أعجب لك حتى أُطَلِّقها ، وتتزوجها !

فقال له عبد الرحمن بن عوف : بارَك الله لك في أهلك ومالك ، دُلُّوني على السُّوق ، وخرج الى السوق ، فاشترى وباع وربح !!

وهكذا سارت حياته في المدينة ، على عهد الرسول ﷺ وبعد وفاته أداءُ كامل لحق الدين ، وعمل الدنيا ، وتجارة رابحة ناجحة ، لو رفع صاحبها على حَدِّ قوله حجراً من مكانه لوجد تحته ذهباً وفضة !!

ومما جعل تجارته ناجحة مباركة ، تَحرّيه للحلال ، ونَأْيُهُ الشديد عن الحرام ، بل عن الشُّبُهات

كذلك مما زادها نجاحاً وبركة أنها لم تكن لعبد الرحمن وحده ، بل كان لله فيها نصيب أوفى ، يَصِلُ به الى أهله ، وإخوانه ، ويجهز به جيوش الإسلام .

وإذا كانت التجارة والثروات ، إنما تحصى بأعداد رصيدها وأرباحها فإن ثروة عبد الرحمن بن عوف إنما تُعْرَف مقاديرها وأعدادها بما كان يُنْفق منها في سبيل الله رب العالمين !!

لقد سمع رسول الله يقول له يوماً يا ابن عوف إنك من الأغنياء ، وإنك ستدخُل الجنة حبواً فأقرِضِ الله يطلق لك قَدَمَيك .

ومنذ سمع هذا النُّصْحَ من رسول الله ، وهو يُقرض ربه قرضاً حَسَناً فيضاعفه الله له أضعافاً كثيرة .

باع في يوم أرضاً بأربعين ألف دينار ، ثم فَرَّقها جميعاً في أهله من بني زُهْرة ، وعلى أمهات المؤمنين ، وفقراء المسلمين .

وقدَّمَ يوماً لجيوش الإسلام خمسمائة فرس ، ويوماً آخر ألفاً وخمسمائة راحلة .

وعند موته ، أوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله ، وأوصى لكل من بقي مِمَّنْ شهدوا بدراً بأربعمائة دينار ، حتى إن عثمان بن عفان رضي الله عنه أخذ نصيبه من الوصية رغم ثرائه وقال : { إن مال عبد الرحمن حلالٌ صَفْوٌ ، وإن الطُّعْمة منه عافية وبركة } .

كان ابن عوف سيد ماله ولم يكن عبده ، وآية ذلك أنه لم يكن يشقى بجمعه ولا باكتنازه ، بل يجمعه هَوْناً ، ومن حلال ، ثم لا يَنْعَم به وحده ، بل يَنْعَم به معه أهله ورَحِمُه وإخوانه ومجتمعه كله ، ولقد بلغ من سَعَةِ عطائه وعَوْنه أنه كان يقال :

أهل المدينة جميعاً شركاء لابن عوف في ماله .

ثُلُثٌ يُقْرِضهم .....

وثُلثٌ يقضي عنهم ديونهم .....

وثلث يَصِلُهم ويُعْطِيهم ..... !!

ولم يكن ثراؤه هذا ليبعث الإرتياح لديه والغبطة في نفسه ، لو لم يُمكِّنه من مُناصرة دينه ، ومعاونة إخوانه .

أما بعد هذا ، فقد كان دائم الوجل من هذا الثراء .....

جيء له يوماً بطعام الإفطار ، وكان صائماً .....

فلما وقعت عليه عيناه فقد شهيته وبكى وقال : استُشهد مصعب بن عمير وهو خيرٌ مني ، فكُفِّن في بردة إن غطّت رأسه ، بدت رجلاه ، وإن غطّت رجلاه بدا رأسه .

واستشهد حمزة وهو خير مني ، فلم يوجد له ما يُكَفّن فيه إلا بردة .

ثم بُسِطَ لنا من الدنيا ما بُسط ، وأعطينا منها ما أعطينا ، وإني لأخشى أن نكون قد عُجِّلَت لنا حسناتنا !!

واجتمع يوماً بعض أصحابه على طعام عنده ، وما كاد الطعام يوضع أمامهم حتى بكى ، وسألوه : ما يبكيك يا أبا محمد ؟

قال : لقد مات رسول الله ﷺ ، وما شبع هو وأهل بيته من خبز الشعير ، ما أرانا أُخِّرْنَا لما هو خير لنا !!

كذلك لم يبتعث ثراؤه العريض ذرة واحدة من الصَّلف والكبر في نفسه ، حتى لقد قيل عنه : إنه لو رآه غريب لا يعرفه وهو جالس مع خَدمه ، ما استطاع أن يميزه من بينهم !!

لكن إذا كان هذا الغريب يعرف طَرَفاً من جهاد ابن عوف وبلائه ، فيعرفه مثلاً أنه أصيب يوم أحد بعشرين جراحة ، وإن إحدى هذه الإصابات تركت له عَرَجاً دائماً في إحدى ساقيه ، كما سقط يوم أحد بعض ثناياه ، فتركت هَتَماً واضحاً في نُطْقِه وحديثه .

عندئذٍ لا غير ، يستطيع هذا الغريب أن يعرف أن هذا الرجل الفارغ القامة ، المضيء الوجه ، الرقيق البَشرة ، الأعرج ، الأهَتَم من جرَّاء إصابته يومَ أحد ، هو عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وأرضاه .

لقد عودتنا طبائع البشر أن الثراء يُنادي السُّلْطَة ، أي أن الأثرياء يحبون دائماً أن يكون لهم نفوذ يحمي ثرائهم ويضاعفه ويشبع شهوة الصَّلَف والإستعلاء والأنانية التي يثيرها الثراء عادة فإذا رأينا عبد الرحمن بن عوف في ثرائه العريض هذا ، رأينا إنساناً عجباً يقهر طبائع البشر في هذا المجال ويتخطاها الى سُمُوٍّ فريد !

حدث ذلك عندما كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يجود بروحه الطاهرة ، ويختار ستة رجال من أصحاب رسول الله ﷺ ، ليختاروا من بينهم الخليفة الجديد ، كانت الأصابع تومئ نحو ابن عوف وتُشِير .

ولقد فاتحه بعض الصحابة فعلاً في أنه أحق الستة بالخلافة ، فقال : والله لأن تُؤْخذَ مُدْيَةٌ ، فتوضع في حَلْقي ، ثم يُنْفَذ بها الى الجانب الآخر أحَبُّ إليَّ من ذلك !!

وهكذا لم يكد الستة المختارون يعقدون اجتماعهم ليختاروا أحدهم خليفة بعد الفاروق عمر حتى أنبأ إخوانه الخمسة الآخرين أنه متنازل عن الحق الذي أضفاه عمر عليه حين جعله أحد الستة الذين يختار الخليفة منهم ، وأنَّ عليهم أن يُجْروا عملية الأختيار بينهم وحدهم - أي بين الخمسة الآخرين - وسرعان ما أحّله هذا الزهد في المنصب مكان الحَكم بين الخمسة الأجلاَّء فَرَضُوا أن يختار هو الخليفة من بينهم ، وقال له الإمام عليّ { لقد سمعت رسول الله ﷺ يصفُكَ بأنك أمين في أهل السماء وأمين في أهل الأرض ، واختار ابن عوف عثمان بن عفان للخلافة ، فأمضى الباقون اختياره .

هذه حقيقة رجل ثَريٍّ في الإسلام ، فهل رأيتم ما صنع الإسلام به حتى رفعه فوق الثراء بكل مغرياته ومُضِلاَّتِه ، وكيف صاغه في أحسن تقويم ؟؟

وها هو ذا في العام الثاني والثلاثين للهجرة ، يجود بأنفاسه ، وتريد أم المؤمنين عائشة أن تخصّه بشرف لم تختصّ به سواها ، فتعرض عليه وهو على فراش الموت أن يُدفن في حجرتها الى جوار الرسول ، وأبي بكر ، وعمر ، لكنه مسلم أحسن الإسلام تأديبه ، فيستحي أن يرفع نفسه الى هذا الجوار !!

ثم إنه على موعد سابق وعهد وثيق مع عثمان بن مظعون إذ تواثَقا ذات يوم : أيُّهما مات بعد الآخر ، يُدْفن الى جوار صاحبه .

وبينما كانت روحه تتهيأ لرحلتها الجديدة ، كانت عيناه تفيضان من الدمع ولسانه يتمتم ويقول : إني أخاف أن أُحْبَسَ عن أصحابي لكثرة ما كان لي من مال ، ولكن سكينة الله سُرعان ما تغشَّتْه ، فكَسَت وجهه غُلاَلَة رقيقة من الغبطة المشرقة المتهلّلة المطمئنة .

وأرهِفَت أذناه للسَّمْع كما لو كان هناك صوت عَذْبٌ يقترب منهما لعله آنئذ ، كان يسمع صدق قول الرسول ﷺ له منذ عهد بعيد : عبد الرحمن بن عوف في الجنة ، ولعله كان يسمع أيضاً وعد الله في كتابة :

{ الذينَ يُنفيقُون أموالهم في سبيل الله ، ثم لا يتبعون ما أنفقوا مَنًّا ولا أذىً ، لهم أجرهم عند ربهم ولا خَوْفٌ عليهم ولا هم يحزنون } .....

خالد بن الوليد

لا ينام ولا يَترُك أحداً ينام

إن أمرُه لعَجب !!

هذا الفاتِكُ بالمسلمين يومَ أحد ..... والفاتِكُ بأعداء الإسلام بَقية الأيام ..... !!

ألا فلنأت على قصته من البداية ولكن أية بداية ؟؟

إنه هو نفسه لا يكاد يعرف لحياته بَدءاً إلا ذلك اليوم الذي صافح فيه الرسول مُبايعاً .

ولو استطاع لَنحَّى عن عمره وحياته ، كل ما سبق ذلك اليوم من سنين ، وأيام .

فلنبدأ معه إذن من حيث يحب من تلك اللحظة الباهرة التي خشع فيها قلبه لله ، وتلقت روحه فيها لمسة من يمين الرحمن - وكلتا يديه يمين - فتفجرت شوقاً الى دينهِ، والى رسوله ، والى استشهاد عظيم في سبيل الحق ، ينضو عن كاهله أوزار مناصرته الباطل أيام الخاليات .

لقد خلا يوماً الى نفسه ، وأدار خواطره الرشيدة على الدين الجديد الذي تزداد راياته كل يوماً تألُقاً وارتفاعاً ، وتمنى على الله علام الغيوب أن يَمُدَّ إليه من الهُدى بسبب ، والتمعت في فؤاده الذكي بشائُر اليقين فقال :

والله لقد استقام المَتْمِمُ .....

وإن الرجل لرسول .....

فَحَتَّى متَى ..... ؟؟

أذهبُ واللهِ فَأُسْلم .....

ولنصغِ إليه رضي الله عنه يحدثنا عن مسيره المبارك الى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وعن رحلته من مكة الى المدينة ليأخذ مكانه في قافلة المؤمنين { وَودِدْتُ لو أجد من أصاحب فلقيت عثمان بن طلحة ، فذكرت له الذي أريد فأسرع الإجابة ، وخرجنا جميعاً فأدْلَجنا سَحَراً فلما كنا بالسهل إذا عمرو بن العاص ، فقال مرحباً بالقوم قلنا : وبك .....

قال : أين مسيركم ؟ فأخبرناه ، وأخبرنا أيضاً أنه يريد النبي ليسلم ، فاصطحبنا حتى قدمنا المدينة أول يوم من صفر سنة ثمان فلما اطَّلَعْتُ على رسول الله ﷺ سلمت عليه بالنبوة فردَّ عَليَّ السلام بوجه طلق ، فأسلمتُ وشهدت شهادة الحق .

فقال الرسول : قد كنت أرى لك عقلاً رجوتُ ألا يُسْلمك إلا الى خير .

وبايعت رسول الله وقلت : استغفِر لي كل ما أوضَعْتُ فيه من صَدٍّ عن سبيل الله .

فقال : إن الإسلام يَجِبُّ ما كان قبله .

قلت : يا رسول الله على ذلك .

فقال : اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه مِنْ صَدٍّ عن سبيلك .

وتقدم عمرو بن العاص ، وعثمان بن طلحة ، فأسلما وبايعا رسولَ الله .

أرأيتم قوله للرسول : استغفر لي كل ما أوضعتُ فيه من صَدٍّ عن سبيل الله ..... ؟؟

إن الذي يضع على هذه العبارة بصره ن وبصيرته ، سيهتدي الى فهم صحيح لتلك المواقف التي تشبه الألغاز في حياة سيف الله وبطل الإسلام .

وعندما نبلغ تلك المواقف في قصة حياته ستكون هذه العبارة دليلنا لفهمها وتفسيرها .

أما الآن فمع خالد الذي أسلم لِتَوِّه لنرى فارس قريش وصاحب أعنَّة الخيل فيها ، لنرى داهية العرب كافة في دنيا الكِّر والفِّر ، يعطي لآلهة آبائه وأمجاد قومه ظهره ، ويستقبل مع الرسول والمسلمين عالماً جديداً ، كتب الله له أن ينهض تحت راية محمد وكلمة التوحيد .

مع خالد ..... إذن ..... وقد أسلم ..... لنرى من أمره عجباً ..... !!

أتذكرون نبأ الثلاثة الشهداء أبطال معركة مؤتة ..... ؟؟

لقد كانوا : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة .....

لقد كانوا أبطال غزوة مُؤتة بأرض الشام ، تلك الغزوة التي حشد لها الروم مائتي ألف مقاتل ، والتي أبلى المسلمون فيها بلاء منقطع النظير .....

وتذكرون العبارة الجليلة الآسية التي نعى بها الرسول ﷺ قادة المعركة الثلاثة حين قال :

{ أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قُتل شهيداً ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً } .

كان لحديث رسول الله ﷺ هذا بقية ، ادَّخرناها لمكانها على هذه الصفحات هذه البقيَّة هي :

ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه

فمن كان هذا البطل ..... ؟؟

لقد كان خالد بن الوليد الذي سارع الى غزوة مؤتة جندياً عادياً تحت قيادة القواد الثلاثة الذين جعلهم الرسول على الجيش : زيد ، وجعفر ، وابن رواحة ، والذين استشهدوا بنفس الترتيب على أرض المعركة الضارية وبعد سقوط آخر القواد شهيداً ، سارع الى اللواء ثابت بن أقرم فحمله بيمينه ورفعه عالياً وسط الجيش المسلم حتى لا تُبعثر الفوضى صفوفه ، ولم يكد ثابت يحمل الراية حتى توجه بها مسرعاً الى خالد بن الوليد ، قائلاً له { خذ اللواء يا أبا سليمان } .

ولم يجد خالد من حقه وهو حديث العهد بالإسلام أن يقود قوماً فيهم الأنصار والمهاجرون الذين سبقوه بالإسلام .

أدب ، وتواضع ، وعرفان ، ومزايا ، هو لها أهلٌ وبها جدير ..... !!

هنالك قال مجيباً ثابت بن أقرم لا ..... لا آخُذ اللواء ، أنت أحق به لك سِنٌ وقد شهدت بدراً .

وأجابه ثابت : خُذه ، فأنت أدرى بالقتال مني ، ووالله ما أخذته إلا لك .

ثم نادى في المسلمين : أترضَوْنَ إمْرَةَ خالد ..... ؟

قالوا : نعم .

واعتلى العبقري جواده ، ودفع الراية بيمينه الى الأمام كأنما يقرع بها أبواب مغلقة آن لها أن تُفتح على طريق طويل لاَحِب سيقطعه البطل وَثْباً .. وُثباً ... في حياة الرسول وبعد مماته ، حتى تبلغ المقادير بعبقريته الخارقة أمراً كان مقدوراً .

وَلِيَ خالد إمرة الجيش ، بعد أن كان مصير المعركة قد تحدَّد فضحايا المسلمين كثيرون ، وجناحهم مَهيض ، وجيش الروم في كثرته الساحقة كاسح ، ظافر ، مُدَمْدِم .....

ولم يكن بوسع أية كفاية حربية أن تغير من المصير شيئاً فتجعل المغلوب غالباً ، والغالب مغلوب .

وكان العمل الوحيد الذي ينتظر عبقرياً لكي ينجزه ، هو وَقف الخسائر في جيش الإسلام ، والخروج ببقيته سالمة ، أي الإنسحاب الوقائي الذي يحول دون هلاك بقية القوة المقاتلة على أرض المعركة .

بَيْدَ أنَّ إنسحاباً كهذا كان من الإستحالة بمكان .....

ولكن ، إذا كان صحيحاً أنه لا مستحيل على القلب الشجاع فمن أشجع من خالد قلباً ، ومن أروع عبقريةً وأنفذ بصيرة ..... ؟؟ !

هُنالك تقدم سيف الله يرمق أرض القتال الواسعة بعينين كعيني الصقر ، ويدير الخُطط في بديهته بسرعة الضوء ، ويقسم جيشه والقتال دائر ، الى مجموعات ثم يكل الى كل مجموعة بمهامها ، وراح يستعمل فنَّه المعجز ودهاءه البليغ حتى فتح في صفوف جيش الروم ثغرة فسيحة واسعة ، خرج منها جيش المسلمين كله سليماً معافى ، وبعد أن نجا بسببٍ من عبقرية بطل الإسلام من كارثة ماحقة ما كان لها من زوال ..... !!

وفي هذه المعركة أنعم الرسول على خالد بهذا اللقب العظيم .

وتنكثُ قُريش عهدها مع رسول الله ﷺ ، فيتحرك المسلمون تحت قيادته لفتح مكة ، وعلى الجناح الأيمن من الجيش ، يجعل الرسول خالد بن الوليد أميراً .....

ويدخل خالد مكة ، واحداً من قادة الجيش المسلم ، والأمة المسلمة ، بعد أن شهدته سهولها وجبالها قائداً من قواد جيش الوثنية والشرك زمناً طويلاً وتخطر له ذكريات الطفولة ، حيث مراتعها الحلوة ، وذكريات الشباب ، حيث ملاهيه الصاخبة .

ثم تستجيشه ذكريات الأيام الطويلة التي ضاع فيها عمره قرباناً خاسراً لأصنام عاجزة كاسدة .

وقبل أن يعضَّ الندم فؤاده ينتفض تحت روعة المشهد وجلاله ......

مشهد النور الزاحف على مكة ، مشهد المستضعفين الذين لا تزال جسومهم تحمل آثار العذاب والهول ، يعودون الى البلد الذي أخرجوا منه بَغْياً وعَدْواً ، يعودون إليه على صهوات جيادهم الصاهلة ، وتحت رايات الإسلام الخافقة ، وقد تحول همسهم الذي كانوا يتناجَوْن به في دار الأرقم بالأمس الى تكبيرات صادعة رائعة ترجُّ مكة رجّاً ، وتهليلات باهرة ظافرة ، يبدو الكون معها ، وكأنه كله في عيد ..... !!

كيف تمت المعجزة ..... ؟؟

أيّ تفسير لهذا الذي حدث ..... ؟

لا شيء ..... لا شيء إلا هذه الآية التي يرددها الزاحفون الظافرون وسط تهليلاتهم وتكبيراتهم حين ينظر بعضهم الى بعض فرحين قائلين :

وَعْدَ الله ..... لا يُخلِفُ الله وَعْدَه ... !!

ويرفع خالد رأسه الى أعلى ، ويرمُق في إجلال وغبطة وحُبو رايات الإسلام تملأ الأُفق فيقول لنفسه ......

أجلْ ... إنه وعد الله ..... ولا يُخلف الله وعده ... !!

ثم يحني رأسه شاكراً نعمة ربه الذي هداه للإسلام وجعله في يوم الفتح العظيم هذا ، واحداً من الذين يحملون الإسلام الى مكة ، وليس من الذين سيحملهم الفتح على الإسلام .

ويظل خالد الى جانب رسول الله ، واضعاً كفايته المتفوقة في خدمة الدين الذي آمن به من كل يقينه ، ونذر كل حياته .

وبعد أن يلحق الرسول الكريم بالرفيق الأعلى ، ويحمل أبو بكر الصديق مسؤولية الخلافة وتَهُبُّ أعاصير الردة غادرة ما كرة ، مطوقةً الدين الجديد بزئيرها المُصمّ وانتفاضها المُدَمْدِم يضع أبو بكر عينه لأول وهلة على بطل الموقف ورجل الساعة أبي سليمان ، سيف الله خالد ابن الوليد ..... !

وصحيح أن أبا بكر لم يبدأ معارك المرتدين إلا بجيش قاده بنفسه ولكن ذلك لا يمنع أنه ادَّخر خالداً ليوم الفصل ، وأن خالداً في المعركة الفاصلة التي هي كانت أخطر معارك الردة جميعاً كان رجلها الفذ وبطلها الملهم .

عندما بدأت جموع المرتدين تتهيأ لإنجاز مؤامراتها الضخمة ، صمم الخليفة العظيم أبا بكر على أن يقود جيش المسلمين بنفسه ، ووقف زعماء الصحابة يبذلون محاولات يائسة لصده عن هذا العزم ، ولكنه ازداد تصميماً ، ولعله بهذا أراد أن يعطي القضية التي دعا الناس لخوض الحرب من أجلها أهمية وقداسة ، لا يؤكدها في رأيه إلا اشتراكه الفعلي في المعارك الضارية التي ستدور رحاها بين قُوى الإيمان ، وبين جيوش الردة والضلال ، وإلا قيادته المباشرة لبعض أو لكل القوات المسلمة .

ولقد كانت انتفاضات الردة بالغة الخطورة ، على الرغم من أنها بدأت وكأنها تمُّردٌ عارض .

لقد وجد فيها جميع الموتورين من الإسلام والمتربصين به فرصتهم النادرة ، سواء بين قبائل العرب أم على الحدود ، حيث يَجثُم سُلطان الروم والفرس ، هذا السلطان الذي بدأ يحسُّ خطر الإسلام الأكبر عليه ، فراح يدفع الفتنة في طريقه من وراء ستار ..... !!

ونشبت نيران الفتنة في قبائل : أسدَ وغطفان ، وعبس ، وطيء وذبيان ، ثم في قبائل : بني عامر ، وَهَوَازِن ، وسليم ، وبني تميم .

ولم تكد المناوشات تبدأ حتى استحالت الى جيوش جرَّارة قوامُها عشرات الألوف من المقاتلين واستجاب للمؤامرة الرهيبة أهل البحرين ، وعُمان ، والمهرة ، وواجه الإسلام أخطر محنة ، واشتعلت الأرض من حول المسلمين ناراً .....

ولكن ، كان هناك أبو بكر ... !!

عبَّأ أبو بكر المسلمين وقادهم الى حيث كانت قبائل بني عبس ، وبني مرة وذبيان قد خرجوا في جيش لَجِب .

ودار القتال ، وتطاوَلَ ، ثم كُتب للمسلمين نصر مُؤزَّرٌ وعظيم ...

ولم يكد الجيش المنتصر يستقر بالمدينة ، حتى ندبه الخليفة للمعركة التالية ...

وكانت أنباء المرتدين وتجمعاتهم تزداد كل ساعة خطورة ، وخرج أبو بكر على رأس هذا الجيش الثاني ، ولكن كبار الصحابة يفرغ صبرهم ، ويجمعون على بقاء الخليفة بالمدينة ويعترض الإمام عليّ طريق أبي بكر ويأخذ بزمام راحلته التي كان يركبها وهو ماض أمام جيشه الزاحف فيقول له :

الى أين ، يا خليفة رسول الله ..... ؟؟

إني أقول لك ما قاله رَسُول الله يوم أُحُد :

لُمّ سيفك يا أبا بكر ، ولا تَفجَعْنا بنفسك

وأمام إجماع مُصمم من المسلمين ، رضي الخليفة أن يبقى بالمدينة وقسَّم الجيش الى إحدى عشرة مجموعة رسم لكل مجموعة دورها ...

وعلى مجموعة ضخمة من تلك المجموعات كان خالد بن الوليد أميراً ...

ولما عقد الخليفة لكل أمير لواءه ، اتجه صوب خالد وقال يخاطبه :

سمعتُ رَسُولَ الله يقول : نِعم عبدُ الله ، وأخو العَشيرة ، خالد بن الوليد ، سَيفٌ مِنْ سُيوف الله ، سَلَّه الله على الكفار والمنافقين .....

ومضى خالد الى سبيله ينتقل بجيشه من معركة الى معركة ، ومن نصر الى نصر حتى كانت المعركة الفاصلة .....

فهناك باليمامة كان بنو حنيفة ومن انحاز إليهم من القبائل ، قد جيَّشوا أخطر جيوش الردة قاطبة ، يقوده مسيلمة الكذّاب .

وكانت بعض القوات المسلمة قد جربت حظها مع جيش مسيلمة ، فلم تبلغ منه منالاً ...

وجاء أمر الخليفة الى قائده المظفّر أن سرْ الى بني حنيفة ، وسار خالد ، ولم يكد مسيلمة يعلم أن ابن الوليد في الطريق إليه حتى أعاد تنظيم جيشه ، وجعل منه خطراً حقيقياً وخصماً رهيباً

والتقى الجيشان

وحين تُطالع في كتب السيرة والتاريخ سَيْرَ تلك المعركة الهائلة ، تأخذُك رهبة مُضْنية ، إذ تجد نفسك أمام معركة تشبه في ضراوتها وجبروتها معارك حروبنا الحديثة ، وإنْ تخلَّفت عنها في نوع السلاح وظروف القتال .

نزل خالد بجيشه على كَثِيب مُشْرِف على اليمامة ، وأقبل مسيلمة في خُيلائه وبغيه ، صفوف جيشه من الكثرة كأنها لا تُؤْذِن بانتهاء ..... !!

وسلم خالد الألوية والرايات لقادة جيشه ، والتحم الجيشان ، ودار قتال رهيب ، ثم رهيب وسقط شهداء المسلمين تباعاً كزهور حديقة طَوحت بها عاصفة عنيدة ..... !!

وأبصر خالد رجحان كفَّة الأعداء ، فاعتلى بجواده ربوة قريبة ، وألقى على المعركة نظرة سريعة ، ذكية وعميقة .

ومِنْ فَوْرِه أدرك نقاط الضعف في جيشه وأحصاها

رأى الشعور بالمسؤلية قد وَهَنَ تحت وقع المفاجأة التي دهمهم بها جيش مسيلمة ، فقرر في نفس اللحظة أن يشدَّ في أفئدة المسلمين جميعاً زناد المسؤلية الى أقصاه ، فمضى ينادي فيالق جيشه واجنحته ، وأعاد تنسيق مواقعه على أرض المعركة ، ثم صاح بصوته المنتصر :

امْتازُوا ، لنرى اليومَ بلاءَ كُلَّ حَيّ .....

وامْتازُوا جميعاً .....

مضى المهاجرون تحت رايتهم ، والأنصار تحت رايتهم { وكُلٌّ بني أبٍ على رايتهم }

وهكذا صار واضحاً تماماً ، من أين تجيء الهزيمة حين تجيء ، واشتعلت الأنفس حماسة ، واتَّقدَتْ مضاءاً ، وامتلأت عزماً وروعة ...

وخالد بين الحين والحين ، يرسل تكبيرة أو تهليلة ، أو صيحة يلقى بها أمراً ، فتتحول سيوف جيشه الى مقادير لا رَادَّ لأمرها ، ولا مُعَوِّق لغاياتها ...

وفي دقائق معدودة تحوَّل اتجاه المعركة وراح جنود مسيلمة يتساقطون بالعشرات ، فالمئات ، فالألوف ، كذباب خنقت أنفاس الحياة فيه نَفثات مُطَهر صاعق مُبيد ... !!

لقد نقل خالد حماسته كالكهرباء الى جنوده ، وحلَّت روحه في جيشه جميعاً ، وتلك كانت إحدى خصال عبقريته الباهرة ...

وهكذا سارت أخطر معارك الردة وأعنف حروبها وقتل مسيلمة ، وملأت جثث رجاله وجيشه أرض القتال ، وطويت تحت التراب الى الأبد راية الدّعيِّ الكذّاب ...

وفي المدينة صلّى الخليفة لربه الكبير المُتعال صلاة الشكر ، إذْ منحهم هذا النصر ، وهذا البطل ...

وكان أبو بكر قد أدرك بفطنته وبصيرته ما لِقُوَى الشر الجاثمة وراء حدود بلاده من دور خطير في تهديد مصير الإسلام وأهله ، الفرس في العراق ، والروم في بلاد الشام .

إمبراطوريتان خَرِعَتان ، تتشبثان بخيوط واهنة من حظوظهما الغاربة وتَسومان الناس في العراق وفي الشام سوء العذاب ، بل وتسخرهم وأكثرهم عَرب لقتال المسلمين العَرب الذين يحملون راية الدين الجديد ، ويضربون بمعاوله قلاع العالم القديم كله ، ويجتثّون عفَنه وفساده!

هنالك أرسل الخليفة العظيم المُبارك توجيهاته الى خالد أن يمضي بجيشه صَوْب العراق ...

ويمضي البطل الى العراق ، وليت هذه الصفحات كانت تتسع لِتَتَبّع مواكب نصره ، إذن لرأينا من أمرها عجباً .

لقد استهلَّ عمله في العراق بكُتب أرسلها الى جميع وُلاة كسرى ونوابه على ألوية العراق ومدائنه ...

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من خالد بن الوليد ... الى مرازبة فارس ...

سلام على من اتَّبعَ الهُدى ...

أما بعد ، فالحمد لله الذي فضّ خدمَكم ، وسلب مُلككُم ، ووهَّن كَيْدكُم ، من صَلَّى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم ، له ما لنا وعليه ما علينا .

إذا جاءكم كتابي فابعثوا لي بالرُّهُن واعتقدوا مني الذمَّة .

وإلا ، فوالذي لا إله غيره لأبعثن إليكم قوماً يحبون الموت كما تحبون الحياة ... !!!

وجاءته طلائعه التي بثَّها في كل مكان بأنباء الزُّخرف الكثيرة التي يُعدها له قواد الفرس في العراق ، فلم يضيع وقته ، وراح يقذف بجنوده على الباطل لِيدْمغَه وطويت له الأرض طيَّا عجيباً .

في الأبُلَّة ، الى السّدير ، فالنجف ، الى الحيرة ، فالأنبار ، فالكاظمية .

مواكب نصر تتبعها مواكب ، وفي كل مكان تُهلُّ به رياحُه البُشريات ترتفع للإسلام راية يأوي الى فَيْئها الضعفاء والمستعبدون ، أجل ، الضعفاء والمستعبدون من أهل البلد الذين كان الفرس يستعمرونهم ويسومونهم العذاب .

وكم كان رائعاً من خالد أن بدأ زحفه بأمر أصدره الى جميع قواته :

لا تتعرضوا للفلاحين بسوء ، دعوهم في شغلهم آمنين ، إلاَّ أن يخرج بعضهم لقتالكم ، فآنئذ قاتلوا المقاتلين

وسار بجيشه الظافر كالسكين في الزبد الطري حتى وقف على تخوم الشام ...

وهناك دوَّت أصوات المؤذنين ، وتكبيرات الفاتحين .

تُرى هل سمع الروم في الشام ... ؟؟

وهل تبينوا في هذه التكبيرات نَعْيَ أيامهم ، وعالَمهم ... ؟؟

أجل ، سمعوا ، وفُزِّعوا ، وقرروا أن يخوضوا في جنون معركة اليأس والضياع ..... !

كان النصر الذي أحرزه الإسلام على الفرس في العراق بشيراً بنصر مثله على الروم في الشام .

فجنَّد الصديق أبو بكر جيوشاً عديدة ، واختار لإمارتها نفراً من القادة المهرة ، أبو عبيدة بن الجراح ، وعمر بن العاص ، ويزيد بن أبي سفيان ، ثم معاوية بن أبي سفيان ...

وعندما نمت أخبار هذه الجيوش الى أمبراطور الروم نصح وزراءه وقواده بمصالحة المسلمين وعدم الدخول معهم في حرب خاسرة .

بيد أن وزراءه وقواده أصَرُّوا على القتال وقالوا :

والله لَنَشْغَلَنَّ أبا بكر عن أن يُورِدَ خيله الى أرضنا .....

وأعدوا للقتال جيشاً بلغ قوامه مائتي ألف مقاتل ، وأربعين ألفاً

وأرسل قادة المسلمين الى الخليفة بالصورة الرهيبة للموقف فقال أبو بكر :

والله لَلأشْفِيَنَّ وَسَاوِسَهم بخالد ..... !!!

وتلقى تِرياقُ الوساوس ، وساوس التمرد والعدوان والشرك ، تلقَّى أمر الخليفة بالزحف الى الشام ، ليكون أميراً على جيوش الإسلام التي سبقته إليها .

وما أسرع ما امتثل خالد وأطاع ، فترك على العراق المُثنى بن حارثة وسار مع قواته التي اختارها حتى وصل مواقع المسلمين بأرض الشام ، وأنجز بعبقريته الباهرة تنظيم الجيش المسلم وتنسيق مواقعه في وقت وجيز ، وبين يدي المعركة واللقاء ، وقف في المقاتلين خطيباً فقال بعد أن حَمِدَ ربه وأثنى عليه :

إن هذا يومٌ من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي ...

أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم ، وتعالوا نَتعَاور الإمارة - أي نتبادلُها - فيكون أحدنا اليوم أميراً ، والآخر غداً ، والآخر بعد غد ، حتى يتأمَّر كلكم ...

هذا يوم من أيام الله ...

ما أروعها من بداية ... !!

لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي ...

وهذه أكثر روعة وأوفى ورَعا ... !!

ولم تنقص القائد العظيم الفِطْنة المفعمة بالإيثار ، فعلى الرغم من أن الخليفة وضعه على رأس الجيش بكل أمرائه ، إلا أنه لم يشأ أن يكون عَوْناً للشيطان على أنفس أصحابه ، فتنازل لهم عن حقه الدائم في الإمارة وجعلها دُولةً بينهم جميعاً ...

اليوم أمير .. وغداً أمير ثان .. وبعد غد أمير آخر .. وهكذا ...

كان جيش الروم بأعداده وبعتاده ، شيئاً بالغ الرهبة .

لقد أدرك قواد الروم أن الزمن في صالح المسلمين ، وأن تطاوُل القتال وتكاثُر المعارك يهيئان لهم النصر دائماً ، من أجل ذلك قرروا أن يحشدوا كل قواهم في معركة واحدة يُجهزون خلالها على العرب حيث لا يبقى لهم بعدها وجود ، وما من شك في أن المسلمين أحسُّوا يومذاك من الرهبة والخطر ما ملأ نفوسهم المقدامة قلقاً وخوفاً .

ولكن إيمانهم كان يَخَفّ لخدمتهم في مثل تلك الظلمات الحالكات ، فإذا فَجْرُ الأمل والنصر يغمرهم بسنَاه ... !!

ومهما يكن بأس الروم وجيوشهم ، فقد قال أبو بكر ، وهو بالرجال جِدُّ خبير :

خالِدٌ لَها ... !!

وقال : واللهِ لأشفِيَنَّ وسَاوسهم بخالد ...

فليأت الروم بكل هوْلَهم ، فمع المسلمين الترياق ... !!

عبَّأ ابن الوليد جيشه ، وقسمه الى فيالق ، وضع للهجوم والدفاع خُطة جديدة تتناسب مع طريقة الروم بعد أن خبر وسائل إخوانهم الفرس في العراق .. ورسم للمعركة كل مقاديرها ..

ومِنْ عَجب أن المعركة دارت كما رسم خالد وتوقَّع ، خُطوة خُطوة وحركة حركة ، حتى ليبدو وكأنه لو تنبأ بعدد ضربات السيوف في المعركة ، لما أخطأ التقدير والحساب ... !!

كل مُناورة توقعها من الروم صنعوها ...

كل انسحاب تنبأ به فعلوه ...

وقبل أن يخوض القتال كان يشغل باله قليلاً ، احتمالُ قيام بعض جنود جيشه بالفرار - خاصَّةً أولئك الذين هم حديثو العهد بالإسلام - بعد أن رأى ما ألقاه منظر جيش الروم من رهبة وجزع وكان خالد يتمثَّل عبقرية النصر في شيء واحد ، هو الثبات ...

وكان يرى أن حركة هروب يقوم بها اثنان أو ثلاثة ، يمكن أن تشيع في الجيش من الهلع والتمزُّق ما لا يقدر عليه جيش العدو بأسره ...

من أجل هذا ، كان صارماً - أيَّ صارم - تجاه الذي يلقي سلاحه ويولي هارباً .....

وفي تلك الموقعة بالذات - موقعة اليرموك - وبعد أن أخذ جيشه مواقعه دعا نساء المسلمين ولأول مرة سلَّمهن السيوف ، وأمرهن ، بالوقوف وراء صفوف المسلمين من كل جانب ، وقال لهن :

مَنْ يُوَلي هارباً ، فاقْتُلْنَه ...

وكانت لفتة بارعة أدت مهمتها على أحسن وجه ... !!

وقبيل بدء القتال طلب قائد الروم أن يبرز إليه خالد ليقول له بضع كلمات .....

وبرز إليه خالد حيث تواجها فوق جواديهما في الفراغ الفاصل بين الجيشين وقال { ماهان } قائد الروم يخاطب خالداً :

قد علمنا أنه لم يخرجكم من بلادكم إلا الجهد والجوع ...

فإن شئتم ، أعطيتُ كل واحد منكم عشرة دنانير ، وكسوة ، وطعاماً ، وترجعون الى بلادكم ، وفي العام القادم أبعث لكم بمثلها ... !!

وضغط خالد الرجل والبطل على أسنانه ، وأدرك ما في كلمات قائد الروم من سوء الأدب ...

وقرر أن يرد عليه بجواب مناسب فقال له :

إنه لم يخرجنا من بلادنا الجوع كما ذكرت ، ولكننا قوم نشرب الدماء ، وقد علمنا أنه لا دم أشهى ولا أطيب من دم الروم ، فجئنا لذلك ... !!!

ولَوَى البطل زمام جواده عائداً الى صفوف جيشه ، ورفع اللواء عالياً مُؤذناً بالقتال ...

الله أكبر

هُبَّي رياح الجنة

كان جيشه يندفع كالقذيفة المصوبة ، ودار قتال ليس لضراوته نظير ، وأقبل الروم في فيالق كالجبال ، وبدا لهم من المسلمين ما لم يكونوا يحتسبون .

ورسم المسلمون صُوراً تبهر الألباب من فدائيتهم وثباتهم ...

فهذا أحدهم يقترب من أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه والقتال دائر ويقول :

إني قد عزمتُ على الشهادة ، فهل لك من حاجة الى رسول الله ﷺ أُبلغها له حين القاهُ ... ؟؟

فيجيبه أبا عبيدة نعم ... قل له : يا رسول الله إنا قد وَجَدنا ما وَعَدنا ربنا حقاً ...

ويندفع الرجل كالسهم المقذوف ، يندفع وسط الهول مشتاقاً الى مصرعه ومضجعه ، يَضرب بسيفه ، ويُضرب بآلاف السيوف حتى يرتفع شهيداً ... !!

وهذا عِكْرمة بن أبي جهل ، أجل ابن أبي جهل ، ينادي في المسلمين حين ثَقُلَتْ وطأة الروم عليهم قائلاً : لطالما قاتَلْتُ رسول الله ﷺ قبل أن يهديني الله الى الإسلام ، أَفأَفِرُّ من أعداء الله اليوم ... ؟؟

ثم يصيح من يُبايُع على الموت ...

فبايعه على الموت كوكبة من المسلمين ، ثم ينطلقون معاً الى بَيْعَهم وبَيْعَتهم ، فيستشهدون .. !!

وهؤلاء آخرون أصيبوا بجراح أليمة ، وجيء لهم بماء يبللون به أفواههم ، فلما قدم الماء الى أولهم ، وأشار للساقي أن أعط أخي الذي بجواري فجُرحُه أخطر ، وظمأه أشدُّ ، فلمَّا قدم الماء إليه ، أشار بدوره لجاره ، فلمَّا انتقل إليه أشار بدوره لجاره ...

وهكذا حتى جادت أرواح أكثرهم ظامئة ، ولكن أنظر ما تكون تفانياً وإيثاراً ... !!

أجل ، لقد كانت معركة اليرموك مجالاً لفدائية يعزُّ نظيرها .

ومن بين لوحات الفداء الباهرة التي رسمتهَا عزَمَاتٌ مُقْتدرة ، تلك اللوحة الفذة ، لوحة تحمل صورة خالد بن الوليد على رأس مائة لا غير من جنده ، ينقضون على ميسرة الروم وعددها أربعون ألف جندي ، وخالد يصيح في المائة الذين معه :

والذي نفسي بيده ما بقي مع الروم من الصبر والجلَد إلا ما رأيتم ، وإني لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم .....

مائة يخوضون في أربعين ألف .. ثم ينتصرون ... !!

ولكن أي عجب ؟؟

أليس ملء قلوبهم إيمان بالله العلي الكبير .. ؟؟

وإيمان برسوله الصادق الأمين ﷺ .. ؟؟

وإيمانٌ بقضية ، هي أكثر قضايا الحياة برَّاً وهُدىً ، ونبلاً .. ؟

وأليس خليفتهم الصدِّيق رضي الله عنه هذا الذي ترتفع راياته فوق الدنيا ، بينما هو في المدينة العاصمة الجديدة للعالم الجديد ، يحلُبُ بيده شِياهَ الأيامَى ، ويعجن بيده خبز اليتامى ... ؟؟

وأليس قائدهم خالد بن الوليد ترياق وساوس التجبر ، والصَّلَف ، والبغي ، والعدوان ، سيف الله المسلول على قوَى التخلُّفِ ، والتعفُّن ، والشِّرك ... ؟؟

أليس ذلك كذلك .. ؟

إذن ، هُبِّي رياح النصر ...

هُبِّي قوية عزيزة ، ظافرة ، قاهرة ...

لقد بهرت عبقرية خالد قواد الروم وأمراء جيشهم ، مما حمل أحدهم ، واسمه { جرجه } على أن يدعوا خالداً للبروز إليه في إحدى فترات الراحة بين القتال .

وحين يلتقيان ، يوجه القائد الروماني حديثه الى خالد قائلاً : يا خالد ..

اصدقني ، ولا تكذبني فإن الحر لا يكذب ..

هل انزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاك إياه ، فلا تَسُلّه على أحد إلا هزمته ... ؟؟

قال خالد : لا .

قال الرجل : فبمَ سُمِّيت سيف الله ؟

قال خالد : إن الله بعثَ فينا رسوله ، فمنا من صدَّقه ومنا من كذَّب ، وكنت فيمن كذَّب حتى أخذ الله قلوبنا الى الإسلام ، وهدانا برسوله فبايعناه ...

فدعا لي الرسول ، وقال لي : أنت سيف من سيوف الله ، فهكذا سُمِّيت سيف الله ...

قال القائد الروماني : وإلام تَدْعُون ... ؟

قال خالد : الى توحيد الله والى الإسلام ...

قال : هل لمن يدخل في الإسلام اليوم مثل ما لكم من المثوبة والأجر ... ؟

قال خالد : نعم ، وأفضل .

قال الرجل : كيف وقد سبقتموه ... ؟؟

قال خالد : لقد عشنا مع رسول الله ﷺ ، ورأينا آياته ومعجزاته وحقّ لمن رأى ما رأينا ، وسمع ما سمعنا أن يُسلم في يُسْر ...

أما أنتم يا مَنْ لم ترَوْه ولم تسمعوه ، ثم آمنتم بالغيب ، فإن لكم أجْركم أجزل وأكبر إذا صَدَقْتُم الله سرائركم ونواياكم ...

وصاح القائد الروماني ، وقد دفع جواده الى ناحية خالد ، ووقف بجواره : علمني الإسلام يا خالد ...

وأسلم ، وصلى لله ركعتين ، ولم يُصَل سواهما ، فقد أستأنف الجيشان القتال وقاتل جرجه الروماني في صفوف المسلمين مستميتاً في طلب الشهادة حتى نالها وظفر بها ... !!

وبعد فها نحن أولاء نواجه العظمة الإنسانية في مشهد من أبْهَى مشاهدها ، إذ كان خالد يقود جيش المسلمين في هذه المعركة الضارية ، ويستلُّ النصر من بين أنياب الروم استلالاً فَذّاً ، بقدر ما هو مُضْن ورهيب ، وإذا به يفاجأ بالبريد القادم من المدينة يحمل كتاب الخليفة الجديد ، أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وفيه تحية الفاروق للجيش المسلم ، ونَعْيُه خليفةَ رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، ثم أمره بتنحية خالد عن القيادة ، وتولية أبي عبيدة بن الجَّراح مكانه ...

قرأ خالد الكتاب وهمهم بابتهالات الترحُّم على أبي بكر والتوفيق لعمر ...

ثم طلب من حامل الكتاب ألاّ يبوح لأحد بما فيه وألْزَمَهُ مكاناً أمره ألا يغادره ، وألا يتصل بأحد قط ...

استأنف قيادته للمعركة مُخْفياً موت أبي بكر وأوامر عمر حتى يتحقق النصر الذي بات وشيكاً وقريباً ، ودقَّت ساعة الظَّفَر ، واندحر الروم ...

ويقدم البطل من أبي عبيدة مؤدياً إليه تحية الجندي لقائده ، وظنها أبو عبيدة في أول الأمر دعابَةً من دعابات القائد الذي حقق نصراً لم يكن في الحسبان بيد أنه ما فتِئ أن رآها حقيقة وجدّاً ، فقبل خالداً بين عينيه ، وراح يُطْري عظمة نفسه وسجاياه ...

وثَمّت رواية تاريخية أخرى تقول : إن الكتاب أرسل من أمير المؤمنين عمر الى عبيدة وكتم أبو عبيدة النبأ عن خالد حتى انتهت المعركة ...

وسواء كان هذا الأمر أو ذاك ، فإن مَسْلَك خالد في كلتا الحالتين هو الذي يعنينا ، ولقد كان مسلكاً بالغ الروعة والعظمة والجلال ...

ولا أعرف في حياة خالد كلها موقفاً ينبئ بإخلاصه العميق وصدقه الوثيق ، مثل هذا الموقف .

فسواء عليه أن يكون أميراً ، أو جندياً ...

إن الإمارة كالجندية ، كلاهما سبب يؤدي به واجبه نحو الله الذي آمن به ونحو الرسول الذي بايعه ، ونحو الدين الذي اعتنقه وسار تحت رايته ...

وجهده المبذول وهو أمير مُطَاع ، كجهده المبذول وهو جندي مُطِيع ... !!

ولقد هيأ له هذا الإنتصار العظيم على النفس ، كما هَيَّأه لغيره ، طراز الخلفاء الذين كانوا على رأس الأمة المسلمة والدولة المسلمة يومذاك ...

أبو بكر وعمر ...

أسمان لا يكاد يتحرك بهما لسان ، حتى يخطر على البال كل مُعجزٍ من فضائل الإنسان ، وعظمة الإنسان .

وعلى الرغم من الوُدِّ الذي كان مفقوداً أحياناً بين عمر وخالد ، إلا أن نزاهة عمر ، وعدله وورعه ، وعظَمته الخارقة ، لم تكن قط موضع تَسَاؤل لَدى خالد ...

ومن ثم لم تكن قراراته موضع شك ، لأن الضمير الذي يُمْليها ، قد بلغ من الورَع ، ومن الإستقامة ، ومن الإخلاص والصدق أقصى ما يبلغه ضمير مُنَزَّهٌ ورشيد .

لم يكن أمير المؤمنين عمر يأخذ على خالد مِنْ سُوء ، ولكنه كان يأخذ على سيفه التسرُّع ، والحِدَّة .

ولقد عبَّرَ عن هذا حين اقترح على أبي بكر عزله إثْرَ مقتل مالك بن نويرة ، فقال :

إن في سيف خالدا رَهقاً ...

أي خِفَّةً .. وحِدَّةً .. وتَسَرُّعاً ...

فأجابه الخليفة الصدِّيق :

{ ما كنت لأشِيمَ سيفا سَلَّهُ الله على الكافرين } ...

لم يقل عمر إن في خالد رهَقاً ، بل جعل الرهق صفة لسيفه لا لشخصه ، وهي كلمات لا تنمّ عن أدب أمير المؤمنين فحسب ، بل وعن تقديره لخالد أيضاً ...

وخالد رجل حرب من المهد الى اللَّحد ...

فبيئته .. ونشأته .. وتربيته .. وحياته كلها - قبل الإسلام وبعده - كانت كلها وِعَاءً لفارس .. مُخاطر ، داهية ...

ثم إن إلحاح ماضيه قبل الإسلام ، والحروب التي خاضها ضد الرسول وأصحابه والضربات التي أسقط به سيفه أيام الشرك رؤوساً مؤمنة ، وجباهاً عابدة ، كل هذا كان له على ضميره ثِقَل مُبْهِظ ، جعل سيفه تَوَّاقاً الى أن يُطَوِّح من دعامات الشرك أضعاف أضعاف ما طَوَّح من حَمَلة الإسلام ...

وإنكم لتذكرون العبارة التي أوردناها أوَّل هذا الحديث والتي جاءت في سياق حديثه مع رسول الله ﷺ إذ قال له : يا رسول الله ...

استغفِر لي كُلَّ ما أوْضَعْتُ فيه من صَدٍّ عن سبيل الله ...

وعلى الرغم من إنْباء الرسول ﷺ إياه ، بأن الإسلام يجب ما كان قبله ، فإنه ظل يتوسل الى الظفر بعهد من الرسول ﷺ أن يستغفر الله له فيما صَنَعَتْ من قبلُ يداه .

والسيف حين يكون في يد فارس خَارِق كخالد بن الوليد ، ثم يحرك اليدَ القابضة عليه ضمير مُتَوَهج بحرارة التطهُّر والتعويض ، ومُفعمٌ بولاءٍ مطلق لدين تُحيط به المؤامرات والعداوات ، فإن من الصعب على هذا السيف أن يتخلى عن مبادئه الصارمة ، وحدَّته الخاطفة .

وهكذا رأينا سيف خالد يُسّبب لصاحبه المتاعب ...

فحين أرسله النبي عليه السلام بعد الفتح الى بعض قبائل العرب القريبة من مكة ، وقال له :

إني أبعثك داعياً ... لا مُقاتلاً .....

غَلبه سيفُه على أمره ودفَعه الى دَوْر المُقاتل .. متخلياً عن دور الداعي الذي أوصاه به الرسول مما جعله عليه السلام ينتفض جزَعاً وألماً حين بلغه صنيع خالد وقام مستقبلاً القبلة رافعاً يديه معتذراً الى الله بقوله :

اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد ...

ثم أرسل علياً فَودَى لهم دماءهم وأموالهم ...

وقيل إن خالداً اعتذر عن نفسه بأن عبد الله بن حُذافة السَّهمي قال له : إن رسول الله قد أمرك بقتالهم لامتناعهم عن الإسلام ...

كان خالد يحمل طاقة غير عادية .. وكان يَستبدُّ به تَوْقٌ عارم الى هدم عالَمه القديم كله ، ولو أننا نبصر وهو يهدم صَنَم { العُزَّى } الذي أرسله النبي لهدمه .

لو أننا نبصره وهو يُدمدم بمعوله على هذا البناية الحجرية ، لأبْصَرنا رجلا يبدو كأنه يقاتل جيشاً بأسره ، يُطِّوح رؤوس أفراده ويُتبر بالمنايا صفوفه .

فهو يضرب بيمينه ، وبشماله ، وبقدمه ، ويصيح في الشظايا المتناثرة ، والتراب المتساقط :

يا عُزَّى كفرانك .. لا سُبْحانَك ...

إني رأيتُ الله قد أهانَك ... !!

ثم يحرقها ويشعل النار في ترابها ... !

كانت كل مظاهر الشرك وبقاياه في نظر خالد كالعُزَّى لا مكان لها في العالم الجديد الذي وقف خالد تحت أعلامه .

ولا يعرف خالد أداةً لتصفيتها إلا سيفه ...

وإلاَّ كُفرانك .. لا سُبْحانك ...

إني رأيتُ الله قد أهانك ... !!

على أنا إذ نتمنَّى مع أمير المؤمنين عمر ، لو خلا سيف خالد من هذا الرَّهَق ، فإننا سنظلُّ نردد مع أمير المؤمنين عمر قوله :

عجزَت النساء أن يَلِدْن مثلَ خالد ... !!

لقد بكاه عمر يوم مات بُكاءً كثيراً ، وعلم الناس فيما بعد أنه لم يكن يبكي فَقده فحسب ، بل ويبكي فرصة أضاعها الموت من عمر إذ كان يعتزم ردّ الإمارة الى خالد بعد أن زال افتتان الناس به ، ومُحّصَتْ أسباب عزله ، لولا أن تداركَهُ الموت وسارع خالد الى لقاء ربه .

نعم ، سارَع البَطل العظيم الى مَثْوَاه في الجنَّة ...

آما آن له أن يستريح .. !! هو الذي لم تشهد الأرض عدواً للراحة مثله ... !!

أما آن لجسده المجهد أن ينام قليلاً .. ؟؟

هو الذي كان يصفه أصحابه وأعداؤه بأنه :

الرجل الذي لا ينام .. ولا يترك أحداً ينام .. ؟؟

أمَّا هو ، فلو خُيِّر لاختار أن يمدَّ الله له في عمره مزيداً من الوقت ليواصل فيه هدم البقايا المتعفنة القديمة ، ويُتابع عمله وجهاده في سبيل الله والإسلام .

إن رَوْحَ هذا الرجل ورَيْحَانَه لَيُوجدان دائماً وأبدا ، حيث تصهل الخيل ، وتلتمع الأسَّنة ، وتخفق رايات التوحيد فوق الجيوش المسلمة .

وإنه ليقول : { ما لَيلَةٌ يُهْدَى إليَّ فيها عَرُوس ، أو أبَشَّر فيها بوليد ، بأحبّ إليَّ من ليلة شديدة الجليد ، في سَرِيَّة من المهاجرين ، أصبحُ بهم المشركين } ...

من أجل ذلك ، كانت مأساة حياته في رأيه أن يموت على فراشه ، وهو الذي قضى حياته كلها فوق ظهر جواده ، وتحت بريق سيفه ...

هو الذي غزا مع رسول الله ﷺ ، وقهر أصحاب الرِّدَّة ، وسوَّى بالتراب عرشي فارس والروم ، وقطع الأرض وثباً ، في العراق خطوة خطوة .. حتى فتحها للإسلام ، وفي بلاد الشام خطوة خطوة ، حتى فتحها كلها للإسلام ...

أميراً ، يحمل شَظَفَ الجنديِّ وتواضعه .. وجندياً ، يحمل مسؤلية الأمير وقُدْوَتِه .

كانت مأساة حياة البطل أن يموت البطل على فراشه ... !!

هنالك قال ودموعه تنثال من عينيه :

لقد شهدتُ كذا ، وكذا زحفاً ، وما في جسدي موضع إلا وفيه ضربة سيف ، أو طعنة رمح ، أو رَمْيَةُ سهم ...

ثم ها أنذا أموتُ على فراشي حَتْفَ أنفي كما يموت البعير ، فَلا نَامَتْ أعْيُنُ الجُبنَاء ... !!

كلمات لا يجيد النطق بها في مثل هذا الموطن ، إلا مثل هذا الرجل ، وحين كان يستقبل لحظات الرحيل ، شرع يُمْلي وصيَّتَه ...

أتدرون الى من أوصى ... ؟؟

الى عمر بن الخطاب ذاته ... !!

أتدرون ماذا كانت تركتُه ... ؟

فرسَه وسلاحهُ ... !!
ثم ماذا ... ؟؟
لا شيء قط ، مما يقتني الناس ويمتلكون ... !!

ذلك أنه لم يكن يستحوذ عليه وهو حي ، سوى اقتناء النصر وامتلاك الظفر على أعداء الحق ، وما كان في متع الدنيا جميعه ما يستحوذ على حرْصه .

شيء واحد ، كان يحرص عليه في شغف واسْتماتة .. تلك هي قلَنْسُوَتُه ...

سقطت منه يوم اليرموك ، فاضْنَى نفسه والناس في البحث عنها فلما عُتب في ذلك قال :

إن فيها بعضاً من شعر ناصية رسول الله وإني أتفاءل بها ، وأستَنصِر ...

وأخيراً ، خرج جثمان البطل من داره محمولاً على أعناق أصحابه ورمَقَتْه أم البطل الراحل بعينين اختلط فيهما بريق العزم بغاشِيَة الحزن فقالت تودعه :

أنت خير من ألفِ ألفٍ من القوم   إذا ما كَبَتْ وجوه الرجال

أشجاعٌ ؟ فأنت أشجع من لَيْثٍ   غَضَنْفَر يَذُودُ عن أشبال

أجوادٌ ؟ فأنت أجود من سَيل   غامر يسيلُ بين الجبال

وسمعها عمر فازداد قلبه خَفْقاً .. ودمعُه دَفْقاً وقال :

صدَقَتْ ...

واللهِ إنْ كان لكذالك ...

وثَوى البطل في مَرْقَدِه ...

ووقف أصحابه في خشوع ، والدنيا من حولهم هاجعة ، خاشعة ، صامتة ...

لم يقطع الصمت المهيب سوى صهيل فرس جاءت كما نتخيلها تركُض بعد أن خلَعت رَسَنهَا ، وقطعت شوارع المدينة وثباً وراء جثمان صاحبها ، يقودها عَبيُره وأريجُه .

وإذا بلغت الجمع الصامت والقبر الرطب لوّحت برأسها كالراية ، وصهيلها يصدح ، تماماً مثلما كانت تصنع والبطل فوق ظهرها ، يهدُّ عروش فارس والروم ، ويشفي وساوس الوثنية والبغي ، ويزيح من طريق الإسلام كل قُوى التقهقر والشرك .

وراحت وعيناها على القبر لا تزيغان ، تعلو برأسها وتهبط ، مُلّوحةً لسيدها وبطلها ، مُؤدية له تحية الوداع ... !!

ثم وقفت ساكنة ، ورأسها مرتفع ، وجبهتها عالية ، ولكن من مآقيها تسيل دموع غِزار وكبار !

لقد وقفها خالد مع سلاحه في سبيل الله ...

ولكن هل سيقدر فارس على أن يمتطي صهوتها بعد خالد ... ؟؟
وهل ستُذلل ظهرها لأحد سواه ... ؟؟
إيه يا بطل كل نصر ...

ويا فَخرَ كُل ليل ...

لقد كنت تعلو بروح جيشك على أهوال الزحف بقولك لجندك :

عند الصَّبَاح يحمد القوم السُّرَى ...

حتى ذهبتْ عنك مثلا ...

وها أنت ذا ، قد أتْمَمْتَ مَسْراك ...

فَلِصَبَاحك الحمد ، أبا سليمان ...

ولذكراك المجدُ ، والعِطْر ، والخُلد ، يا خالد ... !!

ودَعْنا .. نُردِّد مع أمير المؤمنين عمر كلماتِه العِذاب الرطاب التي ودَّعَك بها ورثاك :

رَحِمَ اللهَ أبا سليمان ...

ما عِنْدَ الله خَيرٌ مما كان فيه ...

ولقد عاش حَميداً ...

وماتَ سعيداً ...

باب ذكر مناقب علي بن أبي طالب

حدثنا محمود بن غيلان . حدثنا أبو أحمد . حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال لعلي : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أن لا نبيَّ بعدي .

حديث حسن صحيح

حدثنا محمد بن حميد الرازي . حدثنا إبراهيم بن المختار عن شعبة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أمر بسد الأبواب إلا باب علي .

عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب أن رسول الله أخذ بيد حسن وحسين فقال : من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة .

حديث حسن غريب

عن ابن عباس قال أول من صلى عليٌّ .

وقد اختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم أول من أسلم أبو بكر من الرجال ، أبو بكر أول من أسلم عليَّ وهو غلام بن ثمان سنين وأول من أسلم من النساء خديجة .

حدثنا إسماعيل بن موسى حدثنا علي بن عابس عن مسلم الملائِيِّ عن أنس بن مالك قال : بُعثَ النبي ﷺ يوم الإثنين وصلى عليٌّ يوم الثلاثاء .

حدثنا يوسف بن موسى القطان البغدادي ، حدثنا علي بنُ قَادمٍ حدثنا علي بن صالح بن حييِّ عن حكيم بن جُبير عن جُمَيْع بن عُمير التيمي عن ابن عمر قال : آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه فجاءَ عليٌّ تدمعُ عَيناهُ ، فقال : يا رسول الله آخيتَ بين أصحابك ولم تؤاخي بيني وبين أحدٍ ، فقال له رسول الله ﷺ : أنت أخي في الدنيا والآخرة .

حدثنا واصل بن عبدِ الأعلى ، حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الله بن عبد الرحمن أبي النصر عن المُساور الحُميري عن أمه قالت : دخلتُ على أم سلمة فسمعتها تقول : كان رسول الله ﷺ يقولُ : لا يُحِبُ علياً منافقٌ ولا يبغَضُهُ مؤمنٌ .

حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاريُّ ابن بنت السُّدِّيِّ ، حدثنا شُرَيكٌ عن أبي ربيعة عن ابن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله أمرني بحب أربعة ، وأخبرني أنه يحبهم ، قيل : يا رسول الله سمهم لنا ، قال : عليٌّ منهم ، يقول ذلك ثلاثاً ، وأبو ذر والمقداد وسلمانُ أمرني بحبهم ، وأخبرني أنه يُحبهم .

حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا عبيد الله بن موسى عن عيسى بن عمر عن السُّدِّيِّ عن أنس بن مالك قال : كان عند النبي ﷺ طيرٌ فقال : اللهم ائتني بأحبِّ خلقك إليكَ يأكل معي هذا الطيرَ ، فجاءه عليٌّ فأكل معهُ .

حدثنا قتيبة ، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي عن يزيد الرشك عن مطرف بن عبد الله عن عمران بن حصين قال : بعثَ رسول الله ﷺ جيشاً واستعمل عليهم علي بن أبي طالب ، فمضى في السَّريَّةِ فأصاب جاريةً فأنكروا عليه ، وتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : إذا لقينا رسول الله ﷺ أخبرناه بما صنع عليٌّ ، وكان المسلمون إذا رجعوا من السفر بدءوا برسول الله ﷺ فسلموا عليه ثم انصرفوا الى رحالهم فلما قدمت السرية سلموا على النبي ﷺ فقام أحد الأربعة فقال : يا رسول الله ألم تر الى علي بن أبي طالب صنع كذا وكذا ، فأعرض عنه رسول الله ﷺ ، ثم قام الثاني فقال مثل مقالته ، فأعرض عنه ، ثم قام الثالث فقال مثل مقالته ، فأعرض عنه ، ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا ، فأقبل رسول الله ﷺ والغضب يعرفُ في وجهه ، فقال : ما تريدون من عليٍّ ؟ ما تريدون من عليٍّ ؟ ما تريدون من عليٍّ ؟ إن علياً مني وأنا منه ، وهو ولي كل مؤمنٍ بعدي .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب

حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن سلمة بن كُهيل قال : سمعت أبا الطُّفيلِ يحدثُ عن أبي سريحة أو زيد بن أرقم ، شكَّ شُعبةُ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من كنت مولاهُ فعليٌّ مولاهُ .

حديثٌ حسنٌ صحيح

حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى البصري ، حدثنا أبو عَتَّابٍ سهلُ بن حمادٍ ، حدثنا المختار بن نافع ، حدثنا أبو حيان التيمي عن أبيه عن علي قال : قال رسول الله ﷺ : رحم الله أبا بكر زوجني ابنتهُ ، وحملني الى دار الهجرة ، وأعتق بلالاً من ماله ، رحم الله عمر ، يقول الحق وإن كان مراً ، تركهُ الحقُّ وما لهُ صديقٌ ، رحم الله عثمان تستحييهِ الملائكةُ ، رحم الله عليّاً ، اللهم أدِرِالْحَقَّ مَعَهُ حيثُ دَارَ .

قال أبو عيسى : هذا حديث غريب

و من كلام سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام

أيها الناس الزهاد : قِصَرُ الأملِ ، والشكرُ عند النعم ، والورعُ عند المحارم[1] ، فإن عزبَ ذلك عنكم ، فلا يغلبِ الحرامُ صبركم[2] ، ولا تنسوا عند النعم شكركم ، فقد أعذر الله إليكم بحججٍ مُسَّفِرةٍ ، ظاهرةٍ ، وكُتُبٍ بارزةِ العُذرِ ، واضحةٍ[3] .

1- الورع : الكف عن الشبهات خوف الوقوع في المحرمات ، أي إذا عرض المحرم فمن الزهادة أن تكف عما يشتبه به فضلاً عنه ، والشكر عند النعم : الإعتراف بأنها من الله والتصرف فيها على وفق ما شرع ، وقصر الأمل : توجس الموت والإستعداد له بالعمل وليس المراد منه أنتظار الموت بالبطالة .

2- عزب عنكم : بعد عنكم وفاتكم والإشارة الى ما تقدم من قصر الأمل إي فإن عسر عليكم أن تقصروا آمالكم ، وتكونوا من الزهادة على الكمال المطلوب لكم ، فلا يغلب الحرام صبركم أي فلا يفتكم الركنان الآخران وهما : شكر النعم ، واجتناب المحرم فإن نسيان الشكر يجر الى البطر وارتكاب المحرم بفسد نظام الحياة المعاشية والمعادية والبطر والفساد مجلبة للنقم في الدنيا ، والشقاء في الآخرة .

3- أعذر : بمعنى أنصف وأصله ممَا همزته للسلب فأعذرت فلاناً سلبت عذره أي ما جعلت له عذراً يبديه لو خالف ما نصحته به ويقال أعذرت الى فلان أي أقمت لنفسي عنده عذراً واضحاً فيما أنزله به من العقوبة حيث حذرته ونصحته ، ويصح أن تكون العبارة في الكتاب على هذا المعنى أيضاً بل هو الأقرب من لفظ إليكم ، ويكون الكلام على المجاز وتنزيل قيام الحجة له منزلة قيام العذر لنا والمسفرة الكاشفة عن نتائجها الصحيحة وبارزة العذر ظاهرته .

ومن كلام له عليه السلام في معاوية

والله ما معاوية بأدهى مني ، ولكنه يغدرُ ويفجرُ ، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس ، ولكن كلُّ غدرةٍ فجرةٌ ، وكل فجرةٍ كفرةٌ ، ولكل غادرٍ لواء يعرف به يوم القيامة ، والله ما أستغفلُ بالمكيدةِ ، ولا أستغمزُ بالشديدةِ[1] .

ومن كلام له عليه السلام يعظ الناس بسلوك الطريق الواضح

أيها الناس ! لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة أهله ، فإن الناس قد اجتمعوا على مائدةٍ شِبَعُها قَصِيرٌ[2] ، وجُوعُهَا طويلٌ .

أيها الناس ! إنما يجمع الناس الرضاء والسخط[3] ، وإنما عقرَ ناقة ثمود رجلٌ واحدٌ فَعَمهم الله بالعذاب لمَّا عَمُّوهُ بالرضا فقال سبحانه { فعقروها فأصبحوا نادمين } ، الشعراء (157) ، فما كان إلا أن خارت أرضهم بالخسفةِ[4] ، خُوَارَ السكةِ المحماةِ في الأرض الخَوَّارَةِ .

أيها الناس ! من سلكَ الطريق الواضِحَ وَرَدَ الماءَ ، ومنْ خالفَ وقع في التيهِ .

1- لا أُسغمزَ : مبني للمجهول أي لا أُستَضْعَف بالقوة الشديدة ، والمعنى لا يستضعفني شديد القوة ، والغمز : - محركة - الرجل الضعيف .

2- المائدة : هي مائدة الدنيا ، فلا تغرنكم رغباتها ، فتنضم بكم مع الضالين في محبتها فذلك متاع قليل .

3- أي يجمعهم في استحقاق العقاب ، فإنّ الراضي بالمنكر كفاعله ، ومن لم ينه عنه فهو به راض .

4- خارت : صوتت كخوار الثور .

والسكة المحماة : حديدة المحراث إذا أحميت في النار فهي أسرع غوراً في الأرض الخوارة - أي السهلة اللينة - ، وقد يكون لها صوت شديد إذا كان في الأرض شيء من جذور النبات ، يشتد الصوت كلما اشتدت السرعة .

ومن كلام له عليه السلام عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام

السلامُ عليك يا رسول الله ، عني وعن ابنتك النازلة في جوارك ، والسريعة اللحاق بك ، قل يا رسول الله عن صَفِيَّتِكَ صبري ، ورقَّ عنها تجلدي ، إلا أن لي في التأسي بعظيم فُرقتِك[1] وفادح مصيبتك ، وموضعَ تعزٍّ ، فلقد وسدتُك في ملحودةِ قبرك ، وفاضتْ بين نحري وصدري نفسُكَ ، إنا لله وإنا إليه راجعون فلقد اسْتُرْجِعَتِ الوديعة ، وأُخِذَتِ الرهينةُ ، أما حزني فَسَرْمَدٌ وأما ليلي فَمُسَهَّدٌ[2] ، الى أن يختار الله لي دارَكَ التي أنتَ بها مقيمٌ ، وستُنَبِّئُكَ ابنتك بتضافُرِ أمتِكَ على هَضْمِهَا[3] ، فأحفيها السؤال ، واستخبرها الحال ، هذا ولم يطل العهد ، ولم يخلُ منك الذكر ، والسلام عليكما سلامَ مُودعٍ لا قَالٍ ولا سَئِمٍ[4] ، فإن أنصرفُ فلا عن مَلاَلَةٍ ، وإن أقِمْ فلاَ عنْ سُوءِ ظَنٍّ بما وَعدَ الله الصَّابِرِينَ .

ومن كلام له عليه السلام في التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة

أيها الناس إنما الدنيا دار مجازٍ[5] ، والآخرة دارُ قرار ، فخذوا من مَمَرِّكُم لِمَقَرِّكُمْ ، ولا تَهْتِكُوا أستارَكُم عند من يعلم أسراركم ، وأخْرِجُوا من الدنيا قُلُوبَكُم مِنْ قَبْلِ أن تَخْرُجَ مِنْها أبدانُكُمْ ، ففيها اخْتُبِرتُمْ ، وَلِغَيرِهَا خُلِقْتُمْ ، إنَّ المرءَ إذا هَلَكَ قال الناسُ : { ما تَرَكَ ؟} ، وقالت الملائكة : { ما قَدَّمَ ؟ } ، لله آباؤُكُم ! فقَدِّمُوا بَعْضاً يَكُنْ لَكُمْ قَرْضاً ، ولا تُخلِّفُوا كُلاًّ فَيَكُونَ عَلَيْكُمْ .

1- يريد بالتأسي : الإعتبار بالمثال المتقدم ، والفادح : المثقل ، والتعزي : التصبر ، وملحودة القبر : الجهة المشقوقة منه .

2- ينقضي بالسهاد : وهو السهر .

3- هضمها : ظلمها ، وإحفاء السؤال : الإستقصاء فيه .

4- القالي : المبغض ، والسئم من السآمة .

5- أي ممر الى الآخرة .

وقال عليه السلام : الكلامُ في وثَاقِكَ ما لَم تتكلَّمْ بِهِ[1] ، فإذا تكلَّمتَ بِهِ صِرْتَ في وثاقه ، فاخْزُن لسانَكَ كما تَخْزُنُ ذهبكَ ووَرِقَكَ ، فَرُبَ كلمةٍ سَلَبَتْ نِعْمَتةً ، وجلبَتْ نِقْمَةً .

وقال عليه السلام : لا تقل ما لا تعلم ، بل لا تقل كل ما تَعلَمُ ، فإنَّ اللهَ فرضَ على جوارحكَ كُلها فرائضَ يَحْتَجُّ بها عَلَيْك يومَ القيامةِ .

وقال عليه السلام : المَنِيَّةُ ولا الدَّنِيَّةُ ، والتَّقَلُّلُ ولا التَّوَسُّلُ[2] ، ومنْ لَمْ يُعْطَ قَاعِداً لَمْ يُعْطَ قَائِماً[3] والدهر يومان : يومٌ لك ، ويومٌ عليك ، فإذا كان لكَ فلاَ تَبْطَرْ ، وإذا كان عليْكَ فَاصْبِرْ .

وقال عليه السلام : ما أَحْسَنَ تَوَاضُعَ الأغْنِياءِ لِلفُقَرَاءِ طلَباً لِما عِنْدَ الله ، وأَحْسَنُ مِنْهُ تِيهُ الفُقَرَاءِ عَلَى الأغْنِيَاءِ اتكَالاً عَلَى اللهِ[4] .

وقال عليه السلام : مَنْ صَارَعَ الحَقَّ صَرَعَهُ .

وقال عليه السلام : القَلْبُ مُصْحَفُ الْبَصَرِ .

وقال عليه السلام : التُّقَى رَئِيسُ الأخْلاَقِ .

1- الوثاق - كسحاب - : ما يشدّ به ويربط ، أي أنت مالك لكلامك قبل أن يصدر عنك ، فإذا تكلمت به صرت مملوكاً له ، فإمّا نفعك أو ضرّك ، وخَزَنَ - كنصر - : حفظ ومنع الغير من الوصول الى مخزونه ، والوَرِق - بفتح فكسر - الفضة .

2- المنية : أي الموت يكون ولا يكون ارتكاب الدنية كالتذلل والنفاق ، والتقلل : أي الإكتفاء بالقليل يرضى به الشريف ولا يرضى بالتوسّل الى الناس .

3- كنى بالقعود عن سهولة الطلب وبالقيام عن التعسّف فيه .

4- لأن تيه الفقير وأنفته على الغني أدلّ على كمال اليقين بالله ، فإنّه بذلك قد أمات طمعاً ومحا خسوفاً ، وصابر في يأس شديد ولا شيء من هذا في تواضع الغني .

وفي خبر آخر أنه عليه السلام قال للأشعث بن قيس معزياً : إنْ صبرتَ صَبْرَ الأكَارِمِ وإلا سَلَوْتَ سُلُوَّ الْبَهَائِمِ .

وقال عليه السلام : يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه من القرآن إلا رسمه ومن الإسلام إلا اسمه مساجدهم يومئذ عامرة من البُنى ، خراب من الهدى ، سُكانها وعمّارها أهل الأرض منهم تخرج الفتنة وإليهم ، وإليهم تأوي الخطيئة يَردُّون من شدتهاها فيها ويسقون من تأخر عنها إليها بقول الله تعالى { فبي ـــــ لأبعثن على أولائك فتنة أترك الحليم فيها حيران } ، وقد فعل ونحن نتقيل ، الله ، عثرة الغفلة .

وقال عليه السلام لجابر بن عبد الله الأنصاري : يا جابر قوام الدين والدنيا بأربعة عالم ومُستعمل عِلمَهُ ، وجاهل يستنكف أن يتعلم ، وجوّاد لا يبخل بمعروفه ، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه ، فإذا ضيع العالم علمه ، واستنكف الجاهل أن يتعلم ، وإذا بخل الغني بمعروفه ، وباع الفقير آخرته بدنياه ، يا جابر كثرت نِقَمُ الله عليه ، كثرت حوائج الناس إليه ، فمن قام لله فيها بما يجب عَرضها للدوام والبقاء ، ومن لم يقم فيها بما يجب عرضها للزوال والفناء .

باب ذكر بعض

الأحاديث الفقهية

باب النكاح

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه قال سألت عائشة زوج النبي ﷺ كم كان صداق رسول الله ﷺ قالت كان صداقه لأزواجه ثنتي عشرة أوقية نشّاً قالت أتدري ما النش قال قالت لا قالت نصف أوقية فتلك خمسمائة درهم فهذا صداق رسول الله ﷺ لأزواجه .

حدثنا يحيى بن يحيى التميمي وأبو الربيع سليمان ابن داود العتكي وقتيبة بن سعيد واللفظ ليحيى قال يحيى أخبرنا وقال الآخران حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة فقال ما هذا قال يا رسول الله إني تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب قال فبارك الله لك أولم ولو بشاة .

باب استحباب نكاح ذات الدين

حدثنا زهير بن حرب ومحمد بن المثنى وعبيد الله بن سعيد قالوا حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله أخبرني سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك .

وحدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا أبي حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء أخبرني جابر بن عبد الله قال تزوجت امرأة في عهد رسول الله ﷺ فلقيت النبي ﷺ فقال يا جابر تزوجت قلت نعم قال بكر أم ثيب قلت ثيب قال فهلا بكراً تلاعبها قلت يا رسول الله إنّ لي أخوات فخشيت أن تدخل بيني وبينهن قال فذاك إذن إنّ المرأة تنكح على دينها ومالها وجمالها فعليك بذات الدين تربت يداك .

باب استحباب نكاح البكر

حدثنا يحيى بن يحيى وأبو الربيع الزهراني قال يحيى أخبرنا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله أن عبد الله هلك وترك تسع بنات أو قال سبع فتزوجت امرأة ثيباً فقال لي رسول الله ﷺ يا جابر تزوجت قال قلت نعم قال فبكر أم ثيب قال قلت بل ثيب يا رسول الله قال فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك أو قال تضاحكها وتضاحكك قال قلت له إنّ عبد الله هلك وترك تسع بنات أو سبع وإني كرهت أن آتيهن أو أجيئهن بمثلهن فأحببتُ أن أجيء بامرأة تقوم عليهن وتصلحهن قال فبارك الله لك أو قال لي خيراً وفي رواية أبي الربيع تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك .

وحدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا سفيان عن عمرو عن جابر بن عبد الله قال قال لي رسول الله ﷺ هل نكحت يا جابر وساق الحديث الى قوله امرأة تقوم عليهن وتمشطهن قال أصبت ولم يذكر ما بعده .

باب كتاب الطلاق

حدثنا أبو الربيع حدثنا حماد عن أيوب وحدثنا ابن نمير حدثنا أبي حدثنا عبد الله جميعاً عن نافع عن صفية بنت أبي عبيد عن بعض أزواج النبي ﷺ بمعنى حديثهم .

وحدثنا يحيى بن يحيى وأبو بكر بن أبي شيبة وعمرو الناقد وزهير بن حرب { واللفظ ليحيى } قال يحيى أخبرنا وقال الآخرون حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوجها .

وحدثنا حسن بن الربيع حدثنا ابن إدريس عن هشام عن حفصة عن أم عطية أن رسول الله ﷺ قال لا تحد امرأة على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً ولا تلبس ثوباً مصبوغاً إلا ثوب عصب ولا تكتحل ولا تمس طيباً إلا إذا طهرت نبذة من قسط أو أظفار .

باب ما جاء في الواصلة والمستصلة والواشمة والمستوشمة

حدثنا سويد ، اخبرنا عبد الله بن المبارك ، عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : لعن الله الواصلة[1] والمستوصلة ، والواشمة والمستوشمة ، قال نافع : الوشم في اللثة .

باب استحباب دخول الكعبة للحاج وغيره والصلاة فيها والدعاء في نواحيها كلها

ذكر مسلم رحمه الله في الباب بأسانيده عن بلال رضي الله عنه { أن النبي ﷺ دخل الكعبة وصلى فيها بين العمودين } وبإسناده عن أسامة رضي الله عنه { أنه ﷺ دعا في نواحيها ولم يصل } وأجمع أهل الحديث على الأخذ برواية بلال لأنه مثبت فمعه زيادة علم فواجب ترجيحه والمراد بالصلاة المعهودة ذات الركوع والسجود .

باب الإفاضة من عرفات الى المزدلفة ، واستحباب صلاتي المغرب والعشاء جميعاً بالمزدلفة في هذه الليلة

حدثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن موسى بن عقبة عن كريب مولى ابن عباس عن أسامة بن زيد أنه سمعه يقول دفع رسول الله ﷺ من عرفة حتى إذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضأ ولم يسبغ الوضوء فقلت له الصلاة قال الصلاة أمامك فركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم أناخ كل إنسان بعيره في منزله ثم أقيمت العشاء فصلاها ولم يصل بينهما شيئاً .

1- الواصلة : التي تصل شعر المرآة بشعر آخر ، والمستوصلة التي تطلب أن يفعل بها ذلك ، والوشم معروف .

باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً وبيان قوله صلى الله عليه وسلم ((لتأخذوا مناسككم))

حدثنا إسحاق بن إبراهيم وعلي بن خشرم جميعاً عن عيسى بن يونس قال ابن خشرم أخبرنا عيسى عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابراً يقول رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر ويقول لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه .

باب التلبية والتكبير في الذهاب من منى الى عرفات في يوم عرفة

حدثنا أحمد بن حنبل ومحمد بن المثنى قالا حدثنا عبد الله بن نمير ح وحدثنا سعيد بن يحيى الأموي حدثني أبي قالا جميعاً حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الله بن أبي سلمة عن عبد الله بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال غدونا مع رسول الله ﷺ من منى الى عرفات منا الملبي ومنا المكبر .

وحدثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن محمد بن أبي بكر الثقفي أنه سأل أنس بن مالك وهما غاديان من منى الى عرفة كيف كنتم تصنعون في هذا اليوم مع رسول الله ﷺ فقال كان يهل المهل منا فلا ينكر عليه ويكبر المكبر منا فلا ينكر عليه .

باب استحباب كون حصى الجمار بقدر حصى الخذف

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو خالد الأحمر وابن إدريس عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر قال رمى رسول الله ﷺ الجمرة يوم النحر ضحى وأما بعد فإذا زالت الشمس .

باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة

حدثني عمرو الناقد وزهير بن حرب واللفظ لعمرو قالا حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام .

عن أبي هريرة يحدث أن رسول الله ﷺ قال صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة أو كألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا أن يكون المسجد الحرام .

باب المدينة تنفي شرارها

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز يعني الداوردي عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم الى الرخاء هلم الى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذي نفسي بيده لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه إلا أن المدينة كالكير تخرج الخبيث لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد .

وحدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس فيما قرىء عليه عن يحيى بن سعيد قال سمعت أبا الحباب سعيد بن يسار يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد .

وحدثنا عبيد الله بن معاذ وهو العنبري حدثنا أبي حدثنا شعبة عن عدي وهو ابن ثابت سمع عبد الله بن يزيد عن زيد بن ثابت عن النبي ﷺ قال إنها طيبة يعني المدينة وإنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة .

وحدثنا قتيبة بن سعيد وهناد بن السري وأبو بكر ابن أبي شيبة قالوا حدثنا أبو الأحوص عن سماك عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله تعالى سمي المدينة طابة .

حدثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن نعيم بن عبد الله عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال .

وحدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر جميعاً عن إسماعيل بن جعفر أخبرني العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال يأتي المسيح من قبل المشرق همته المدينة حتى ينزل دبر أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهنالك يهلك .

باب أحد جبل تحبنا ونحبه

حدثنا عبد الله بن مسلمة القعنبي حدثنا سليمان ابن بلال عن عمرة بن يحيى عن عباس بن سهل الساعدي عن أبي حميد قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وساق الحديث وفيه ثم أقبلنا حتى قدمنا وادي القرى فقال رسول الله ﷺ إني مسرع فمن شاء منكم فليسرع معي ومن شاء فليمكث فخرجنا حتى أشرفنا على المدينة فقال هذه طابة وهذا أحد وهو جبل يحبنا ونحبه .

حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا قرة بن خالد عن قتادة حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ إن أحداً جبل يحبنا ونحبه .

باب من أراد بأهل المدينة بسوء أذابه الله

حدثني محمد بن حاتم وإبراهيم بن دينار قالا حدثنا حجاج بن محمد ح وحدثني محمد بن رافع حدثنا عبد الرزاق كلاهما عن ابن جريج أخبرني عبد الله بن عبد الرحمن بن يحنس عن أبي عبد الله القراظ أنه قال أشهد على أبي هريرة أنه قال : قال أبو القاسم ﷺ من أراد أهل هذه البلدة بسوء ((يعني المدينة)) أذابه الله كما يذوب الملح في الماء .

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حاتم يعني ابن إسماعيل عن عمر بن نبيه أخبرني دينار القراظ قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : قال رسول الله ﷺ : { من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء } .

باب فضل ما بين قبره صلى الله عليه وسلم ومنبره وفضل موضع منبره

قوله ﷺ { ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة } ذكروا في معناه قولين أحدهما أن ذلك الموضع / بعينه / ينقل الى الجنة والثاني أن العبادة فيه تؤدي الى الجنة قال الطبري في المراد ببيتي هنا قولان أحدهما القبر والثاني المراد / بيت / سكناه على ظاهره

وروي مابين حجرتي ومنبري قال الطبري والقولان متفقان لأن قبره في حجرته وهي بيته . قوله ﷺ { ومنبري على حوضي } .

باب كتاب اللعان

حدثنا محمد بن رافع حدثنا عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج أخبرني ابن شهاب عن المتلاعنين وعن السنة فيهما عن حديث سهل بن أسعد أخي بني ساعدة أن رجلاً من الأنصار جاء الى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً وذكر الحديث بقصته وزاد فيه فتلاعنا في المسجد وأنا شاهد وقال في الحديث فطلقها ثلاثاً قبل أن يأمره رسول الله ﷺ ففارقها عند النبي ﷺ فقال النبي ﷺ ذاكم التفريق بين كل متلاعنين .

وحدثنا محمد بن رمح ابن المهاجر وعيسى بن حماد المصريان { واللفظ لابن رمح } قالا أخبرنا الليث عن يحيى بن سعيد عن عبد الرحمن بن القاسم عن القاسم بن محمد عن ابن عباس أنه قال ذكر التلاعن عند رسول الله ﷺ فقال عاصم بن عديّ في ذلك قولاً ثم انصرف فأتاه رجل من قومه يشكو إليه أنه وجد مع أهله رجلاً فقال عاصم ما ابتليت بهذا إلا لقولي فذهب به الى رسول الله ﷺ فأخبره بالذي وجد عليه امرأته وكان ذلك الرجل مصفراً قليل اللحم سبط الشعر وكان الذي ادعى عليه أنه وجد عند أهله خدلا آدم كثير اللحم فقال رسول الله ﷺ اللهم بين فوضعت شبيهاً بالرجل الذي ذكر زوجها أنه وجده عندها فلاعن رسول الله ﷺ بينهما فقال رجل لابن عباس في المجلس أهي التي قال رسول الله ﷺ لو رجمت أحداً بغير بينة رجمت هذه فقال ابن عباس لا تلك امرأة كانت تظهر في الإسلام السوء .

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال حدثني سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال سعد بن عبادة يا رسول الله لو وجدت مع أهلي رجلاً لم أمسه حتى آتي

بأربعة شهداء قال رسول الله ﷺ نعم قال كلا والذي بعثك بالحق إن كنت لأعاجله بالسيف قبل ذلك قال رسول الله ﷺ اسمعوا الى ما يقول سيدكم إنه لغيور وأنا أغير منه والله أغير مني .

حدثني عبيد الله بن عمر القواريري وأبو كامل فضيل بن حسين الجحدري واللفظ لأبي كامل قالا حدَّثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن وراد كاتب المغيرة عن المغيرة بن شعبة قال قال سعد بن عبادة لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح عنه فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال أتعجبون من غيرة سعد فوالله لأنا أغير منه والله أغير مني من أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا شخص أغير من الله ولا شخص أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين ولا شخص أحب إليه المدحة من الله من أجل ذلك وعد الله الجنة .

باب ما جاء في احتجاب النساء من الرجال

حدثنا سويد ، حدثنا عبد الله أخبرنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن نبهان مولى أم سلمة : أنه حدثه أن أم سلمة حدثته أنها كانت عند رسول الله ﷺ وميمونة قالت : فبينا نحن عنده أقبل ابن مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب ، فقال رسول الله ﷺ : احْتجبا منهُ فقلت : يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : أفعُمْيَاوَانِ أنتما ؟ ألستما تبصرانِهِ ؟

حديث حسن صحيح رواه أبو داوود والنسائي

باب ما جاء في تحذير من فتنة النساء

حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني ، حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن أبي عثمان عن أسامة بن زيد وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل عن النبي ﷺ قال : ما تركت بعدي في الناس فتنة أضر على الرجال من النساء .

وقد روى هذا الحديث أكثر من واحد عن البخاري

باب الفوائد

فائدة

قول النبي ﷺ { من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه } سر هذا التشبيه والله أعلم أن اللاعب بها لما كان مقصوده بلعبه أكل المال بالباطل الذي هو حرام كحرمة لحم الخنزير وتوصل إليه بالقمار وظن أنه يفيده حل المال كان كالمتوصل الى أكل لحم الخنزير بذكاته ، والنبي ﷺ شبه اللاعب بها بغامس يده في لحم الخنزير ودمه إذ هو مقدمة الأكل كما أن اللعب بها مقدمة أكل المال فإن أكل بها المال كان كأكل لحم الخنزير ، والتشبه إنما وقع مقدمة هذا بمقدمة هذا والله أعلم .

فائدة

كانت كرامة رسول الله ﷺ بالإسراء مفاجأة من غير ميعاد ليحمل عنه ألم الإنتظار ويفاجأ بالكرامة بغتة وكرامة موسى بعد انتظار أربعين ليلة .

فائدة

لما سافر موسى الى الخضر وجد في طريقه مس الجوع والنصب فقال لفتاه : { آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا } فإنه سفر الى مخلوق ولما واعده ربه ثلاثين ليلة وأتمها بعشر فلم يأكل فيها ولم يجد مس الجوع ولا النصب فإنه سفر الى ربه تعالى وهكذا سفر القلب وسيره الى ربه لا يجد فيه من الشقاء والنصب ما يجده في سفره الى بعض المخلوقين .

فائدة

تسخير البراق لحمل رسول الله ﷺ في ليلة واحدة مسيرة شهرين ذهاباً وإياباً أعظم من تسخير الريح لسليمان مسيرة شهرين في يوم واحد ذهاباً وإياباً فإن الريح سريعة الحركة طبعها الإسراع بما تحمله وأما البراق فالآية فيه أعظم .

فائدة

شق صدر النبي ﷺ والإعتناء بتطهير قلبه وحشوه إيماناً وحكمة دليل أن محل العقل القلب وهو متصل بالدماغ ، واستدل بعض الفقهاء بغسل قلبه ﷺ في الطست من الذهب على جواز تحلية المصاحف بالذهب والمساجد وهو في غاية البعد ، فإن ذلك كان قبل النبوة ولم يكن ذلك من ذهب الدنيا وكان كرامة أكرم بها ﷺ وكان من فعل الملائكة بأمر الله وهم ليسوا داخلين تحت تكاليف البشر ، وأبعد منه احتجاج من احتج به على جواز انتفاع الرجل بالحرير تبعاً لامرأته كالفراش واللحاف والمخدة قال لأن الملك لا حرج عليه والنبي ﷺ انتفع بذلك تبعاً ، وقد أبعد هذا القائل النجعة وأتى بغير دليل .

فائدة

قول النبي ﷺ : { لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة } لأن اللعن أساءة بل من أبلغ الإساءة والشفاعة إحسان فالمسيء في هذه الدار باللعن سلبه الله الإحسان في الأخرى بالشفاعة فإن الإنسان إنما يحصد ما يزرع والإساءة مانعه من الشفاعة التي هي إحسان ، وأما منع اللعن من الشهادة فإن اللعن عداوة وهي منافية للشهادة ولهذا كان النبي ﷺ سيد الشفعاء وشفيع الخلائق لكمال إحسانه ورأفته ورحمته بهم ﷺ .

فائدة

السر والله أعلم في خروج الخلافة عن أهل بيت النبي ﷺ الى أبي بكر وعمر وعثمان إن علياً لو تولى الخلافة بعد موته لأوشك أن يقول المبطلون أنه ملك ورث ملكه أهل بيته فصان الله منصب رسالته ونبوته عن هذه الشبهة وتأمل قول هرقل لأبي سفيان هل كان في آبائه من ملك قال لا ، فقال لو كان في آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك آبائه فصان الله منصبه العلي من شبهة الملك في آبائه وأهل بيته وهذا والله أعلم هو السر في كونه لم يورث هو والأنبياء قطعاً لهذه الشبهة لئلا يظن المبطل أن الأنبياء طلبوا جمع الدنيا لأولادهم وورثتهم كما يفعله الإنسان من زهده في نفسه وتوريثه ماله لولده وذريته فصانهم الله عن ذلك ومنعهم من توريث ورثتهم شيئاً من المال لئلا يتطرق التهمة الى حجج الله ورسله فلا يبقى في نبوتهم ورسالتهم شبهة أصلاً (و لا يقال) فقد وليها علي أهل بيته لأن الأمر لما سبق أنها ليست بملك مورث وإنما هي خلافة نبوة تستحق بالسبق والتقدم كان علي في وقته هو سابق الأمة وأفضلها ولم يكن فيهم حين وليها أولى بها منه ولا خير منه فلم يحصل لمبطل بذلك شبهة والحمد لله .

فائدة

في شراء رجل مسجد المدينة من اليتيمين وجعلها مسجداً من الفقه دليل على جواز بيع عقار اليتيم وإن لم يكن محتاجاً الى بيعه للنفقة إذا كان في البيع مصلحة للمسلمين عامة لبناء مسجد أو سور أو نحوه ، ويؤخذ من ذلك أيضاً بيعه إذا عوض عنه بما هو خير له منه ، وفي نبش قبور المشركين من الأرض وجعلها مسجداً دليل على طهارة المقبرة فإن الصلاة فيها لم ينه عنها لنجاستها وإنما هو صيانة للتوحيد وسداً لذريعة الشرك بالقبور الذي هو أصل عبادة الأصنام كما قال ابن عباس وغيره .

فائدة

أحكام فقهية مستنبطة من الأحاديث

في حديث عبد الله بن جحش أن النبي ﷺ كتب له كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى يسير يومين وإن عبد الله امتثل أمره ففتح الكتاب بعد اليومين فقرأه .

الحديث فيه من فقه جواز الشهادة على الكتاب الذي لا يدري ما فيه بل إذا قال هذا كتابي فاشهد على بما فيه جازت الشهادة وهي مسألة خلاف مشهورة وتسمى شهادة التقليد ويدل عليها أيضاً أن النبي ﷺ كان يبعث كتبه الى الملوك والنواحي ولا يقرأها على من يبعثها معه ، بل يقول هذا كتابي فأوصله الى فلان ، وكذلك عمل به خلفاؤه من بعده ، وفيه جواز تراخي القبول عن الإيجاب فإن في هذا الكتاب أن أقرأه ولا تكره أحداً فمن أجابك فامض به حتى تنزل نخلة . وفيه مسألة بديعة وهي جواز العقد والتولية على أمر مجهول حال العقد بتبين في ثاني الحال .

فائدة

قول النبي ﷺ لما أنشدته قبيلة بنت الحارث شعرها المعروف ترثي به أخاها النضر لو سمعت هذا قبل قتله لم أقتله ليس فيه الندم على قتله فإنه لم يقتله إلا بالحق ولكن كان ﷺ رفيقاً رحيماً يقبل الشفاعة ويمنّ على الجاني فمعناه لو شفعت عندي بما قالت قبل أن أقتله لقبلت شفاعتها وتركته .

وقريب من هذا قوله { لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدى ولجعلتها متعة } ليس فيها ندامة على أفضل مما أتى به من النسك فإن الله لم يكن ليختار له إلا أفضل الأنساك وأعلاها ولكن كان لمحبة تألف قلوب أصحابه وموافقتهم وتطييب نفوسهم بأن يفعل كما فعلوا ودَّ لو أنه أحل كما أحلوا ولكن منعه سوق الهدى وعلى هذا فيكون الله تعالى قد اختار له أفضل الأنساك بفعله وأعطاه ما تمناه من موافقة أصحابه وتألف قلوبهم بنيته ومنّاه فجمع له بين الأمرين وهذا هو اللائق به صلوات الله وسلامه عليه .

باب الآيات والأحاديث الصحيحة الواردة في أوامر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بدوام الإستغفار

قال تعالى : " واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات " .

وقال : " فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً " .

وقال : " ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب " .

وفيه آيات كثيرة أخرج الطبراني عن عادات ابن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة أي في مقابل استغفاره لهم - .

وأخرج الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ { ما أصبحت ...... إلا استغفرت الله مائة مرة .

وأخرج مسلم والإمام أحمد عن المزني والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنهما قالا : أن النبي صلى الله عله وسلم جمع الناس فقال إليهم أن توبوا الى الله تعالى فإني أتوب في اليوم مائة مرة .

وعن أبي سلمة : إني لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم مائة مرة ، وفي رواية أخرى : أني لأستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة .

وفي تفسير الحنفي بأن يقول : أستغفر الله وأتوب إليه " واعلم " أن استغفار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يكون عن ذنب حقيقة كذنوبنا وإنما هو عن أمور ، ويصح حمل قوله تعالى ليغفر الله لك ما تقدم وما تأخر على نية الذنب إليه فجميع ذنوب أمته تضاف إليه ، فما عصى آدم وإنما عصى بنوه الذين كانوا في ظهره ، فما كان قوله تعالى { ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر إلا تطميناً له ﷺ أن الله تعالى قد غفر جميع ذنوب أمته التي جاءت بها شريعته ولو بعد عقوبة بإقامة الحدود في دار الدنيا كذا في الكبريت الأحمر { قال ابن مالك المراد بمائة مرّة التكثير لا التجديد ، ودخل في الناس الذكور والإناث ومنه يعلم أنَّ وِرْدَ الإستغفار والتوبة لا يسقطان أبداً وهما واجبان على الفور .

قال ﷺ ما أصرفه " استغفروا ولو في اليوم سبعين مرة " وأخرج الديلمي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ { لا كبيرة مع الإستغفار ولا صغيرة مع الإصرار } .

باب المولد النبوي الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء الى كل مسلم تشغله الفتن والعداوة عن الصراط المستقيم وأهله آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم . . .

الى كل كتابي يتحرى البينة في التوراة والإنجيل عن أهل الرسالة فيتبعها . . .

راجياً الله عز وجل أن ينفع به قراءه وينفع بهم وينفعنا بذلك . . .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه الشديد ، وأشهد أن لا إله إلا هو ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على خاتم النبيين وأفضلهم وأحبهم الى الله تعالى محمد ﷺ وعلى آل فاطمة وعلي والحسن والحسين أفضل آل النبيين وأزواجه وسائر آل ذريته ، وقرابته وصحابته المرضيين ومن اتبعهم جميعاً بإحسان الى يوم الدين وبعد :

فقد قال الرسول الأعظم ﷺ المبعوث للناس كافة : { افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في النار ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة } .

رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد والترمذي وقال حسن صحيح

وأخرج الحاكم على شرط الشيخين البخاري ومسلم الحديث المُعجز المهم ، فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : { النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض من الإختلاف } . (الإختلاف في الدين أي العداوة) .

فأهل بيته بعده الى يوم القيامة هم الحجة على اليهود والنصارى والفرق الضالة في الأمة جميعاً كما سترى .

يتضمن هذا الكتاب المنجي لمن أخذ به أربعة أبواب :

أولاً : الصلاة الإبراهيمية التي تذكر المسلم بأهل الرسالة الربانية من آدم الى نوح الى إبراهيم الى الابن الأمجد محمد ﷺ ، مروراً بآله فاطمة وعلي وذريته منهما ، التي يُخرج الله منها أكابر الأولياء ، مفاتيح الرحمة ، ومعادن الحكمة ، وأمن الأمة ، كما دعا النبي ﷺ بذلك ومن محبيهم الصادقين الناصرين وصولاً الى إمام آخر الزمان المهدي المنتظر قريباً جداً ، عطاءً من الله ورحمة وإكراماً لأحب الخلق إليه عز وجل ، نبينا محمد ﷺ في ذريته ، كما كان الحال مع آبائه وإخوانه الأنبياء أهل الرسالة من قبل ، ذرية بعضها من بعض ، كما تقرأ في آية الإصطفاء وحديثها وغيرهما .

ثانياً : المولد النبوي الشريف .

ثالثاً : في البدعة عموماً وما يبدعُ الظالمون .

رابعاً : في التوسل والوسيلة .

ولا بد من الإشارة القوية لأعداء المؤمنين اليهود ، وكيدهم الشديد الآثم دائماً ، وخاصة منذ أول القرن الماضي العشرين ميلادي وتحضيراتهم من قبل ، باحتلالهم وأوليائهم النصارى ، محيط الدولة العثمانية الإسلامية في شمال إفريقيا ، ومصر { مكمهون اليهودي } ، والخليج { جون فليبي اليهودي } ، والإنقلاب الشيوعي اليهودي في روسيا على حدود المسلمين { وزارة لنين اليهودية الثلاثة والعشرون ، عشرون منهم يهود سنة 1917 م } ، ونفوذ يهود الدونمة في تركيا العثمانية في حزب الإتحاد والترقي الطوراني القومي التركي والنفخ في القوميات الأخرى في السلطنة العثمانية ، للتعادي فيما بينها ، وإسقاط الملك العثماني المسلم عبد الحميد الثاني سنة 1909 م ، وإدخال الدولة العثمانية بقيادة اليهود في الإتحاد والترقي الحرب العالمية الأولى سنة 1914 م ، لتفتيتها من الداخل ، بالتعاون مع يهود الخارج حولهم أوليائهم وما حصل بعدها بانتداب فلسطين وإسكان اليهود الحاليين فيها ، وإقامة الجبريات الجائرة المعادية للإسلام في كل بلاد المسلمين المقطعة الأوصال جميعاً ، كل هذا في التاريخ الحديث يعلمه القارئ .

فماذا أخبر النبي الأكرم ﷺ من قبل وقال : { سيكون من بعدي خلفاء ، ومن بعد الخلفاء أمراء ، { آخرهم عبد الحميد الثاني 1909 م } ، ومن بعد الأمراء ملوك جبابرة ، ثم يخرج المهدي من أهل بيتي ، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً } .

رواه أبو نعيم في فوائده والطبراني في معجمه

وقال عليه السلام وعلى آله في حديث آخر شبيه ، عن عهود الحكم أيضاً الى قيام الساعة { تكون نبوة ما شاء الله لها أن تكون ثم تنقضي ، ثم تكون خلافة راشدة ما شاء الله لها أن تكون ثم تنقضي ، ثم تكون ملكاً عَضوضاً ما شاء الله لها أن تكون ثم تنقضي ، ثم تكون جبرية ما شاء الله لها أن تكون ثم تنقضي (دكتاتورية) ، ثم تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة تعم الأرض } وسكت .

رواه أحمد

وروى البخاري : قال عليه الصلاة والسلام وعلى آله داعياً : اللهم بارك لنا في شامنا ويمننا ! قالوا ونجِدنا يا رسول الله قال : { لا ، يخرج منها قرنُ الشيطان (وقد بدأ سنة 1924 م) وقد أخبر الله تعالى فقال : { لَتَجِدَنَ أَشَدَ الناسِ عَدَاوةً للذين ءَامنُوا اليَهُودَ والذينَ أَشْرَكُوا } (المائدة 82) ، والله نسأل أن تعود الأمة الى ربها ونبيها وآله { ذرياته } ورثة القرآن والسنة وأوصيائه ، وأهل الولاية ، ﷺ الى يوم القيامة القريب جداً .

نصيحة لمعرفة مدى التغلغل اليهودي في المسلمين والعالم للذي يريد الإستزادة قراءة هذه الكتب

1- اليهود ملوك العصر لمؤلفه توشوفيل .

2- طريق إسرائيل لمؤلفه ج . داورد .

3- تاريخ اليهود لمؤلفه شوراكي .

4- الإسلام وبني إسرائيل لمؤلفه . ج . أتلهان .

5- المفسدون في الأرض لمؤلفه س . نا .

بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة الإبراهيمية دليلك الى الله ورسوله كل يوم

يقول الله عز وجل في سورة الحجر آية (9) { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلنَا الذِكْرَ وَإنا لَهُ لَحافِظُون (9) } كتاباً وحكمةً { سنّة } ، وذلك الى يوم القيامة بمرجعيات آل النبي ﷺ { ذرياته الأولياء مع أبيهم الإمام علي عليه السلام } .

فلما انزل الله تعالى آية الأحزاب : { إنَّ الله ومَلائِكَتِهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبيّ يا أيها الذينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِمُوا تَسْلِيماً (56) } ، أمرنا سبحانه أن ندعو كالملائكة الأطهار ، دعاء موافقة إيمانية وإقرار ، بدوام رحمته عز وجل على النبي ، واستغفار الله تعالى له ، لأن الصلاة من العباد ، ملائكة ومؤمنين ، دعاء ، ومن الله تعالى جَعْلُ رحمته وفضله دائماً عليه ﷺ ، فننتفع بالإيمان والموافقة لله تعالى بهذا الذي رفع المؤمنين الى مصاف الملائكة بذلك .

أخرج البخاري ومسلم ، عدة صيغ مفسرة بعضها لبعض ، عن هذه الصلاة الإبراهيمية الواجبة ، في كل قعود أخير ، بكل صلاة مكتوبة أو غيرها .

فسأل الصحابة : عِلمنا كيف نسلم عليك يا رسول الله ! فكيف نصلي عليك ؟

فقال : { قولوا اللهم صلِ على محمد وعلى أزواجه وذريته } البخاري ومسلم وغيرهما ، وهذه الصيغة المنفردة الأفضل والأكمل .

ومرة مثل ذلك في المتفق عليه بين البخاري ومسلم ، عن أبن عجرة : قلنا يا رسول الله كيف نصلي عليك ؟

قال : { قولوا اللهم صلِ على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد

يُعرف بعدها أن النبي ﷺ هم أزواجه وذريته ، كما أوضحت صيغ الصلاة المتقدمة الإبراهيمية ، والمنفردة ، وهذه الصلاة الإبراهيمية واجبة ولا تصح الصلاة إلا بختم الصلاة بها .

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه { عالم قريش المبشر به ، يملأ أطباق الأرض علماً } .

يا آل بيت رسول الله حبكم   فرض من الله في القرآن أنزله

يكفيكم من عظيم الفخر أنكم   من لم يصلِ عليكم لا صلاة له

أي صحيحة أو كاملة ، في قول مرجوح عن الإمام الشافعي ، ويشير رضي الله عنه في فرض حبهم الى آية المودة في سورة الشورى آية (23) : { قُل لا أَسْئَلُكُم عَلَيهِ أَجْراً إلاَّ الْمَوَدَةَ في القُربى } ، وفرض هذا الحب هو لمصلحة المسلمين والناس ، كي يتصلوا بهم ، ويهتدوا بهم ، وينصروهم ، ويتبركوا بهم ، ويتوحدوا عليهم .

1- وعن حديث الإصطفاء : أخرج مسلم والترمذي ، قال رسول الله ﷺ { إن الله اصطفى كِنَانَة من ولد إسماعيل ابن إبراهيم ، واصطفى قريش من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم } ، تأمل الأفضل حتى الوصول لأعظم الأفضل صلى الله عليه وآله وسلم ، وآله كذلك منه وله هم الأفضل في الأمة ، لشرفه ﷺ وهم أفضل آل النبيين من قبل الى يوم الدين .

2- ولما كانوا الأفضل بعلمه عز وجل بمن خلق ويخلق ، كما قال في سورة تبارك ، جعل منهم أئمة الناس أيضاً الى يوم القيامة أنبياء وأولياء ، اقرأ قول الله تعالى في سورة البقرة آية (124) { وَإذا ابتلى إبراهيم رَبُّهُ بكلماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إنّي جَاعِلُكَ للنَّاسِ إمَاماً قالَ ومن ذُريتي } ، أجابه الله تعالى مستثنياً الظالمين ، مروراً بإمام المرسلين وذريته بعده الى يوم الدين ، فلا بد من المجاهدة والجهاد طريقة تربية الأنبياء والأولياء مع آل نبيه ﷺ لصحة الدين .

3- ولا تكون الإمامة إلا بالكتاب والحكمة ، أي بالعلم المسدد من الله تعالى نصاً وفهماً ، قال عزّ من قائل في سورة الأنعام (84 ، 85) : { وَوَهبنَا لهُ إسحاق وَيعْقُوبَ ومن ذُرّيَّته داوُود وَسُلْيمان وكَذلك نَجْزي المُحْسِنِين (84) وعيسى كُلٌّ منَ الصالحين (85) } يكافئ الله تعالى الصالحين بذرية صالحة ، وعيسى نسبه من أمه وليس له أب .

وفي سورة الحديد آية (26) : { وَلَقَدْ أرسَلنْا نُوحاً وَإبراهيمَ وَجَعَلْنا في ذُرّيَّتِهِما النُّبُوَّة وَالكِتاب } ولما اعترض الكفار المجرمون وقالوا { لَن نُّؤمن حَتى نُؤتى مِثلَ ما أوتي رُسُلُ اللهِ } ، قال الله

تعالى : { اللهُ أعلمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ... الخ } سورة الأنعام آية (124) فالرسالة في أهل بيت النبوة آباء وذريات وإخواناً الى يوم القيامة كما في آية الاصطفاء وحديث الاصطفاء الصحيح وغيرهما كما ترى .

ولما حسد أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، أهل البيت النبوي الشريف ، والقرآن ينزل ، واشتكى العباس والإمام علي عليهما السلام الى النبي ﷺ حسد آخرين في الأمة وهم المنافقون ، أنزل الله تعالى قوله { أمْ يَحْسُدُون النَّاس (أي النبي وآله) عَلى ما ءَاتاهُمُ الله مِن فَضلِهِ فَقَد ءَاتَيْنَا ءَال إبراهيم الكتاب والحكمةَ وَءَاتَيْنَاهُم مُّلكاً عَظيماً } سورة النساء (54) وهذا الإتيان للكتاب والحكمة ، والملك العظيم دائم الى يوم القيامة ، ويكون الملك ظاهراً وباطناً كما كان في يوسف وموسى وداود وسليمان ونبينا محمد عليهم السلام ، فقد حكموا أقوامهم والناس ظاهراً ، وحكموا الأرض باطناً بالدعاء المجاب خيراً للإسلام والمسلمين ، ودفعاً للشر أيضاً عنهم .

(باختصار) يكون الملك باطناً في الأنبياء والأولياء المحسنين الذين لا يحكمون أقوامهم ظاهراً الى يوم الدين كما في آل النبي محمد ﷺ ومحبيهم الصادقين والناصرين ، إلا ما كان من خلافة الإمام علي على الناس ، ثم بعد استشهاده عليه السلام خلافة ابنه الحسن نحو ستة أشهر ، تتمة الراشدين ثلاثين سنة كما في الحديث ، ثم تنازل عن حُكم الظاهر لمعاوية حقناً لدماء المسلمين ، كما كان قد أخبر نبينا ﷺ عنه وهو طفل قائلاً : { ابني هذا سيد وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين } .

البخاري وأبو نعيم

وسيكون حكم إمام آخر الزمان المنتظر القريب جداً (المهدي) عليه السلام ظاهراً وباطناً أيضاً ، إذ سيحكم الأرض بالإسلام وينشره في الأرض جميعاً والله ، فبشروا به كما أمرنا ، وباطناً بدعائه عليه السلام كما تقدم ، ثم لا يكون خيراً بعده ، ثم القيامة على الكفار .

4- كما صلى الله تعالى على إبراهيم ، أي جعل الرحمة عليه ومن كان ويكون على ملته وذريته كما في سورة إبراهيم آية (40) إذ دعا قائلاً مجاباً { رَبِّ اجعَلني مُقيمَ الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دُعاءِ (40) } ، وقالت الملائكة إقراراً وإيماناً ، عند بشارة إبراهيم بإسحاق على الكِبَر : { قَالُوا أَتَعْجَبينَ من أمر الله رَحمتُ الله وبركاتهُ عَليكم أهلَ البيت إنه حَميدٌ مَجيد } هود (73) ، ودعا في سورة البقرة آية (128 ، 129) وهو يرفع القواعد من البيت في مكة بأمر الله تعالى مع ابنه إسماعيل عليهما السلام ، ولا بشر هناك بعد ، فقال : { رَبَّنا وَاجْعلنا مُسلمين

لكَ ومن ذُريتنا أمة مُسلمةً لَّك وَأرنا مَناسِكَنا وَتُب عَلَينا إنك أنت التواب الرحيم (128) ربنا وابْعَث فيهم رسولاً مِنْهُم يتلوا عَليهم ءَاياتكَ وَيُعِلّمُهُم الكتاب والحِكمَةَ وَيُزَكيِهمْ إنَّكَ أنتَ العزيزُ الحكيم (129) } ، فأجابه الله تعالى ، فكان سيد النبيين ، وسائر ولد آدم ، وأفضلهم ، وأحب الخلق الى الله عز وجل مولانا محمد رسول الله ، وخاتم النبيين وإمامهم في بيت المقدس .

5- قال تعالى في سورة الحج آية (78) { وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُم في الدِينِ مِنْ حَرَج مّلة أَبيكُم إبراهيم هوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِنَ مِنْ قَبْلُ } ، والخطاب من الله تعالى لنبينا ، وسائر ذريته الإبراهيمية المسلمة ، في مكة والحجاز ، أيام نزول القرآن .

وفي البخاري كتاب التاريخ ، أجاب النبي ﷺ من سأله عن حقيقة أمره فأخبر قائلاً أنه { دعوة أبي إبراهيم وبُشرى أخي عيسى ... } ، فما كان الله يبعث رسولاً قبله ، إلا أوصاه بنُصرته والإيمان به : { وَإذا أخَذَ اللهُ ميثاقَ النبِييّنَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِنّ كِتابٍ وحكمةٍ ثم جَاءَكُم رَسُلٌ مصَدِقٌ لِما مَعَكُم لَتُؤمِنُنَّ به وَلَتَنصُرُونهُ قالَ ءَأَقْرَرْتُم وَأَخَذْتُم على ذَالِكُم إصْرِي قالو أَقرَرْنا قالَ فاشهَدُوا وأنا مَعَكُم مِنَ الشاهدينَ (81) } ، آل عمران (81) ، وأهل الكتاب لا ينكرون هذا الفضل .

واليهود عرفوا وحسدوا ، وشدّدوا العداوة ، { فهم المغضوب عليهم } ، والنصارى ينتظرون حتى بعد ألفين من السنين المبشر به عندهم ، وقد قربت القيامة جداً ، ولم يخرج عندهم ، وقد كان الأنبياء يتواجدون بكثرة في بني إسرائيل في العصر الواحد ، ألا يستفيق المنتظرون بعد هذا الزمن الطويل بعد عيسى ، الأفضل المختار من شجرة آدم الى نوح الى إبراهيم وابنيّه إسماعيل وإسحاق مروراً به ﷺ وذريته الى الآن ، كما في التوراة والإنجيل .

في التوراة جاء في الإصحاح 18 من سفر التثنية 18 : { أقيم لهم نبيّاً من وسط أخوتهم مثلك ..الخ } ، إخوتهم هم بني إسماعيل ومثلك يعني قائداً يحكم ويتزوج ويلد ويأتي بشريعة ، والخطاب لموسى .

وأيضاً في التوراة : { فلا يزول القضيب من يهودا ، والمدبر من فخده ، حتى يجيء الذي له الكل ، وإياه تنتظر الأمم } وهو البيركليتوس في اليونانية ، أي الأكثر حمداً (محمد أو أحمد) كما جاء في الإنجيل .

وبشّر به اليَهودَ أنبياء كثيرون ، منهم داود في المزمور (145 ، 149 ...... الخ) ، وبشر به أشعيا في إصحاحات كثيرة ، (8 - 9 / 26 / 35 / 42 / 43 / 50 ..... الخ) ، وبشر به دانيال في ص 2

و7 وحبقوق ص 3 ، وحجي ص 2 ، وزكريا ص 3 ، وملاخي ص 3 ، عرف اليهود وكذبوا وعادوا في الحجاز وخيبر ظلماً لأنفسهم .

والنصارى الأقرب مودة ، بعضهم يحمل البشارة على المسيح ، والمسيح عليه السلام بَشّرَ بها والبشارة بنبي ، والمسيح عندهم إله ، والمشابه بين موسى ومحمد صلوات الله عليهما ، في أنهما نبيان ، صاحبا شريعة كاملة ، بحكومة تطبقها ، وحاربا أعداءهما وتزوجا ، وولدا ، وعيسى عليه السلام لم يكن كذلك (أعيد مؤكداً) .

جاء في الإنجيل : { في تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان ، يعني يحيى يكرز في برية اليهود قائلاً : توبوا لأنه اقترب ملكوت السموات - أي حكم الشريعة الإلهية - أفيصح أن يكون المسيح معاصره ويتكلم في هذه الطريقة ؟

وقدم لهم مثلاً آخر يشبه ملكوت السموات حبة خردل ، أخذها إنسان وزرعها في حقله ، وهي أصغر جميع البذور ، ولكن متى نمت فهي أكبر البقول ، إنها مثل الآية القرآنية ، { وَمَثَلُهم في الإنجيلِ كَزَرعٍ أخْرَج شَطئهُ فئَازَرَهُ فاستغْلَظَ فَاستَوى على سُوقه يُعْجِبُ الزُّرَّاع لِيَغيظ بِهِمُ الكُفَّارَ .... } الفتح (29) .

وجاء على لسان المسيح عليه السلام : { أنْطلِق ، لأني لم أنطلق ، لم يأتيكم البيركليتوس - محمد أو أحمد باليونانية - فإما إن انطلقت ، أرسلته إليكم ، فإذا جاء يوبخ العالم على خطيئته ، ..... الخ } .

أقسم رسول الله ﷺ : { لا يسمع بي في هذه الأمة يهودي أو نصراني ولا يؤمن ، إلا أدخله الله النار } أو كما قال عليه الصلاة والسلام وعلى آله .

فذرية النبي الخاتم ، كما اتضح الآن امتداد لذرية إبراهيم الى يوم الدين ، كما هو معروف فهو أفضل الأنبياء والمرسلين وآله " أزواجه وذريته " أفضل آل الأنبياء جميعاً من قبل ، لشرفه ﷺ عند الله تعالى كما ظهر في إمامته لجميع الأنبياء في الإسراء ، وغير ذلك من الأخبار ، فلينظر المختلف معهم ، المعادي في الدين ، على أي أرض يقف بمعاداتهم وتفسيقهم وتبديعهم وتكفيرهم ، وادعاء الرسالة فيه " أي في المختلف معهم " بدل الإيمان ، والإقرار لهم بذلك ، كما مر بالبرهان والنصوص ، وكما أوصى الرسول ﷺ عند قرب حضور وفاته ، في أهل بيته محذراً ، منذراً مخوفاً المختلفين معهم من غضب الله رب العالمين في الأمة والنصارى واليهود جميعاً .

فقد أخرج مسلم والنسائي وأحمد وعبد بن حميد : قال رسول الله ﷺ : { أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثَقَلَيّن " الثقل : المحرك ، وهو كل شيء نفيس مصون محفوظ ، كما في القاموس " أولهما كتاب الله وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي " أي أخوفكم غضب الله من عداوتهم والإختلاف معهم " وفي رواية قال : { وإن اللطيف الخبير ، أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض يوم القيامة ، فانظروا بما تخلفوني فيهما } - تهديد - وفي رواية : وإن الله سائلكم كيف خلفتموني في كتاب الله وأهل بيتي } ، في الثلاث روايات تحذير شديد ، وموافقة للقرآن ، تذكير ووصية ، بأنهم أهل القرآن والرسالة والملك العظيم والإمامة على الناس أي الخلافة الراشدة بعده ﷺ بذلك ، وكما قال تعالى من قبل : { وَلَقد ءَاتَيْنَا مُوسَى الهُدى وَأْوَرَثْنا بَني إسرائيل الكتاب } غافر (53) وكما قال الله تعالى في هذه الأمة : { والذِي أوحيْنَا إلَيك مِنَ الكِتاب هوَ الحق مُصَدّقاً لِما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير (31) ثُمَّ أَوْرَثْنا الكتاب الذين اصطفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا (آل النبي) فَمِنْهُم ظالمٌ لنفسه ومِنْهُم مُّقْتَصِدٌ (مستقيم) ومِنْهُم سَابقٌ بالخيرات (الأولياء) بإذن الله ذَلك هوَ الفضلُ الكبير (32) } فاطر (31 ، 32) ، أي آل النبي خاصة وبني هاشم عامة .

وقد اشتهر من آل بيته بعده :

1- سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء أم الذرية النبوية عليها السلام ، ولحقت به أول أهل بيته
2- سيدنا الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام أبو الذرية النبوية منها ، فاقرأ كتاب نهج البلاغة ، جمع الشريف الرضي ، عميد الطالبين في زمنه ، وتقديم مفتي مصر محمد عبده وشرحه ، ولا تلتفت الى شيوخ السلطان والملوك بعد الراشدين رضي الله عنهم حتى الآن فإن هذا الكتاب دين وحق وأثر { أي عن النبي ﷺ } وما استطاع بلاغته بعده أحد .

3- الإمام الحسن بن علي وقد استشهد بالسّمّ .

4- والإمام الحسين ، استشهد في مذبحة كربلاء ، وهما الأخوان السبطان عليهما السلام ، للذرية النبوية المقدسين الى يوم الدين كما في عقيدة أهل السنة (الطحاوية) ، واقرأ سِيَر الأئمة ما استطعت ترشد .

5- الإمام علي زين العابدين بن الحسين عليهما السلام .

6- الإمام محمد الباقر بن علي بن الحسين { باقر العلم أي حارثه كما تحرث البقرة الأرض } عليهم السلام .

7- الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر أستاذ أبي حنيفة ، صاحب المذهب عليهما السلام .

8- ابنه الإمام موسى الكاظم بن جعفر عليهما السلام .

9- الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم عليهما السلام .

10- الإمام محمد الجواد بن موسى عليهما السلام .

11- الإمام علي الهادي بن محمد الجواد عليهما السلام .

12- الإمام الحسن بن علي بن محمد الجواد عليهم السلام .

13- الإمام محمد بن حسن الخالص بن علي الهادي عليهم السلام ، ويقال هو الإمام المهدي " المنتظر " عليه السلام الذي يقال أنه اختفى وسيظهر آخر الزمان والله أعلم .

14- الإمام زيد بن السيد علي زين العابدين بن الحسين سبط رسول الله ﷺ ، وقد صلبه الملك الأموي هشام بن عبد الملك أكثر من سنتين .

15- الإمام الكبير عبد القادر الجيلاني الحسني (561 هـ) عليه السلام ، وله المدرسة الربانية القادرية ، يقودها في كل زمان رجال من آل النبي ﷺ ، ومحبيهم الصالحين في الأرض .

16- ومعاصره الإمام أحمد الرفاعي الحسيني عليه السلام وله مدرسة ربانية أيضاً الى الآن قائمة في أرض الإسلام كذلك .

17- الإمام أحمد البدوي الحسيني عليه السلام في مصر وله مدرسة أيضاً .

18- الإمام إبراهيم الدسوقي عليه السلام وله مدرسة أيضاً في مصر .

19- الإمام أبو الحسن الشاذلي في المغرب ثم مصر عليهم جميعاً السلام ورحمة الله وبركاته مع أبيهم المصطفى عليه الصلاة والسلام وعلى آله أجمعين فهم منه وإليه والله ، وإكراماً له وعطاءً من الله تعالى ورحمة له وبهم لنا .

هؤلاء الذين أشهرهم الله تعالى في الولاية ، علماً وحكمة وكرامة ليقولوا القول الفصل في اختلاف الأمة ، حفظاً لها من العداوة والفتن والتفرق الذي نهى عنه الله ورسوله ، ولتربية المسلمين على الصلاح والخير ، فكلام الله ورسوله ليس عبثاً ليقرأ بلا تدبر وتفكر ، فقد نصّب زنادقة الفرق أنفسهم شياطين على رأس كل سبيل لهم ، فاعرفوا علماء الآل الأولياء هؤلاء

وما قالوا في الإختلاف على مر العصور ، لأن الإختلاف جريمة ليس كالخلاف : { إنَّ الذِين فرقوا دِينَهُم وَكانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُم في شيءٍ إنما أمرهم الى الله ثُمَّ يُنَبِئُهُم بما كانوا يفعلون } الأنعام (آية 159) ، أي كافرون برسول الله ﷺ وهو منهم بريء بأمر الله هذا ، قال تعالى { وَلا تَكُونوا مِنَ المُشرِكِينَ (31) مِنَ الذين فرقوا دينهم وَكَانُوا شِيعاً كُلُّ حِزب بِمَا لَدَيْهِم فَرِحُونَ (32) } الروم (آية 31 ، 32) ، وقد فطن التابعي الجليل ابن سيرين مبكراً لهذا الأمر ، فقد روى عنه مسلم قوله : إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم ، والمُصر على الإختلاف معهم { آل النبي ﷺ } لا يلومن إلا نفسه في الدنيا قبل الآخرة ، إن أصر بعد هذا الوضوح على الهوى ، والله يحفظ هذا الدين كما حفظه منذ أكثر من 1430 عام ، ومدارس آل النبي جميعاً فروعها حجة قائمة في الأرض ، فاجعلوها حجة لكم لا عليكم .

فاقرءوا بتوسع إذا كنتم من أهل المنبر عن فضل أهل بيت النبوة ، وعن فرض حبهم ونصرتهم في كتب السنة الموسعة ، وكتابي " نور الأنوار " هو دليل بتوسيع عن أهل الرسالة وحديث { مثلُ أهل بيتي فيكم كسفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها هلك } وفي رواية " غرق " وفي رواية " زُجَّ في النار " .... الخ رواه عدة من أصحاب السنن عن عدة من الصحابة ، فلا بد من الأخذ في الإختلاف الممنوع ، عن أهل الرسالة ومرجعها هؤلاء آل النبي ﷺ حتى يكمل الحفظ للذكر المنزل ، كما تعهد رب العزة جل وعلا وصدق ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين

وعن السبحة للذكر بعدد أهي بدعة ؟

روى السيوطي والبرهان الحلبي والبلقيني ، عن عكرمة : كان لأبي هريرة رضي الله عنه خيط يعقده ألف عقدة ، وكان لا ينام حتى يسبح به اثنتي عشر ألف تسبيحة ، وروى أنه كان لا ينام حتى يصلي على النبي ﷺ ألف مرة .

وروي أن النبي ﷺ دخل على أم المؤمنين صفية رضي الله عنها وبين يديها حصى ، وفي رواية نوى نخل تسبح به وأقرها على ذلك ، وفي هذا إجازة بالسبحة والتسبيح والذكر بعدد معلوم ، وحسب قابلية المسلم ، كي لا يخطفه نور الذكر منه فيغيب عنه لأن الصحو مرتبة أجل من المحو .

والذكر بالعدد مائة مرة أو ألف مرة أو نحو ذلك موجود بالسنن لنيل بركة معينة ، كقوله ﷺ فيما أخرجه الطبراني وغيره : { ليس من عبد يقول لا إله إلا الله مائة مرة إلا بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولا يرفع لأحد يومئذ عمل أفضل من عمله ، إلا ممن قال مثله أو زاد } وكقوله صلوات الله وسلامه عليه وآله : { من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حُطت عنه خطاياه ، وإن كانت مثل زبد البحر } " أحمد والنسائي وابن ماجه ومسلم والبخاري والطبراني " وكما في أحاديث الصلاة على النبي وأهل بيته الأطهار ..... وروايات أخرى كثيرة عن الذكر بعدد .

باب في التوسل والوسيلة

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه :

آلُ النبيّ ذريعتي　　　　وهم إليه وسيلتي

أرجو بهم أعطى غداً　　　　بيدي اليمين صحيفتي

قال الله تعالى : { يا أيها الذين ءَامَنُوا اتقوا الله وابتغُوا إلَيه الوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا في سبيلِهِ لَعلَّكُم تُفْلِحُونَ } المائدة (35) ، فالوسيلة ذاتُ فاضلة " أي وليّ مرشد وخبير بالله ودينه " وأعمال صالحة .

عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه ، أن أعمى أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ادع الله أن يكشف عن بصري ! .

قال : " أوَ أدعك " قال يا رسول الله أنه قد شق عليّ ذهاب بصري ، قال : فانطلق فتوضأ ثم صلي ركعتين ، ثم قل { اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك الى ربي فيقضي حاجتي " وتذكر حاجتك " اللهم فشفعه فيّ } " رواه الترمذي وقال حسن صحيح ، والنسائي وابن ماجه والحاكم وابن خزيمة وصححه البيهقي .

هذا وبعد وفاته ﷺ ، استُعملَ هذا الدعاء ، فقد وثّقَ ابن حِبان والحاكم والبيهقي والسَّبكي والطبراني وصححه ، أن رجلاً كان يختلف الى عثمان بن عفان رضي الله عنه في خلافته في حاجة لا يقضيها ، فعلّمه عثمان بن حنيف حديث الأعمى ، فقضيت حاجته وهذا كما يقول العلماء هو حُجة للتوسل بالنبي والولي بعد الموت ، كما ذكر السبكي شيخ الإسلام ، والسمهودي في " الوفا " والدهلوي في " شرح مشكاة المصابيح " والألوسي في تفسيرة وغيرهم .

اقرأ هذه البشارة من رسول الله ﷺ لهذه الأمة : { إني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي } ، " متفق عليه " وانظر كيف يصبح هذا الدعاء شركاً بعد موته ﷺ عند المعتدين في الأرض .

أقر الإمام الكبير ، والولي الباهر بكراماته الشيخ عبد القادر الحسني الجيلاني ، والذي دحض أهل الأهواء والبدع بعلمه الغزير ، المؤيد بالبرهان والخارقة ، حديث الأعمى المتقدم هذا "

بعد الموت " لعثمان ابن حنيف ، واستحبه في الزيارة : كما في كتابه " الغنية " وقد توفي رضي الله عنه سنة 561 للهجرة ، وهو وسائر الأولياء من آل النبي عليهم السلام على هذا الإستحباب .

أخرج الحافظ ابن عساكر في تاريخه ، والحافظ ابن الجوزي في " مثير الغرام " والحافظ ابن النجار ، بأسانيدهم الى محمد بن حرب الهلالي قال : أتيت قبر النبي ﷺ فزرته وجلست بحذائه ، وجاء إعرابي بعد ما دفنا رسول الله ﷺ بثلاث أيام ، فرمى بنفسه على قبره وحثا من ترابه على رأسه وقال : يا رسول الله قلت فسمعنا ، ووعيت عن الله سبحانه وتعالى ووعينا عنك ، وكان فيما أنزل عليك : { وَلو أنَّهُم إذ ظَّلَمُوا أنفسَهُم جَاءُوكَ فاسْتَغْفَرُوا الله واسْتَغفَرَ لَهُمُ الرسُولُ لَوَجَدُوا الله تواباً رحيما } النساء (آية 64) وقد ظلمت نفسي ، وجئتك تستغفر لي فنودي من القبر أنه قد غُفِر لك ، لم يُنقل إنكار أحد من الصحابة عليه ، وهذا دليل آخر على جواز الإستمداد بالميت الصالح من الله تعالى ، وفهم وتفسير القرطبي للآية 5 / 265 .

وذكر جماعة من العلماء منهم الشيخ أبو منصور الصباغ في كتابه الشامل الحكاية المشهورة عن العُتبي قال : كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء إعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله يقول : { وَلو أنَّهُم إذ ظَّلَمُوا أنفسَهُم جَاءُوكَ فاسْتَغْفَرُوا الله واسْتَغفَرَ لَهُمُ الرسُولُ لَوَجَدُوا الله تواباً رحيما } الآية ، وقد جئتك مستغفراً لذنبي ، مستشفعاً بك الى ربي ثم أنشأ يقول :

يا خير من دُفنت بالقاع أعظمُه فطاب من طيبهن القاع والأكمُ

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الإعرابي ، فغلبتني عيني ، فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال : " يا عُتبى ألحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له " (فهم وتفسير ابن كثير للآية المذكورة ، فهم النووي في كتابه " الإيضاح " للآية ، فهم ابن قدامة ابن الفرج في " الشرح الكبير " فهم أبي محمد بن قدامة في كتابه " المغني " فهم البهوتي في " كشاف القناع " وليس في هذه الآية الشريفة تخصيص لحال حياته الدنيوية ﷺ .

وقال ﷺ { من زار قبري وجبت له شفاعتي } وما قيمة القبر لولا صاحبه ؟ رواه ابن خزيمة في صحيحه ، والدارقطني ، وصححه كثير من الأئمة ، وحسنه الذهبي ، والشيخ محمود ممدوح في " رفع المنارة " وقال السبكي حسن إن لم يكن صحيحاً .

قال ﷺ : { من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي } رواه البزار والدارقطني وغيرهما ، وقد قال الحافظ تقي الدين السبكي في هذا الحديث : أنه من أجود ما ورد إسناداً " أي في باب الزيارة " .

قال ﷺ : { من حج ولم يزرني فقد جفاني } ، وفي رواية { من وجد سيعةً ولم يَفد إليّ مرة فقد جفاني } رواه ابن عَدِي بسند يحتج به ، كما قال ابن حجر الهيثمي ، ورواه الديلمي والدارقطني ، وأما الإجماع فقد حكاه النووي وغيره من علماء المذاهب الأربعة كما يعلم ذلك من تتبع نصوصهم .

باب صفة و نعيم ودرجات الجنان

صفة أول زمرة يدخلون الجنة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ، لا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يتمخطون ، ولا يتغلون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألوة ، أزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ قال : أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون ، ولا ينغلون فيها ، ولا يتمخطون فيها لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون الله تعالى بكرة وعشيا .

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أعطيت سبعين ألف من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر ، قلوبهم على قلب رجل واحد فأستزيد ربي عز وجل فزادني مع كل واحد سبعين ألف .

درجات الجنة ومنازلها

وقد بين رسول الله ﷺ أن الجنة درجات كثيرة وفيها الدرجات بين عباد الله المؤمنين كل بما عمل وأتى الله بما له بهذا العمل .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ { رجل آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان ، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها فقالوا يا رسول الله أفلا تبشر الناس فيها ، قال إن في الجنة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله مابين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ، وأراه قال وفوقه عرش الرحمن ومنه تتفجر أنهار الجنة .

وقد بين الرسول ﷺ أن أهل الجنة متفاضلون في الجنة بحسب منازلهم .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : إن أهل الجنة يتراأون أهل الغرف من فوقهم كما يتراأون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق والمغرب بتفاضل ما بينهم ، قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال : بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين .

أسماء الجنة وعددها

أولاً : جنة الفردوس بقول الله تعالى : { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا } سورة الكهف .

{ أولائك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون } سورة المؤمنون (10 ، 11) .

ثانياً : جنة عدن بقول الله تعالى { إن المتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الأبواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب إن هذا لرزقنا ماله من نفاذ } سور ص (49 ، 54) .

{ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك الفوز العظيم } سورة التوبة (72) .

ثالثاً : جنة الخلد بقوله تعالى { قل أذلك خير أم جنة الخلد الذي وعد المتقون كانت لهم جزاءً ومصيرا لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعداً مسئولا } سورة الفرقان (15 ، 16) .

رابعاً : جنة المأوى بقوله تعالى { ولقد راءه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى } .

الفقراء أول الناس سبقاً الى الجنة

لقد صح في الأحاديث الشريفة أن الفقراء يسبقون الأغنياء الى الجنة بمدة زمنية لا يكون هذا على العموم فمن الأغنياء شاكرون حامدون ملازمون الطاعة والعبادة .

قال عليه الصلاة والسلام : { اتقوا الله في الفقراء فإنه سبحانه يقول أين صفوتي من خلقي } فتقول الملائكة من هم يا ربنا فيقول الفقراء الصابرون الراضون أدخلوهم الجنة قال فيدخلون الجنة يأكلون ويشربون والأغنياء في الحساب يترددون .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : الفقراء المجاهدون يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام " أي نصف يوم " .

صحيح البخاري

صفة الجنة

سأل الصحابة رضوان الله عليهم عن صفة الجنة وبناء الجنة فقال ﷺ : { لبنة من ذهب ولبنة من فضة ملاطها المسك الأزفر وحصبائها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم ولا ييأس ، يخلد ولا يموت ، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم } .

عن رسول الله ﷺ أنه قال : قال في وصف الجنة { هي نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة نضجة ، وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة في مقام أبداً وفي حبرة ونظرة في دور عالي سليمة بهية .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ { مفتاح الصلاة الوضوء ، ومفتاح الجنة الصلاة } .

وقال رسول الله ﷺ أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم نار بذنوبهم { أو خطاياهم } فأماتتهم إماتاً حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة فجيأ بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ { إن قومٌ يخرجون من النار يحترقون فيها إلا دائرة وجوههم حتى يدخلون الجنة } .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : { يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه ما يزن بذرة ، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : { في الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لوسعتهم } .

آنية الجنة

آنية الجنة متنوعة ومختلفة منها بالزينة ومنها ما يكون للأكل والشراب وقد بين القرآن الكريم أن هذه الآنية هي جزأ من الذهب وجزأ من الفضة والآنية من أكواب وأباريق وكؤوس من ذهب على اشكال رائعة المنظر والجمال ، تزيد في جمال كل الموجودات ويكون الأكل فيها والشراب إحساساً رائعاً بالنشوة والمتعة فيزداد نعيم المؤمن ومتعته فينشي مع الخلود الدائم بنشوة ومتعة وإحساس فائق بالسرور والبهجة والإنشراح والإنبساط في ما أعدهُ الله سبحانه وتعالى .

لباس أهل الجنة وكسوتهم وحليهم

لقد امتحن الله سبحانه وتعالى من الرجال فمنع عنهم لباس الحرير والذهب وحللها للنساء ومنع استعمال أواني الذهب والفضة للرجال والنساء وما ذلك إلا حتى يعطيهم في الآخرة وينعمهم نعيماً عظيماً على طاعة الله سبحانه وتعالى وقد جاء في القرآن الكريم عن لباس وكسوة وحلية أهل الجنة بقوله تعالى { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا أولائك لهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الآرائك نعم الثواب وحسن مرتفقا } سورة الكهف (30 ، 31) .

وفي قوله تعالى { يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق }

أول ثلاث أصناف من المؤمنين يدخلون الجنة وهؤلاء هم أخيار الله سبحانه وتعالى

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : { عرض علي أو ثلاثة يدخلون الجنة شهيد وعفيف متعفف وعبد أحسن عبادة الله نصح مع الله ، قال الله تعالى في آية من سورة الرحمن { انهن مقصورات } فهي آية حسمت أمرهن وقصرتهن في خيامهم ، وقال تعالى { حور مقصورات في الخيام } والله سبحانه وتعالى يقول في الآية الخيام ولم يقل خيمة وقال حور ولم يقل حوراء وهي جمع لا يعلم عدده إلا الله سحانه وتعالى .

الفهم المقصود لمعنى الخيمة التي أرادها الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين .

عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال : للمؤمنين في الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة ، طولها في السماء ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم البعض فقد جعل الله سبحانه بقدرته في الخيمة التي تقصر فيها الحور ولا تخرج منها ما تلذ الأعين وتشتهي الأنفس تجري من تحتها الأنهار في الجنان الخالدة إنها مرتبة كاملة ولكن بترتيب الله

الذي أراد لعبادة فوجد فيها كل نعيم وخير وما تحلم به أفأدتنا وقد وصف الله هذه الخيام الغرف في مشهد رائع يمثل الحياة الرشيقة الحلوة في خيمة كأنها مدينة تعج بالحركة الحياة فالخيمة عامر بأهلها وسكانها من الحور العين وجدرانها من اللؤلؤ وأراضيها من الزعفران وأنهارها من ماء غير آسن ومن لبن مصفى ومن خمر لذة للشاربين وهناك الفرش التي بطائنها من المخمل السميك والطري فما رأيك بسرر بطائنها من الإستبرق والمخمل فما يكون أعلاها إنها مرصعة بالذهب والألماس واللؤلؤ والياقوت والآيات الكريمة تشير الى جميع كل شيء والإتكاء يكون للمؤمنين والزوجات من الحور العين ويطوف عليكم ولدان بأكواب ملأ كل ما تشتهيه الأنفس وأنت ترى حولك كل ما تلذ الأعين والترحيب والأصوات الجميلة في كل مكان والأشجار متدلية بثمارها وهي بمتناول يدك ويد زوجاتك تأكلون منها دون شبع غدير الأنهار يتخلل المكان والنظرة فواحة من عبق الخضار من جنى الجنان المتدلي .

أسماء أسياد الجنة

سيد كهول أهل الجنة

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ { أبي بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين الآخرين } .

سيدا شباب أهل الجنة

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قل رسول الله ﷺ : { الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة } .

سيدات نساء أهل الجنة

قال عليه الصلاة والسلام أفضل نساء الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم ، وامرأة فرعون ، ومريم وخديجة أفضل الأربعة في صحيح البخاري .

قال سبحانه وتعالى في مريم { أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين } ، وخديجة الصديقة التي آمن بالرسول ﷺ من غير تردد وثبتته وواسته بنفسها ومالها وقد بشرها بها في حياتها بقصر بالجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب .

فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال { أتى جبريل النبي ﷺ فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إيدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت بالجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب .

تربة الجنة وحصبائها

ليست الجنة من الطين والحجر كما في الدنيا إنما تربتها المسك والزعفران ناعمة در بيضاء في نعومتها وملمسها وقد بين لنا رسول الله ﷺ نوعية تلك التربة .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : { ثم انطلق بي جبريل حتى نأتي سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال : أدخلت الجنة فإذا فيها جنابز هي القباب والخيام واللؤلؤ وإذا ترابها المسك .

صفات و أوصاف

إن أسياد الآخرة لهم صفات وأوصاف وأسماء يجب أن يتحلوا بها أو بعضها مع الطاعة والإيمان والعبادة

الصفة الأولى الحامدون : وهي أعلى الصفات وليس من شيء أحب الى الله من لسان حامد شاكر

في السراء والضراء ، والحمد يكون في الضراء أعظم أجراً وثواباً عند الله سبحانه وتعالى ومهما أصيب العبد المؤمن من محن وابتلاء عليه بشرط الصبر ، والفقير ممتحن أيضاً في جسده وأولاده وقد صاحب الفقر الشديد مرض عضال أو بلاء في ولد أو زوجة وقد بشر الله سبحانه وتعالى له البشرى العظيمة قال تعالى : { التائبون العابدون الحامدون الراكعون والساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر الحافظون حدود الله وبشر المؤمنين } كل ما يتمتع بهذه الصفات تأله بأن يكون سيداً من أسياد الآخرة وجنات النعيم ، قال تعالى : { فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين } ، وقال تعالى : { وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها } ، وقال تعالى : { وسبح بحمد ربك حين تقوم } .

الصفة الثانية الصابرون : تساوون في المرتبة بالحامدون وليس في تفاضل بينهما وما ذكره

التصنيف والترتيب ويكفي ما قاله تعالى في حق هؤلاء بالتكريم والتعظيم ورفع المقام قال تعالى : { إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب } ، فالصبر جزء لا يتجزأ من أسباب الوجود وهو رأس وعنوان الإبتلاء والإمتحان ، قال تعالى : { الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا } سورة الملك ، وآيات الصابرون في القرآن كثيرة ذكرنا بعض منها

الصفة الثالثة المجاهدون في سبيل الله : الجهاد هو أحد أسباب الإرتقاء والسمو والرفعة والوصول

الى مراتب المجد والسأدد فالجهاد هو الوسيلة الأولى في إيصال الأمة جماعات وأفراد الى درجة عالية من العز والشرف وبما يحفظ الأرض والمجتمع من التدهور والإنهيار والذل فالعرب قبل الإسلام كانوا أمة هامشية لا دور لها في المجتمع العالمي إن لم نقل أمة مستعمرة وكانت تعيش تحت تهديد سيوف روما وفارس ولم تكن لك الإمبراطوريتان تنظران إليها نظرات شأم وتعال واستكبار وعندما جاء الإسلام حول هذه الأمة الهامشية الى إمبراطورية عظيمة مهيبة الجانب حطمت تحطيماً في سنوات قليلة تلك الإمبراطوريتين اللتين سيطرتا على مقدرات الأمم قرابة ألف عام فما الذي أوصل العرب و المسلمين الى هذا العز وهذا

المجد إنه هو الجهاد في سبيل الله سبحانه فللجهاد تاجان عظيمان أولهما إعلاء كلمة الله سبحانه وثانيها المجد والفخار والعز والسأدد للأمة المجاهدة قال تعالى : { من جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين } .

الصفة الرابعة المنفقون في سبيل الله : هؤلاء هم أحد أعمدة الدين الذين أجلهم الله في الدنيا والآخرة

وهؤلاء ليس بدافعين الزكاة فحسب بل هم الذين ينفقون من غير الزكاة في السراء والضراء وحين البأس لا يبخلون بما أعطاهم الله من فضله بل في الدنيا واستخلفهم وامتحنهم فيه وأول المنفقين في الدار الآخرة والدرجة الرفيعة أن يكونوا بمقام أسياد الآخرة وعظمائها وأن يكون إنفاقهم لوجه الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى : { الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يبتغون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم } .

الصفة الخامسة الكاظمين الغيظ والعافون عن الناس : الكاظمون الغيظ والعافون عن الناس هما

ثمرة المسلم الرفيعة التي أمر الله سبحانه وتعالى أن يتحلوا بها جميعاً وتلك الثمرتين الأخلاقيتين ، قال تعالى : { وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ العافين عن الناس والله يحب المحسنين } سورة آل عمران آية (33) .

فقد جعل الله سبحانه المنفقين في سبيله والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس من المحسنين الذين يحبهم الله سبحانه وتعالى من أصحاب السيادة والدرجة الرفيعة عنده سبحانه وتعالى لأنهم يتصفون بالصبر والعفو عن الناس .

الصفة السادسة المحسنون : الإحسان كلمة لها شفافيتها الخاصة فهي تعبير عن أرق المشاعر

العلاقة بين الله سبحانه وتعالى والمؤمنين وهي جمع مفردها محسن ، محسنون مع كلمة حسن والحسن تعبير عن علو مراتب الأشياء والمعاني تعبير عن السمو والإرتقاء ومن هذه المعاني أن المحسنين هم الذين يعيشون في البروج المشيدة والفضائل كلها ويصلون الى الدرجات العليا في صفات الإنسان وطريق الإيمان هؤلاء يحبهم الله سبحانه وتعالى ويحبونه وهو على حالة الإحسان هذه عاش فيها ومات عليها وهو الأحق بأن يتدرج في العروج الى الدرجات العلا عند الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى : { الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين } سورة آل عمران .

ومن أجل الله المحسنين ورفعهم مكاناً علياً وهم أسياد بكل معنى السيادة وعظيمان بكل معنى العظمة في الآخرة وهم الذين في جنات الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى { إن الله لا يضيع أجر المحسنين } سورة التوبة .

صفة الزاهدون الورعون : الزهد في الشيء في الدنيا تركه والزهد هو ارتقاء مع الإله الى درجة السمو والعلو والرفعة حتى إن الزهاد يترفعون عن صغار الذنوب واللمم وأعلى مراتب الزهد هو الزهد في الشيء مع الإقتدار عليه وذلك مرضات الله سبحانه وتعالى ، الزهد أول قدم القاصدين الى الله سبحانه وتعالى فليس الزهد أن أحرم نفسي من شهواتها وغرائزها والله سبحانه وتعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها قال تعالى : { قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق } ، سورة الأعراف (32) .

فالله سبحانه وتعالى لم يحرم علينا الطيبات من الرزق كما شرعها الله ضمن ضوابط أخلاقية فالزهد الحقيقي هو الزهد عن الحرام بكل صوره وأشكاله كبر أم صغر والزهد عن أطماع الدنيا مع السعي والعمل لتأمين الرزق المعاشي بالحلال .

قال تعالى في الحديث القدسي { يا موسى لن يتصنع المتصنعون بمثل الزهد في الدنيا ولم يتقرب إلي المتقربون بمثل الورع عما صرفت عليهم ، ولن يتعبد المتعبدون بمثل البكاء من خيفتي } ، فالزاهدون هم القادرون مع العفة وهم العابدون مع القوة وهم الذاكرون مع التفكير وهم المجاهدون مع طلب الشهادة والرضاء بالقليل .

صفة الذاكرون والمسبحون لله سبحانه وتعالى : قال تعالى في الحديث القدسي { يقول الله يوم القيامة سيعلم أهل الجمع اليوم من أهل الكرم ، فقيل يا رسول الله : قال أهل مجلس الذكر وفي المساجد } .

العشرة المبشرون بالجنة : بشر رسول الله ﷺ فئة من أصحابه أنهم من أهل الجنة وهذه بشرى عظيمة نالها أصحاب رسول الله ﷺ بإيمانهم وتقواهم وحسن أعمالهم ففي سنن الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : { أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحت في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعيد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبي عبيدة ابن الجراح في الجنة } ، إسناد صحيح .

عشرة في الجنة ، النبي ﷺ في الجنة ، أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، وطلحت في الجنة ، والزبير في الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعيد بن أبي وقاص في الجنة ، وسعيد بن زيد في الجنة ، وأبي عبيدة ابن الجراح في الجنة.

صفة المتحابون في جلال الله وقصورها وحورها : في هؤلاء تتجلى النفس بأعلى درجات سموها

وصفاتها وعلوها عن أهداف الدنيا وأطماعها والمصالح الخاصة فيها وليس الطريق الى الحب في سبيل الله هو الوصول إليه أمر ليناً وسهلاً لأن من يصل الى هذا الطريق جمع خصالاً وفضائل في نفسه مجردة عن النزوات والشهوات والرغبات الدنيوية ، المتحابون في الله هم الصفوة القادرة على بناء المجتمع السليم الخالي من شوائب الدنيا وأطماعها وبما أن المتحابين في جلال الله سبحانه هم صفوة البناء جعلهم الله سبحانه وتعالى من المكرمين والمقربين في الآخرة وجعلهم من أسياد الآخرة ، أسياد المقام عند الملك المقتدر وقد بين رسول الله ﷺ قال : { سبعة يظلهم الله في ظله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل ، وشاب نشأ في طاعة الله ، ورجلان اجتمعا في الله وتفرقا عليه } ، قال تعالى : { المتحابون لجلالي في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي } رواه أحمد والطبراني في الكبير عن .... بن سارية ، ورب سائل يسأل ابن السابقون الأبرار والصديقون ، الجواب عليه إن السابقين والأبرار والصديقين والأولياء أولائك يحملون هذه الصفات السابقة ، { والسابقون السابقون أولائك المقربون في جنات النعيم } سورة الواقعة .

نور الجنة

ويقول بن تيمية في هذا الموضوع { والجنة ليس في الجنة شمس ولا قمر ، ولا ليل ولا نهار ولكن نعرف البكرة والعشية بنور يظهر من قبل العرش } ، وقال القرطبي { قال العلماء ليس في الجنة ليل ونهار وإنما هم في نور دائم أبداً وإنما تعرفون مقدار الليل في إرخاء الحجب وإغلاق الأبواب ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب } ، ذكره أبو الفرج الجوزي وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : { ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا } .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ { نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة .

نخل الجنة

نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر ولونها ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقاطعته وجللهم وثمرها أمثال الغلال والدلاء أشد بياضاً من اللبن وأحلى حلاوة من العسل وألين من الزبدة ليس فيها عجم .

ما قيل في أن الجنة قيعان وأن غرسها سبحان الله والحمد لله والله أكبر

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لقيت إبراهيم عليه السلام ليلة أسري بي فقال يا محمد أقرأ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غرسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

رواه الترمذي في سننه

من أي شيء خلق الله سبحانه وتعالى الحور العين

قال الله تعالى : { خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار } وكيف خلق الله سبحانه وتعالى الحور العين ومن أي شيء خلقهن ، فلقد خلق الله سبحانه وتعالى الحور العين إنشاءً فقال لهن كن فيكون ، وقال تعالى : { إنا أنشئناهن إنشاءً فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً لأصحاب اليمين } .

فلا توالد ولا تكاثر ولا حمل ولا إنجاب ، وكيف يكون هذا وقد شاء الله سبحانه وتعالى في قوله : { لم يطمثهن إنسٌ قبلهن ولا جان } فإن الله نزههن عن هذا كله عن الوطأ وعن الحمل وخلقهن خلقاً مباشرة وصيرهن على ما هن عليه من الجمال وكساهن من حلل الجنة حلةٌ من ثوب متين الملمس حريراً من سندس وإستبرق فجمع الله فيهن الجمال كله بما ينطوي عليه الحسن والخلق القويم والثوب الرائع وتنسمنا من عبق الجنة الفواح فأكلهن من ثمارها الدانية ويشربن من ماءها الفرات وظهر على وجوههن نظرة فاتنة إنها نضرة النعيم التي صنعها رب العالمين قال تعالى : { تعرف في وجوههم نضرة النعيم } سورة المطففين (24) .

عيون الجنة

عيون الجنة من متع الجنة بما في شرابها من نعيم ولذة عظيمة فقد وصف الله سبحانه وتعالى تلك العيون وشراب أهل الجنة فيها ، فمنها مزاجها كافورا ، ومنها مزاجها تسنيم ومنها مزاجها زنجبيل هي عيون كثيرة في قوله تعالى : { إن المتقين في ظلال وعيون } ، و ويقول تعالى عن الجنتين هما دون الأوليتين في سورة الرحمن بقول تعالى : { ومن دونهما جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فبأي آلاء ربكما تكذبان } ، سورة الرحمن (62 ، 64) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : الكافور اسم عين من ماء الجنة يقال له عين الكافور ، تمتزج الكأس بماء هذه العين وتختم بالمسك فتكون ألذ شراباً ، أي هذا الكافور ولهذا قال الله تعالى : { عين يشرب بها عباد الله } ، أي هذا الكافور يتدفق من عين جارية من عيون الجنة يشرب منها عباد الله الأبرار وصفهم بالعبودية تكريماً لهم وتشريفاً بإضافيهم إليه سبحانه وتعالى عباد الله } .

والمراد بهم المؤمنون المتقون { يفجرونها تفجيرا } ، أي يجرون حيث شاءوا من الدور والقصور ، قال الصاوي : المراد أنها سهلة تمتنع عليهم ، ورد أن الرجل يمشي في بيوته ويصعد الى قصوره وبيده قضيب يشير الى الماء فيجري منه حيث دار في منازله ويتبعه حيث ما صدر الى أعلى قصوره .

عين تسنيم : لقوله تعالى : { إن الأبرار في نعيم على الآرئك ينظرون تعرف في وجوههم

نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، ومزاجه من تسنيم ، عيناً يشرب بها المقربون } .

وفي التفسير للشيخ محمد متولي الشعراوي في هذه العيون وشرابها ومزاجها بقول فأخبرسبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين بالكافور في أول السورة والزنجبيل في آخر السورة فإن في الكافور من البرد وطيب الرائحة وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة وما يحدث لهم باجتماع الشرابين ومجيء إحداهما على أثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده ويعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر .

عين السلسبيل : يقول تعالى : { ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا ، عيناً فيها تسمى

سلسبيلا } سورة الإنسان (7 ، 8) .

أشجار الجنة : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله عز وجل :

{ أعددت لعبادي الصالحين ولا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر } ، اقرؤوا إن شئتم { فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة عين } ، وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، وأقرؤوا إن شئتم { وظل ممدود } ، وموضع سوط بالجنة خير من الدنيا وما فيها ، واقرؤوا إن شئتم { فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور } .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين أو قال مائة سنة وهي شجرة الخلد .

باب حال أهل الحقيقة مع الله

أحبوا الله

{ أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُكُم بهِ من نعَمِة ، وأحبُّوني لِحُبِّ اللهِ ، وأحِبُّوا أهلَ بيتِي لِحُبَّي }[1]، ويروى أن النبي ﷺ قال : { ألا إن أواني الله في الأرض هي القلوب ، فأحب الأواني الى الله تعالى : أصفاها وأصلبها وأرقها } .

معناه : أصفاها لله عند المراقبة ، وأصلبها في دين الله عند المخاطبة ، وأرقها على الإخوان عند الموافقة .

وقال يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى : لما اشتغل قلب مريم بحب ابنها ، سمعت صوتاً : لما كان سرك صافياً لنا ، كنا نرزقك في الشتاء والصيف من غير واسطة ، ولا شدة ، ولا عناء .

فلما ميَّلْتِ سرك عني فلا يأتيك رزقك إلا بشدة ، وذلك قوله تعالى { وَهُزّي إلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً } مريم (25) .

وقال ذا النون رحمه الله تعالى إن لله عباداً يبلغون في درجة الصفا مقاماً تقع فيه فراستهم على سر الناس فيعرفون السعداء من الأشقياء { يختص برحمته من يشاء } .

أهل المعرفة

فأهل المعرفة ثلاث أصناف : صنف يمشون على قدم الإفتقار والإضطرار وصنف يمشون على قدم الإعتبار والإنكسار ، وصنف يمشون على قدم الإفتخار والإستبشار .

قال الله تعالى { فَمِنْهمْ ظالمٌ لِنَفْسِهِ ومنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْراتِ بإذْنِ اللهِ } { فاطر : 32 } .

والناس في مشهد المعرفة على مرتبتين : إما في يقظة المعرفة ، فهم في تربية الولاية ، فينظرون الكرامة ، وإما في نوم الغفلة ، فهم في تربية العداوة ، فهم ينظرون الإماتة ، إلا أن يرحمهم أرحم الراحمين .

وخواص أهل المعرفة

من أولى اليقين عرفوه سبحانه فوقفوا متمكنين مع معرفتهم لا تخطفهم الأدلة ولا تصرفهم العلة دليلهم رسول الله ﷺ وإمامهم القرآن ، ونورهم يسعى بين أيديهم فمن عرفه تعالى بالخبر كمثل أخوة يوسف إذا عرفوا لونه وغفلوا عنه حتى افتضحوا بين يديه حيث { قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل } سورة يوسف (77) .

ومن عرفه بالدلائل : كمثل يعقوب فاحتمل ما احتمل من أنواع البلاء حتى ابيضت عيناه من الحزن علماً منه بحياته وشوقاً الى لقائه حتى قال اذهبوا فتحسسوا من يوسف ، وقال : { إني لأجد ريح يوسف } سور يوسف (94) .

حال أهل الصفاء

وحكي أن بهلولاً كان لا يأخذ شيئاً من أحد ، وإن أكثر عليه الإلحاح ، فقيل له في ذلك ، فقال : أمرنا أن لا نأخذ بالواسطة ، لأن منها ذهاب الصفاء .

قيل وما الصفاء ؟

قال : طيران القلب بأجنحة الاشتياق لرب العالمين .

علامات الصفاء الصوفي

فمن علامة الصوفي : أن يصفوا بأقواله وأفعاله وحركاته من أدناس آفات النفس والخلق والدنيا وتصفو خواطره من غبار الإعراض عنه تعالى والنظر منه الى سواه من علاماته :

أن يكون مع النفس بلا نفس ، ومع الخلق بلا خَلق ، ومع القلب بلا قلب ، ومع الحال بلا حال ومع الوقت بلا وقت ، ويكون مستقيياً على بساط أمر الله متذللاً تحت جلال عظمة الله مستكفياً مستغنياً به عن غيره ، قلبه مضروب بسياط خوف القطيعة والهجران ، وسره مضروب

بسياط خشية البعد والحرمان نفسه منورة بنور الخدمة ، وقلبه منور بنور المحبة ، وسره منور بنور المعرفة .

ومن علاماته أن يكون فؤاده طائراً بأجنحة الشوق وأركانه مستقيمة على طريق الحق بالحق للحق مع حسن الانتظار وعلى غاية الانكسار مقبلاً بالكلية على مليكه مع ترك الإلتفات منه الى ملكه مع الفرار من المخلوقين لشدة وجدانه حلاوة الأنس برب العالمين .

صيام الدهر

قال رسول الله ﷺ ((من صام رمضان ثم أتبعه ستة من شوال كان كصيام الدهر)) .

قال النبي ﷺ ((لا يستقيم عمل العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه)) .

إذا فقد العبد قلبه فقد ربه .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : { ألا وإنَ في الجسد مضغة ، إذا صَلَحت صَلَحَ الجسدُ كُلُهُ ، وإذا فسدت فسدَ الجسد كله ، ألا وَهِيَ القَلْبُ } .

جملة من أحوال العارفين

منهم من عرف الله بالقدرة فخافه .

ومنهم من عرفه بالفضل فأحسن الظن به

ومنهم من عرفه بالمراقبة فاعتقد الصدق .

ومنهم من عرفه بالعظمة فاعتقد الخشية .

ومنهم من عرفه بالكفاية فاعتقد الإفتقار إليه .

ومنهم من عرفه بالفردانية فاعتقد الصفوة .

ومنهم من عرفه به فاعتقد الوصل فوجدان { أي معرفة } .

الخوف على قدر عرفان القدرة ووجدان حسن الظن على قدر عرفان الفضل ووجدان الصدق على قدر عرفان المراقبة ووجدان الخشية على قدر عرفان العظمة ووجدان الإفتقار على قدر عرفان الكفاية ووجدان الصفوة على قدر عرفان الفردانية ووجدان الوصلة على قدر عرفان الرب تعالى .

وكذلك أهل السموات في العبادة على مقامات فمقام بعضهم الحياء والحرمة ومقام بعضهم القربة والمؤانسة ومقام بعضهم رؤية المِنَّة ، ومقام بعضهم المراقبة ومقام بعضهم الهيبة كما قال تعالى { وما منا إلا له مقام معلوم } (الصافات 164) .

أصناف الرجال

وقال شيخ الطائفة الإمام حسن البصري رضي الله عنه أهل المعرفة في الدنيا على ثلاث منازل .

أولاً : رجل لقي العبادة فعانقها وخلط بها لحمه ودمه وفزع إليها قلبه وعلم أن الله تعالى رازقه وكافيه فوثق بوعده فلم يشغل نفسه بشيء من أمور الدنيا جعل السماء سقفه والأرض بساطه ولا يبالي على يسر أصبح أو على عسر أمسى يعبد الله تعالى حتى يأتيه اليقين .

ثانياً : ورجل آخر لم يصبر كما صبر الأول فطلب كسرة من حلها يقيم بها صلبه وخرقة يواري بها عورته وبيت يسكنه وزوجه يستعفف بها وهو مع ذلك شديد الخوف عظيم الرجاء فهو على طريق حسن .

ثالثاً : وأما الثالث فإنه لا يصدق الله بقوله فيبني القصر المشيد ويركب المركب الحسن ويستخدم الخدم فليس له في الآخرة من خلاق إلا أن يرحمه أرحم الراحمين .

الإيمان في القلب

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ { الإسلام علانية والإيمان في القلب والتقوى ها هنا } يقولها ثلاثاً ويشير بيده الى صدره ﷺ .

تعلق العارفين بالحق سبحانه

أفواههم إليه ضاحكة ، وأعينهم نحوه طامحة ، وقلوبهم به متعلقة ، وهمومهم إليه واصلة ، أسرارهم إليه ناظرة ، رموا ذنوبهم في بحر التوبة ، وطرحوا طاعاتهم في بحر المنة ، وضمائرهم في بحر العظمة ، ومرادهم في بحر الصفوة ، وهمَمُهُم في بحر المحبة في ميدان خدمته يتقلبون تحت ظلال كرمه يتنفسون ، وفي رياض رحمته يرتعون ، ومن رياحين امتنانه يشمون ينظرون الى الدنيا بعين الإعتبار والى الآخرة بعين الإنتظار والى أنفسهم بعين الإحتقار ، والى طاعتهم بعين الإعتذار لا الإستكثار والى الغفران بعين الإفتقار والى المعرفة بعين الإستبشار والى المعروف سبحانه بعين الإفتخار ، يرمون أنفسهم الى البلوى وأرواحهم الى العقبى وقلوبهم الى النجوى وأسرارهم الى المولى .

من علامات العارف بالله

العارف علامته أربعة : حبه الجليل ، وتركه الكثير والقليل ، واتباعه التنزيل ، وخوفه من التحويل ، العابد ذو نصب ، والخائف ذو هرب ، والمحب ذو شغب ، والعارف ذو طرب .

إذا أحب الله عبداً إجتباه

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : { إذا أحب الله تعالى العبد نادى جبريل : إن الله يحب فلان فأحبوه فيجيبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض } .

وفي رواية مسلم قال رسول الله ﷺ : { إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال إني أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ، ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض .

وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول إني أبغض فلان فأبغضه فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه ثم يوضع له البغضاء في الأرض .

قال أبو عبد الله النساج رحمه الله تعالى كل عمل لم يكن فيه محبة الله لم يقبل .

ربنا ولك الحمد

عن عبد الله قال كان رسول الله ﷺ : { إذا قال سمع الله لمن حمده قال ربنا ولك الحمد } ، قال النبي عليه الصلاة والسلام : { اللهم ارزقني حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك واجعل حبك أحب الأشياء لي } .

وقال الإمام أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص حب الله استوحش عمن سواه ، وترك لأجله كل ما يهواه .

ويقال : أصل المحبة هو المحو إلا أنها على ثلاث مدارج : العام والخاص وخاص الخاص .

فأما العام : فمحو القلب عن حب الذنوب والمعاصي .

والخاص : محو القلب عن حب الدنيا وأهلها .

وخاص الخاص : محو القلب عن حب ما دون الله تعالى .

وقال : يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى في بعض مناجاته ، إلهي لا تعذب قلب أنت حبيبه ، إلهي إن تعذب عذبت من أحبك ، وإن أهنتني أهنت من أحبك ، وإن أكرمتني أكرمت من أحبك

وفي الخبر : { إن أول ما كتب الله سبحانه وتعالى في اللوح المحفوظ لا إله إلا الله محمد رسول الله ، من استسلم لقضائي ، وصبر على بلائي ، وشكر لنعمائي ، كتبته صديقاً وبعثته يوم القيامة مع الصديقين .

ومن لم يرضى بقضائي ، ولم يصبر على بلائي ، ولم يشكر نعمائي ، فليختر رباً سوائي .

فقيل ليحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى : متى يطيب عيش المؤمن ؟ .

قال : إذا رضي عن الله تعالى بكل ما قضى وقدر وحكم ودبر .

وقيل له : متى يكون العبد راضياً عنه .

قال : إذا قال العبد لربه ، إلهي إن أعطيتني شكرت وإن منعتني رضيت ، وإن دعوتني أجبت وإن تركتني عبدت .

الزهد

والزهد عشر أجزاء وأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع .

والورع عشر أجزاء ، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين .

واليقين عشر أجزاء ، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا لأن الرضا أعلى درجة العبودية وإن الله سبحانه جعل الروح والراحة في الرضا ، وجعل الهم في السخط .

إفشاء السلام

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : { والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم } .

إذا أحب الله عبداً إبتلاه

في الحديث القدسي { إن البلاء أسرع الى من يحبني من السيل الى منتهاه } .

وبشر الصابرين

الشاكر يطلبه من وراء الحجاب والصابر يطلبه دون حجاب .

والشاكر يعبده على حظ نفسه والصابر يعبده على حب ربه .

والشاكر مفتخر بملكه والصابر مفتخر بمليكه .

والشاكر حبس نفسه مع النعمة والصابر حبس قلبه مع المنعم .

والشاكر يقول : ما دامت النعمة معي ، لا أبالي إن أصابني ما أصابني .

والصابر يقول : ما دام المنعم معي لا أبالي إن أصابني ما أصابني .

قال تعالى : { الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون } ، البقرة (156) .

وإن الله تعالى أوجب للشاكرين الزيادة ونفى عن أجر الصابر النهاية ، حيث قال : { إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب } ، الزمر (10) .

وقال تعالى : { والله يحب الصابرين } ، آل عمران (146) .

عن بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال : { صنائع المعروف تقي مصارع السوء وإن صدقة السر تطفئ غضب الرب وإن صلة الرحم تزيد العمر وتنفي الفقر .

تجريد القلب لله

وقال ثابت النساج رحمه الله تعالى : قرأت القرآن سنين بالخوف فلم أجد القلب .

ثم قرأته بالرجاء , فلم أجد القلب .

ثم قرأته بتجريد القلب عن كل ما دون الله تعالى , فعند ذلك وجدته ورأيت عند وجوده : الولاية الكبرى , والعزة العظمى والمراتب العليا .

وقال الله تعالى في بعض الكتب : القلوب بيدي , والحب في خزائني فلولا حبي لعبدي , ما قدر العبد أن يحبني , ولولا ذكري له في الأزل ما قدر أن يذكرني ولولا إرادتي إياه في القدم , ما قدر العبد أن يريدني .

قيل : إن عارفاً رأى رجلاً يدور حول المسجد , فقال له : يا هذا ! ما تطلب ؟

قال : أطلب موضعاً خالياً أصلي فيه .

فقال : خلِّ قلبك عما دون الله , وَصلِّ في أي موضع شئت .

ويقال : بقدر إقبالك على الله يكون قرب القلب منه وما اطلع الله على قلب عبد فرأى فيه غيره إلا عذبه الله به ووكله إليه .

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى القلب إذا وضعته عند الدنيا خاب وإذا وضعته عند العقبى ذاب ، وإذا وضعته عند المولى طاب .

وقال : الدنيا خراب , وأخرب منها قلب من يعمرها , والآخرة دار عمران , وأعمر منها : قلب من يطلبها .

وقال : مفاوز الدنيا تقتطع بالأقدام , ومفاوز الآخرة تقتطع بالقلوب .

وقال : خراب النفس من عمارة القلب , وعمارة النفس من خراب القلب .

سُئل واحد من أبناء القلوب : مالك لا تتكلم ؟ فقال : قلبي يتكلم .

قيل : مع مَنّ ؟ قال : مع مُقلب القلوب .

بسم الله الرحمن الرحيم

الأُنس بالله سبحانه

وحكي أن عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى قال مررت براهب فسألته منذ كم أنت في هذا المكان ؟

فقال : منذ أربع وعشرين سنة قلت مَنْ أنيسك ؟

قال : الفرد الصمد . قلت منَ المخلوقين ؟ قال الوحش .

قلت : فما طعامك ؟ قال ذكر الله . قلت من المأكول ؟ قال ثمار هذه الأشجار ونبات الأرض.

فقلت : أما تشتاق الى أحد ؟ قال : نعم الى حبيب قلوب العارفين .

قلت : الى المخلوقين ؟

قال : من كان شوقه الى الله , فكيف يشتاق الى غيره ؟ قلت فلمَ اعتزلت عن الخلق ؟ قال : لأنهم سرّاق العقول , وقطاع طريق الهدى !

قلت : ومتى يعرف العبد طريق الهدى .

قال : إذا هرب الى ربه من كل ما سواه , واشتغل بذكره عن كل من سواه .

قال هرم بن حيان : رأيت أوس بن عامر رحمه الله تعالى فسلمت عليه فقال وعليك السلام ياهرم بن حيان , فقلت كيف عرفت اسمي واسم أبي ؟

قال : عرفت روحي روحك بنور معرفة ربي , قلت : إني أحبك في الله .

قال : ما أظن أن أحداً يحب غير الله فكيف يحب غير الله ؟

قلت : أريد الصحبة معك , والأنس بك .

قال : ما ظننت عارفاً يستوحش عن الله حتى يستأنس بغيره .

قلت : أوصني قال : أوصيك بالله سبحانه , فإنه عوض عن كل ما فاتك .

وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى : كنت أسير في بعض المفاوز فإذا أنا برجل متزر بحشيش , مرتد بحشيش فسلمت عليه , فرد علي السلام , ثم قال : من أين الفتى ؟ قلت من مِصّرَ .

قال : الى أين ؟ قلت : أطلب الأُنس بالمولى .

قال : اترك الدنيا والعقبى , يصح لك الطلب .

قلت : هذا كلام صحيح , صَحِّحْهُ لي قال : أتتهمنا فيما نقول ؟ وقد أعطينا خبراً مما نقول , وهو المعرفة .

قلت : ما أتهمك , ولكني أريد أن تزيدني نوراً على نور .

فقال : يا ذا النون ! أنظر فوقك [فنظرت] فإذا السماء والأرض كأنهما ذهب يتوقد ويتلألأ .

قال : أغضض بصرك [فغضضتُ] فصارتا كما كانتا .

فقلت : كيف السبيل الى هذا ؟ قال تفردّ بالفرد إن كنت له عبداً .

وقال محمد المقدسي رحمه الله : دخلت دار المجانين يوماً بالشام فرأيت فيها شاباً على رقبته غل , وعلى رجليه قيد , مشدود بالسلسلة فلما وقع بصره عليّ , قال لي : يا محمد ! أترى ما فعل بي ؟ وأشار بطرفه نحو السماء , ثم قال : جعلتك رسولاً إليه , أن تقول له : لو جعلت السموات غلاً على عنقي والأرضين قيداً على رجلي , ما التفت منك الى غيرك طرفة عين ثم أنشأ يقول :

عَلى بُعّدكَ لا يصبِرْ مَنْ عَادَتُهُ القُرْبُ
وَ لا يَقْوَى عَلى قَطْعِكَ مَنْ تَيّمهُ الْحبُّ
إذا لمْ ترَكَ العينُ فَقد أبْصرَكَ الْقلبُ

لا يغرنك بالله أربعة أشياء

1- إظهاره لك ما لم تعلم .

2- وستره عليك بما قد علمت .

3- وزيادته لك فيما لم تشكره .

4- وإعطاؤه إياك ما لم تسأله .

فإنه ربما أراد الله تنبيهاً لك أو استدراجاً .

وقال يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى : من رأى صنع الروبية , عند إقامة العبودية , إنقطع عن نفسه واعتصم بربه وفوض أمره إليه , فحينئذٍ يسلم من آفات الإستدراج وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : يا معشر المستورين بالنعم والعِصم ! لا تغتروا , فإن تحتها آفات النقم لا تغتروا بعمارة الأوقات , فإن تحتها غوامض الآفات .

ولا تغتروا بصفاء العبودية , فإن فيها نسيان الربوبية والأمر كما قال , فيا رُبَّ مستدرج بالإحسان إليه , و يا رُبَّ مغتر بالثناء عليه , و يا رُبَّ مفتون بالنعم عليه , و يا رُبَّ مستهلك بالستر عليه !

فمن لم يكن باطنه في ملازمة الحق تعالى عين ظاهرة , كان شكه أغلب من يقينه , وإن كان ظاهره يدل على أوصاف الموقنين , وفقدان أنوار الباطن من رؤية حركات الظاهر , والغفلة عن غوامض آفات الإستدراج من رؤية صفاء العبودية .

قلوب الخلق والقلوب ثلاثة

1- قلب يطير في الدنيا حول الشهوات !

2- وقلب يطير في العقبى حول الكرامات !

3- وقلب يطير في سدرة المنتهى حول الأنس والمناجاة !

فقلب معلق بالدنيا , وقلب معلق بالعقبى , وقلب معلق بالمولى .

وقلب حريق , وقلب غريق , وقلب سحيق .

وقلب منتظر للعطاء , وقلب منتظر للرضاء , وقلب منتظر للقاء .

وقلب مشروح , وقلب مجروح , وقلب مطروح .

وقلب منيب : وهو قلب آدم عليه الصلاة والسلام .

وسليم : وهو قلب إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

ومنير : وهو قلب (محمد) عليه أفضل الصلاة والسلام .

روي عن عيسى عليه السلام أنه قال : من علم وعمل وعلمَّ فذلك الذي يدعى في ملكوت السموات عظيما .

قلت وكيف صلاة العارفين :

قال فعل يؤدى كما أريد أن يؤدى شروعه فيه العلم به ، فيه الحياة ، وأداؤه فيه التعظيم والخروج منه الخوف ، والمقصود فيه وجه الله سبحانه وتعالى .

والممتثل به أمر الله .

والمصدَّق المكرم بتبليغه النبي المشكور ﷺ .

وقلت كيف ذكر العارفين .

قال : استغراق يقطع حبال الخواطر وهواجس الإرادات عن المذكور للمذكور .

قلت : وكيف يمكن ذلك قال بأداء واجبه وأنت كأنك ترى المذكور .

قال النبي ﷺ : { اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك } .

قلت بأي شيء يعظم العبد عند الله تعالى قال : إذا علم وعمل وعلمَّ.

الحجاب عقوبة البُعد عن الله

وكم من عامل قد حجبته رؤية أعماله , عن رؤية امتنان ربه , حتى عُمِيَ بصره , فصار مبعداً , وهو يحسب أنه واصل ؟ ولا مصيبة أشد على العارف من الحجاب , ولو طرفة عين , وأعظم عقوبة على العبد من الله : البُعد والحجاب .

وحكي أن رجلاً من العباد قال إلهي ! الى كم أعصيك ولا تعاقبني ؟! فأوحى الله الى نبي ذلك الزمان : قل له الى كم أعاقبك وأنت لا تدري ؟! ألم أحجبك عن لطائف أنسي ! ألم أخرج عن قلبك حلاوة مناجاتي ! .

وقال أبو موسى خادم أبي يزيد رحمهما الله تعالى : دخل الشيخ مدينة , فتبعه خلق كثر , فلما نظر أبو يزيد إليهم والى ازدحامهم نحوه , قال اللهم إني أعوذ بك أن تحجبني عنك بهم وأعوذ بك أن تحجبهم عنك بي .

رحمه الله ما أكثر إنصافه ! ما أصدقه بربه , ما أشفقه على إخوانه المسلمين , أراد لهم الخير وصحة النظر , كما أراد لنفسه .

تنبه يا من يريد اجتماع الناس عليه , واعتقادهم به ! كم طيرت طقطقة النعال حول الرجال من رأس ؟ وكم أذهب من دين ؟ اللهم سلم اللهم سلم .

اعلم أن الناس أربعة أصناف

رجل جعل الله قلبه بصيراً , ينظر بنور اليقين الى لطائف صنعه وكمال قدرته .

ورجل جعل الله عقله بصيراً , ينظر بنور الفطنة الى الوعد والوعيد .

ورجل جعل الله سره بصيراً , ينظر في كل الأوقات بنور المعرفة الى الله تعالى .

ورجل جعله الله مكفوفاً , لا يبصر شيئاً ! فهو مظهر قوله تعالى (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) الإسراء (72) .

واعلم أن الكفار محجوبون بظلمة الضلالة , عن نور الهدى .

وأهل المعصية محجوبون بظلمة الغفلة عن أنوار التقوى .

وأهل الطاعة محجوبون بظلمة رؤية الطاعة , عن أنوار رؤية التوفيق , وعناية المولى , فإذا رفع الله عنهم هذه الحجب , نظروا بأعين النور الى النور , فعند ذلك يحجبون عن غيره به .

فكل من نظر الى حركاته وأفعاله في طاعة الله , صار محجوباً عن وليها مفلساً .

ومن نظر الى وليها , صار محجوباً به عن رؤيتها , لأنه إذا رأى عجزه عن تحقيقها وإتمامها صار مستغرقاً في امتنانه .

وربما يحجب برؤية العباد عن وجدان حلاوتها .

وربما يحجب برؤية وجدان الحلاوة عن صحة الإرادة وربما يحجب برؤية المنة عن المنان سبحانه .

قال النساج رحمه الله تعالى : من رأى نفسه عند الطاعة , لم يتخلص من العجب !

ومن رأى الخلق , لم يتخلص من الرياء !

ومن رأى الطاعة لم يتخلص من الغرور !

ومن رأى الثواب لم يتخلص من الحجاب !

ومن رأى الرب تعالى , فذلك في مقعد الصدق , عند مليك مقتدر وقال بكر بن عبد الله رحمه الله تعالى : من اشتغل بطرائف الحكمة ودقائقها , صار محجوباً عن حقائها , وما أعرف معصية أضر بصاحبها من نسيان الربِّ , وعلاقة القلب بغيره !

وقال : كل همٍّ وذكر لغير الله تعالى فهو حجاب بينك وبين الله وفي الخبر : رب حسنة يعملها الرجل لا يكون له سيئة أضر عليه منها ورب سيئة يعملها الرجل لا يكون له حسنة أنفع له منها .

قيل في معناه : لأن الحسنة محمودة , والسيئة مذمومة , فما دام العبد في الحسنة مع رؤية الحسنة , فهو في ميدان الدلال و الإفتخار ! وما دام العبد في السيئة مع رؤية السيئة فهو في ميدان الإنكسار والإفتقار أحسن .

قال الإمام أبو بكر الصديق رضي الله عنه : (اللهم إني أعوذ بك من الشرك الخفي) .

قالت رابعة العدوية رضي الله عنها : حجبت الدنيا قلوب أهلها عن الله فلو تركوها لجالت في ملكوته ثم رجعت بطرائف الفوائد !

قيل لسيدي منصور الرباني رضي الله عنه : بأي شيء يعرف العبد أنه غير محجوب عن ربه!

قال : إذا طلبه , ولم يطلب منه , وأراده , ولم يرد منه , وأن لا يختار على اختياره شيئاً , وإن اختار له النار .

وكل من ليس في قلبه سلطان الهيبة , ونار المحبة , وأُنس الصحبة فهو محجوب !

وقال : كفاك من المعرفة أن تعلم أن الله مطلع عليك .

وكفاك من العبادة أن تعلم أن الله مستغن عنك .

وكفاك من المحبة أن تعلم أن حبه سابق على حبك .

وكفاك من الذكر أن تعلم أن ذكره متقدم على ذكرك .

القلوب إذا قعدت على بساط الهيبة , زالت عنها الشهوات .

وإذا قعدت على بساط المعرفة , زالت عنها الغفلات .

وإذا قعدت على صدق الفردانية بالفرد للفرد , فذلك المقعد الصدق .

ليس منا من التفت الى غيرنا

اعلم أن العبد بين الله وخلقه إن التفت منه الى الخلق تجرد عن الحق وصار متروكاً محروماً مخذولا .

وإن التفت الى الله عن الخلق قربه الله وأدناه وأوصله الى قربه فإن الله تعالى إذا أحب عبداً غار عليه على قدر قربه منه وحبه له ولم يحتمل منه الإلتفات الى شيء سواه ، فإنه إن نظر الى شيء دونه عذبه الله بذلك الشيء وجعله وبالاً عليه .

إن إبليس لعنه الله ، نظر الى نفسه وقال عن آدم أنا خير منه فلعنه الله وطرده ، وكذلك نظر فرعون الى ملكه وقال أليس لي ملك مصر فغرقه ، قارون نظر الى ماله وقال : إنما أوتيته على علم عندي فخسف الله به وبداره الأرض .

الإلتفات على وجهين إلتفات العين والتفات القلب

فالتفات العين مثل ما قال الله تعالى لمحمد حبيبه عليه الصلاة والسلام (لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خيرٌ وأبقى) " طه 131" ثم منَّ عليه لما عصمه حيث قال تعالى (ولولا أن ثبتناك لقد كِدّت تركن إليهم شيئاً قليلاً) " الإسراء 74 "

ثم مدحه بترك الإلتفات الى ما سواه في قوله تعالى(ما زاغ البصر وما طغى)" النجم 17 "

ثم أورثه ذلك الترك الكلي , أن رفع له الحجاب , حتى رأى ما رأى في قوله تعالى (ولقد رءاه نزلة أخرى) " النجم 13 "

وأن موسى عليه الصلاة والسلام (قال ربي أرني أنظر إليك) " الأعرف 143 "

قال : أنظر الى الجبل , ولن تراني بعد أن نظرت الى غيري .

كان بعض العارفين , يطوف حول الكعبة , فناداه واحد , فخطر بباله أن يلتفت إليه فسمع هاتفاً يقول : ليس منا من التفت الى غيرنا ! .

وحكي أن آخر , كان يطوف حول الكعبة , فنظر الى امرأة , فظهرت يد من الهواء وفقأت عينه ! .

ثم نودي : نظرت بعينك الى دوننا ففقأناها , ولو نظرت بقلبك الى غيرنا لكويناه .

وقال ذو النون رحمه الله تعالى : من نظر من توحيده الى نفسه , لم ينجه التوحيد من النار ، ومن التفت من الصلاة الى غيرنا , فقد سقط عن درجة المصلين .

ومن التفت من وقته الى وقته , ذهب عن الوقت وهو لا يشعر .

وفي الخبر : إذا التفت العبد في الصلاة , يقول الله : عبدي تلتفت الى من هو خير لك مني ؟! أقبل ولا تعرض بوجهك عني , فإني إذاً أعرض عنك .

قال النبي عليه الصلاة والسلام : (أتاني جبريل بمفاتيح خزائن الدنيا فلم ألتفت إليها ولم أقبلها)

قيل لبعضهم : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت وقد منع الكونين عني , ومنعني أن أنظر إليهما.

وقال العارف السرّي السقطي رضي الله عنه : كنت في طلب صديق لي ثلاثين سنة , فلم أظفر به , فمررت يوماً في بعض الجبال , فإذا هو قائم على صخرة , فدنوت منه وأخذت ذيله فقال : خلي عني يا سَرِي فإن الحق غيور , فلا يراك تأنس بغيره فتسقط من عينيه !

وحكي أن رابعة رحمها الله تعالى كانت في طريق مكة , فأقبل إليها رجل وقال : يا هذه ! كلي بكلك مشغول .

فقالت : إن كنت صادقاً , فكلي لكلك مبذول ! إلا أن لي أختاً أحسن مني وهي وراءك ! فالتفت الرجل , فلطمته رابعة على وجهه !

وقالت:إليك عني يا بطال ! إدعيت محبتنا ثم نظرت الى غيرنا ؟ رأيتك من بعيد فقلت : وجدت عارفاً , فلما تكلمت قلتُ : وجدتُ عاشقاً , فلما جربتك وجدتك كذاباً !

ما رأيت معك صفاوة العارفين ومروءتهم , ولا طريقة العاشقين وصيانتهم .

فصاح الرجل , وجعل التراب على رأسه , وقال : ادعيتُ محبة مخلوق فأعرضتُ عنه , جاءت اللطمة على وجهي ! فأخاف أن أدعي محبة الخالق , فإذا أعرضت قلبي أن تكون اللطمة على قلبي .

وأما الإلتفات بالقلب

فقد حكي أنه كان لفتح الموصلي صبي , فيوماً من الأيام عانقه وقبله , فنودي من الهواء : يا فتح ! ادعيت محبتنا وفي قلبك حب غيرنا ؟ فصاح صيحة خر مغشياً عليه .

ونظرت رابعة البصرية الى رباح القيسي , وهو يقبل صبياً من أهله فقالت أتحبه ؟ قال : نعم قالت : ما كنت حسبت أن في قلبك موضعاً فارغاً لمحبة غيره ؟ ففزع القيسي فزعاً شديداً حتى غُشي عليه , فأفاق وهو يمسح العرق عن وجهه .

قال صلى الله عليه (لو كُنتُ متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً , ولكن أخوة الإسلام ومودته) .

وحكي أن داود عليه الصلاة والسلام , استقبله رجل في بعض سياحاته فقال : أين تريد ؟ قال : استوحشت عن الناس , واستأنست بالله .

فقال له الرجل : هذا مِنْ قبلك أو من قبل الله ؟

قال : فسقط داود مغشياً عليه , ثم أفاق وقال : نبهك الله كما نبهتني

وقال بعضهم : إن الله تعالى أمر قوم موسى بقطع رؤوسهم حين سجدوا للعجل , بعد أن سجدوا لله تعالى .

فقال : رأس سجد لي ثم سجد لغيري , فلا يصلح لي , فكذلك القلب .

وبلغنا أن داود عليه الصلاة والسلام قال أوتيت ما أوتي الناس , وما لم يؤتوا وهممت بما همّ به الناس , وما لم يهمّوا , فوجدت الأشياء كلها لله , والأمور كلها بيد الله , والحاصل من الدارين وما فيهما هو الله .

فلا ينبغي لمن ادعى محبته , أن يكون في قلبه حب لغيره .

قالت رابعة رحمها الله :

يا حَبيب القُلوب مَنْ لي سواكا ارحَم اليَومَ مذنباً قد أتاكا

يا حَبيبي وَصفْوتي ورجائي كذبَ القلبُ إن أحبَّ سِواكا

يا أنيسي ومنيتي ومُرادي طال شوقي متى يكون لقاكا

بركة التسمية باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أبي أمامة الباهلي قال : قال رسول الله ﷺ : { من ولد له مولد فسماه محمداً تبركاً كان هو ومولوده في الجنة } .

وفي هذا الحديث الشريف سر الحب له ﷺ ما يفهمه أهل الخصوصية فإنهم بذكر اسمه المبارك ترتاح هممهم للتخلق بأخلاقه الزكية وللتشبث بأذياله فتراهم لا تقف هممهم في طريق متابعته وقفة المشغول بالدنيا ، بل هم متنبهون خاشعون ومن الله خائفون ولنبيهم متبعون وبسنته عاملون وأولئك هم العارفون .

الكيِّس والعاجز

عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : { الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني } .

فالعمل بسرّ هذا الحديث هو المعرفة ، نعم إن المعرفة من العبد والتعرف من الرب تعالى وهي أشرف وأعظم من الهداية التي يهديها الى عباده فإن الله تعالى إذا أراد أن يختار عبداً من عبيده ويفضله على من سواه من خلقه ويطلع في سره شمس المعرفة ينظر إليه بعين الفضل والرحمة ويفتح له أبواب الهداية ، ثم يكرمه بالإنتباه ويوقظه من نومة الغافلين وينعم ويمن عليه بشرح القلب ويذهب عنه موت القلب بالفهم ويذهب عنه الوهم ويكرمه بالحياة والخوف بنور فيرى ما دون حجب الجبروت وتشتاق إليه الجنان وتخمد منه لهبات النيران ولو أن المعرفة نقشت على شيء ما نظر إليها أحد إلا مات من حسنها وجمالها ، لكل أحد رأس مال وهي رأس مال المؤمن .

وقال رجل لذي النون المصري رحمه الله تعالى : إني لأحبك فقال : " إن كنت عرفت الله فحسبك الله وإن لم تعرفه فاطلب من يعرفه حتى يدلك عليه " .

المعرفة شجرة طيبة

وكذلك شجرة المعرفة التي يغرسها الله تعالى في بستان قلب عبده المؤمن فإنه يتعهدها بكرمه ويرسل إليها كل ساعة سحائب المنّة من خزائن الرحمن فيمطر عليها قطرات الكرامة برعد القدرة وبرق المشيئة ، ليطهرها من غبار رؤية العبودية ثم يرسل عليها نسيم لطائف الرأفة من حجب العناية ليتم لها شرف الولاية بالصيانة والوقاية .

فالعارف أبداً يطوف بسره تحت ظلالها ويشم من رياحينها ويقطع منها بمنجل الأدب ما فسد من ثمارها وحل فيها من الخبث والآفة .

فإذا طال مقام سر العارف تحتها ودام جولانه حولها هاج أن يتلذذ بثمارها فيمد يدَ الصفا ويجتني ثمارها بأنامل الحرمة ثم يأكلها بفم الإشتياق حتى يغلبه نار الإستغراق فيضرب يد الإنبساط الى بحر الوداد ويشرب منه شربة يسكر بها عن كل ما سوى الحق سكرة لا يفيق منها إلا عند المعاينة ثم يطير بجناح الهمة الى ما تدركه أوهام الخلائق .

وقيل للواسطي رحمه الله تعالى : أي الطعام أشهى ؟ قال لقمة من ذكر الله تعالى ، ترفع بيد اليقين ، من مائدة الخلد ، عند حسن الظن بالله تعالى .

قراءة القرآن

أخرج مسلم عن أب أمامة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله يقول { اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه } .

وأخرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : { نوّروا منازلكم بالصلاة وقراءة القرآن } .

قال ﷺ { إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء } قيل يا رسول الله وما جلاؤها ؟

قال : " كثرة ذكر الموت وتلاوة القرآن " .

رواه البيهقي في { شعب الإيمان } .

قال ﷺ إن هذا القرآن مأدبة الله فأقبلوا مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يزيغ فيتعب ولا يعوج فيقوّم ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلف على كثرة الرد ، أتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات ، أما إني لا أقول آلم حرف ولكن ألف حرف ولامٌ حرف وميم حرف .

أخرج البيهقي من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ { أفضل عادة أمتي قراءة القرآن } كذا في الإتقان .

أخرج الطبراني والدار قطني عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم { قراءة القرآن في الصلاة أفضل من قراءة القرآن من غير صلاة ، وقراءة القرآن من غير صلاة أفضل من التكبير والتسبيح ، والتكبير والتسبيح أفضل من الصدقة والصدقة أفضل من الصيام والصيام جنة من النار } .

أخرج البيهقي عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ أنه قال { كل مأدب يحب أن تأتي مأدبته ، ومأدبة الله القرآن فلا تهجروه .

خصائص ومزايا

إن لهم الفضل للمشتغلين بالقرآن ما يأتي :

منهم أهل الله وخاصته .

والماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة .

والقرآن مأدبة الله تعالى فمن دخله فهو آمن .

والبيت الذي يقرا به القرآن تحضره الملائكة ويتسع على أهله .

والبيت الذي يقرأ فيه القرآن يضيء لأهل السماء .

قراءة القرآن فيها الخير الكثير .

وتلاوة القرآن تطيب القارئ .

وتلاوة القرآن الكريم جلاء للقول .

وتلاوة القرآن الكريم تنفع القارئ وما لديه .

والقارئ القرآن لا يهوله الفزع الأكبر يوم القيامة .

القرآن يشفع لأهله .

القارئ لا يزال يترقى في المنازل يوم القيامة .

وتلاوة القرآن تنفع السامعين بالطيب وتفوح بالمسك .

البسملة

بسم الله الرحمن الرحيم

من أعظم أبواب الفرج البسملة بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، وهي آية عند الشافعي في رأس كل سورة ، وعند أبي حنيفة رحمهما الله تعالى أنها آية فذّة - أي منفردة - أنزلت للفصل بين السور يبدأ بها القرآن تيمناً وتبركاً وليست بآية كاملة في سورة النمل بل جزء منها .

إن فضلها فقد ورد فيه الكثير من الأخبار والآثار فمنها ما أخرج أبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي حريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : { كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع } ، أي كلام شريف لم يقل في ابتدائه بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ أو ما يفيد معناه فذلك الأمر ناقص ، قليل البركة والفائدة .

البسملة تصرف البلاء

قال الإمام النووي عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ { يا علي ألا أعلمك كلمات إذا وقعت في ورطة قلتها } قلت بلى جعلني الله فدائك قال : إذا وقعت في ورطة فقل بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فإن الله تعالى يصرف بها ما شاء من أنواع البلاء .

قال الإمام النووي قلت : الورطة بفتح الواو وإسكان الراء هي الهلاك .

الحديث رواه ابن السنيّ كذا في الأذكار .

البسملة مفتاح لكل مطلوب

روي عن وهب ابن منّة رضي الله عنه أنه قال : إن الله تعالى أعطى هذه الكلمات سلطاناً لم يعطه لغيرها من الكلمات بها تتم الطهارة ، وبها تحل الذبيحات ، وبها يمنع الشيطان عن الدعوات ولو أن قائلاً مع صدق قلبه قال بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ثم دخل البحر لا يغرقه ولو قرأها على رأس قبر مؤمن يرفع عنه العذاب ببركتها ، ومن قال بها ثم دخل النار لا تحرقه ولو دخل بين الحيات والعقارب لا تلدغه .

البسملة حجاب مانع

وجاء أنه ما من أحد يقصد دخول البيت إلا ويسبقه الشيطان فإن دخل البيت فقال : بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّ الله الرحمن الرحيم ، يقول الشيطان لا مدخل لي في هذا اليوم ، وإذا قدم إليه الطعام فقال بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ يقول الشيطان لا طعام لي ها هنا اليوم فإذا قدم له الشراب وقال بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ يقول الشيطان لا شراب لي هاهنا اليوم وإذا اضجع وقال بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّ الله الرحمن الرحيم الرحيم يقول الشيطان لا مضجع لي ها هنا .

الإقتداء بالصحابة

عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ { اقتدوا بالذي من بعدي من أصحابي ، أبي بكر وعمر ، واهتدوا بهدي عمار ، وتمسكوا بهدي مسعود ، فقد أمر عليه الصلاة والسلام بتصحيح القدوة بالشيخين العظيمين لسيدنا أبي بكر الصديق وسيدنا عمر الفاروق رضي الله

عنهما وبالتحقق بالإهتداء بهدي عمارّ رضي الله عنه فإنه مات على حب الصهر العظيم ، الضوء الكريم سيدنا علي رضي الله عنه وأكد لزومه بالعهد لما كان محافظاً عليه عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه فإن من اهتدى بهدي محمد ﷺ واقتدى به ، وتمسك بعهده أقبل على الله وأعرض عن غيره .

باب التعرف على شيخ أسياد أهل التصوف

نسب سيدنا الرفاعي من جهة أبيه

فهو سيدنا السيد أحمد الرفاعي ، ابن السيد السلطان علي ، بن السيد يحيى نقيب البصرة ، ابن السيد ثابت ، بن السيد علي حازم أبي الفوارس ، بن السيد أحمد المرتضى ، ابن السيد علي الإشبيلي ، ابن السيد رِفَاعةَ الحسن المكي ، دفين إشبيلة بالأندلس .

ابن السيد مهدي ، بن السيد محمد أبي القاسم ، بن السيد حسن ، بن السيد الحسين القطيعي ، ابن السيد أحمد الصالح ، بن السيد موسى الثاني ، ابن السيد إبراهيم المرتضى ، ابن السيد موسى الكاظم ، ابن السيد جعفر الصادق ، ابن السيد محمد الباقر ، ابن السيد علي زين العابدين ، بن السيد الحسين ، بن سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

ولادته

وُلِدَ سيدنا الرفاعي في النصف الأول من شهر رجب المبارك ، لسنة { 512 هـ } ، وكانت ولادته في قرية حسن بالقرب من أُم عَبِيْدَة .

الرَّضَاعة

إن أُخْتَ سيدنا الرفاعي تقول عن رَضَاعة سيدنا الرفاعي في رمضان :

{ إن السيد أحمد لم يشرب اللبن في نهار رمضان المبارك ، فظننا أولاً أن في المُرْضِع شيئاً يكرهه ، وأبى أن يقبل غيرَها منهن ، وأما في الليل فقد قَبِلَ المُرْضِعَ ، وشرب لبنَها } .

عندما بلغ سيدنا الرفاعي سَبْعَ سنين ، انتقل والده الشيخ السيد علي الى جِوار رَبِّه سنة { 519 هـ } ، وكانت وفاته في بغداد .

كفالته الحسنة

بعد وفاة والده نقله خالُهُ الشيخ منصورٌ البطائحي وإخوتَه السيدَ إسماعيلَ ، والسيدَ عثمانَ ، وأختَهُ سَتَّ النَّسَب ، وأُمَّه الولية فاطمة الى قريته على نهر دِقْلي ، وأخذ يرعى شؤونهم ، ويربيهم التربية الصالحة ، وينمي فيهم الأخلاق الإسلامية السامية .

وقام بإرشادهم على طريقتة آبائهم وأجدادهم ، واخْتُصَّ منهم سيِّدُنا الرفاعيُّ ، الذي لاح في جبينه نُورُ الإيمانِ وسيماءُ الصلاح .

نشأته الدينية

تربى سيدنا الرفاعي في جَوٍّ صالح ، وبيئة دينية ، وفي أحضان الصلحاء وأصحاب النفوس الزكية من العلماء والمشايخ ، فنشأ على حُبِّ الله ورسولِهِ ، وشديدِ التعظيم لسنة رسول الله ﷺ .

وكان كبيرَ الإجلال لأحكام الكتاب ، عظيمَ العناية بالعمل بالعزيمة ، وكثيرَ الإشتغال بالذكر والتلاوة .

أشرف خالُهُ على تربيته ، وتناوله بالتعليم والتأدب ، حتى نشا عالماً كبيراً .

رياسته في العلوم

حفظ سيدنا الرفاعي القرآن الكريم على يد الشيخ عبد السميع الحربوني ، وكان عمره الشريف سَبْع سنين ، وأرسله خالُهُ بعد أن بلغ أَشُدَّه الى مدينة واسط ، ينهل العِلْمَ ، ويستقي الفضائلَ على جهابذة العلماء وأساطين العلم الديني آنذاك .

وكانت واسط من أُمَّات المدن العلمية في العراق ، ومَقْصِدِ العلماء وطلبة العلم من جميع أرجاء العالم الإسلامي .

ثم أدخلَهُ خالُهُ على الشيخ عليٍّ القاري الواسطي ، وهذا بأمر من رسول الله ﷺ برؤية صالحة ، كما مر بنا سابقاً ليواصل تعليمَهُ وتربيتَهُ على يديه .

قرأ كتاب التنبيه للشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، بل إنه حفظ هذا الكتاب ، ودرس العلوم جميعها منقولها ومعقولها على يد الشيخ علي القاري ، وعلى يد خاله أبي بكر الأنصاري الواسطي ، وغيرهما من المدرسين الكبار .

فاعتنى به هؤلاء الأساتذة الكرام ، واهتموا به كُلَّ الإهتمام ، فأصبح سيدنا الرفاعي بعد هذه الدراسة عالماً كبيراً ، وفاضلاً عظيماً ، وعَلَماً شامخاً ، ومحدثاً ، وفقيهاً ، ومفَسِّراً ذا روايات عاليات ، وإجازات رفيعات ، وأصبح قارئاً ، وحافظاً جيداً .

أعلمَ أهلِ عصرهِ بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وأعلمَهُمْ بها ، وأحرصَهُمْ على تطبيقهما ، بحراً من بحار الشرع ، وسيفاً من سُيوف الله ، وارثاً أخلاقَ جَدِّهِ رسول الله ، وحبيبه ﷺ .

قال سِبْطُهُ الإمام الشيخُ السيدُ أحمدُ عزُّ الدين الصيادُ الرِّفاعيُّ { وانتهت إليه الرياسة في علوم القوم وفنونهم ومحاضراتهم ووقائعهم وحقائقهم ، وتفرَّدَ بالحكمة الجامعة ، وكان عَلَمَ الطائفة وإمامهم ، ومقدامهَا ، وصدْرَها ، وكلماته لوامعُ البُدورِ الزواهر ، وعصائمُ العُقُود من أنفس الجواهر .

مواهبه وكفاءته

ولد سيدنا الرفاعي وعلامات الولاية والعرفان بادية عليه ، وحَسْبُهُ ما حدث له في بدايته عند شيخه العارف الشيخ علي القاري .

فقد كان يقرأ القرآن على شيخه المذكور ، إذا برجل صنع طعاماً فدعا إليه الشيخ عليّاً الواسطي وأصحابه وجماعة آخرين من مشايخ القراء ، وغيرَهم فلما أكلوا من الطعام ، كان معهم قوال ، فشرع بالإنشاد وبيده دُفّ ، وسيدي أحمد جالس عند نِعال القوم ، ونَعْلُ الشيخ ابن القاري معه ، فلما طاب القوم واستراحوا وتواجدوا ، وثب سيدي أحمد الى القوال وكسر الدُّفَّ

الذي كان معه ، فالتفتَ المشايخ الى الشيخ علي بن القاري وشاجروه فيما صدر من سيدي أحمد وقالوا له :

هذا صبي ما لنا معه مطالبة ، إنما المطالبة عليك .

فقال لهم الشيخ علي القاري : إِسألوهُ ! فإن أتى بالجواب ، وإلا عليّ المطالبة .

فالتفتوا إليه وقالوا له : لماذا خرقت الدُّفَّ ؟

فقال لهم : أي سادة !

لنحتكم الى أمانة القوال ليخبرنا بما خطر بباله ، فأيُّ شيء قال ضيفُنا ؟

فسألوا القوّال عما خطر بباله أثناء المدح والإنشاد ؟

فقال : إني كنت البارحة عند أقوام يشربون ، فسكروا وتمايلوا كتمايل هؤلاء المشايخ ، فخطر لي أن هؤلاء كأولئك ، فلم يتم خاطري حتى قام هذا الصبي وكسر الدُّفّ .

فعند ذلك نهض المشايخ الى سيدي أحمد وقَبَّلُوا يَدَه واعتذروا إليه .

وأما ما قاله سيدنا الرفاعي عن طفولته وعن صغر سنه ، فإنه ينبؤنا عن استعداده الفطري للمعرفة ، وصلاحيته للموهبة العالية قال : لما مررت وأنا صغير على الشيخ العارف بالله عبد الملك الخرنوتي أوصاني ، وقال لي : يا أحمد ! إِحفظ ما أقول لك .

فقلت : نعم .

فقال : ملتفت لا يَصِل ، ومتسلِّل لا يفلح ، ومن لم يعرف من نَفْسه النُّقصان ، فكُلُّ أوقاته نقصان .

فخرجت من عنده وجعلت أُكرِّرُها سنة ، ثم رجعت إليه فقلت له : أوصني !

فقال : ما أقبحَ الجهلَ بالألبّاء ! والعلَّةَ بالأطباء ! والجفاء بالأحبّاء! ثم خرجت وجعلت أردِّدُها سنة ، وانتفعت بموعظته .

جمع سيدنا الرفاعي الى كفايته العلمية ودراسته الواسعة تربيةَ الروح ، وتهذيب النفس ، والإخلاصَ لله ، ودوام الذِّكر ، وحضورَ القلب .

تخرج في ذلك بخاله الشيخ الزاهد الباز الأشهب منصورٍ البطائحي ، والشيخ عليٍّ القاري الواسطي .

خرقته في الطريقة والسلوك على يدِ خاله

لبس سيدنا الرفاعي الخِرْقة من خاله الشيخ منصور ، وهو عن والده الشيخ يحيى الأنصاري وهو عن أبيه الشيخ موسى أبي سعيد الأنصاري ، وهو عن أبيه الشيخ كامل ، عن أبيه الشيخ يحيى الكبير ، عن أبيه الشيخ أبي بكر بن موسى الواسطي .

وهو عن شيخه الجنيد البغدادي ، عن الشيخ السَّرِيِّ السَّقَطِي ، عن الشيخ معروف الكَرْخي ، عن الشيخ داود الطائي ، عن الشيخ حبيب العجمي ، عن الشيخ الإمام الحسن البَصْري ، عن أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب ، عن سيد الكونين سيدنا محمد رسول الله ﷺ تسليماً .

خرقته عن أُسْتَاذه

كما لبس سيدنا الرِّفاعيُّ الخِرْقَة عن أستاذه الشيخ علي القاري الواسطي ، وهو عن أبي الفضل بن كامخ الواسطي ، عن الشيخ غُلام بن تركان ، عن الشيخ أبي علي الرُّوْذَباري ، عن الشيخ علي العجمي ، عن الشيخ أبي بكر الشبلي ، عن الشيخ أبي القاسم الجُنَيْد البغدادي ، عن الشيخ السَّرِيِّ السَّقَطِي ، عن الشيخ معروف الكرخي ، عن الشيخ داود الطائي ، عن الشيخ حبيب العجمي ، عن الشيخ أبي سعيد الحسن البَصْري ، عن أمير المؤمنين سيدنا علي ، عن سيد الأولين والآخرين محمدٍ رسول الله ﷺ .

طريقتُهُ في السُّلوك

وهب الله تعالى سيِّدَنا الرفاعيِّ عنايةً خاصةً عظيمةً من دوام الذِّكر وحضورِ القلب ، وزاد في الزُّهد والخشوح ، وأكثرَ من التواضع والإنكسار ، حتى بلغ في سلوكه الى كماله ومنتهاه ، فتعدى المقاماتِ ، وفاز فوزاً عظيماً .

يقول العلامة الشعراني عن حاله :

قال له شخص من تلامذته : يا سيدي أنت القُطْب ؟

فقال : نَزِّهْ شيخَك عن القطبية .

فقال له : وأنت الغَوْثُ !

فقال : نَزِّهْ شيخَك عن الغوثية .

قلت : وهذا دليلٌ على أنه تعدى المقاماتِ والأطوار { في مراتب القرب والصديقية } ، لأن القطبية والغوثية مقام معلوم ، ومن كان مع الله وبالله ، فلا يعلم له مقام ، وإن كان له في كُلِّ مقام مُقَام ، والله أعلم } .

خِرْقة الخلافة

كان سيدنا الرفاعي يدرس بواسط وحولَه آلاف من الطلبة ، إذْ أرسل إليه خالُهُ وشيخُه ، حضرةُ البازُ الأشهبُ منصورٌ البطائحي ، وأجلسه في زاويته نائباً عنه ، وذلك قبل سنة من موته ، ثم أَذِنَ له في البيعة والإرشاد .

قال صاحب الرموز : أجلسه الشيخ منصورٌ البطائحي في زاويته ، وألبسه الخِرْقة ، وجعله خليفته في سنة (539 هـ) ، وكتب الى مريديه والمنتسبين إليه ومشايخ واسط والبَصْرة أن يرجعوا الى السيد أحمد الرفاعي الحُسيني ، وأن يتصلوا به ، وأن يكون الاتصال والارتباط قوياً وثيقاً به من اليوم .

سلوك الطريقة والمجاهدة

توفي الشيخ منصور البطائحي وسيدُنا الرفاعي ابن ثمان وعشرين سنةً ، فأكثر من المجاهدة والذكر ، ومن التلاوة والعبادة ، وزاد في الزهد عن الدنيا ، وفي الخشوع والذل والخضوع لله وإنكار الذات .

تهافت الناس عليه للبيعة والإسترشاد

فاشتهر سيدنا الرفاعي بحسن سلوكه ، وشاعت سيرته في مجاهدته ، وذاع صيت نبوغه بين الناس ، فدخلوا زاويتَه أفواجاً من كل فجٍّ عميق ، ودخل في زاويته خَلْق لا يُحصيهمْ إلا الله ، فصلحت أحوالهم ، وحسُنَ إسلامهم ، وظل سيدنا الرفاعي يربيهم ، ويزكي نفوسهم ، ويشرف عليهم ، فأصبح هؤلاء التلاميذ الروحيون يشعرون بالمسؤولية بعد البيعة وتجديد الإيمان على يد سيدنا الرفاعي ، ويملكون شعوراً جديداً من العلاقة القوية بالله تعالى والإقبال عليه .

صفاتُهُ الخِلْقِيَّةُ المباركةُ وعاداتُهُ

كانت صورةُ سيدنا الرفاعي كسيرته ، كان رَبْعَةً من القوم ، أسمرَ ، أزهرَ اللون ، متوسطَ القَدّ نيِّرَ الوَجْه ، شعره أسود ، وفي صدره شعر أسودُ ، خفيفَ العارضين ، وسيعَ الجبهة ، أكحلَ العينين ، حَسَنَ المَبْسم ، إذا تكلم سلب القلوبَ والعقول ، وإذا سكتَ أهابَها ، وكان كثيرَ التبسُّم قليلَ الضَّحِك .

كان يَلْبَسُ قميصاً أبيض ، وخُفاً من الصوف أبيض ، يتعمم بعمامة سوداء ، ويتعمم بالعمامة البيضاء في بعض الأحيان .

كان طعامَهُ خُبْزُ الأرز ، وما يفضل من الفتات والكسر من فضلات الواردين والضيوف ، وما أكل الخُبْزَ الساخنَ في عمره قطُّ ، وما زاد على الرغيف الواحد مُدَّةَ حياته .

وكان رُوَاقه يجمع كُلَّ يوم وليلة أكثرَ من عشرين ألفاً ، يَمُدُّ لهمُ السِّماطَ صباحاً ومساءً ، وكانت ليلة المولد المبارك يجمع أكثر من مئة ألف إنسان ، ويقوم بكفاية الجمع ، وأهل بيته كأحد الفقراء .

خُلُقُهُ العظيم

كان سيِّدُنا الرِّفاعيُّ مسكيناً في طَوره ، ذا هيبة عظيمة ، لا يتمكن جليسُه من إباحة النظر إليه هذا مع رِفْقه وظرافةِ طبعه وخُلُقه ورِقَّة شيمته ، وذلك لما اشتمل عليه من العِلم والعقل والعبادة والهيبة والوقار والكمال والفضائل والمجد وعُلُوِّ النَّسَب .

كان مؤيَّداً ، محكَّماً في القلوب ، قاهراً لنفسه ، حاكماً عليها ، عظيمَ الجناب ، هيِّنَ الجانب سليمَ الصَّدْر ، لَيِّنَ العريكة ، مُهملاً للدنيا ، مُقبلاً على الله تعالى .

كان طويل الفكرة ، كثيرَ التبسم ، قليلَ الضحك ، رقيق القلب ، شديد العاطفة ، كثير البكاء متواصلَ الأحزان .

صَعباً على أهل البِدْعة ، هيِّناً على أهل الحقِّ ، كالسحاب أينما وقع نفع ، لا يهاب ملوكَ الدنيا ولا يترفع عن الضعفاء والفقراء ، ويجلس مع المساكين ، ولا يُعْرَف من بينهم ، ويخدمهم بنفسه ، ويطوف في الرُّواق على حِلق الفقراء وقتَ الطعام ، يُحَرِّضُ الإخوان على خدمة الإخوان ويقول : { إخوانكم لأجل الله تعالى ، وإياكم والأعمالَ التي تصرف لغير الله تعالى } .

وكان لا يقوم لأحد من كبار الدنيا ، ولا يعبس في وجه أحد من المساكين والفقراء من مريديه وغيرهم .

حَجَّهُ المبرور

تهيأ سيدنا الرفاعي للحج ، وذلك في عام { 555 هـ } ، وكان هذا حَجُّه الأولَ ، وحينما انتهى من أداء فريضة الحج ، توجه مشتاقاً وَلِهاً لزيارة جَدِّه الرسول الأعظم ﷺ .

ولما اقترب من المدينة ، خَلَعَ نَعْلَه ، ومشى حافياً ، وجاء الى الروضة المطهرة ، ووقف أمام قبر جَدِّه الرسول – صلوات الله عليه – من جهة القِبْلة ، وقال :

السلامُ عليكَ يا جدي ، فقال له – عليه أفضلُ صلوات الله – :

وعليك السلام يا ولدي ، فتواجد وأخذه الحال ، فأنشد وقال :

في حالةِ البُعْدِ رُوحي كنتُ أُرْسِلُها تُقَبِّلُ الأرضَ عني وهي نائبتي
وهذه دولةُ الأشباحِ قد حَضَرَتْ فامْدُدْ يمينكَ كي تحظى بها شَفَتي

كرامة تقبيلِ الإمام الرِّفاعي يَدَ جَدِّهِ المصطفى صلى الله عليه وسلم

فلما أنشد هذين البيتين المحمودين ، وشيد هذين الرُّكنين الرفيعين تُجاه الحجرة الطاهرة المحمدية ، مَدَّ له جَدُّه النبيُّ الأكرمُ ، صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، يَدَه الشريفةَ البيضاءَ السَّوية ، طويلةَ الأصابع ، كأنها البَرْق المضيء من قبره ، وهي كالصقيل اليماني .

فقبَّلها سيدنا الرفاعيُّ في مشهد عظيم من حجاج ذلك العام ، وكان فيمن حضر ذلك المشهد العظيم ، الشيخ الولي السيد عبد القادر الجِيْليُّ ، وغيره من الشيوخ العظام ، والسادات الكرام مثل الشيخ عدي بنِ مسافر ، والشيخ حياة بن قيس ، والشيخ علي بن خميس ، والشيخ علي الطبري ، والشيخ أحمد بن عبد المحمود الرَّبْعي ، والأمير أسد الدين بن شيركوه ، ابن شادي والشريف الشيخ حسن بن محمد الحَسَني ، وغيرهم كثير .

فقال لي والدي : هذا الشيخ أحمد بن عبد المحمود الرَّبْعي ، هو من الذين كانوا عام مُدَّتْ يدُ النبي ﷺ للسيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه ، ورآها فيمن تشرَّف برؤيتها .

وبعد قليل ، جاء شيخ آخر ، ففعل والدي كما فعل أولاً ، وقبَّل يده ، وأمرني بتقبيل يده ، وبعد انصرافه للزيارة قال لي : وهذا من حجاج عام مَدِّ اليد ، وهو الشيخ مبارك بن جعفر الأونيوي وبعد قليل ، جاء شيخ آخر ففعل والدي كالأول ، وبعد ذهابه قال لي : وهذا من حجاج عام مَدِّ اليد ، وهو الشيخ عبد الرحمن بن علي الدعيبيني .

ثم جاء آخر ، ففعل والدي كالأول ، وبعد ذهابه قال لي : وهذا من أولئك ، وهو الحاج رمضان بن عبد البَرِّ بن عبدوية ، ثم جاء رجل آخر ، فقبَّل يَدَه ، وفعل كما فعل بالأول ، وبعد ذهابه للزيارة قال لي : وهذا منهم ، وهو الشيخ الجليل عبد المحسن الأنصاري الواسطي ، رضي الله عنهم .

ورأيتُ الناس يزدحمون على كل واحد منهم يُقَبِّلون يده وقدميه ، ويعلو النحيب والبكاء من الجميع ، وذلك لَتَذْكار عهد اليد الشريفة ومن مُدَّت له رضي الله عنه .

أمُرُ بقيعانِ الحِمى بعدَ أهلِها   أُعَفِّرُ شيبي باكياً بِثَرَاهُمُ

وأطرُقُ أطرافَ الطريقِ مُوَلَّهاً   لعلِّي أراهم أو أرى مَن رآهُمُ

سلام الله ورضوانه على هذا السيد الأصيل ، الذي نصبَه اللهُ نائباً عن جده صاحب جبريل عليه صلوات الملك الجليل .

وقد خضع بعد هذه العناية المحمدية للحضرة الرفاعية : رقابُ القوم ، وصار بابُهُ مستَمَدَّ أكابرهم من عهده الشريف الى اليوم ، ولا برحت هذه النعمة هاطلة ، والعناية متواصلة .

وقد عوَّل عليه رجال عصره ، واندرجوا في مقام التربية تحت سطوة نهيه وأمره ، فهم أتباعُهُ في العَقْد والحَلّ ، وهو شيخُهُم ، بل وشيخُ الكُلِّ في الكُلّ .

كتبتْ يّدُ الإحسانِ رُقْعَةَ عَهْدِهِ بِمِدَادِ بُرهانٍ جَليٍّ لم يَزَلْ

أبديَّةٌ تلكَ السعادةُ كونُها قامتْ بإحسانِ القديمِ منَ الأزَلْ

انتهى كلام الإمام الفاروثي رحمةُ الله عليه .

قلتُ : قال الإمام السيد عز الدين أحمد الصياد رضي الله عنه في كتاب المعارف المحمدية (ص ، 62 - 64) ما نصه :

وحدثني بما يناسب هذا المقامَ سيدي وأخي السيد قطب الدين أبو الحسن قدس الله روحه ، ونور ضريحه : أن السيد الجليل ، إمام الزمان ، صاحب هذه الطريقة ، شيخ الخليقة ، سيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه .

شهادة الأعلام على تقبيل اليَدِ النبوية الشريفة

وقد ذكر هذه الكرامة كثير من المؤرخين الثقات وفقهاءِ الإسلام ، وقد ألفوا فيها الكتب المعتبرة كالإمام السيوطي ، والإمام عبد الكريم الرافعي ، والشيخ إبراهيم الكازروني البكري ، والعلامة محمود الألوسي ، والعلامة السيد أبي الهدى الصيادي ، وغيرهم من مشاهير العلماء الكبار .

إن تقبيل يد الرسول الأكرَم ﷺ ، من أكبر كرامات سيدنا الرفاعي ، وقد أجاد القائل بقوله :

كفى الرفاعي شرفاً تقبيلُ كَفِّ المصطفى

فلا تَحِدْ عن بابِهِ وَخُذْهُ شيخاً وكفى

وقال الشيخ عبد القادر الطبري :

هذه رُتْبةٌ رَقَاها الرفاعي لم يَنَلْها من الرجال سِواهُ

هو في الأولياء قُطْبُ رَحاهم   قَدَّسَ اللهُ سِرَّه وحَبَاه

وقال شيخ الإسلام محمد سراج الدين الرفاعي المخزومي رضي الله عنه :

لقد مَدَحَ الغوثَ الرفاعيَّ أُمَّةٌ   وماذا عسى من بعدِ أن قَبَّلَ اليَدَا !؟

ومِنْ شَرَفِ الإرْثِ الصريحِ لذاتِهِ   متى ذكروه يذكرون محمدا ﴿صلى الله عليه وسلم﴾

قال الإمام الشيخ عبد السميع الهاشمي الواسطي عن هذه الكرامة الكبرى ، وكنت مع الزوار في الحرم النبوي عام حَجِّه الذي مُدَّتْ له فيه يَدُ النبيِّ ﷺ ، وشاهدتُ اليدَ النبويةَ ببركته رضي الله عنه .

وكان فيمن حضر : علي الهيتي ، الذي هو الآن بين أظهرنا ، والشيخ عدي بنُ مسافر ، والشيخ عبد القادر الجِيْلي ، والشيخ عزاز ، وغيرُ رجل .

فلما تجلى الله عليه بهذه الموهبة العظيمة ، والمنة الكريمة ، وآن وقت انصراف جسمه من الحضور النبوي واضطجع بباب الحرم ، وأقسم على الناس أن يدوس كلُّهم عُنُقَه .

فكانت العامة تتخطّى عُنُقَه المبارك ، والخاصة انصرفوا من أبواب أُخر ، وكنت لديه وهو يبكي ويقول : { اللهم زدني تمكيناً وإيماناً ومعرفةً بك وبنبيِّك ﷺ } .

زواجه الشريف

تزوج سيِّدُنا الرِّفاعي أولاً بالصالحة الولية خديجة الأنصارية ، ابنة الشيخ أبي بكر الواسطي الأنصاري النجَّاري ، فأولدها السيدةَ فاطمة المشهورةَ بأُمِّ النُّور ، والسيدة زينب المشهورةَ بأُمِّ الرجال ، ولما توفيت الولية خديجة سنة (553 هـ) ، تزوج بعدها بأُختها الشيخة رابعةَ ، وتوفيت هذه الوليةُ سنة (613 هـ) ، وأعقب منها السيد صالحاً قُطب الدين ، وتُوفي في حياة والده ولم يُعْقِبْ .

وأما بقية أولاده ، فهم السيد أبو القاسم ، والسيد إبراهيم ، والسيد عبد المحسن ، توفوا وهم صغار في حياة والدهم الإمام الرفاعي ، ولم يُعْقِبوا .

وأما ابنتُهُ السيدةُ زينبُ ، فقد تزوجها ابنُ ابنِ عمِّه السيدُ عبدُ الرحيم بنُ سيفِ الدين عثمان الرفاعي ، وأختها السيدة فاطمة ، فقد تزوجها ابنُ ابنِ عمِّه الثاني السيدُ علي بنُ السيد سيف الدِّين عثمانَ الرفاعي .

وقد أنجبت السيدة زينب المسماة أُمَّ الرِّجال السادة ، السيدَ شمس الدين محمداً ، والسيدَ قُطْبَ الدِّين أحمدَ ، والسيدَ أبا الحسن عبد المحسن ، والسيدَ أبا القاسم أحمدَ ، والسيد أبا الحسن محمداً والسيدَ عزَّ الدِّين أحمدَ الصيادَ ، وابنتين هما : السيدةُ عائشة ، والسيدة فاطمة .

وأعقبت السيدة فاطمة : السيدَ محيي الدين إبراهيم الأعزبَ ، والسيد نجم الدِّين أحمدَ الأخضر .

وفاتُهُ رضي الله تعالى عنه

قال العلامة ابن الجَوْزي في تاريخه { العبر بأخبار من عبر } ، إن سبب وفاة السيد الرفاعي أبياتٌ أُنشدت بين يديه ، تواجد عند سماعها تواجداً كان سبَبَ مرضه الذي مات فيه .

وكان المنشدَ لها الشيخُ عبد الغني بن نُقْطة ، وكانت الأبيات لسيدنا الرفاعي نَفْسِه وهي :

إذا جــنَّ ليلي هــام قلبي بذكركم ... أنوحُ كما نــاحَ الحَمَامُ المُطَوَّقُ
وفوقي سحابٌ يُمْطِرُ الهَمَّ والأسَى ... وتحتي بحارٌ بـالجَفَا تَتَدفَّقُ
سَلَوا أُمَّ عَمْرٍو كيف بات أسـيرُها ... تُحَلُّ الأسارى دونَهُ وهو مُوثَقُ
فــلا هــو مقتولٌ ففي القتلِ راحةٌ ... ولا هـــو مَمْنونٌ عليه فَيُعْتَقُ

مرض سيدنا الرفاعي بداءِ البَطْن شهراً ، قال خادمه الشيخ يعقوب بن كراز :

لما مرض سيدنا الرفاعي مرضَ الموت ، قلتُ له : تُجلى العروس في هذه المرة ؟

قال : نعم .

قلتُ له : لماذا ؟

قال : جرت أمور اشتريناها بالأرواح ، وذلك أن البلاء أقبل على الخَلْق فتحملته بما بقي من عُمُري ، فباعني .

وكان يمرغ وجْهَه وشيبته على التراب ويبكي ويقول : { العَفْوَ العَفْوَ } ،

ويقول : { اللهم اجعلني سقف البلاء على هؤلاء الخَلْق } .

كان مرض سيدنا الرفاعي بالبطن ، فكان يخرج منه كل يوم ما شاء الله ، فبقي المرض بالسيد الرفاعي شهراً ، فقيل له :

من أين يخرج هذا ولك عِشْرون يوماً لا تأكل ولا تشرب ؟

فقال : هذا اللحم يندفع ويخرج ، ولكن قد ذهب اللحم وما بقي إلا المخ ، اليوم يخرج وغداً نعبر على الله تعالى فخرج منه شيء أبيض مرتين أو ثلاثاً وانقطع .

توفي يوم الخميس وقت الظُّهْر ، ثاني عشر جُمادى الأولى ، سنة ثمان وسبعين وخمس مئة وله من العمر (66) سنة ، و(6) أشهر .

وآخِرُ كلامه لفظة لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، ﷺ .

وقال شيخ الإسلام السيد سراج الدين الرفاعي ، مُؤرِّخاً ولادةَ سيدنا الرفاعي ، ومُدَّةَ عُمُرِهِ ، ووفاتِهِ : ببيت واحد وهو :

ولادتُهُ بشرى ، ولله عمره	وجاءتُه بُشرى الله بالقرب والزُّلفى
512 66	578

وكان ذلك اليوم مشهوداً ، وبلغ عدد المصلين عليه حوالي رُبْع مليون مسلم ، جاؤوا من واسط والقرى المجاورة لأُمِّ عَبِيْدَة .

شهادةُ رجالِ العلمِ والبصيرةِ بفضلِهِ وكمالِهِ

شهادة الإمام الشيخ الجِيْلي رحمه الله

إن المرشد الكبير الشيخ السيد عبد القادر الجِيْلاني ، الذي كان معاصراً للسيد الإمام الرفاعي وكبيرَ الأولياءِ من رجال العلم والبصيرة ، سأله سائل عن سيدنا الرفاعي فقال :

أي فقير ، هذا رجل لا يُعرف ولا يُحَدّ ، ولا يصل الى مقامه غير رَبّه أحد ، هذا رجلٌ خُلُقُه الشرعُ والكتاب ، وقلبُهُ مشغولٌ بربِّ الأرباب ، ترك الكُلَّ ، فنال الكُلَّ ، خُلُقه حسرة الرجال وحالُهُ منتهى الأحوال ، ومقامه غايةُ الآمال ، وبابُهُ محطُّ الرِّحال .

من أراد أن يرى الرجل المتمكِّنَ الذي لا تُحرِّكُه الزَّعازعُ ، فليذهب الى أُمِّ عَبِيْدَة ، فإن صاحبَها الرجلُ المتمكِّنُ في كل مقام وطَوْرٍ ، ودونَهُ الرِّجال ، وإن اللهَ يرحم الوقتَ الذي يكون فيه مِثْلُ هذا الجِهْبِذ ، إن السيدَ أحمدَ حجةُ الله على أوليائه اليوم ، وصاحبُ هذه المأدُبَة .

شهادة الإمام محمد البصري

قال الشيخ محمد البصري : كُلُّ الأولياءِ أدركنا مقاماتِهم وما وصلوا إليه ، وعرفنا مُنتهاهم في السير ، إلا السيدَ أحمدَ الرفاعيَّ ، فإنه لا يُعرف منتهاه في السير ، وإنما رجالُ عصرنا على الإطلاق يعرفون الوِجْهَةَ التي اتَّجَهَ إليها ، ومن ادَّعى الوصولَ الى مرتبتِهِ ، أو الإطلاعَ على رُتبته ، فكذِّبوه ، أي إخواني ! هذا رجلٌ لا يُعرفُ ، ولا يُحَدّ ، وهو شيخُ الكُلِّ في الكل .

شهادة الإمام السُّبْكي

قال العلامة تاج الدين السُّبْكي عن سيدنا الرفاعي { الشيخ الزاهدُ ، أحد أولياء الله العارفين والسادات المشمِّرين ، أهل الكرامة الباهرة } .

شهادة الإمام الشَّعَراني

وكذلك العلامة عبد الوهاب الشعراني قال عن سيدنا الرفاعي : انتهت إليه الرياسة في علوم الطريق ، وشرحِ أحوال القوم ، وكَشْفِ مشكلات منازلاتهم ، وبه عُرف الأمرُ بتربية المريدين بالبطائح ، وتخرج بصحبته جماعة ، وتتلمذ به خلائق لا يُحصون ، ورثاه المشايخ والعلماء وهو أحد من قهر أحواله ، ومَلَكَ أسرارَهُ ، وكان له كلام عالٍ على لسان أهل الحقائق .

شهادة الشيخ الوردي

وكذلك العلامة المؤرخ الحَمَوي ، زين الدين عمر بن الوردي قال : كان صالحاً ، ذا قَبُول عظيم عند الناس ، وله من التلامذة ما لا يُحصى .

شهادة الشيخ اليافعي

أما العلامة عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني فقال : كان إليه المنتهى في التواضع ، والقناعة ، ولينِ الكلمة ، والذُّل ، والإنكسار لله تعالى ، والإزدراء لنفسه ، وسلامة الباطن .

شهادة الإمام الألوسي

كذلك فإن المُفسر الكبيرَ محمود بنَ عبد الله الألوسي ، يذكر سيِّدَنا الرفاعي بـ حضرة الولي الكامل ، الشيخ أحمد الرفاعي قدس سره .

شهادة الإمام الفقيه أبي شجاع الشافعي

وعنه قال الشيخ أبو شجاع الشافعي ، صاحب كتاب { متن الغاية والتقريب } في الفقه الشافعي كان السيد أحمدُ الرفاعي رضي الله عنه ذا رواياتٍ عاليات ، وإجازاتٍ رفيعات ، أعلمَ أهلِ عصره بكتاب الله وسُنَّةِ رسوله ﷺ ، وأعملَهم بهما .

بحراً من بحار الشرع ، سيفاً من سُيوف الله ، وارثاً أخلاقَ جَدِّه رسولِ الله ﷺ شهادة

الإمام المحدث الفاضل السيد الرواس

وعنه قال الرفاعي الثاني ، السيد محمد مهدي الرَّوَّاس ، آل خُزَام الصيادي الرفاعي : أي مولاي أبا العَلَمين ، أنت المربي الذي كَسَرَ بسطوة مهنَّد الفتح ، شوكةَ شِنْشِنَةِ الدَّعوى والشطح وأقام في بُحْبُوحة جلال الإنكسار الموطَّد بأساليب المَنْحِ .

شهادة مرافقه ومريده وخادمه وخليفته

إن أكبر شهادة هي شهادةُ الشيخ العارف بالله يعقوب بن كِرَاز العبدوي الذي خدم سيدنا الرفاعي ثلاثين سنةً ، يقول : فو الله ما رأت عيني ولا سمعت أُذُني بشيخ أكملَ منه ، ولا أكثرَ ذُلاًّ وانكساراً ، ولا أقوى شكيمة في دين الله ، ولا أزهدَ ولا أسخى ، ولا أزيدَ تواضعاً ، ولا أعظمَ تحمُّلاً ، ما رأيتُه أكثرَ ذُلاً وانكساراً من اليوم الذي مُدَّتْ له فيه يَدُ النبي ﷺ .

حياته ونبذة عن خلفائه من أهل بيته

البشارةُ الكبرى

لقد بشر النبيُّ الأُمِّيُّ الكريمُ عليه أفضل الصلوات بولادته خالَ سيدنا الرفاعي ، العارفَ الكبيرَ الشيخ منصوراً الرَّبانيَّ الأنصاريَّ البطائحي .

يقول السيد الشيخ منصور : رأيت النبيَّ ﷺ قبل ولادة ابن أختي السيد أحمد الرفاعي بأربعين يوماً في الرؤيا ، فقال لي : يا منصور ! أبشرك أن الله يعطي أختك بعد أربعين يوماً ولداً ، يكون اسمُهُ أحمدَ الرفاعي ، مثل ما أنا رأس الأنبياء ، كذلك هو رأس الأولياء ، وحين يكْبَرُ فخذْهُ الى الشيخ عليٍّ القاري الواسطي ، وأعطه له كي يربيَه ، لأن ذلك الرجلَ عزيزٌ عند الله ، ولا تَغْفُلْ عنه ! .

فقلتُ : الأمر أمرُكُم يا رسولَ الله ، عليك الصلاة والسلام .

قال الشاعر المُحِبُّ شِعْراً :

ونِسْبَةُ أحمدَ المولى الرَّفاعي   لطاها وُصْلَةٌ عَظُمَتْ مقاما
سرى برهانُها شَرْقاً وغَرْباً   وسارَ مُعَطِّراً يَمَناً وشَاما

وقال فيه الفيروزآبادي مفرداً :

أبا العَلَمينِ أنتَ الفَرْدُ لكنْ   إذا حُسِبَ الرِّجالُ فأنتَ حِزْبُ

كان سيدنا الرفاعي من أهل بيت رسول الله ﷺ .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصية من السيد أحمد الرفاعي الى الشيخ عبد السميع الهاشمي

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، من العبد اللاش أحيمد الى الشيخ المحتشم أخينا عبد السّميع الهاشمي كان الله لنا وللمسلمين . آمين .

أي أخي ، أوصيك بتقوى الله واتباع سنة رسول الله ﷺ ، وأحبُّ أن تحرص على نصيحتي هذه فهي نافعة لك ولأمثالك إن شاء الله ، وإياك أن تودعها غير أهلها فتظلمها أي عبد السميع :

الفقير إذا انتصر لنفسه تعب وإذا سلم الأمر الى الله تعالى نصره من غير عشيرة ولا أهل العقل كنز الفؤاد وكيمياء السعادة ، العلم شرف في الدنيا وعز بالآخرة ما أقام مع المتوارِ إلاّ المحجوب ، من كمل أنفق نفسه عن كل شيء غير ربه .

الخلق كلّه لا يضرون ولا ينفعون ، حجب لعباده فمن رفع تلك الحجب وصل إليه .

الإطمئنان بغيره تعالى خوف والخوف منه اطمئنان من غيره .

تحت كل حال ربّاني لو عرفته لعلمت أنك تسكن به وتعي به وأنت مخيّر " اعملوا ولا تتكلوا فكلٌ مسير لما خلق له " .

الصوفي من صفا فلم يرى لنفسه على غيره مزيّة ، الوقت سيف يقطع من قطعه .

علامة العاقل : الصبر عند المحنة والتواضع عند السّعة ، والأخذ بالأَحوَطْ وطلب الباقي سبحانه وتعالى .

كلّ الأغيار حجب قاطعة فمن تخلص منها وصل .

علامة العارف : كتمان الحال ، وصحة المقال ، والتخلص من الآمال .

الدنيا والآخرة بين كلمتين : عقل ودين .

العلم ما رفعك عن رتبة الجهل وأبعدك عن منزل العزة وسلك بك سبيل أولي العزم .

الشيخ من إذا نصحك أفهمك وإذا قادك دلّك وإذا أخذك نهض بك .

الشيخ من يلزمك الكتاب والسنّة ويبعدك عن المحدثة والبدعة .

الشيخ ظاهره الشرع وباطنه الشرع .

الطريقة : الشريعة .

لوّث هذه الخرقة كذّاب قال : الباطن غير الظاهر .

العارف يقول : الباطن ، باطن الظاهر وجوهره الخالص .

القرآن بحر الحكم كلها ! ولكن أين الأذن الواعية ؟

رنّة النجاح تسمع عند قرع باب الرضا من الله .

إرضَ عن الله ونم مرضيّاً ولك الأمن .

ما شم رائحة المعرفة من افتخر بأبيه وأمه وخاله وعمه وماله ورجاله .

ليس عند الله على شيء من رأى نفسه لو عبد الله العابد بعبادة الثقلين وفيه ذرة من الكبر فهو من أعداء الله وأعداء رسوله ﷺ .

ثلاث خصال من كان فيه لا يكون ولياً إلا إذا طهره الله منهن : الحمق والعجب والبخل .

أكذب الناس على الله والخلق من رأى نفسه خيراً من الخلق .

من أخذ الناس بقوةِ القاهرة : ترك في قلوبهم الضغائن عليه كيف كان ، ومن أخذ باكساره ترك في قلوبهم الإعتراف له عز أو هان .

نعم الرفيق في بلاد الله : تقوى الله ونعم المراح الإخلاص .

لن يصل العبد الى مرتبة أهل الكمال وفيه بقية " أنا " .

الشطّاح يقف مع شطحة حال الشطح إذا لم يسقط والكامل لا يشتغل عن خدمته الدعوى بقية رعونة في النفس لا يحتملها القلب فينطق بها لسان الأحمق .

التحدث بالنفحة ذكر القربية والتخلص من تجاوز مرتبة العبدية .

العارف لا ينظر الى الدنيا ولا الى الآخرة ، كل الكمال ترك الأغيار وطرح الإستبشار بحوادث الأكوان والغل بكسوة الفناء بين يدي الحي الذي لا يموت .

لا تجعل رواق شيخك حرماً وقبره صنماً وحاله دفة المكدية ،، الرجل من يفتخر به شيخه لا من يفتخر بشيخه .

كل الظلم التعالي على الناس .

الظلم حرص الرجل على المراتب الكاذبة الدنيوية ومنها أن يحب الإرتفاع على أخيه بكلمة أو جلسة لا حق له بها وعلى ذلك تقاس المراتب .

إذا رأيت الرجل يطير في الهواء فلا تعتبره حتى تزن أقواله وأفعاله بميزان الشرع ، إياك والإنكار على الطائفة في كل قول وفعل .

سلم لهم أحوالهم إلا ردّها الشرع فكن معه .

أول أبواب المعرفة الإستئناس بالله سبحانه وتعالى والزهد أول قدم القاصدين الى الله عزَّ وجل .

من مات محباً مات شهيداً ، ومن عاش مخلصاً عاش سعيداً ، وكلا الأمرين بتوفيق الله تعالى .

من اعتز بذي العزة عز ومن اعتز بغيره وقف معه بلا عز .

العلم نور والتواضع سرور .

مائدة الكرم يجلس عليها البر والفاجر .

لله عند الخواتيم حنان ولطف على عباده فوق حنان الوالدة على ولدها .

إن الله إذا وهب عبده نعمة ما استردَّها فيوضات المواهب الإلهية فوق مدارك العقول وتصورات الأوهام .

من علم أن الله يفعل ما يريد فوصّى الى الفعّال المقتدر وفرش مبنية على تراب التسليم .

الأولياء لهم الكرامة في الباب الإلهي ولولا أن جعل لهم هذه القسمة لما اختصهم دون غيرهم بولايته سبحانه وتعالى هؤلاء حزب الله وجيشه العرمرم الذي أيّد الله به الشريعة ونصر به الحقيقة وصان به شرف نبيه ﷺ وألحقه به ، قال تعالى : { يا أيها النبي حسبك الله ومن تبعك من المؤمنين } .

المعرفة بالله على أقسام وأعظم أقسامها تعظيم أوامر الله تعالى ، قال إمامنا الشافعي رضي الله عنه : من شهد في نفسه الضعف نال الإستقامة .

وقال : أركان المروءة أربعة حسن الخلق والتواضع والسخاء ومخالفة النفس .

وقال : التواضع يورث المحبة ، والقناعة تورث الراحة .

وقال : الكيس العاقل ، الفطن المتفاضل .

وقال : إنما العلم ما نفع فاشهد نفسك بالضعف والفقر تستقم النفس ، وشيّد أركان المروءة تحسب من أهلها وتواضع واقنع تصر محبوباً مستريحاً ، وتغافل تكن كئيباً وخذ من العلم ما ينفعك إذا أقبلت على ربك فإن دنياك خيال وكلها زوال ، والله محول الأحوال .

فمن تمشيخ عليك فتتلمذ له ومن مد لك يده لتقبلها فقبل رجله وكن آخر شعرة في الذنب فإن الضربة أو ل ما تقع على الرأس .

إياك والتقرب الى أهل الدنيا فإن التقرب منهم يقسي القلب والتواضع لهم موجب لغضب الرب وتعظيمهم يزيد في الذنب .

اتخذ الفقراء أصحاباً وأحباباً وعظمهم وكن مشغولاً بخدمتهم ، وإذا جاءك واحد منهم فانتصب له على أقدامك وتذلل له وإذا أوقفت خدمتك لدى الفقراء موضع القبول فاسألهم الدعاء الصالح واجتهد أن تعمر لك مقاماً في قلوبهم فإن قلوب الفقراء مواطن الرحمة ، ومواضع النظر القدسي ، ونظف خاطرك من الرعونات البشرية ومن كان لك عليه حق أوله عليك حق فداره حتى يعطيك حقك ، أو الى أن تعطيه حقه ، وإن قدرت فسامح من لك عليه حق ، حتى يعوض الله عليك ، وكن مع الخلق بالأدب فإنه أدب مع الخالق .

قال : كتب الأحبار رحمه الله تعالى لأن أبكي دمعة من خشية الله تعالى أحب إلي من أن أتصدق بجبل من ذهب .

وقالت رابعة رحمها الله تعالى بكيت عشر سنين عن الله وعشر سنين بالله وعشر الى الله فأما ما هو بالله فالرجاء به ، وأما ما هو عن الله فالخوف منه ، وأما ما هو الى الله فالشوق إليه .

وقال بعضهم دخلت على رابعة البصرية فإذا هي ساجدة فجلست عندها حتى رفعت رأسها فإذا موضع سجودها ماء واقف من دموعها ، فسلمت عليها فردت السلام علي وقالت : ما حاجتك قلت : أريد زيارتك ، فبكت ثم صرفت وجهها عني وكانت تبكي وتقول قرة عيني لا بد لي منك فالعجب ممن عرفك كيف يشتغل بغيرك ، والعجب ممن أرادك كيف يريد غيرك ، وروي أن الله تعالى قال لموسى عليه الصلاة والسلام " لن يتقرب أليّ المتقربون مثل البكاء من خشيتي " .

تعريف الغوثية

مقبل اليد الكريمة المحمدية سليل الرسول وإني سيد العرب وفلذة كبد البتول السيد أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه ، صلوات الله وسلامه على جده سيد الخلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين الطاهرين . . . اللهم صلّ على سيدنا وسيد ملوك الحضرات محمد . . . . .

أما بعد : فالغوثية علم يعني به القطب الفرد سيد الأبدال في زمانه الذي قدمه الله باستعداده وسعة علمه ونور قلبه ، وكثرة عرفانه وعقله عليهم .

جاء في الخبر عن النبي الأطهر ﷺ سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم : أن الله عز وجل ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم ، ولله في الخلق أربعون قلوبهم على قلب إبراهيم ولله في الخلق سبعة قلوبهم على قلب موسى ، ولله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبرائيل ولله في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل ، ولله في الخلق واحد قلبه على قلب إسرافيل .

فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة ، وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة ، وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين ، وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة ، وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة ، فبهم يحي ويميت ويمطر ، وينبت ويرفع البلاء ، وهنا لم يذكر النبي أن أحداً منهم على قلبه الشريف المبارك إذا لم يخلق الله تعالى في عالمي الخلق والأمر أعز وأشرف وأكرم وألطف من قلبه ﷺ ، فقلوب جميع الأنبياء والملائكة والأولياء وبالإضافة الى قلبه الأنور الأطهر كإضافة سائر الكواكب الى إضاءة الشمس ولمّا كانت الطائفة المنوّه بذكرها كريمة على الله بها يحي ويميت ويمطر وينبت ويرفع البلاء ، وأعلاهم منزلة ومقاماً الواحد المختار للمقام التنزيلي في المظهر الإنساني على القلب الإسرافيلي جعل الله به قوام الدنيا وأهلها ، وقيل له لذلك ﴿ الغوث ﴾ .

ورد في الحديث عن النبي ﷺ ثلاثة كن فيه فهو من الأبدال الذين بهم قوام الدنيا وأهلها { الرضا بالقضاء ، والصبر عن محارم الله ، والغضب في ذات الله } ، ويا عجباً لك أيها المحجوب بنفسك المنقطع عن القافلة الواصلة تقول كيف يمكن لرجل من بني آدم الغوثية وهي مقام التصرف والنهي ، والأمر في الذرّات وأنت ترى أن الشمس سرت أشعتها وهي في مستقرها الى الحادثات ، وعمّت جميع البارزات قامت بإغاثة النباتات والمرئيات وامتدت سجف أذيال نفعها على الكليات في الأرض والجزئيات ، ولها في عالم السماوي محضر لا يستغنى عنه ولا بد منه فأنت تقول لذلك ، وتعلم أن الذي وهبها هذه القدرة وأمدها بهذه القوة إنما هو الله الذي لا إله إلا هو الخالق البارئ المصور ، العزيز الجبار وإنها الكواكب ، الآدمي عند الله أكرم منها وأفضل وأعز وله سبحانه التصرف المطلق والقوة الشاملة وإنه القادر على استيداع ما قام بذلك الكوكب في حجر الأسود ملقى في فلاة وإذا كان كذلك والأمر والله كذلك فالقطب الغوث هو المستودع بالأسرار الإلهية في الكبكبة الآدمية ، يغيث بإذن الله تعالى حاضر كان أو غائباً ، حياً كان أو ميتاً ، نعم يكون ذلك بإغاثة الله وبمعونة الله ، وبإحسان الله وبقدرة الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل في نسبي الطاهر من الأبوين وإيضاح حقائق اتصاله بالبيت النبوي إيضاح طالعة الشمس في الخافقين

وقد قال ﷺ : { أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أن الشهب أمان لأهل السماء }[1] .

وذلك لأنهم قادات قوافل الناس الى الله ، وهداتهم إليه سبحانه وتعالى وهم أئمة أهل القلوب ومشايخ رجال الحضرات أبوهم رسول الله ﷺ ، ثم أبوهم الثاني علي بن أبي طالب ، فالأب الأول هادي الأمم ، والأب الثاني شيخ أولياء الله وقائد ركبانهم .

قال المصطفى ﷺ : { إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي ابن أبي طالب }[2] .

وقال في الحسن السبط عليه السلام : { إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين }[3] .

وقال في الحسين السبط الشهيد عليه السلام : { حسين مني وأنا من حسين }[4] .

1- رواه الطبراني في الكبير (7 / 22) بنحوه ، والهيثمي في مجمع الزوائد (9 / 174) .

2- ذكر المناوي في فيض القدير (2 / 223) ، وابن حجر في لسان الميزان (3 / 429) .

3- رواه البخاري (2 / 962) ، وابن حبان في صحيحه (15 / 419) .

4- رواه ابن حبان في صحيحه (15 / 428) ، وأحمد في مسنده (4 / 172) .

وقد انتهت سلاسل الأولياء في طرقهم الراجعة الى الله تعالى الى آل محمد وقام بنيابته الروحية عنه - عليه الصلاة والسلام - الأئمة الإثنا عشر من أهل بيته ، ثم من أدرك رتبة الغوثية والقطبية من آل فاطمة عليها السلام ، ثم صلحاء الآل في كل قرن وعصر من الأعصار ودور من الأدوار ، وأخذ عنهم المشرب المحمدي والحال النبوي ، حجة الأولياء والعلماء والصلحاء والنجباء ، ولم تلتفت هممهم الشريفة لهذه الدنيا الدنية بحال من الأحوال ، فهم وراث السر وساداتنا الصحابة والخلفاء العظام قرناً بعد قرن وراث الأمر فالآل أسرار الطور المحمدي للأمة يفيضون ، والصحابة والخلفاء على طبقات الأيام بالأمر النبوي يحكمون وينهون ويأمرون فأولو الأمر مطاعون وألو السر محبوبون ، يدلك على ذلك قول الله تعالى في الآل الكرام { قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ المَوَدَّةَ في القُربَى } الشورى (23).

وقول رسول الله ﷺ : { حب علي حسنة لا تضر معها سيئة }[1] .

وقال تعالى في أولي الأمر : { أَطِيعُوا الله وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلي الأَمْرِ مِنكُم } النساء (59) .

وقال ﷺ : { من أطاع أميري فقد أطاعني ، ومن أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصى أميري فقد عصاني ومن عصاني فقد عصى الله }[2].

وقد ذكر شيخنا خاتمة العلماء المتبحرين تاج أكابر العارفين ولي الله السيد بهاء الدين محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي الحسيني الشهير بالرَّواس رضي الله عنه علامات للآل - رضي الله عنهم - تزيد المرء إيماناً وعرفاناً وإيقاناً فقال : أجل العلامات التي تدل على صحة نسب الرجل أنه لا يشرك بالله تعالى ، ولا يهين الدين ويصون عقيدته من الزِّيغ .

ومنها أن يعفو عمن ظلمه ويحسن الى من أساء إليه ، وأنشد بعضهم على لسان أمير المؤمنين علي - كرم الله وجهه ورضي عنه - في هذا المعنى :

ملكْنَا فكَانَ العفوُّ مِنَّا سَجيَّة فلمَّا مَلكتُم سَالَ بالدَّمِ أبْطحُ
وحَلَلتمْ قَتلَ الأسَارىَ وَطَالَ مَا غَدونَا عَنِ الأسرَى نَعفُّ وَنصفَحُ
ويكفيكمُو هَذا التفَاوتُ بيننَا وكَلُّ إنَاءٍ بالذي فيهِ يَنْضَحُ

1- ذكر الديلمي في مسند الفردوس (2 / 142) بنحوه .

2- رواه أحمد في مسنده (2 / 244) .

حكى المسعودي في تاريخه أن ابن عباس - رضي الله عنهما - مرَّ بقوم ينالون من علي رضي الله عنه ويسبونه فقال لقائده : ادن منهم فأدناه فقال : أيكم الساب الله ؟

قالوا : نعوذ بالله أن نسب الله . فقال : أيكم السابّ لرسول الله ؟

قالوا نعوذ بالله أن نسب رسول الله ﷺ .

فقال : أيكم الساب لعلي بن أبي طالب ؟ قالوا : أما هذه فنعم .

قال : أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : { من سبني فقد سب الله ، ومن سب عليّاً فقد سبني }[1] فلما ولى قال ابن عباس لقائده كيف رأيتهم ؟ قال :

نَظرُا إليكَ بأعينٍ محمرةٍ نَظرَ التيوسِ الىَ شفارِ الجَازرِ

حذر العيونِ مُنكسِي أذْقَانَهمْ نَظرَ الذليل الىَ العزيزِ القاهرِ

وقد ذكروا للإمام أمير المؤمنين رجلاً يغتابه ويؤذيه فتعجب من ذلك وقال : هذا رجل ما أسديت إليه معروفاً فكيف يكون مغتاباً لي ومؤذياً ؟

ومنها : أن تهز حساده أحقادهم للطعن في دينه وعمله وما هو عليه تأولاً بتلفيقات كاذبات ، وقد وقع مثل ذلك للخوارج بشأن علي رضي الله تعالى عنه فإنهم قاتلهم الله خذلوه وأطبقوا على نقض بيعته وكفروه بتأويلهم الباطل ، وهو رأس الصديقين وقرة أعين المسلمين كل ذلك إرث له من رسول الله ﷺ فإن المنافقين والكافرين جحدوا حقه وآذوه وكذبوا رسالته ونسبوا لمقامه الرفيع ما لا يليق به ، وهكذا فعل أهل الجحود والبغي بالأنبياء والمرسلين عليهم جميعاً صلوات رب العالمين .

وبعد فقد نصر الله أنبياءه وأولياءه بدوام الذكر وجلالة الأمر وخذل أعداءهم ، وهدم بيد قدرته بناءهم بتأييد نص : { وَقُل جاءَ الْحقُ وَزَهَقَ الْباطِلُ إنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقاً } الإسراء (81) .

ومن المعلوم أن الإمام المرتضى علياً - كرم الله وجهه - هو أخو رسول الله وصهره وحبيبه وأبو ذريته ووصيه على أهله وابن عمه وربيبه ، ومع ذلك فقد لاقى من حساده كل عجيب أنكروا فضائله وجحدوا مناقبه وانتهوا به الى كل غاية من البغض والحقد .

1- رواه الحاكم في المستدرك (3 / 130) بنحوه ، وأحمد في مسنده (6 / 323) .

وأما ولداه الحسنان الأحسنان الريحانتان الطيبتان البضعتان الطاهرتان قرَّتا كل عين أميرا المؤمنين الحسن والحسين فقد ذاقا ما ذاقا ، وقد تهجم عليهما الحساد الأوغاد حتى قال قائلهم : هما ولدا علي فقط لا ولدا رسول الله ﷺ فتدبَّر أيها اللبيب مظهرية الآل في هذه الدار الفانية ، وانظر جرأة حسادهم تعلم أن الآل قد ابتلوا بالحاسدين والجاحدين والمارقين وذلك لأن الله اختار لهم النعيم المقيم في الآخرة ولم يختر لهم الدنيا ولا الراحة فيها وقد قال جدهم ﷺ : { إنا أهل بيت موكل بنا البلاء } .

وقد قال الأمير الخطير سيدنا علي - كرم الله وجهه - : ويح الأفراخ أفراخ آل محمد يحسنون فيساؤون ويؤكلون فلا يشكرون ، وينعمون فيكفرون ويمنحون فيحسدون ، أما نحن أهل البيت فلا يحبنا أحد ثلاثة : ولد زنية أو ولد حيضة أو ذُو رحم منكوسة ، وما ألطف ما نقله النَّوفلي - رحمه الله - عن محمد الحميري من قصيدة له في الإمام المرتضى رضوان الله وسلامه عليه :

سَائِل قُريشاً إذَا مَا كُنتَ ذَا همةٍ ... مَنْ كَانَ أثبتُهَا في الدين أوتَادَا

مَنْ كَانَ أقدمُها سلماً وَأكثَرُها ... عِلماً وَأطهَرُها أهلاً وأوْلادَا

مَنْ وَحَّدَ الله إذْ كانَتْ مُكذبة ... تَدْعُو مَعَ الله أولاداً وَأنْدادَا

مَنْ كَانَ أعدلَها حُكماً وَأقسطُهَا ... حِلماً وأصدقُهَا وَعدْاً وإيعَادَا

إنْ يصدقوك فلنْ يَعدُوا أبا حَسَن ... إنْ أنتَ لم تَلق للأحرارِ حُسَّادَا

ومن كلام سيدنا الإمام علي الرضا[1] ابن سيدنا الإمام موسى الكاظم[2] رضوان الله عليهما :

لأن فاخرتنا من قريش عصائب ... بمط خدود أو بطول أصابع

متى ما تداعينا القضاء قضى لنا ... عليهم كما نبغي نداء الصوامع

على أن الحق لا يدفع بالباطل ، والشمس لا تستر ببردة مجادل سمات آل محمد .

1- قال الكردي في الانتصار : هو أنبههم ذكراً ، وأجلّهم قدراً ، ومن ثَمَّ أحلّه المأمون محلَّ مهجته ، وأشركه في مملكته ، وفوَّض إليه أمر خلافته ، فإنه كتب بيده كتاباً سنة إحدى ومائتين بأن عليّ الرضا ولي عهده ، وأشهد عليه جمعاً كثيراً ، لكنه رضي الله عنه تُوفي قبل المأمون فأسف عليه كثيراً ، وأخبر قبل موته بأنه يأكل عنباً ورماناً مبثوثاً ويموت ، وأن المأمون يريد دفنه خلف الرشيد ولم يستطع ، فكان ذلك كله كما أخبر به ، ومن مواليه الولي الكبير الشيخ أبو محفوظ معروف الكرخي أستاذ السريّ السقطي ، لأنه أسلم على يديه .

=

وقال ابن السبكي رضي الله عنه :

يَا بنَ الرفَاعِي يَا مَنْ شَمْسُ دَولتِهِ ... لَها بكُلِّ فجَاجِ الكَونِ عنْوَانُ
لَوْ كُنت فِي زَمنِ المختارِ شَافِعنَا ... لَجاءَ في خلقكِ الممدودِ قُرآنُ

وقال السيد الرواس رضي الله عنه :

هذَا الرفَاعِي مِنْ أَنوارِ نِسبَته ... الىَ الرسولِ رِدَاء الحقّ جَلَّلهَا
لوْ لمْ يكُنْ في بَنِي المختارِ نَائِبةٌ ... مَا مدَّ يَداً لهُ جَهراً فَقَبَّلهَا
وقدْ تعلقنَا بقُطبِ العَصرِ ... مِنهمُ فَنحنُ في سَنَاه نَسْرِي
شيخُ الأنَامِ أَحمَد الرِّفَاعِي ... حِينَ أتَانَا مِنْ حِماهُ دَاعِي
فنحنُ بينَ أحمَد وَأَحْمَد ... نَسيرُ في نورِ هُدَى وَنهتَدِي
رَسولنا نَبينا مُحمَد ... وَشَيَخنَا القُطبِ الشريفِ أَحْمَد

يقول العارف بالله القطب حسن برهان الدين في قول قائل :

وإذَا أَرادَ اللهُ نَشرَ فَضيلِةٍ ... طُويَتْ أتَاحَ لها لِسَانَ حَسُودِ

= 2- هو الإمام موسى الكاظم رضي الله عنه ، وهو وارثه علماً ومعرفة وكمالاً وفضلاً ، سُمّي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله ، وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم .

تنبيه

أما ابن عنبة الرافضي فقد تتبع عظماء أهل البيت في العراق من أهل السنة والجماعة ، وطعن بأنسابهم بطرق مختلفة وأساليب متنوعة فها هو قد طعن بنسب آل الشريف الأفطس وعزا الطعن للإمام جعفر الصادق رضي الله عنه ، وهو كذب بإجماع أهل هذا العلم وطعن بنسب القطب الجليل مولانا الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله عنه وبنسب آل أبي السعادات الأكبر وسماهم آل الطباخة وهلم جرا ، ومثل هذا الرجل الذي قتله غرضه وطمعه من الحسد مرضه لا يؤخذ منه ولا ينقل عنه .

ولما كان الغرض ذكر نسب السيد الكبير شيخ العترة في عصره سيدنا السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه فقد أفردته بالذِّكر ، ورددت أقوال هذا المحرف والله المعين .

فائدة لا يستغنى عنها

القاعدة المرعية في النسب أن يحوطه أهله ويحفظه لهم جماعة عدول من المسلمين قلوا أو كثروا وإذا تدبر من له أدنى شمة من العلم قول إمام دار الهجرة سيدنا مالك رضي الله عنه : الناس في أنسابهم كالناس في أملاكهم وبناء هذه القاعدة المرعية المرضية فالسادات والأشراف يحوطون أنسابهم ويحفظون تسلسل آبائهم ونقلتهم من جهة الى جهة ، ويحفظ لهم جماعة من العدول أنهم من أهل البيت الطاهر ، وهناك فجاحدهم يحد وشقاشقة تَرِدِّ وتجحد .

ولا يخفى أن الجد الجامع لفروع بني رفاعة الحسينيين سكان العراق والشام إنما هو السيد حازم الرفاعي ابن السيد أحمد ابن السيد علي ابن السيد أبي المكارم رفاعة الحسن المكي المهاجر من الحجاز الى المغرب نزيل بادية إشبيلة ، وهذا السيد أعني أبي المكارم السيد رفاعة الحسن المكي رضي الله عنه هاجر من مكة سنة فتنة القرامطة - قاتلهم الله - وذلك عام سبعة عشر وثلاثمائة يريد بهجرته الى المغرب إقامة الحجة على العبيديين فيما فعله القرمطي - قبحه الله - فتزوج في ديار المغرب بامرأة شريفة حسنية ، وأقام مع بطن من شيبان وعظمه ملوك المغرب وأمراؤها وعلماؤها ، وقال بإجلاله الفضلاء والصلحاء ، وبقيت ذريته في المغرب الى عهد السيد عبد الله ، ويعرف بالمدني ابن السيد حازم فإنه نزل المدينة المنورة وتزوج فيها ، وأعقب ذرية ثم بعد مدة أخرى هاجر من المغرب الى الحجاز ثم الى العراق مولانا السيد يحيى النقيب جد الإمام السيد أحمد الرفاعي لأبيه ، وهو أعني : السيد يحيى ابن السيد ثابت ابن السيد الحازم علي أبو الفوارس الجد الجامع الذي مر ذكره فأكرمه الخليفة

ببغداد ، وأزال الله على يديه فتن الباطنية ، وفوضت إليه نقابة البصرة وواسط والبطائح سنة خمسين وأربعمائة ، وتزوج من الأنصار سكان واسط المشهورين ، فأعقب السيد علي أبا الحسن ويعرف بالمكي دفين بغداد والد سيدنا الإمام السيد أحمد الرفاعي وغيره وذريته الكريمة مشهورة معروفة .

عود حسن

أعقب السيد حازم أبو الفوارس السيد ثابت ، والسيد محمد عسلة ، والسيد عبد الله المدني الذي مرَّ ذكره فالسيد ثابت عقب السيد يحيى نقيب البصرة المهاجر من المغرب أول من سكن العراق من ابني رفاعة الحسنيين دفين السيليات بالبصرة ، وصاحب المشهد الطافح بالنور فيها ومرقده مطاف الخواص والعوام .

وهو أعقب السيد السلطان أبا الحسن علي دفين رأس القرية ببغداد وهو أعقب شيخنا الإمام السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه ، والسيد إسماعيل والسيد سيف الدين عثمان والسيدة ست النسب وأما السيد محمد عسلة ، فإنه أعقب السيد حسن قدم مع ابن عمه السيد يحيى النقيب وقد أرشده ورباه واقرأه عليم الدين .

ولما بلغ أشده زوجه ببنت الشيخ أبي الفضل القرشي الواسطي فأولدها القطب الكبير السيد سيف الدين عثمان فلما كبر تزوج ببنت عمه الشريفة ست النسب أخت الإمام الرفاعي التي تقدم ذكرها ، فأولدها السيد مهذب الدولة علياً والسيد ممهد الدولة عبد الرحيم والسيد عبد السلام ، فالسيد الإمام مهذب الدولة علي بن سيف الدين عثمان ، زوجه الإمام السيد أحمد الرفاعي ببنته الطاهرة العارفة بالله السيدة فاطمة وله منها ذرية شهيرة سيأتي ذكرها إن شاء الله ، وإخوة السيد الإمام ممهد الدولة عبد الرحيم زوجه الإمام السيد أحمد الرفاعي ببنته الكريمة الرفيعة القدر ولية الله السيدة زينب أم الأقطاب رضي الله عنهم أجمعين .

وهي أم سيدنا وملاذنا وولي نعمتنا القطب الغوث الجواد السيد عز الدين أحمد الصياد وإخوته الطاهرين نفعنا الله ببركات علومهم والمسلمين - آمين - .

الطّريقة الرّفاعيّة العَليّة

قال الحافظ الجليل الشيخ تقي الدين الأنصاري الواسطي رحمه الله تعالى في كتاب (طبقات خرقة الصوفية)[1] تنتهي إلى الشيخ الشهير , القطب الغوث الكبير , السيد الشريف النسيب الحسيب الغطريف مِنَّة الله الكبرى في عصره على الأنام , شيخ مشايخ الإسلام ولي الله سيدنا وشيخنا ومفزعنا السيد أحمد محيي الدين أبي العباس الرفاعي[2] , ابن السيد أبي الحسن علي دفين بغداد, ابن السيد يحيى نقيب البصرة أبي أحمد المهاجر من المغرّب , ابن السيد أبي حازم ثابت , ابن السيد علي الحازم أبي الفوارس , ابن السيد أبي علي أحمد المرتضى , ابن السيد علي أبي الفضائل , ابن السيد الحسن الأصغر رفاعة الهاشمي المكي نزيل بادية اشبيلية المغرب , ابن السيد أبي رفاعة المهدي , ابن السيد أبي القاسم محمد , ابن السيد الحسن أبي موسى رئيس بغداد نزيل مكة , ابن السيد الحسين عبد الرحمن الرضى المحدث , ابن السيد أحمد الصالح ويقال له الأكبر ابن السيد موسى الثاني ويقال له أبو يحيى وأبو سبحة , وابن الأمير الجليل السيد أبي محمد ابراهيم المرتضى , ابن السيد الإمام موسى الكاظم , ابن السيد الإمام جعفر الصادق , ابن السيد الإمام محمد الباقر , ابن السيد الإمام علي زين العابدين , ابن السيد الإمام أمير المؤمنين الحسين الشهيد بكربلاء , ابن السيد الإمام أمير المؤمنين , وزير سيد المخلوقين أسد الله الغالب , سيدنا ومولانا علي بن أبي طالب رضى الله عنه .

وأم سيدنا الإمام الحسين سيدة نساء العالمين , بضعة إمام المرسلين سيدتنا فاطمة الزهراء النبوية , بنت علة الخلق , وحبيب الحق . سيد كل من لله عليه سيادة , طلسم المرادات المنبجس من حضيرة الإرادة نور عيوننا وقلوبنا , كشاف مُدلهماتنا وكربنا روح الأرواح , وباب الفتاح , بحر المعارف الذي تفجر منه بحور العرفان , مولى العوالم سيدنا محمد رسول الرحمن ﷺ وعلى آله وأصحابه وتابعيهم إلى يوم الدين آمين .

هذا نسب سيدنا السيد أحمد على الوجه الأصح , وإن وُجد الخلاف في بعض النسخ فمن جهل النُّساخ الذين حرّفوا الكنى وعدوها من الأسماء لا غير .

1- وهو عبد الرحمن بن عبد المحسن بن عمر بن شهاب , الإمام المفتي الشيخ تقي الدين أبو الفرج الواسطي , محدث واسط ولد سنة 674هـ قدم دمشق , وحج مرات وسمع , هو والإمام الذهبي وأخذ عنه المخزومي .

2- الرفاعي بكسر الراء وفتح الفاء وبعد الألف عين مهملة , نسبة إلى جده رفاعة

ونسب صاحب الخرقة المشار إليه سيدنا أحمد الرفاعي رضي الله عنه لأُمّه فهو كما صححه الثقات الأثبات , ابن ولية الله الحسيبة المعمرة الزاهدة العابدة الصالحة أم الفضل فاطمة الأنصارية , أخت الباز الأشهب , والترياق المجرب الإمام العارف بالله صاحب وقته ذي الكأس النوراني , والفتح الصمداني , شيخ الطوائف منصور الزاهد البطائحي الرباني[1] لأبويه , وأبوهما العارف الكبير الشيخ يحيى البخاري , ابن الشيخ موسى أبي سعيد , ابن الشيخ كامل ابن الشيخ يحيى الكبير , ابن الإمام الصوفي الشهير محمد أبي بكر الواسطي , ابن موسى , ابن محمد , ابن منصور , ابن خالد , ابن زيد , ابن مت وهو أيوب , ابن خالد أبي أيوب , ابن زيد الأنصاري البخاري الصحابي الجليل رضي الله عنه وعن أصحاب رسول الله أجمعين

ونسب أُمه لأُمها هو أنها فاطمة بنت السيدة رابعة , بنت السيد عبد الله الطاهر نقيب واسط ابن السيد أبي علي سالم النقيب , ابن السيد أبي البركات محمد النقيب , ابن السيد أبي الفتح محمد أمير الحاج , ابن الأمير الجليل السيد محمد الأشتر , ابن السيد عبيد الله الثالث , ابن السيد علي , ابن السيد عبيد الله الثاني , ابن السيد علي الصالح , ابن السيد عبيد الله الأعرج ابن السيد حسين الأصغر , ابن الإمام زين العابدين علي ابن الإمام حسين سبط النبي ﷺ .

ونسب جده لأبيه السيد يحيى الرفاعي نقيب البصرة من جهة أمه , فهو يحيى بن آمنة , بنت يحيى العقيلي , ابن الناصر لدين الله علي ملك الأندلس , ابن أحمد , ابن ميمون , ابن أحمد , ابن علي , ابن عبد الله , ابن عمر , ابن إدريس , بن إدريس الأكبر الذي فتح الله الغرب على يديه , ابن عبد الله المحض ابن الحسن المثنى , ابن السيد الإمام الحسن سبط النبي ﷺ .

1- نسبة لقرية من قرى البطائح اسمها (الرّب) .

ونسب جده لأمه الشيخ يحيى البخاري من جهة أمه أيضا فهو يحيى بن علوية , ويقال عالية بنت حسن الملاح , ابن محمد , ابن يحيى , ابن الحسين ملك اليمن ومكة , ابن القسم أبي محمد الرسي ابن ابراهيم طباطبا , ابن اسماعيل , ابن ابراهيم الغمر . ابن الحسن المثنى , ابن الإمام الحسن السبط رضي الله عنهم أجمعين .

وقد يتصل نسب السيد أحمد بالإمام أمير المؤمنين أبي بكر الصديق من جده الإمام جعفر الصادق , فإن أم الإمام جعفر أم فروة بنت القاسم بن محمد بن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه , ووالدة أم فروة المذكورة أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم .

ولهذا كان الإمام جعفر الصادق يقول : ولدني الصديق مرتين .

أقوال[1] : هذه صورة رقعة نسب السيد أحمد الرفاعي المحفوظة المتواترة وهي أشهر من أن ينبه عليها .

ولد يعني الإمام الرفاعي رضي الله عنه سنة اثني عشر وخمسمائة ونشأ في حجر خاله[2] فأدبه وهذبه , وتلقى عن خاله الطريقة وعلم التصوف ولبس خرقته وأخذ عنه علوم الشريعة , وتفقه على الشيخ أبي الفضل علي الواسطي المعروف بابن القاري , وعن جماعة من أعيان الواسطيين , منهم خاله الصوفي الجليل شيخ وقته سلطان العلماء العارفين , الشيخ أبو بكر الواسطي أخو الشيخ منصور , وانتهت إليه الرياسة في علوم الشريعة وفنون القوم , وانعقد عليه إجماع الطوائف , وقال بتقدمه على رجال عصره الموافق والمخالف , وأطبق على علو قدمه ورفعة رتبته وكرم خلقه , وترقيه عن منزلة القطبية الكبرى والغوثية العظمى جحاجحة الأرض المقدسة الحجاز والشام , واعترف رجال وقته بالعجز عن درك منتهاه في السير , وقال بذلك الخواص منهم والعوام , وقال فيه الشيخ منصور (وزنته بجميع أصحابي وبي أيضا فرجحنا جميعا) .

ويعجبني ماقاله فيه الفيروزبادي مفرداً :

أبا العلمين أنت الفرد لكن إذا حُسِبَ الرجال فأنت حزب

1- اي تقي الدين الواسطي في كتابه (طبقات خرقة الصوفية) .

2- وهو الشيخ منصور الرباني البطائحي وهو أول من لقب من الصوفية بالباز الأشهب .

تربى بتربية الشيخ علي أبي الفضل القاري الواسطي رضي الله عنه وبصحبته تخرج وعلى يده سلك بأمر النبي ﷺ ولبس منه الخرقة وأجلسه في عهده للإرشاد , وأمر أصحابه بالأخذ عنه ونوّه عليه , وقال فيه (أرواح الأولياء تطير إلى حضرات القدس بأجنحة مختلفة أطولها ريشاً وأنهضها عزماً وأقربها مرمى من سدرة الوصول روح السيد أحمد بن السيد أبي الحسن علي الرفاعي في هذا العصر , ولولا سر الإمتثال لأخذت عنه , ولا ريب فأنا شيخه في الصورة وهو شيخي في المعنى) .

وقال فيه أيضا : السيد أحمد سلك إلى الله طريقاً أتعب به السالكين وأقصر ألسن المتكلمين , وأخرس في ديوان التفتيش المحمدي أهل الدعوى , أذل نفسه فعز , وأخّرها فتقدم , وطمس أنانية استراق النفس السمع فصار نوراً يستضاء به , وجبلاً أبلق يلتجأ إليه , وإنه لوجيه الوجه عند الله ورسوله ﷺ نحن أشياخه بالإسم وهو شيخنا وشيخ الوقت بالحكم .

ومثل هذه الإشارة رؤيا الولي الكبير أبي المكارم زيد بن عبد الله الغيداقي الهاشمي وهي : أنه رأى في المنام رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله من أعلى المشايخ ومن أي قوم هو ؟

فقال عليه الصلاة والسلام : يا زيد هو من أقربائك اسمه أحمد الرفاعي .

وروي عن الشيخ الورع أبي محمد القوصي أنه قال مدَّ السيد أحمد الرفاعي بموكب من فقرائه في أرض البطائح[1] فأنكرت حاله بسري , فنمت ليلتي وإذا بالنبي ﷺ وهو يثني على السيد احمد الرفاعي ويقول : ولدي السيد أحمد الرفاعي علم الحقيقة , يربي بحاله أكثر من مما يربي بمقاله , من أحبه فقد أحبني ومن آذاه فقد آذاني , فقمت مرعوباً وأتيته فلما رآني تبسم وقال : الرجل الكامل يربي بحاله أكثر مما يربي بمقاله .

وقال الإمام العلامة ابراهيم الصديقي الكازروني في كتابه (الشجرة) إنَّ بعض رجال الوقت رأى النبي ﷺ في حضرة , والرجال بين يديه وقوفا وهو عليه الصلاة والسلام يقول السيد أحمد بن السيد أبي الحسن الرفاعي شيخ هذه الأمة وسيد العارفين بالله اليوم اللهم إني أحبه فأحبه . انتهى .

1- بفتح الباء الموحدة والطاء المهملة وبعد الألف ياء مثناة من تحتها ثم حاء مهملة , وهي عدة قرى مجتمعة في وسط الماء بين واسط والبصرة ولها شهرة بالعراق .

لبس الشيخ علي القاري الواسطي الخرقة من يد شيخه الأعظم أبي الفضل ابن كامخ الواسطي , وهو لبسها من الشيخ غلام بن تركان , وهو من الشيخ أبي علي الروزبادي , وهو من الشيخ علي العجمي , وهو من الشيخ أبي بكر الشبلي وهو من الشيخ أبي القاسم الجنيد البغدادي , وهو من خاله الشيخ سري السقطي وهو من الشيخ أبي محفوظ معروف الكرخي , وهو من الشيخ داود الطائي , وهو من الشيخ حبيب العجمي , وهو من الشيخ أبي سعيد مولانا الحسن البصري , وهو من سيدنا ومولانا أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنه وكرّم الله وجهه وهو لبس الخرقة وتلقن أسرار البيعة والطريقة , وتلقى علوم الشريعة والحقيقة عن ابن عمه سيد السادات , ومصدر البركات , وعلة المخلوقات , سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه القادات وسلم تسليماً كثيرا .

وقد أكمل سيدنا السيد أحمد الترقيات الطريقية , وبلغ عوالي الدرجات الحقيقية , ولبس الخرقة من خاله الإمام العظيم القدر , الرفيع المنزل , الشامخ المرتبة , أبي المواهب , الباز الأشهب , الشيخ منصور الرباني البطائحي الأنصاري لأب الحسيني لأم , وهو رضي الله عنه لبس من جماعة أولهم أبوه العارف الجليل الشيخ يحيى البخاري وهو لبسها من أبيه الشيخ كامل , وهو لبسها من أبيه الشيخ يحيى الكبير , وهو لبسها من أبيه شيخ وقته إمام الصوفية أبي بكر ابن موسى الواسطي , وهو لبسها من شيخه تاج العارفين أبي القاسم الجنيد البغدادي والشيخ الثاني الذي لبس الشيخ منصور منه الخرقة فهو خال أمه وابن عم أبيه الشيخ أبي منصور الطيب , وهو لبسها من ابن عمه الشيخ يحيى البخاري , وهو لبسها من الشيخ أبي علي الترمذي ثم القُرمزي , وهو من الشيخ ابي القاسم السندوسي , وهومن الشيخ أبي محمد رويم البغدادي , وهو من الشيخ ابي القاسم الجنيد البغدادي , وهو من الشيخ سري السقطي , وهو من الشيخ معروف الكرخي .

وللشيخ معروف سنداً آخر بلبس الخرقة غير السند الذي تقدم وهو أنه لبس الخرقة من شيخه وملاذه سيدنا علي بن موسى الرضا , وهو من أبيه الإمام موسى الكاظم , وهو من أبيه الإمام جعفر الصادق , وهو من أبيه الإمام محمد الباقر , وهو من أبيه الإمام زين العابدين علي , وهو من أبيه الإمام الحسين السبط شهيد كربلاء ,وهو من أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم اله وجهه وهو من ابن عمه سيد خلق الله رسول الله ﷺ .

والشيخ الثالث الذي انتسب الشيخ منصور إليه , وبلغ الفطام في طريق الله على يديه , ولبس منه الخرقة وهو عمه الإمام الجليل , ذو الذراع الرحب والباع الطويل , شيخ الكل في الكل , حجة الله في أرضه الشيخ معز الدين أبو محمد طلحة الشنبكي ابن الشيخ موسى أبي سعيد الحسيني لأمه الأنصاري البطائحي رضي الله عنه , وهو أيضا خال والد أم الشيخ منصور

السيدة الشريفة رابعة الطاهرة الحسينية وقد كانت تدخل على الشيخ أبي محمد الشنبكي والشيخ منصور حمل في بطنها فينهض لها قائماً , فقيل له في ذلك فقال أقوم للجنين الذي في بطنها فإنه من أعز المقربين الى الله عز وجل , ومن أعلام الطريقة الهادين الى الله , ويوشك أن تنتهي إليه نوبة الوقت , ويندرج تحت أمره ونهيه أهل زمانه على الإطلاق ، وكان كما قال رضي الله عنه .

لبس الشيخ أبو محمد الشنبكي الخرقة من شيخه إمام الدوائر الشيخ أبي بكر الهوازني البطائحي رضي الله عنه , وهو لبسها في النوم بأمر النبي ﷺ من سيدنا ومولانا الإمام (خليفة النبي الأمين ﷺ) أبي بكر الصديق رضي الله عنه , وهو من سيد الأنام عليه الصلاة والسلام وإن خرقة الصديق رضي الله عنه التي ألبسها للشيخ أبي بكر الهوازني هي ثوب وطاقية , ولما استيقظ من منامه وجدهما عليه , وانتهت بسبب ذلك إليه مشيخة العصر , وكان أجلَّ أهلِ وقته على الأطلاق , ثم اجتمع بسيد الصوفية الإمام سهل بن عبد الله التُّسْتَري رضي الله عنه فلبس خرقته وأخذ منه سر الطريق , وهو من الشيخ ذي النون المصري , وهو من الشيخ إسرافيل المغربي وهو من سيدنا أبي عبد الله محمد حبيشة التابعي , وهو من سيدنا جابر الأنصاري الصحابي , وهو من سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه وعنهم أجمعين , وهو من ابن عمه روح الوجود عليه صلاة الله وسلامهُ .

(فائدة)

ذكر بعضهم أنّ الشيخ حبيب العجمي الذي تقدم ذكره العالي في السند الأول قبل أن كمل فطامه في الطريق على يد الإمام الحسن البصري , كان لبس خرقة من الإمام أبي بكر محمد بن سيرين ,وهو من أنس بن مالك رضي الله عنه , وهو من رسول الله ﷺ .

ويروى أن الإمام جعفر الصادق أخذ علم الباطن عن جده لأمه الإمام القاسم بن محمد بن سيدنا الإمام أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين , وهو أخذ عن سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه , وهو أخذ عن سيد المرسلين صلى الله عليه وآله الطاهرين وصحبه أجمعين .

وقد صح أن سلمان تلقّى عِلم الباطن عن أمير المؤمنين علي , وهو عن ابن عمه ﷺ , فلا فرق إذا الكل راجع إليه صلوات الله عليه .

سند السادة الرفاعية الذي لا تتصل فيه يَدُ غريبٍ عن الآل رضي الله عنهم أجمعين

أما الخرقة الشريفة التي يتداولها أسيادنا بنو رفاعة بينهم ما فيها يدٌ من غير أهل البيت , لذلك يُسمونها خرقة أهل البيت , فقد لبسها شيخنا الإمام السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه من ابن عمه القطب السيد سيف الدين عثمان لأنّ خرقة البيت انتهت إليه في وقته , كما أن السيد سيف الدين عثمان لبس خرقة طريق القوم من مولانا الإمام الرفاعي وهو أعني السيد سيف الدين عثمان لبس الخرقة من ابن عم أبيه سلطان العارفين أبي المحامد السيد السلطان علي المكي الرفاعي دفين الزوراء وصاحب المرقد الطافح بالنور بظاهر رأس القرية في الجانب الشرقي من بغداد وهو لبسها من ابن عمه السيد حسن بن السيد محمد عسلة الرفاعي وهو لبسها من ابن عمه السيد يحيى الرفاعي نقيب البصرة المهاجر من المغرب وهو لبسها من أبيه السيد ثابت بن حازم الأشبيلي الرفاعي وهو لبسها من أبيه السيد علي الحازم أبي الفوارس الرفاعي وهو لبسها من أبيه السيد علي أبي الفضائل الرفاعي , وهو لبسها من أبيه الحسن رفاعة أبي المكارم المكي نزيل اشبيليا المغرب , وهو لبسها من أبيه السيد أبي القاسم محمد البغدادي الحسيني نزيل مكة , وهو لبسها من أبيه السيد الحسن القاسم أبي موسى رئيس بغداد الحسيني وهو لبسها من أبيه السيد الحسين عبد الرحمن المحدث المعروف بالرضي الحسيني القطيعي , وهو لبسها من أبيه السيد أحمد الصالح الأكبر الحسيني وهو لبسها من أبيه السيد موسى الثاني الحسيني , وهو لبسها من أبيه الأمير الجليل السيد ابراهيم المرتضى الحسيني , وهو لبسها من أبيه الإمام موسى الكاظم الحسيني , وهو لبسها من أبيه الإمام جعفر الصادق الحسيني وهو لبسها من أبيه الإمام محمد الباقر الحسيني , وهو لبسها من أبيه الإمام زين العابدين علي السجاد , وهو لبسها من أبيه الإمام الحسين السبط رضي الله عنه وهو لبسها من أبيه أمير المؤمنين علي الكرار رضي الله عنه وكرم الله وجهه وهو لبسها من ابن عمه سيد المرسلين حبيب رب العالمين ﷺ وهو صلى عليه مولاه قال :(أدبني ربي فأحسن تأديبي) .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام الهمام السجاد وارث هدي سيد العباد والعُبَّاد سيدنا علي زين العابدين بن الإمام الشهيد المظلوم الحسين أبي عبد الله رضي الله عنهما : من خرج من بيته لزيارة ولي لله تعالى لم يزل يخوض في الرحمة حتى يرجع الى مكانه ويغفر له ذنوب ألف عام ويكون غداً في جوار الرحمن .

وقال ولده الباقر , وفرعه الطاهر سلام الله ورضوانه عليهما لو علم الزائر لما يزور وماله من الأجر لمشى ولو على أجفان عينيه عوضاً عن قدميه .

ورأى العارف البجلي رسول الله ﷺ في المنام فقال : يا رسول الله علمني شيئاً , فقال له عليه الصلاة والسلام وقوفك بين يدي ولي الله كحلب شاة أو شيّ بيضة خير لك من أن تعبد الله حتى تتقطع إرباً إرباً قال حياً أو ميتاً , قال حياً أو ميتاً .

وقال ﷺ (زُرْ في الله فإن من زار في الله شيّعه سبعة وسبعون ألف ملك يقولون : اللهم صله كما وصله فيك وناداه منادٍ طب وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة مقعداً) .

وقال ﷺ حاكياً عن ربه تعالى (حقت محبتي للمتحابين فيَّ والمتزاورين فيَّ)

ومن هذه الآثار والأخبار تعلم أن زيارة الأولياء لأجل الله تعالى فيها من الأجر ما لا يحصر , وفضل الله أعظم وأكبر , وإن السلف من مشايخ الطريق نوهوا بذكر (أم عبيدة) وأعظموا شأنها وذكرا فضل زيارتها وما يحصل من البركة والخير لزائرها .

وسلطان الرجال تاج العارفين أبو الوفا رضي الله عنه بأم عبيدة والسيد أحمد رضي الله عنه يومئذٍ لم يكن ولد فقال : أم عبيدة بقعة مباركة سيقتتل عليها العارفون بالسلاح , ثم قال سيظهر عن قريب بهذه القرية السعيدة رجل اسمه أحمد ويشتهر بالرفاعي يتواضع له كل صاحب سجادة على وجه الأرض يضرب داغه على جبهات الزراري في أصلاب الآباء , ودولة هذه الطريقة المحمدية له ولذريته الى يوم القيامة .

وقال العارف بالله سيدي محمد بن عبد المصري شيخ العارف الشهاب السهروردي رضي الله عنهما : الزائر الى أم عبيدة يروح ويأتي تحت ظلال أجنحة الملائكة .

وقال أيضاً الزائر لأم عبيدة يمشي على أجنحة الملائكة , وله بكل نفس ألف ألف حسنة .

قلت وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام : من زار في الله الحديث وقد سبق ذكره , ومثل سيدي محمد بن عبد من يصح له الكشف الصحيح رضي الله عنه .

وقال شيخ الأمة سيدنا السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه وعدني العزيز سبحانه وتعالى أن يدخل في هذه البقعة يعني أم عبيدة في كل يوم رجلاً من القوم الى قيام الساعة , ويخرج وفي قلبه حسرات مما يرى من نعم الله , ومواهبه وعطاياه , وإحسانه وبره المتواتر .

وقال رضي الله عنه : يواصل هذه البقعة الواوي فيصير أسداً ويقاطعها الأسد فيصير واوياً.

وقال رضي الله عنه : الناس يقولون (أم عبيدة) والحق يقول (أم عبيدي) وقد جعلها مباركة ومن حولها بها , أم عبيدة أم العباد المعتقدين بها أحسن الإعتقاد , وكل النوال ينزل من جناب العزيز سبحانه وتعالى على مكة حرسها الله ثم يتفرق باليد المحمدية على المملكة ومن اليد المحمدية يفرغ الى (أم عبيدة) ومنها بيد أهلها يفرق على القرى وعلى النواحي أم عبيدة فيها قصَّار وصبَّاغ فإذا دخلها الفقير وعليه ما شاء الله من وسخ الذنوب , فيغسل من ذنوبه بالتوبة , حتى يخرج كالثوب النقي ثم يصبغه الله تعالى بالخير والثواب والبركة والعرفان , فيرجع وهو مغفور له من أهل الإقبال على الله تعالى , وإن الله تعالى , اختار لهذه البقعة زبدة الوقت , فما يقصدها إلا من لله فيه عناية أزلية , لأنها مقصد الأحباب ومحل الأبدال والأقطاب , وفيها يوجد الندى للطلاب ومنها يحصل فتح الباب وكل خطوة الى أم عبيدة يُمْن ودرجة الى العزيز سبحانه وتعالى .

وقال شيخ مشايخنا الإمام الكبير الباز الأشهب منصور البطايحي الرباني خال سيدنا ومولانا الإمام الرفاعي رضي الله عنهما : أم عبيدة محط رحال العباد والزهاد , ومنها ينشر الخير الى سائر البلاد .

وقال قطب الوجود سيدي أبو محمد الشنبكي رضي الله عنه يوماً : هاهنا بقعة يقال لها (أم عبيدة) يختصم الرجال عليها بالسلاح حتى يتقوا بأيديهم ولم تحصل إلا لرجل يأتي آخر القوم وهو خاتمهم فلما بلغ ذلك سيدي منصور قال : هذه البقعة لأحمد بن أختي لا لأحد غيره رضي الله عنه وتخاصم جماعات المشايخ في موكب الشيخ عزار على التقدم فتقدم أهل أم عبيدة وقال هم المقدمون من السماء فلا أنا أغير ذلك ولا يقدر أحد غيري يغيره .

وقال سيدي محمد بن عبد البصري رضي الله عنه : مزابل أم عبيدة من حدائق روضات الفتوحات وقال القطب السيد علي مهذب الدولة ابن عثمان الرفاعي رضي الله عنه لأصحابه : إذا طلبتم الحق فاطلبوه بين سواري رواق (أم عبيدة) وإذا كانت لكم الى الله حاجة فاضرعوا الى الله بساكنها تقضى حوائجكم بإذن الله تعالى .

وحكى الشريف علي الطبري الحسيني رضي الله عنه : أنه أدخل على شيخه إمام القوم مولانا وسيدنا السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه , سمكة , وبعد أن أراه إياها أمر بها الطبري لتطبخ فأخذها الخادم ليصلحها لهم فلم تنضج , وأكثر تحتها من النار وقتاً طويلاً وهي على حالها , فرجع الخادم وأخبر الشريف الطبري فذهب ورآها ومكث عندها زماناً ينظر إليها وهي كشأنها الأول , فرجع وأخبر شيخه الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنه فقال له : اي ولدي الحمد لله الذي صدقنا وعده وسجد شكراً لله ثم رفع رأسه وقال أي علي: وعدني العزيز سبحانه أن النار لا تحرق من دخل هذه البقعة أو من لمسته يد هذا العبد العاجز أحيمد , وأمر بالسمكة فدفنت في مكان خلف الرواق .

ولما زار السيد أحمد البدوي رضي الله عنه وأخوه السيد حسن قدس سره المرقد الأحمدي (بأم عبيدة) انكشف للسيد البدوي الغطاء فرأى خياماً ملأت الصحاري وخيولاً عظيمة وأعلاماً منشورة , فقال لأخيه يا حسن : كأن هناك بعض الملوك بخيله ورجاله وخيامه وحشمه , فقال له : لا يا أحمد بل هذه مواكب رجال السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه ولا يطلع على هذا السر إلا المقبولون من أهل العناية فتواجد السيد أحمد البدوي رضي الله عنه وأنشد :

سكرنا حين شاهدنا الخياما وشاهدنا الرجال بـها قياما

قيـام فـي خيـام نيرات وقد ملأ السنا تلك الخياما

فـغبـنا عـن وجود كان منا سكارى حين ماذقنا المداما

وقال سيدنا القطب السيد عز الدين أحمد الصياد رضي الله عنه أخبرني الولي الصالح العارف السيد أحمد البدوي ابن علي الحسيني المغربي بدمشق أنه زار (أم عبيدة) فلما أشرف على قباب الرواق الطاهر الأحمدي ألهم فقال :

هذي الخيام فليت شعري ما الذي يجري علينا من عطاء كرامها

ولا زال يكرر هذا البيت الى الليل قال : فلما نمت رأيت سيدنا شيخ الجماعة السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه فقال لي : أنشدني البيت الذي ألهمته فأنشد البيت فقال

تـه بالـقبـول وَجُرَّ ذيلك زاهياً ولك المراد بأرضنا وخيـامها

قلت : وقد جرب أهل القلوب زيارة (أم عبيدة) فانتهضوا ببركتها الى مراتب الفتح وجربوا الهمة لصاحبها رضي الله عنه لحل مشكلات الطريق فكان وحصل المطلوب , وانهل سحاب الفتوح فوق المرغوب :

خـليليَّ عـرجـانـي لأم عـبـــيـدة فـلي بسماوات السمّو بها بـدر

أنـــال بـه سـؤلــي وأبلــغ مـأربي وأحفظ أحوالي ويكنفني النصر

وينزاح فيه الشك عن عين شاهدي ويتضح المعنى وينشرح الصدر

وأنشد العلامة الشيخ عبد الرحمن الدُّعَيبيني الواسطي عند قبر السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه في قبته المباركة , وكان جماعة يقال لهم آل غريب تعدوا عليه كل التعدي :

أيـظلـمـني الـزمـان وأنـت فيــه وتـأكـلـني الـذئاب وأنـت لـــيث

ويـروى مـن بـنـانـك كـل ظـــامٍ وأظـمـأ فـي حـماك وأنت غيث

فرأى تلك الليلة في منامه سيدنا السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه وعنا به فقال : يا عبد الرحمن غارت الربوبية لنا , فما مضى شهر إلا وأخذ الله آل غريب , فلم يبق منهم في الديار الواسطية ديار والله على كل شيء قدير وقد اتفق القوم رجال الله أقطاب الدوائر على أن خلعة الغوثية تخرج من قبر النبي ﷺ مطوية وتنشر على غوث الزمان بأم عبيدة .

وقال شيخنا الإمام السيد سراج الدين الرفاعي ثم المخزومي رضي الله عنه هذا معنى قول الإمام الرفاعي رضي الله عنه كل وليّ محمدي إذا مات يؤخذ سيفه ويعلق في هذا الباب الى ما شاء الله على أن باب رواق أم عبيدة محل إفراغ الأمانة ومحل استيداعها .



هذا سطر يعرب عند أهل ديوان الغيب عن ما طواه المدد الإلهي والوهب الرباني في أم عبيدة من الأسرار الإلهية لله خواص في الأزمنة والأمكنة والأشخاص .

ميمان في التنويع منعقدان | بهما بحكم الإنطوى دالان
دالان قاما في مطارقة العلا | لهما بطور الإنجلا ميمان
سران في سِرَّين قامت جملة | وبطيها الميمان منعقدان
ظنّ الجهول الخِبَ طية حكمها | والله ينشرها بكل زمان

الطريقة النقشبندية

(فائدة) :

قد ذكرنا من أسانيد الخرقة أسانيد لا تنتهي إلى الإمام الجنيد رضي الله عنه وهذه الأسانيد التي لا تنتهي إليه قليلة , وفي بعضها انقطاع على شرط الأصوليين من رجال الحفظ , ومنها سند

خرقة السيد بكناش الخراساني نزيل بلاد الروم , فإنها تتصل بالإمام خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه من طريقة شيخه العارف بالله الشيخ أحمد اليسوي شيخ الترك في بلاد الخطا والختن قدس سره , ولليسوي وصلة اليد بالشيخ العارف بالله عبد الخالق الغجدواني , وهو لبس الخرقة من الشيخ الخوجة يوسف الهمداني , وهو من الشيخ أبي علي الفارمدي , وهو من الشيخ الجليل العارف أبي الحسن الخرقاني وهنا تنقطع عند هذه الطائفة اليد .

فيقولون إن الخرقاني أخذ من روحانية الشيخ الكبير العارف أبي يزيد البسطامي وهو أيضا من روحانية الإمام الخطير والغطريف الكبير دُر صدف الرسالة , نسخة هيكل الشرف والعلم والأصالة وارث البيت المحمدي , ذي السر البارق , سيدنا ومولانا الإمام ابن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه وعليه السلام والرحمة , وهو من والد والدته أحد الفقهاء السبعة مولانا القاسم بن محمد بن سيدنا أبي بكر , وهو من أبيه عن الصديق الأكبر رضي الله عنه وهو من رسول الله وأكرم أنبياء الله , صلاة الله وأكمل سلامه عليه وعليهم أجمعين .

والذي أقوله : إن اليد الصحيحة التي تطمئن لها القلوب أن تقول : أخذ أبو علي الفارمدي من شيخه العارف بالله أبي القاسم الكركاني وهو من الشيخ أبي عثمان المغربي وهو من الشيخ أبي علي الكاتب وهو من الشيخ الأجل القدوة المعظم أبي علي الروزبادي وهو من السيخ الإمام تاج الطوائف أبي محمد الجنيد البغدادي , وسند الإمام الجنيد إلى النبي ﷺ معلوم وقد تقدم ذكره .

وأخذ اليسوي الخرقة وتبرك بها في آخر عمره من السيد الإمام أحمد الرفاعي فإنه زاره بـ (أم عبيدة) ولبس خرقته وانتسب إليه وسند السيد أحمد الرفاعي مشهور وقد تقدم ذكره .

ولكن طريق الخرقة المتداول عند مشايخ الترك ورجال ماوراء النهر في هذه الطريقة السند الذي لا يصل الى الجنيد وعليه مشايخ الطائفة الخاجكانية , وإليهم ينتهي سند الشيخ الكبير العارف الرشيق الكامل محمد بهاء الدين النقشبندي الأويسي الأجل البخاري وهو لبس الخرقة من شيخه السيد أمير كلال وهو من شيخه الصوفي النقي الخوجة محمود الأنجير فغنوي , وهو من الشيخ الخوجة عارف الديوكري , وهو من شيخه رئيس الطائفة الخوجة عبد الخالق الغجدواني وقد ذكرنا سنده الروحي , وسند الذي صحت له به اليد ويقال هنا له سندان وكلاهما صحيح لأن أهل الله مآخذ قلوبهم صحيحة بلا ريب نفعنا الله بهم أجمعين .

الطّريقَة القَادِريَّة الجَيْلانيّة

ومنها الطريقة القادرية , وخرقتها الشريفة تنتهي إلى الشيخ العارف بالله الكبير الولي المقدم الشهير , شيخ الشيوخ أبي محمد محيي الدين ولي الله الشيخ عبد القادر بن أبي صالح عبد الله , وقال جماعة ابن موسى ابن جنكي دوست الجيلاني الحنبلي , نزيل بغداد ابن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داوود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون , بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط بن الإمام علي كرم الله تعالى وجهه .

قلت : وأما الشيخ عبد القادر رضي الله عنه فلا ريب بجلالة قدره وعظيم منزلته وكثرة كراماته , وصحة حاله , وكونه أحد أقطاب الدنيا المشهورين , جلس للوعظ عند سور بغداد فحصل له القبول التام , واعتقد الناس والأكابر , واشتهرت أحواله وأقواله وكراماته وفُوّضت إليه مدرسة شيخه المخرميّ فعمرت المدرسة ووسِّعت وأقام فيها يدرس ويعظ الى أن توفي ليلة السبت ثامن ربيع الآخر سنة إحدى وستين وخمسمائة بعد المغرب . وقال الشيخ ابن الجوزي : ودفن من وقته بمدرسة وبلغ تسعين سنة ولا ريب في أن الشيخ عبد القادر كان من سلاطين الرجال , وأعاظم الأولياء أصحاب الأحوال وقد نوّه بذكره الأفراد وأثنى عليه الأعيان وعظمه الشيوخ وتبعه جماعة من الصلحاء , وقاد الله له القلوب , وبالجملة فهو من أعيان مشايخ زمنه وزهاده .

قال الإمام عز الدين أحمد الفاروثي[1] :كان سيدنا السيد إبراهيم الأعزب الرفاعي[2]رضي الله عنه يقول : الشيخ عبد القادر الجيلي أحد الصديقين المقربين الى الله اليوم ، دخل مجلس سيدنا الشيخ منصور الرباني رضي الله عنه فلم يلتفت إليه أحد وكان إذ ذاك شاباً , فقال الشيخ منصور افسحوا لهذا الشاب فسيصير له مع أهل الصدق منزلة محمودة .

ودخل مجلس الإمام الفرد السيد تاج العارفين أبي الوفاء الحسيني رضي الله عنه فقال له يا غلام سيصيح لك ديك لا يسكت وقد سئل السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه مرة عن الشيخ عبد القادر رضي الله عنه فقال : هو رجلٌ بحر الشريعة عن يمينه وبحر الحقيقة عن يساره ومن أيهما شاء غرف . انتهى

1- قال ابن كثير عند كثر حوادث سنة أربعين وتسعين وستمائة : توفي الفاروثي الشيخ الإمام العابد الزاهد الخطيب عز الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ محي الدين أبي ابراهيم بن عمر أبي الفرج الفاروثي الواسطي ولد سنة أربعة عشرة وستمائة

2- أبو إسحاق محيي الدين السيد ابراهيم الأعزب الرفاعي رضي الله عنه .

وكان يأوي الى الخراب , ومكث خمساً وعشرين سنة متجرداً سائحاً في صحراء العراق لا يعرف الناس ولا أحد يعرفه , وكان يقول : قاسيت في بدايتي الأهوال , وكنت أقتات بقمامة البقل من شاطيء النهر وكان على رأسي خريقة وعلى ظهري جبة صوف , وربما حملني الناس الى البيمارستان وقد تكرر ذلك وكانت تطرقني الأحوال ليلاً وأنا في الصحراء فأملأ البر صُراخاً , صلى الصبح أربعين سنة بوضوء العشاء , وكان كثيراً ما يذهب أيام انجذابه إلى واسط والبصرة والبطحاء , ويعود الى البرج المعروف ببرج العجمي خارج سور بغداد , وكان مع ما كان عليه من عظيم المجاهدة والعبادة يتلقى علم الشريعة من الشيوخ ببغداد ويرى ذلك سلوكاً , ولا زال على هذا الحال حتى حفته العناية وأدركته الوقاية فأدخله الشيخ أبوسعيد المخرمي ابن المبارك المخزومي بغداد بأمر الخضر عليه السلام وألبسه خرقته وأقامه نائباً عنه وخليفة له ثم بعد وفاة شيخه الشيخ أبي سعيد فوّضت مدرسة شيخه له وأقام فيها يعظ ويدرس ويقود الخلق الى الحق ونمت بركاته وزكت إشارته وحسنت عباراته , وظهر أمره , وطهر سره , وصلح بيانه , وطاب جنابه وعذب لسانه , واشتهرت كراماته , وذكرت حالاته , وعلا عمله وانقطع من غير الله أمله وانتفع به أمّة من الموحدين وسار صيته في دواوين العارفين , وعدّ من أكابر هذه الطريقة وذكر بين ملوك ميادين الحقيقة , وعظّمه أكثر رجال الوقت ونوّهوا بذكره , وأمروا بإعلاء شأنه وتوقير قدره , تخرج بصحبة الشيخين العارفين الجليلين المعظمين حماد الدباس الرحبي البغدادي , وأبي سعيد علي بن المبارك المخرمي المخزومي رضي الله عنه ، فالشيخ حماد لبس الخرقة من الشيخ الأكمل , العارف الأفضل , الذي لم يكبُ به جواد الطريق , الباز الأشهب منصور البطائحي الرباني خال الشيخ الإمام الكبير السيد أحمد الرفاعي , وسند الشيخ منصور في الخرقة تقدم ذكره مفصّلاً في طبقة الخرقة الشريفة الرفاعية , وأما الشيخ علي أبو سعيد بن المبارك فإنه لبس الخرقة من شيخه العارف بالله الشيخ أبي الحسن علي بن يوسف القريشي الهكاري , وهو لبسها من الشيخ الكبير أبي الفرج الطرطوسي , وهو لبسها من الشيخ الإمام أبي الفضل عبد الواحد التميمي , وهو لبسها من الإمام تاج العارفين شيخ الطائفتين أبي القاسم الجنيد البغدادي , وهو لبسها من خاله الشيخ سري السقطي وهو لبسها من الشيخ الكبير الترياق المجرب علَم الرجال أبي محفوظ معروف الكرخي , وهو لبسها من الشيخ الإمام الأجل حجة العارفين سيد التابعين الحسن البصري , وهو لبسها من شيخه شيخ الكل في الكل أسد الله الغالب , أبي الحسنين سيد أولياء الله الإمام علي أمير المؤمنين ابن أبي طالب , كرم الله وجهه ورضي الله عنه وعنهم أجمعين , وهو أخذ العلم والطريقة والبركة والحقيقة من ابن عمه سيد سادات الأنبياء حبيب رب السماء , سيدنا ومولانا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين .

الطّريقة الأحمديَّة البدويّة

ومنها الطريقة الأحمدية البدوية , ينتهي سند خرقتها الشريفة الى القطب الكبير العارف بربه , المستغرق به عن أهله وصحبه الشريف العلوي , السيد أحمد البدوي , ابن علي , ابن ابراهيم , ابن محمد , ابن أبي بكر , ابن اسماعيل , ابن عمر , ابن علي , ابن عثمان , ابن حسين , ابن محمد , ابن موسى , ابن يحيى , ابن عيسى, ابن علي , ابن محمد , ابن الحسن , ابن علي , ابن الإمام محمد , ابن الإمام علي الرضا , ابن الإمام موسى الكاظم ونسبه قد تقدم ذكره مسلسلاً الى النبي ﷺ .

قال العلامة الشيخ محمد حسن العجمي المكي طاب ثراه في كتاب (خبايا الزوايا) في ترجمة القطب البدوي : ولد رضي الله عنه سنة ست وتسعين بالتاء المثناة قيل وخمسمائة لمدينة فاس من المغرب , بمحل يقال له زرقا الحجر وقيل بتونس , والأول أصح في حياة أبويه وإخوانه , وكان أكبرهم أخوة حسن وهو الذي ذهب به الى شيخه الشيخ عبد الجليل فألبسه خرقة الصوفية ونشأ في عفاف وصيانة وعبادة وديانة , وكان يدعى في صغره بالزاهد وكان يتلثم بلثامين بحيث لا يرى الناس منه إلا عينيه , ولهذا كُني بأبي اللثامين وبالملثم , وكان لا يفارقهما ولعمامته عذبتان ولذلك عرف بالبدوي , وسمع أبوه قائلا في المنام يقول له يا علي انتقل من هذه البلاد الى مكة .

فخرج بعياله وأولاده ومنهم صاحب الترجمة وعمره سبع سنين , وسافر الى مكة في أربع سنوات سفراً على مهل لكون عرب الطريق يتلقونهم بالإكرام , وقيل سكنوا بالقرافة خمس سنين ثم ارتحلوا الى مكة , فلما وصلوها تلقاهم أشراف مكة بالتبجيل والتعظيم فحجوا وتوطنوا مكة , وتفي والده سيدي علي بمكة سنة 629 وقبره هناك ظاهر يزار .

ونشأ صاحب الترجمة بمكة وحفظ القرآن وقيل كان يقرأه للسبع , وكان يقرأ في الفقه كتاب (التنبيه) للشيخ أبي اسحاق الشيرازي وعرض عليه أخوه سيدي حسن الزواج فأبى وقال أنا موعود بأن لا أتزوّج إلاّ من الحور العين قال سيدي حسن فمن ذلك اليوم لزمنا معه الأدب .

وكان يتعبد بجبل أبي قُبَيْس وفتح عليه به , وتسلّك على يد الشيخ بَرّي أحد تلامذة الشيخ علي بن نعيم البغدادي الحنبلي أحد أصحاب سيدي السيد أحمد بن الرفاعي , فكان في ابتدائه صاحب سلوك ثم سافر هو وأخوه سيدي حسن الى العراق وذلك بسبب رؤيا رآها قيل له فيها : قم واطلب مطلع الشمس . ودخلا بغداد والعراق وزارا من بها من الأولياء منهم ببغداد الشيخ عبد القادر الجيلاني , والسيد الكبير أحمد بن الرفاعي بواسط , ثم رجع سيدي حسن الى مكة

وذهب سيدي احمد الى فاطمة بنت بري وكانت امرأة جميلة تسلب أحوال الأولياء الواردين الى العراق , ووقعت له معها واقعة عجيبة , وآل أمرها الى أن تابت على يديه من التعرض بسلب أحد ثم توجه سيدي أحمد الى مكة ولزم الصيام والقيام , قال سيدي حسن لما جاءته المواهب الإلهية حدث عليه حادث الجذب والوله , فتغيرت أحواله واعتزل الناس ولازم الصمت فكان لا يكلم من يحبه إلا بالإشارة فلما حصلت له الجمعية على الحق استغرقته , فكان يمكث الأربعين يوماً فأكثر لا يأكل ولا يشرب ولا ينام وفي أغلب أحواله يكون شاخصاً ببصره الى السماء وانقلب سواد عينيه بحمرة , ثم أمر في النوم بالذهاب الى (طندتا) من أرض مصر وذلك يوم الإثنين والعشرين في شهر ذي القعدة الحرام سنة أربع وثلاثين وستمائة

ولما دخل مصر عظمه السلطان الظاهر بيبرس وأكرمه , وكان يمكث الأربعينية طاوياً , وإذا عرض له حال يصيح صياحاً عظيماً متصلاً وكان إذا لبس ثوباً أو عمامة لا يقلعها حتى تذوب عملاً بقوله ﷺ (إن الله يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس)[1] قيل في أثناء تلك المدة نزل من السطح الى ناحية فيشة المنارة , وأخذ سيدي عبد العال وأخاه عبد المجيد ابني الشيخ شمس الدين مجد الأنصاري الجميجموني , نسبه لجميجمون بلدة بقرب دسوق . وجاء بها الى طندتا واستمر سيدي أحمد على ذلك السطح لا يفارقه عشر سنين وقيل اثني عشر سنة وكان استغراقه اكثر من صحوه وكان في صحوه إذا جن الليل يقرأ القرآن .

وكان رضي الله عنه يربي بالنظر , فكان سيدي عبد العال يأتيه بالرجل الجاهل فيقف به تحت السطح وينادي (سيدي أحمد) فيشرف عليه من أعلى السطح وينظر لذلك الرجل فيملأه مدداً , ويقول لسيدي عبد العال قل له يسكن البلد الفلاني . وكان له في البلدان العديدة والأماكن القريبة والبعيدة من خلفاء والأتباع والزوايا ما لا يحصى كثرة , ولم يزل على كماله حتى توفي سنة 675 وأكثر خلفاءه القائم في مقامه سيدي عبد العال , وقد أفرد كراماته وأحواله بتأليف حافل شيخ مشايخنا العلامة الولي سيدي علي بن ابراهيم الحلبي انتهى كلامه .

قلت : والبرهان على الحلبي هو صاحب (السيرة الحلبية) وشأنه الشهير .

1- قال العراقي في تخريج الأحاديث (الأحياء) لم أجد له أصلاً 232/4 .

ثم قال العجيمي قد ذكر سيدي الشيخ أحمد الشناوي الخامي أن سيدي الشيخ السيد أحمد البدوي أخذ عن سيدي القطب عبد السلام بن بشيش شيخ الأستاذ الشاذلي , ولسيدي عبد السلام يد التربية وخرقة الفتوة من السيد الجليل البري العراقي صاحب السيد الأكبر أحمد الرفاعي , وله من شيخه عبد الرحمن المدني , وهو من الشيخ علي بن نعيم البغدادي وهو من السيد أحمد الرفاعي وله اتصال بالسيد الرفاعي من طرق أخر , وأخذ البدوي عنه صحيحٌ منصوصٌ عليه والتاريخ يشهد بصحة ذلك , فإن وفاة سيدي عبد السلام في سنة 20 أو في سنة 22 أوفي سنة 624 وسيدي السيد أحمد البدوي كان موجوداً قبل وفاته بفاس بالقرب من محل سيدي عبد السلام وله نفع الله به أسانيد منها ما قيل أنه أخذ عن سيدي أبي العباس البستي , عن الإمام السيد أحمد الرفاعي , وأخذ البستي أيضاً عن سيدي أبي مدين وعن تلميذه الشيخ أبي صالح ابن بنصار , وتسلسل سيدي الشيخ ابي مدين محررٌ مذكور بأسانيده , لكن الذي في دروج إيجازات الأحمديين هو سند شيخه عبد الجليل النيسابوري , عن الشيخ عبد الحميد أحد شيوخ المغرب عن الشيخ علي بن الحسن , عن الشيخ أحمد السقا , عن الشيخ أحمد الشيرازي, عن الشيخ الكبير عبد الرزاق الأندلسي , عن الشيخ أبي طاهر , عن الشيخ عبد القدوس عن الشيخ العالم الورع سيدي محمد بن يوسف الفاسي عن الشيخ أحمد بن محمد النويري عن حبيب العجمي , عن الحسن البصري وهو لبس من سيدنا عمران بن الحصين وسيدنا انس بن مالك , وهما لبسا من النبي ﷺ . انتهى

ورجال هذا السند غير معلومين إلا للمكاشفين , ثم إن لبس سيدنا الحسن البصري من الإمام علي بن أبي طالب وإن كان هو المشهور لكن لبسه من هذين الصحابيين لا ينافي التاريخ وأما السند المعتمد عليه فهو السند المار الى سيدي العيلم المحيط الفائض أبي العلمين مرجع ظروف الأسانيد العالية السيد أحمد الحسيني الرفاعي , شيخ السيد بري الذي أخذ عنه سيدي أحمد البدوي وهو ظاهر معلوم عند أهل الرواية .

الطَّرِيقَة الدُّسوقية الإِبراهيميّة

ومنها الطريقة الدسوقية الإبراهيمية ينتهي سند خرقتها الشريفة الى القطب الحقيقي , والعارف الصديقي , مولانا السيد ابراهيم الدسوقي رضي الله عنه .

هو ابراهيم بن أبي المجد , بن قريش , بن محمد , بن النجا , بن عبد الخالق , بن القاسم , بن جعفر , بن عبد الخالق , بن أبي القاسم الزكي , بن علي بن محمد الجواد , بن علي الرضا , بن موسى الكاظم , بن جعفر الصادق , بن محمد الباقر , بن علي الزاهد , زين العابدين , بن الحسين , بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه القرشي الهاشمي رضي الله عنهم أجمعين .

قال العارف العلامة الشيخ أبو بكر الأنصاري قدس سره في (عقود اللآل) في ترجمته : له المنهاج الأرفع في المعالي , والقدم الراسخ في أحوال النهايات واليد البيضاء في عِلم الموارد , والباع الطويل التصريف النافذ والكشف الخارق عن حقائق الآيات , والفتح المضاعف في معنى المشاهدات وهو أحد من أظهره الله عز وجل الى الوجود وأبرزه رحمة للخلق , وأوقع له القبول التام عند الخاص والعام , وصرَّفه في العالم , ومكَّنه في أحكام الولاية وقلب له الأعيان , وخرق له العادات وأنطقه بالمغيبات , وأظهر على يديه العجائب وصوَّمه في المهد

لبس الخرقة من الشيخ العارف بالله نجم الدين محمود الأصفهاني , وهو لبسها من الإمام عز الدين أحمد الفاروثي , وهو من أبيه الحافظ ابراهيم , وهو من أبيه الإمام عمر الفاروثي وهو من شيخ الطوائف سيد الجماعة الإمام السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه , وسند خرقة الإمام الرفاعي مشهور .

وقد لبس الشيخ نجم الدين محمود الأصفهاني شيخ السيد ابراهيم الدسوقي الذي تقدم ذكره خرقة الصوفية من الشيخ نور الدين عبد الصمد النظري وهو من الشيخ نجيب الدين علي الشيرازي , وهو من الشيخ شهاب الدين السُّهْرَوَرْدي وهو من عمه القطب العظيم القدر أبي النجيب ضياء الدين عبد القاهر السّهْرَوَرْدي البكري , وهو لبس الخرقة من شيخه القاضي وجيه الدين , وهومن الشيخ فرج الزنجاني , وهو من الشيخ أبي العباس النهاوندي وهو من الشيخ محمد بن خفيف الشيرازي , وهو من الشيخ القاضي رويم أبي محمد البغدادي , وهو من إمام الطريقة سيد الطائفة أبي القاسم الجنيد البغدادي , وهو كما تكرر لبس الخرقة من خاله السري , وهو من الكرخي , وهو من الطائي , وهو من حبيب العجمي , وهو من شيخ الأمة سيد التابعين الحسن البصري , وهو من قائد الأولياء سيدنا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه

وعنهم أجمعين , وهو من سيد الخلق رسول الحق سيدنا محمد ﷺ . مات رضي الله عنه سنة ستٍ وسبعين وستمائة وكراماته أشهر من أن تذكر .

الطَرِيقَةُ الشَّاذلَيةُ

ومنها الطريقة الشاذلية ينتهي سند خرقتها الشريف الى القطب الكامل العارف بالله ولي الله الشيخ أبي الحسن علي الشاذلي المغربي زعيم صوفية اسكندرية ، قال العلامة الأنصاري في عقوده : لبس الخرقة من شيخه الشيخ عبد السلام ابن مشيش الشريف المغربي , وهو أخذها عن القطب الكبير بري العراقي : عن السيد أحمد الكبير الرفاعي , وأخذ الشاذلي أيضاً عن الشيخ أبي محمد عبد الرحمن المدني العطار المشهور بالزيات , وهو عن أبي أحمد بن عبد الله بن سيد بونة الخزاعي , عن السيد أحمد الكبير الرفاعي .

(فائدة) :

أما السيد أبو الحسن الشاذلي فهو على أصح الأقوال علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي , بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد , بن عيسى بن محمد بن الإمام الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين

وأما قولهم الشاذلي فذلك نسبة الى شاذلة قرية بأفريقية قرب تونس , نشأ بها واشتغل بالعلوم الشرعية حتى أتقنها مع كونه ضريراً , حج مراراً ومات في طريق الحج ولما قدم من المغرب الى الإسكندرية كتب أهل المغرب الى نائبها سيقدم عليكم مغربي زنديق وقد أخرجناه من بلادنا فاحذروه , فلما دخل اسكندرية تصدر أهلها لإذائه فأظهر الله على يديه الكرامات الخارقة , وكف أيدي الناس عنه , واعتقده الخواص والعوام .

ولد رضي الله عنه بقرية عمارة من أفرّيقية قريبة من سبتة وهي من المغرب الأقصى , سنة ثلاثة وتسعين وخمسمائة من الهجرة وكانت صفته آدم اللون نحيف الجسم , طويل القامة , خفيف العارضين , طويل أصابع اليدين , كأنه حجازي , فصيح اللسان , عذب الكلام , رشيق الطبع .

لبس خرقة التصوف بإشارة الشيخ أبي الفتح الواسطي الرفاعي من الإمام الرفيع الشأن أبي عبد الله , القطب الغوث عبد السلام بن مشيش الشريف الحسني رضي الله عنه .

الطَّرِيقة النَجيبيَّة السَّهَرَوَرْدِّيَة

ومنها الطريقة النجيبية السهروردية ينتهي سند خرقتها الشريفة الى الشيخ الكبير , والقطب الشهير , عين أعيان المحققين , علم أعلام العارفين , القدوة الحجة العارف العظيم القدر أبي النجيب ضياء الدين عبد القاهر ابن عبد الله بن محمد بن عموية عبد الله بن سعد بن الحسين , بن القاسم ابن علقمة بن النصر بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

ولد الشيخ أبو النجيب عبد القاهر السهروردي نفعنا الله به بسهرورد سنة تسعين وأربعمائة ثم بعد أن شب سكن بغداد وتوفي بها ليلة السبت ثامن عشر جمادى الأولى عام ثلاث وستين وخمسمائة , وتخرج به في بغداد الرجال ودرس بالنظامية وتصدر للفتوى وألف الكتب المفيدة في علم الشريعة وعلم الحقيقة , وانتفع به أمة , وسارت بذكره الركبان , أخذ الفقه عن أسعد الميهني , وعلم التصوف عن الشهاب أحمد أخي الإمام الغزالي الطوسي , وأخذ عنه الأعلام الأعيان كابن أخيه الشهاب أبي حفص عمر السهروردي شيخ الخرقة وابن عساكر والسمعاني وعبد الله بن مسعود بن عبد الله بن مطر الرومي , ترجمه السمعاني وأطنب بشأنه وعقد له أصحاب الطبقات التراجم الحميدة , وهو أحد الأئمة المقتدى بهم في طريق الله قولاً وفعلاً .

لبس الخرقة من شيخه القاضي وجيه الدين , وهو من الشيخ فرج الزنجاني , وهو من الشيخ أبي العباس النهاوندي , وهو من الشيخ محمد بن خفيف الشيرازي , وهو من القاضي رويم أبي محمد البغدادي وهو من إمام الطريقة سيد الطائفة أبي القاسم الجنيد البغدادي , وهو كما تكرر لبس الخرقة من خاله السري , وهو من الكرخي , وهو من الطائي , وهو من الحبيب العجمي , وهو من شيخ الأمة سيد التابعين الحسن البصري وهو من قائد الأولياء سيدنا الإمام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وعنهم أجمعين , وهو من سيد الخلق , رسول الحق سيدنا محمد ﷺ .

ترك ولدين الأول عبد الرحيم أبو الرجا , والثاني عبد اللطيف , ترجمهما ابن السمعاني في الذيل , ولم تنتشر على يديهما خرقة أبيهما , وإنما نشر خرقته وَقعَ على يد ابن اخيه الشهاب عمر قدس سره .

وكان أعني الشهاب السهروردي معمور الأوقات بالذكر والفكر والوِرد والوعظ والمجالس حسن العبارة صاحب ورع ودين وأخْذٍ بالعزائم , سمع من علم الأصول طرفاً يسيراً في صبوته من الشيخ عبد القادر الجيلي , وأخذ علم التصوف عن الشيخ أبي القاسم محمد بن عبد

البصري ولقي الأعيان الخُلَّص , وزار سيدنا السيد أحمد الرفاعي في (أُمّ عَبِيدة) وكان شاباً وبَشَّرَه بالفتح الناجح , والعز ورفعة الجاه ودوام الصيت .

وقد انتشرت خرقة عمه الشيخ ضياء الدين أبي النجيب على يديه في الآفاق , وكبرت به جلالة مجدها في البلاد الإسلامية على الإطلاق وللشيخ أبي النجيب تنتهي خرقة الشيخ جلال الدين الرومي الخُراساني نزيل قونية بلدة في الروم , وهو من أكابر العارفين بالله , ويتصل بالخرقة النجيبية من طريق الشيخ قطب الدين الأبهري , خليفة الشيخ أبي النجيب رضي الله عنه , وتتصل بالخرقة النجيبية خرقة السيد ابراهيم الدسوقي الحسيني دفين دسوق مصر , أحد الأقطاب المشهورين رضي الله عنه من طريق شيخه الشيخ نجم الدين محمود الأصفهاني , ونور الدين عبد الصمد النظري قدس سرهما , وهما لبسا الخرقة من الشيخ العارف أبي النجيب رضي الله عنه , وللخرقة النجيبية السهروردية فروع كثيرة في ديار العرب والعجم , نفعنا الله برجالها العارفين , وبعباد الله الصالحين أجمعين آمين .

الطّرِيقَة العلوَانيَّة

الطريقة العلوانية ينتهي سند خرقتها الى القطب الكبير , الشريف الجليل شيخ الإسلام , لسان المتكلمين , قطب العارفين , سلطان الواصلين , صفي الدين أحمد بن علوان قدس الله سره وروحه .

قال العلامة العجيمي في الخبايا : أحمد بن علوان بن عطاف بن مطاع بن عبد الكريم بن حسن بن عيسى بن عبد الله بن الحسن بن المثنى ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه , كذا رأيت هذه النسبة في تعاليق بعض أصحابنا ممن كانت له عناية بالفوائد رحمه الله , وبلغني أيضاً أنها توجد أيضاً في بعض الكتب باليمن , ولعلها لخفائها لم يقف عليها كل أحد .

ترجمه الشيخ العلامة الشرجي وقال : كان أبوه كاتباً يخدم الملوك , , ونشأ هو على طريقة أبيه من الاشتغال بالكتابة , وقرأ في النحو والفقه وغير ذلك من فنون الأدب , ثم قصد باب السلطان ليخدم مكان أبيه , فبينما هو في الطريق إذ وقع على كتفه طائر أخضر ومد منقاره الى فمه , ففتح الشيخ فاه فصب الطائر فيه شيئاً فابتلعه ثم رفع من فوره , ولزم الخلوة من حينه , وأعتكف أربعين يوماً ثم خرج وقعد على صخرة عظيمة يذكر الله فانفلقت الصخرة عن كف وسمع قائلاً يقول له صافح هذا الكف , فقال ولمن هو , فقيل كف أبي بكر الصديق

فصافحه , فسمع قائلاً يقول قد نصبتك شيخاً والى ذلك أشار في بعض كلامه يخاطب أصحابه حيث قال : وشيخكم أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

ثم القى الله تعالى له القبول والمحبة في قلوب العالم , وتبعه خلق كثير من الناس وظهرت كراماته وتواترت مكاشفاته , وكان له كلام حسن في الوعظ على طريق ابن الجوزي حتى كان يقال جوزيّ اليمن , جمع من كلامه في ذلك كُتُبا شتّى , وله في التصوف فصول كثيرة يتكلم فيها على لغات شتى وكان متى علم أن في الحاضرين من لا يفهم كلامه قال : ياقائما في الماء وهو عطشان .

وكانت له كرامات كثيرة مشهورة , من ذلك أنه وصله جماعة للزيارة ومع كل واحد شيء من المال على سبيل النذر , فلما وصلوا إليه أطلقوا الذي معهم على نقيب الفقراء واجتمعوا بالشيخ وطلبوا منه الدعاء , فلما رجعوا الى بلدهم وأمسوا في بيوتهم ما استيقظ كل أحد منهم إلاّ وعنده ماله الذي ذهب به الى الشيخ بعينه .

وكانت وفاته في شهر رجب سنة خمس وستين وستمائة رحمه الله تعالى , ودفن في قريته يَفْرُس بفتح الياء المثناة من تحت وسكون الفاء وضم الراء وآخره سين مهملة , وهي على نحو مرحلة من مدينة تَعِزْ , وقبره بها ظاهر معروف مقصود للزيارة والتبرك من الأماكن البعيدة , لا سيما في آخر جمعة من شهر رجب , فإن أهل تلك النواحي يقصدونه من كل جهة ويخرجون بالنساء والأولاد , وقرية الشيخ المذكور محترمة , ومن استجار بها لا يقدر أحد أن يناله بمكروه نفع الله به . انتهى باختصار .

قلت : وقد وصل حبل اليد بالشيخ ابي الغيث ابن جميل نفع الله به وأخذ عنه , ثم اجتمع بالسيد أحمد البدوي , ثم بالسيد عز الدين أحمد الصياد ابن الرفاعي رضي الله عنهما , وأخذ في وقتين مختلفين عن كل واحد منهما .

قلت : وأبو الغيث سعيد المشهور بإبن جميل لبس من القطب السيد علي بن عمر الأهدل , وهو لبس من العارف الكبير الشيخ علي الأحور , وهو لبس من القطب الأعظم الشيخ عبد القادر الجبلي , ثم لبس أعني الأحور من السيد الكبير الرفاعي بأمر من النبي ﷺ .

الطَرِيقَة الجُنَيْدّية الجَبْرتَيّة

الطريقة الجنيدية الجبرتية ينتهي سند خرقتها الشريفة الى القطب الكبير, العلم الشهير الشيخ محمد جنيد العجيلي العدناني قدس الله سره .

هو محمد الجنيد , ابن أحمد , بن موسى , بن أحمد , بن علي المشرع , ابن محمد , بن علي , بن محمد , بن موسى , بن يحيى ابن عمر عجيل , ابن محمد , بن حامد , بن رُزيق بضم المهملة بعدها زاي تصغير رزق , العدناني العجيلي المشرعي اليمني الشافعي نزيل الحرمين , القدوة الصالح المسلِّك مُربي المريدين شرف الدين أبو القاسم ابن الشيخ العارف بالله تعالى , إمام المحدِّثين شرف الدين أبي العباس ابن الكمال بن الشهاب بن النور ويعرف بالجنيد وبالمشرع كسَلَفه .

وُلد في سابع ذي الحجة عام إحدى وستين وثمانمائة ببيت الفقيه ابن عجيل ونشأ بها في كنف أبيه , فحفظ القرآن العظيم وغيره وتربى بوالده ولبس منه خرقة التصوف ولقّنه الذكر وقرأ عليه في التصوف والحديث , وكذا على عمه الشيخ عبد اللطيف بن موسى المشرع , وجماعة من فقهاء بلده بني جمعان وغيرهم , وتردد الى مكة مراراً للحج والزيارة , ثم قطن مكة في أواخر عمره نحو ثلاثين سنة , وصار ينزل لجدة ويقيم بها ويتردد للمدينة ويجاور فيها أشهراً , وقد تزوج بالحرمين الشريفين و رُزق أولاداً فيها وباليمن , وصار له أتباع ومريدون من العباد يلازمون الأذكار و الأوراد , وله فيها جمعٌ لطيف منها حزب الشفاعة وخمس صلوات على أسلوب الكبريت الأحمر تأليف عمه الشيخ عبد اللطيف واعتقده الآكابر من الناس , ولا رَموهُ في الشدائد والباس , لمجاهدته على الخير والعبادة والزهادة مع ميله الى سماع الحديث , وكان على ذلك حتى توفي بعد توعك ثمانية أيام في فجر يوم الأربعاء ثامن عشر ذي الحجة عام سبعة عشر وثمانمائة بمكة المشرفة وصُلِّي عليه عصر يومه عند باب الكعبة بعد نداء الريس عليه على قبة زمزم وشيعه خلق الى قبره بالمعلاه في جوار الشيخ أبي علي الشولي , وقد لبس من والده ومن شيخ والده الشيخ اسماعيل بن الصديق الجبرتي , وهو لبس من جماعة جده كابن الرداد والمزجاجي وغيرهما ممن لبس من جده القطب الكبير أبي المعروف اسماعيل بن ابراهيم الجبرتي بأسانيده المتعددة المذكورة في رسائل ابن الرداد وغيره , ولبس والد صاحب الترجمة وهو الشيخ أحمد بن موسى المشرع من شيخه الشيخ الإمام العارف بالله شرف الدين أبي القاسم بن ابراهيم ابن عبد الله بن محمد بن جمعان , كما لبسها من الإمام الشيخ شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري في سنة 828 وهو قال لبستها في سنة 772 من يد شيخي رحلة زمانه الشيخ زين الدين أبي حفص عمر بن الحسن بن مزيد بن اميلة

المراغي ثم المزي وفي سنة 672 هو لبسها من يد شيخه الشيخ الإمام العلامة الزاهد أبي العباس أحمد بن الشيخ الإمام العالم الصالح الزاهد محيي الدين ابراهيم بن عمر بن أبي الفرج بن أحمد بن سابور الواسطي الفاروثي بالمثلثة , وهو لبس من والده الشيخ ابراهيم بن عمر الفاروثي فلبسها من أبيه , فلبسها من شيخه الشيخ الأعظم السيد أحمد بن السيد أبي الحسن علي بن أبي أحمد يحيى ابن ثابت بن حازم بن أحمد بن علي بن رفاعة الحسيني المعروف بابن الرفاعي رضي الله عنه .

أما سيدي أبو الغيث فلبس من أستاذه السيد علي بن عمر الأهدل , عن سيدي علي الأحور , عن سيدي أحمد الرفاعي , وأخذ الأحور عن الجيلاني بالأول أيضاً وقصة أخذه بعدها عن الإمام الرفاعي سبق ذكرها وكلهم على هدى رضي الله عنهم ونفعنا بهم أجمعين .

الطَرِيقَة المَوْلَوِّيَة

الطريقة المولوية ينتهي سند خرقتها الشريفة الى القطب الجليل العارف بالله صاحب القدم الراسخ , المولى جلال الدين محمد بن بهاء الدين البلخي البكري عُرِفَ بالرومي , دفين قونية قدس الله سره ونفع به .

قال العلامة ابن العجيمي رحمه الله في الخبايا ما ملخصه : وُلد ببلخ في سادس ربيع الأول سنة أبع وستمائة , ونشأ في تربية والده وكان من أصحاب النجم الكبري وجدَّ في تحصيل العلوم حتى أدرك منها الحظ الأوفر , ومع ذلك فكان مكاشفاً من صغره وعمره نحو خمس سنين بالصوَر الروحانية والأشكال الغيبية , وتصدر منه الأحوال الخارقة حتى قيل أنه طار في أيام الصبا الى جهة السماء ومعه جماعة من الصبيان , وكان يلازم الرياضة وربما طوى أربعة أيام ولما عزم على الذهاب الى مكة لإداء فريضة الحج اجتمع في نيسابور بالشيخ فريد الدين العطار , وانتفع به وأعطاه كتابه المسمى بأسرار تامة فكان معه على الدوام , ثم سافر الى قونية وتوطنها ونشر فيها العلوم حتى وافاه الله بمولانا شمس الدين التبريزي فسلّم إليه قياده وانقاد له بما لم يُسمع مثله من مُريد , فأخذ عنه حقائق الطريقة ودخل معه في خلوة وما خرجا الى ثلاثة أشهر , وصاما فيها صوم الوصال حتى تحقق مولانا الجلال بأعالي رُتب الكمال فألَّف المثنوي المشهور واعتقده الخاص والعام , ولم يزل على كماله حتى توفي تقريباً في حدود سنة ثمانين وستمائة وأوصى أن يُصلِّي عليه الشيخ صدر الدين القونوي , وأن يكون

خليفته جلبي حسام الدين فقالوا له في شأن ولده , فقال إنه من الفتيان وليست له حاجة بوصية ولم يزل صيته منشوراً في البلدان ومريدوه وزواياهم بكثرة .

لبس الخرقة وأخذها عن الشيخ شمس الدين التبريزي , عن الشيخ سعيد بن عبد الجليل المعروف بلالا , عن الشيخ اسماعيل القصري , عن الشيخ محمد بن مانكيل , عن داوود محمد المعروف بخادم الفقراء , عن أبي العباس ابن ادريس , عن الشيخ أبي القاسم ابن رمضان , وهو لبس من الشيخ أبي يعقوب الطبري , وهو من الشيخ أبي عبد الله عثمان المكي , وهو من الشيخ أبي يعقوب النهرجوري , وهو من الشيخ أبي يعقوب السوسي , وهو من عبد الواحد بن زيد , وهو من كميل بن زياد , وهو من سيدنا الإمام علي كرم الله وجهه .

قال العجيمي : زاد بعضهم قال إن الشيخ شمس الدين التبريزي أخذ عن مولانا بابا كمال الجندي , وهو عن الشيخ الكبير نجم الدين الكُبري , وهو لبس من الشيخ إسماعيل القصري بسنده المار , وقد أخذ الشيخ فريد الدين العطار الذي صحبه مولانا جلال الدين أولاً عن الشيخ مجد الدين البغدادي , عن النجم الكبري , وهو أخذ أيضا عن الشيخ روزبهان البقلي المصري , وهو أخذ عن الشيخ أبي النجيب السهروردي بأسانيده .

ولبس الشيخ بابا كمال الجندي الخرقة من السيد عز الدين أحمد الصياد الرفاعي الحسيني رضي الله عنه بسنده الشهير لجده القطب الرفاعي رضي الله عنه ومن هذا الطريق لي بواسطة سيدي الشناوي وسيدي زروق وسيدي الزواوي فوفاة سيدي محمد الشناوي سنة 932 ومولد مولانا وسيدنا أحمد زروق سنة 846 وسيدي صالح بن موسى الحسني ويعرف بالزواوي أخذ عن جماعة كالحافظ ابن حجر , وعنه الشيخ عمر النبتيتي , ومات سنة 835 وللنبتيتي عن أبيه الشيخ علي عن سيدي محمد إمام الكاملية , عن الشمس الجزري , عن الزين المراغي , عن العز الفاروثي , عن أبيه , عن جده , عن سيد القوم الرفاعي رضي الله عنه .

قصّة إلْباس الخِرقة للشيخ عَلي الأحور رضيَ الله عنهُ

قال الإمام العلامة أبو بكر الأنصاري في عقود (اللآل) حين ترجم العارف الأحور ما نصه : شيخ الشيوخ الإمام العارف بالله الشيخ علي الأحور ابن أحمد بن أبي الفوارس الربعي البغدادي , وأخذ في بداية أمره عن الشيخ العارف بالله عبد القادر الجيلي قدس الله سره , ثم رأى باسعرد من بلاد الجزيرة سنة ستين وخمسمائة رسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله دُلني على أحبّ مشايخ الوقت إليك وأحبهم طريقة عندك لأتمسّك به , قال عليه الصلاة والسلام يا علي أحب مشايخ الوقت إليّ وأرضاهم عندي طريقة , طريقة ولدي السيد أحمد الرفاعي صاحب (أم عَبيّدة) قلت يا رسول الله وكذلك هو ؟ قال : وكذلك هو رغماً على أنفك . وضحك ﷺ حتى بدت نواجذه , قال الأحور : فانتبهت خائفاً مرعوباً وقمت على قدم الإخلاص راجعاً أكرّ الى (أم عَبيْدة) فلما دخلت على سيدي إمام القوم , تاج الطائفة السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه وطلبت منه الخرقة فقال لي أنا وأخي عبد القادر والفقراء كلهم واحد فالزم شيخك . فقلت لي معك خلوة قال : فليكن فلما خلوت به قلت : بالله أسألك من أرض المشايخ طريقة اليوم وأحبهم عند رسول الله ﷺ ؟ فقال : من يُقال ذلك بشأنه على رغم أنفك . فأغشي عليّ من هيبته , فأجلسني بيده وتواضع إلي كلّ التواضع وقال : يا مبارك أنت ما تعرف الملاطفة طيب خاطرك . قلت , لا برحت إلا بخرقتك قال لا جعلني الله ممن يفرق بين الفقراء ويفضل نفسه عليهم , اصبر هنا برهة يسيرة ويقضي الله خيراً .

فمكثت سنة كاملة لا أتجرأ على ذكر شيء مما أنا فيه , وقد جاء شهر ربيع الآخر ففي أول ليلة منه رأيت رسول الله ﷺ وأنا بزاوية بزوايا الرواق , فطرحت نفسي على قدميه وقلت : يا رسول الله من ليلة تشرُّفي برؤيتك باسعرد وأنا أنتظر أن يسلكني ولدك السيد أحمد الرفاعي طريقتك المباركة وللآن لم يفعل .

فتبسم عليه الصلاة والسلام وقال : علي بأحمد فجاء سيدي السيد أحمد خاشعاً متواضعاً فقبل يد النبي ﷺ ووقف أمامه , وقال له عليه الصلاة والسلام يا ولدي سلّكِ الشيخ علياً طريقتك وألبسه الخرقة , فقال روحي لك الفداء يا حبيبي عليك من ربك أفضل الصلاة والسلام أنت تعرف أني لا أحب التفرقة بين فقراء الوقت[1] وقصد الجميع أنت بعد الله سبحانه وتعالى .

فقال كذلك ولكن أنت شيخ الوقت , شيخ الفقراء كلهم , فافعل ما آمرك به فقبل الأرض بين يدي رسول الله ﷺ , وقال السمع والطاعة لك يا رسول الله . فانتبهت فرحاً مسروراً , فأحسنت الوضوء وصليت ما تيسر , ودخلت جامع الرواق لأداء صلاة الصبح مع الجماعة فرآني سيدي قبل دخولي باب المسجد فأخذ بيدي وضمني إليه وأجلسني على بارية هناك , وأخذ عليّ العهد وألبسني الخرقة , وقال هذه لك من رسول الله ﷺ فألبسها مباركة إن شاء الله تعالى , وفي اليوم الثامن من ربيع توفي الشيخ عبد القادر ببغداد رحمه الله تعالى ونفعنا به وبإخوانه الصالحين أجمعين .

قلت وقد أعلى الله شأن الشيخ الأحور , ورفع ذكره , وأيد قدره وأقامه حجة في طريق الله تعالى .

تخرج بصحبة الأئمة مثل الشيخ مسعود الواسطي الحزامي الزاهد الكبير أحد الأولياء المشاهير , والشريف علي الأهدل , والشيخ نجم الدين علي العطار والقطب المحدث أبو البركات شمس الدين الطبري وأمَّة .

وتوفي مباركاً مرضياً بمكة سنة إحدى وتسعين وخمسمائة , عن أربع وثمانين سنة وخوارقه لا تحصى .

1- فليتأمل الجميع الى النص المبارك من إمام الطريق , حيث لم يرضى السيد الكبير أن يعطي له الطريق خشية التفرقة وضياع الفقراء وتفرق شملهم وتمزقهم لأن القصد واحد وهو الله سبحانه وتعالى ومتابعة رسوله المصطفى ﷺ فلو علم البعض فقه هذا النص لما ظهر الخلاف بينهم فإننا مأمورون بجمع الشمل ما أمكن .

من سياحة السيد الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني قدس الله سره في لبنان

مرَّ السيد الشيخ الجليل عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني على طرابلس الشام المعروفة الآن طرابلس لبنان حيث اجتمعت عليه جميع مشايخ طرابلس ونواحيها وقراها وبايعوه خلق كثيرون وفتح فيها زوايا لذكر الله وأعطاهم الأوراد للسيد أحمد الكبير الرفاعي الحسيني رضي الله عنه .

ورأى الشيخ في منامه من أبناء عمومته منهم الشيخ الجليل خالد الزعبي ورأى آبائه وأجداده ومن كانوا مدفونون بمقبرته وقد رحبوا بالسيد الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني وإنهم كانوا مسرورين بقدومه إلى لبنان وإنهم لفي قبورهم أحياء عند ربهم وإنهم ببركة جدهم سلطان الأولياء السيد عبد القادر الجيلاني وأيضاً رأى السيد المشار إليه كثيراً من رجال الله الصالحين منهم الشيخ أحمد طه الرفاعي الحسيني وهو من الأولياء الصالحين الكبار وولده الشيخ خالد طه وهو على طريقة آبائه وأجداده وزاويته مفتوحة إلى الآن للذكر .

فقد كان هناك شخص قد رأى السيد الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني في رؤياه أنه في لبنان ورأى خمسمائة ألف شخص وإن الشيخ يلقنهم الذكر وقد تحققت الرؤيا شيء منها الكثير حيث أن بايعوا الشيخ على الخاصة والعامة وتبركوا بقدومه إلى لبنان واهتدى على يديه كثيراً من العصاة والتزموا بالشريعة المحمدية وكثيراً من أهل العاهات شفيوا بإذن الله على يد السيد الشيخ عبد الله السعيد وقد زار السيد الشيخ الجليل ضريح النبي يوشع عليه السلام .

ورأى أحد المحبين للنبي فقال إنه مقلد بسيفه وله هيبة لو رآه السبع الغضنفر لهابه ووصفه بأنه أسمر اللون وطويل القامة ووجهه كالقمر وأمَرَهُ بأن إذهب وزر السيد الشيخ عبد الله السعيد وسلم عليه ثم بعد ذلك زرني .

وممن اجتمع معهم السيد الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الرجل الصالح خليفة القطب الكبير الشيخ محمود الشقفة قدس سره الشيخ مصطفى العربس في طرابلس الشام وقد أثنى على السيد الشيخ عبد الله السعيد بماهو خير وقال نحن من سيدنا الشيخ عبد الله السعيد وهو منّا ومشربنا واحد وهي طريقة السيد أحمد عز الدين الصيادي الرفاعي .

وقد اجتمع السيد الشيخ بالأولياء أحياءً وميتين منهم الشيخ العارف بالله والمربي الشيخ خالد الزعبي والشيخ عبد المجيد الزعبي من الأولياء الصالحين ولهم مريدين كثر حيث أن اجتمع معهم السيد الشيخ عبد الله السعيد وقد أثنوا عليه وبشروا به وبايعوه على الأخوة في الإسلام .

وقد اجتمع السيد الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني بالشيخ العالم صلاح الزعبي القادري الحسني وقد أكرم الشيخ بأن أقام وليمة على شرفه .

وقد اجتمع أيضاً بالشيخ الجليل والمربي والمرشد الكامل عبد القادر السبسبي الحمصي والشيخ أحمد طه الولي والرجل الصالح في لبنان وقد بشروه بالبشائر الكبرى حيث قال له سيبلغ ذكرك في جميع أنحاء العالم وأن الشيخ المربي المرشد الكامل سيف الدين القادري الحسني قال عن السيد الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي إنه رجلٌ من رجال العصر وإنه مبايع من قبل الرسول الأعظم والحضرة الإلهية ورجال الله فعلى الناس أن يبايعوه .

وقد دعي السيد الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني من قبل السادة القادرية الحسنية ومن شيخ الزاوية الشيخ حسن الذهبية وقد حضر السيد الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني الذكر في زاوية الشيخ حسن وقد رأى الأنوار في الزاوية إلى السماء متصلة وقال الشيخ حسن إن زيارتكم لنا فضلٌ كبير علينا وإن الحضرة تباركت بقدومكم علينا فأنتم أبناء عمومتنا ودعى للسيد الشيخ عبد الله السعيد وقال إنه من رجال العصر بإذن الله تعالى .

إن السيد الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني قد فتح الزوايا في جميع أنحاء لبنان وعين عليها خلفاء لنشر الطريقة الرفاعية الأحمدية العلية وبهمة وسر السيد أحمد الكبير الرفاعي قدس سره ورضي الله عنه .

ونذكر بعض الخلفاء

الشيخ محمد الطحش في القرقف / عكار .

والشيخ الشهم حسن حكيم في برقايا / عكار .

الشيخ جميل محمد عبد الواحد .

الشيخ عارف عبد الرحمن الخير .

الشيخ أسعد عقل .

الشيخ محمود المصري .

الشيخ خالد طه .

الشيخ طارق الخير في بحنين / عكار .

الشيخ نبيل حمد .

الشيخ يوسف .

الشيخ مصطفى عدنان عبد الرحمن .

موسى من قرية بزال .

الشيخ عبد السلام .

الشيخ عبد الفتاح المصري من مجدلة .

الشيخ علي المصري من ببنين .

الشيخ أحمد المصري في المنية قرب النبي يوشع عليه السلام .

الشيخ علي المصري من ببنين .

الشيخ أحمد عكاري من وادي الجاموس .

الشيخ محمد حمزة من السفينة .

الشيخ عبد الخالق القدور الرفاعي البداوي / المنية الضنية .

الشيخ كمال القدور الرفاعي البداوي / المنية الضنية .

الشيخ عبد الله القصاب المنية الضنية .

الشيخ مصظفى القصاب المنية الضنية .

الشيخ الكبير في السن أحمد الرز في طرابلس وإن فيه البركة .

الشيخ محمد الكسار الرفاعي في ببنين / عكار .

الشيخ عبد القادر الكسار في ببنين / عكار .

الشيخ أحمد الكسار في ببنين / عكار .

الشيخ خالد الكسار في ببنين / عكار .

الشيخ عمار المصري (أبو ياسر) ببنين/ عكار .

الشيخ خالد زكريا قادري الحسني / طرابلس .

الشيخ محمد يوسف الرفاعي / طرابلس .

الشيخ خالد موسى / طرابلس / عكار .

الشيخ خالد زكريا / الفنيدق / عكار .

الشيخ أحمد زكريا / الفنيدق / عكار .

الشيخ خالد مصطفى / الكنيسة / عكار .

الشيخ مصطفى أحمد أبو عمر / طرابلس .

الشيخ عبد اللطيف السواح / طرابلس .

الشيخ طارق الخير في بحنين / عكار .

وكل هؤلاء لهم زوايا ومريدين وقد فتح الله عليهم .

وأيضاً الشيخ خالد القصاب من المنية إنه رجلٌ صالح وهو على الطريقة الصيادية الرفاعية الحسينية العلية .

ومن تلامذة السيد الشيخ عبد الله السعيد

الشيخ مصطفى المير المنية / النبي يوشع .

الشيخ خير الدين كسار ببنين عكار .

الشيخ أحمد المصري المنية النبي يوشع .

الشاب محمد والشاب أسامة .

وقد ذكر السيد الشيخ عبد الله السعيد عبد الله السعيد أسماء المشايخ التي عاصرها وهم من كبار أولياء الله عز وجل

القطب السيد الشيخ إسماعيل النجاري في المدينة المنورة .

البدل السيد الشيخ أحمد أبو العنزات في المدينة المنورة .

العالم الفاضل السيد الشيخ محمد علوي الحسيني في المدينة المنورة .

البدل السيد الشيخ كامل السند في المدينة المنورة .

النقيب السيد الشيخ مهدي التبر في المدينة المنورة .

الرجل الصالح السيد الشيخ إسماعيل زعيم الملقب بأبو السباع في المدينة المنورة .

الرجل الصالح السيد الشيخ عادل عزام في المدينة المنورة .

الرجل الصالح السيد الشيخ عبد الرحمن المجدعي في المدينة المنورة .

الصديق الرجل الصالح السيد الشيخ بكري جوهر في المدينة المنورة .

المرشد الكامل والعالم الفاضل السيد الشيخ محمد علوي المالكي في مكة المكرمة حرسها الله .

المرشد العارف بالله السيد الشيخ محمد الكسنزاني بغداد .

المرشد والعارف بالله السيد الشيخ جمال الراوي بغداد .

البدل السيد الشيخ فتحي كتاني المغربي في المغرب .

الرجل الصالح السيد الشيخ محمد سعيد التونسي في تونس .

الرجل الصالح السيد الشيخ محمد التونسي من تونس الساكن في المدينة المنورة .

المرشد والعارف بالله السيد الشيخ أحمد مهدي أبو الهدى الصيادي في الأردن .

البدل السيد الشيخ عبد الرحمن الشاغوري في دمشق .

البدل السيد الشيخ عبد الرحمن الشاغوري في دمشق .

العالم الفاضل السيد الشيخ أحمد الحبال الرفاعي في دمشق .

المرشد الكامل السيد الشيخ أحمد كفتارو في دمشق .

المرشد الكامل السيد الشيخ أبو النور الشاذلي في دمشق .

البدل السيد الشيخ بديع كيلاني في دمشق .

العالم بالنسب السيد الشيخ منير الشويكي الحسيني في الشام .

المرشد والرجل الصالح السيد الشيخ عبد الله السويدان الرفاعي في بصرة الشام درعا .

البدل السيد الشيخ مشهور الشهيود حيط درعا حوران .

نائب الرسول السيد الشيخ عبد الله سراج الدين في مدينة حلب .

البدل السيد الشيخ نعسان الفرواتي في حلب .

الرجل الصالح السيد الشيخ عبد الجبار الجميلي النعيمي في حلب .

المرشد الكامل السيد الشيخ إسماعيل النقشي في حلب .

البدل والمرشد الكامل السيد الشيخ أبو أمين الحلبي في حلب .

البدل السيد الشيخ حسين المجدي في دير حافر حلب .

البدل السيد الشيخ حسان المصري الخالدي في كفرزيتا .

البدل الرجل الصالح السيد الشيخ عبدو الشعار في كفرزيتا .

العارف بالله السيد الشيخ العرف الكبير بالله مصطفى سعيد في كفرزيتا .

العالم الفاضل السيد الشيخ عثمان .

العالم العارف المرشد السيد الشيخ حسين الموسى في حلفايا محافظة حماة .

العالم العارف المرشد السيد الشيخ محمد الموسى في حلفايا محافظة حماة .

الرجل الصالح والمرشد الكامل السيد الشيخ محمد تقي الدين في طيبة الإمام محافظة حماة .

البدل العارف بالله السيد الشيخ حسين الدحروج في محافظة حماة .

المرشد العارف بالله السيد الشيخ الحفيظ النقشبندي طيبة الإمام حماة .

المرشد والقطب والنائب المهدي السيد الشيخ محمود الشقفة في مدينة حماة .

البدل السيد الشيخ حامد المائي شريعة الغاب حماة .

النقيب الرجل الصالح السيد الشيخ ناجي في قلعة المضيق الغاب .

المرشد والعالم السيد الشيخ سعد مراد .

المرشد والعالم السيد الشيخ محمود مراد .

المرشد والعالم السيد الشيخ صالح مراد .

العارف بالله السيد الشيخ محمد القادري في الحسكة الجزيرة .

المرشد الصالح السيد الشيخ سيف الراوي دير الزور الجزيرة .

الرجل الصالح النسابة السيد الشيخ عبد اللطيف الطفيحي الجزيرة .

الرجل الصالح والمرشد الكامل السيد الشيخ خلف الشوعة القادري في الجزيرة .

الرجل الصالح السيد الشيخ إبراهيم العيساوي أبو العيش في الجزيرة .

العارف بالله السيد الشيخ عبد الرحمن النامس الشيخ عيسى في الجزيرة .

المرشد والعارف بالله الولي أحمد النامس الشيخ عيسى في الجزيرة .

المرشد الرجل الصالح السيد الشيخ علوش الطفيحي النعيمي في الجزيرة .

البدل الرجل الصالح السيد الشيخ الزهمول العيساوي في الجزيرة .

الرجل الصالح السيد الشيخ محمد ديب السبسبي في حمص .

العالم المرشد السيد الشيخ سعيد الكحيل .

البدل والمرشد الكامل الشيخ محي الدوخي في حمص .

البدل العارف بالله السيد الشيخ البدوي في حمص .

المرشد والرجل الصالح السيد الشيح أحمد الوصفي الجندي في معرة النعمان .

الرجل الصالح السيد الشيخ خالد نعوس أبو عارف في معرة النعمان .

المرشد الصالح السيد الشيخ أحمد الوصفي الجندي في حماة .

الرجل الصالح السيد الشيخ حسين الكيالي خان شيخون إدلب .

المرشد الرجل الصالح الشيخ صبحي خان شيخون إدلب .

الرجل الصالح السيد الشيخ إبراهيم شهوان خان شيخون إدلب .

الرجل الصالح السيد الشيخ يوسف الرجب إدلب .

الرجل الصالح السيد الشيخ منصور عز الدين إدلب .

الرجل الصالح السيد الشيخ طاهر الصيادي في صوران .

الرجل الصالح السيد الشيخ أحمد طه في لبنان .

الرجل الصالح السيد الشيخ أحمد الصيادي في طرابلس لبنان .

الرجل الصالح والمرشد الكامل السيد الشيخ خالد الزعبي القادري في عكار مشمى لبنان .

السيد الشيخ حسن زكريا في لبنان ببنين .

الرجل الصالح السيد الشيخ حسن ذهيبي فب بحنين لبنان .

الرجل الصالح مصطفى عربس في الفنيدة لبنان .

الرجل الصالح المرشد السيد الشيخ عبد القادر الزعبي القبة طرابلس .

الرجل الصالح العالم صالح الزعبي في فنيدق لبنان .

البدل السيد الشيخ إسماعيل الفناوي

ونذكر بعض الخلفاء في البلاد العربية الذين أخذوا العهد من يد شيخ الطريقة الصيادية الرفاعية السيد الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني .

بعض الخلفاء في سورية

الشيخ العارف بالله ناجي الرفاعي .

الشيخ ابراهيم فيصل الدغيم النعيمي إمام وخطيب في قرية الضاهرية .

الشيخ مروان الخلف إمام وخطيب المسجد الكبير في قرية الضاهرية .

الشيخ الموله بالله الشاعر عبد المجيد رجوب .

الشيخ حسن الخطاب .

الشيخ موسى الصالح الصيادي الرفاعي .

الشيخ أحمد الصالح .

الشيخ الحاج حسين عَلّوَش النعيمي الحسيني .

الشيخ راضي أبو خالد وكيل منطقة البرج .

الشيخ أبو يحيى معضمية الشام .

الشيخ ياسر الدغيم .

الشيخ عبد الحميد الدغيم في جرجناز .

الشيخ إسماعيل الدغيم الداعية .

الشيخ الورع مصطفى الحلو إمام مسجد الجديدة .

الرجل الصالح الشيخ أحمد المصطفى .

الشيخ عبد الفتاح العثمان .

الشيخ خالد الدريعي .

الشيخ محمد عبد الرحمن الحسيني .

الشيخ وائل المصطفى .

الشيخ أنس السبسبي .

الشيخ محمد العلي .

الشيخ المنشد علي لبابيدي .

الشيخ غازي .

الشيخ حسن .

الشيخ أحمد الصالح .

الشيخ أبو محمد العقدة .

الشيخ أبو ابراهيم قطنة .

الشيخ أبو يحيى بسقلا .

الشيخ منذر المضحي .

الشيخ ماهر في جرجناز .

الشيخ أبو منصور .

الشيخ أبو عبد الله .

الشيخ حسن السراقبي .

الرجل الصالح الشيخ إبراهيم مصطفى الحجي .

بعض الخلفاء في البلاد العربية

الدكتور الجامعي محمد إبراهيم محمد من مصر مدينة المنية .

الدكتور الجامعي عبد الحكيم الفرحات من الجزائر مدينة باتنا .

الشيخ علي فضل السباعي السائحي الحسني من الجزائر العاصمة .

الشيخ محمد من الجزائر العاصمة ولاية الجلفة .

الشيخ المهندس ناطق عبد الرضا حسين من العراق بغداد/ من بني لاما .

الشيخ عبد الله خالد البكوع من العراق / الموصل .

الشيخ محمد أنور عبد النافع الأعرجي من العراق/ الموصل .

الشاعر الأستاذ عبد الله خضر حمد من العراق/ كردستان العراق / أربيل .

الشيخ أحمد هلال الإبراهيم / أبو النور وإذا سألت عنه فإن صفاته نبيل , وكريم وطيب النفس

بعض الخلفاء في البلاد الأجنبية

الشيخ سليم في الهند .

الشيخ رشيد في الهند .

الشيخ سلار رباتي في إنكلترا .

الشيخ عامر المصري في استراليا .

إن السيد الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني بلغ درجة تجديد الطريقة في زمانه وعصره حتى ببركته دارت من الغرب إلى الصين كما دارت على زمن أجداده السيد أحمد عز الدين الصياد وجده السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنهم أجمعين .

ورد في الحديث الشريف إن الله عز وجل إذا أحب شخصاً قال ياجبريل إني أحببت فلاناً من الناس فأحبه يقول يارب إني أحببته فيقول الله عز وجل يا جبريل نادي في أهل السماء والأرض أن يحبوه , ويضع له القبول في السماء والأرض ويعلي الله شأن ذلك الشخص .

إن السيد الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني إن الله قد أحبه بصبره على البلاء وبلغت سمعته وذاع سيطه في مشارق الأرض ومغاربها وأيده الله بالكرامات الكبار وإن الله هدى على يديه أناس لايعدون ولا يحصون بإذن الله تعالى في الهند , باكستان , إندونيسيا , ماليزيا , استراليا , إنكلترا ,وفي الجزائر , تونس المغرب , مصر , لبنان وسورية .

وقد تاب على يديه مئات الأشخاص الذين كانوا لا يصلون ولا يصومون وقد صلح أمرهم بإذن الله بعضهم من الشيوعيين ومن النصارى .

نذكر بعض النصارى الذين هداهم الله

تامر حسني من قرية محردة قد منَّ الله عليه وأخرجه من الظلمات إلى النور على يدي العارف بالله السيد الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني وقد بايع الشيخ على الإسلام والإيمان وقد نفوه أهله بعد أن أسلم وقد سكن قرية سيجر وهو معلم مدرسة منذ عشرين عاماً وهو مدرس بمادتي الفيزياء والكيمياء .

وأيضاً من النصارى رجلٌ كان اسمه جورج وقد سماه السيد الشيخ عبد الله السعيد عبد الرحمن وزوجه من طرابلس لبنان وقد أنجب بنتاً من زوجته .

وقد تركته امرأته النصرانية وأهله وله ثلاثة أولاد وقد بايع الشيخ على الإسلام وعلى طريقة سيدنا أحمد الكبير الرفاعي وصار من الصالحين وملتزم بالطريقة والذكر وأصله من كرواتيا .

آداب المريد مع شيخه المربي

1- أن يكون المريد بين يدي الشيخ كالميت بين يدي المغسل يقلبه كيف يشاء وليس له سبيل في شيء .

2- أن المريد لاينشر للشيخ سراً ولو نشر بالمنشار .

3- على المريد أن يحفظ غيبة شيخه على أن يقوم بخدمة عائلته كقضاء حاجتهم بغيابه والصرف على العائلة مما يحتاجونه .

4- على المريد أن لا يرفع صوته فوق صوت شيخه وأن لا يشير بأصبعه .

5- أن لا يظن بشيخه ظن السوء ولا تحدثه نفسه بأي ظن بالشيخ .

6- على المريد أن ينضبط بضوابط الشريعة وما جاء بالكتاب والسنة المطهرة ، وعلى المريد أن ينضبط بجميع ضوابط الطريقة التي ذكرناها آنفاً ومن لا يطبق هذه الشروط لا يعتبر سالك طريقة السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه .

في بيان آداب المريد مع شيخه[1]

المريد الصادق هو الذي صحت رابطته مع شيخه بقوة المحبة له والاعتقاد به حتى يكون أحب إليه من نفسه وأهله أحب إليه من أهله وأولاده أحب إليه من أولاده وبلده أحب إليه من بلده, ومن علامة المريد الصادق أن لايرى على وجه الأرض أحدا أحب إليه من شيخه فإن قدم عليه أحدا لم يشم رائحة الطريق. قال أبو يزيد البسطامي قدس سره:أحب أولياء الله ليحبوك, فإن الله تعالى ينظر إلى قلوب أوليائه فلعله ينظر إليك في قلب ولي فيغفر لك وقال العارف الكبير الحضرمي قدس سره:كل من لم يكن له عشق فهذا الأمر حرام عليه. ومن ابتلى بمحبة الحسن الظاهري وعشقه, فهو في الحقيقة من جذبة الجمال الإلهي . وإن فائدة العاشق المجازي هي حصول حرارة في القلب واشتعال نيران المحبة الإلهية فيه فإن المجاز قنطرة إلى الحقيقة, ومن ليس له عشق فهذا الطريق عليه حرام, والسير بالمحبة يصل صاحبه في الزمن القصير إلى مقامات لا يصل إليها غيره في الزمن الطويل

فمن أداب المريد مع شيخه أن يكون معظما له في قلبه ولسانه فإن من خذل بترك حرمة المشايخ فقد أظهر رقم شقاوته وذلك لا يخطئ, ومن أهمل حرمة مجالس المشايخ وطلب نتائج هممهم فقد نادى على نفسه بالجنون وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا تشرفوا بمجلسه الطاهر كأنما على رؤوسهم الطير, فكل مقتد لم يكن له سهم من أداب الصحابة فهو مردود. قال الإمام الجنيد قدس سره[2] من حرم احترام الأولياء أبتلاه الله بالمقت بين العباد . ومن جالس هؤلاء الطائفة ثم لم يتأدب معهم سلب الله عنه نور الإسلام ويخشى عليه سوء الخاتمة[3].

1_قال تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الأخر وذكر الله كثيرا) فمن الإتباع لسيدنا محمد ﷺ في الأعمال والأقوال والأخلاق أن يتقيد المريد مع شيخه حيث كان ذلك عند صحابة رسول الله: الأدب في الجلسة كأن على رؤوسهم الطير, استماع الحديث , حتى بعد الكلمات, المحبة , كما في قول الصحابي عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأنت يا رسول الله أحب ألي من نفسي التي بين جنبي.... **والمقصود بالشيخ:** هو من تمسك بالشرع القويم , ويجب الإنتباه وخاصة في هذا الزمن على لفظ كلمة الشيخ..... تقال لمن يستحق هذا اللفظ, وللأسف لمن لا يستحق......

2_الإمام الجنيد هو أبو القاسم بن محمد البغدادي أخذ عن خاله السري السقطي . قال له السري ما الشكر يا غلام؟ قال أن لا يعصي الله بنعمته . له مقامه وكراماته , توفي سنة 297هجري ببغداد.

3_(من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب) ومعنى ولي الله هو العالم بالله المواظب على طاعته . رواه البخاري في باب التواضع.

ومنها امتثال أمره فيجب على المريد امتثال أمر الشيخ عقل معناه أو لم يعقل , ومتى صرف فهمه للتأويل فهو في إدبار . ومن علاقة المريد الصادق أنه لو قال له شيخه أدخل التنور فدخل, ثم "إذا دخل التنور لا يحترق " فإن احترق فهو كاذب , ومنها أن لا يمشي أمامه إلا لضرورة أو في ظلمة كما فعل الصديق رضي الله عنه في طريق الهجرة مع النبي ﷺ . ومنها أن لا يبادره بالكلام بل يكون كلامه جوابا لكلام الشيخ لاغير إلا لضرورة . ومنها ان لا يتجسس أحوال الشيخ وأفعاله كي لا يطّلع على مايزيل احتشام الشيخ في قلبه فيخسر خسراناً مبيناً . ومنها أن يلزم الصمت والخشوع في حضرته ليغتنم فرصة الإستفاضة منه , ومتى كان في حضرة الشيخ غائب القلب لا ينتفع بشيء منه أصلاً . ومنها ان لا يتصدر في مجلسه لإظهار فضل أو كشف غامض فربما داخله عجب أو ظن في نفسه : أن الشيخ يقصر تعبيره عن هذا الإيضاح أو غير ذلك فيكون سبب انقطاعه والعياذ بالله . ومنها أن لا يرفع صوته على صوته فإنه وارث محمدي ولما نزل قوله تعالى :(يا أيها اللذين أمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي)"الحجرات 28" , صار أبو بكر رضي الله عنه لايكلم النبي صلى الله عليه وسلم إلا كأخي السرار وكان ﷺ لايفهم منه حتى يستعيد الكلام. ومنها أن لا يكثر الكلام في حضرته سواء كان كلامه ابتداءً أو جواباً , فإن خير الكلام ما قل ودل . ومنها أن يخرج له عن مألوفاته فيترك لأجله ماكان اعتماده قبل اجتماعه به سواء الدينيات والدنيويات ويقتصر على ما يأمره به منهما. ومنها أن يجتهد زيادة في الخدمة إذا قدَم الشيخ عليه أحداً ويرى في نفسه القصور ويعتقد أن ذلك المقدم لو لم يكن أهلاً للتقدم لما قدمه الشيخ . ومنها أن لا يزور أحداً من المشايخ حياً أو ميتاً إلا بإذن الشيخ[1] ولو كان صديقاً لشيخه كي لا يميل قلبه إلى الغير فيحرم الفيض والفتح من شيخه ومن ذلك الآخر . ومنها أن يلازم خدمة الشيخ مدة الحياة ولو بلغ الفطام في الطريق فإن المريد الحاذق يكاد يملك قلب الشيخ بالميل إليه لما هو عليه من المروءة والخدمة بخلاف المريد الكسلان .

ومنها أن يحفظ له ولذريته وعشيرته حق المحبة حياً كان الشيخ أو ميتاً فمن صدق في المحبة أحب كل مايلوذ بمحبوبه . ومنها أن يجتهد في إكرام كل من يلوذ بالشيخ ولا سيما أولاده كما سيأتي . ومنها أن يواظب على الورد الذي لقنه شيخه مع إتمام العدد المأمور به والزيادة عليه بلا عدد كما تقدم في آداب الذكر . ومنها أن يستسلم لحكم الشيخ فيه إذا أراد مجازاته وتأديبه لوقوعه في زلة . ولو كان هو في نفس الأمر بريئا مما نُسب إليه , فإن ذلك يكون له ترقياً عظيماً وكفارة تقصير آخر.

1- الإستئذان علامة الصدق إن الله عز وجل مدح الذين استأذنوا من رسول الله وذم الذين تخلفوا عن الإستئذان , فقال تعالى : (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) "التوبة 43".

ومنها أن يطلب في شؤناته كلها رضاء الشيخ لوجه الله تعالى . ومنها أن يكاتب شيخه إذا كان غائباً عنه كل شهر أو شهرين لئلا ينقطع نظره عنه . ومنها أن يحفظ مكاتيب شيخه ويطيبها ويحفظ حرمتها كما سيأتي ذكره من حفظ حرمة آثار المشايخ . ومنها أن لا يعترض على أفعال الشيخ إذا لم يحتملها عقله بل يؤولها مهما قدر على تأويلها وإلا ينسب التقصير إلى نفسه في الفهم , والإعتراض أقبح من كل قبيح ولا يعذر المعترض بحال[1] ومن اعترض على شيخه بقلبه فقد نقض العهد ووجبت عليه التوبة . أمتحن شيخ مريديه بما صورته المعصية , فتغير بعضهم وثبت بعضهم , فقال الشيخ للذي ثبت : لمَ لم تتغير؟ فقال: أنا ما صحبتك على أنك معصوم من الوقوع في أقدار الله عز وجل وإنما صحبتك على أنك أعرف مني بطريق الله عز وجل فدعا له بالبركة . ومنها أن لا يتوضأ بحيث يراه الشيخ ولا يرمي البصاق والمخاط في مجلسه فإنها حالات يجب تنزيه مجلس الشيخ عنها . ومنها أن لا يصافح الشيخ ولا يجالسه إلا وهو على طهارة كاملة كي لا يحرم من فيوضاته بسبب نقصان الطهارة الظاهرة . ومنها أن لا يتقدم على الشيخ في صلاة النافلة ولا يحاذيه بل يتأخر عنه ولو قليلا ويصلي الفرض في الصف الذي خلف صف شيخه , إلا أذا أذن له في التقدم لسد فرجة أو لضيق مكان , ويكون ذلك مع الخجل والحياء منه لأن الصلاة حضرةُ الحضور مع الله تعالى , وللناس فيها مراتب ودرجات . ومنها أن يصدق في الطلب فلا تغيره المحن والشدائد ويكون معه كالطفل مع أمه كلما طردته عاد إليها ولا يسكن إلى سواها[2] . أجمع الشيوخ كلهم على أن المريد لو صح له كمال الإنقياد مع شيخه وصل إلى حضرة الله تعالى في مجلس واحد . فما طالت الطريق إلا من عدم الصدق في الانقياد . ومنها أن لايقتدي بالشيخ في أفعاله لأن الشيخ قد يعمل أعمالاً بحسب مقامه وحاله وتكون على المريد سمًا قاتلاً . ومنها أن يقتصر على ما لقنه شيخه من ذكر ويترك غيره ويحبس نفسه في حضرة الله الخاصة . فإن الذاكر جليس الله, ولايقدر على هذه المجالسة غير الصادقين , فإن الصادق جلوسه مع الله ألف عام كلحظة .

1- إن ما ذكر من الآداب ليس المقصود به كما يزعم البعض من أهل الجدال تأليه الشيخ . لاحظ العبارة التي بعدها فإن الشيخ ليس معصوما عن الخطأ .... ولكن المقصود إظهار الصدق في الإقتداء ليصل إلى الحقيقة والشريعة ألا تلاحظ قصة الرجل الصالح مع سيدنا موسى في سورة الكهف ,قال: (فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا) , إنه مقام التربية والتعليم والتوجيه , ولما لم يستسلم للأمر وسأل كان الجواب :(هذا فراق بيني وبينك) صدق الله العظيم

2- تذكر قصة الصحابة الثلاثة طردهم النبي وهجرهم الناس حتى الزوجة , والسبب التخلف عن متابعة النبي محمد ﷺ , ولم يصدهم ذلك عن الإيمان وعن البحث من أجل التوبة والعفو من سيد البشرية محمد ﷺ حتى نزلت الآيات تدل على صدق صبرهم من سورة التوبة قال الله عز وجل : (وعلى الثلاثة الذين خُلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم) "التوبة 118" .

ومنها أن لا يرد كلام الشيخ وإن كان الحق مع المريد بحسب الظاهر, بل يعتقد أن خطأ الشيخ أقوى من صواب المريد ولو كان الحق بيد المريد من حيث النقل فإن الأشياخ لا يتقيدون بالقول لجلالة مناصبهم عن ذلك[1] وكل حديث صح[2] فهو مذهبهم . ومنها أن يعلم أن كل ذرة من أعمال الشيخ لا تقاومها عبادة المريد طول السنة لسلامتها مع الموانع . ومنها أن لا يشير على الشيخ برأي بل يرد الأمر إلى الشيخ معتقداً أنه أعلم منه بالأمور . ومنها أن يكون إعتقاده مقصوراً على شيخه . وإذا تشتت نظره إلى شيخ آخر حُرِمَ من شيخه وانسد عليه الفيض كما تقدم . ومنا أن يتجرد لخدمة الشيخ إذا سافر معه ولا يفارقه طرفة عين . ومنها أن لا يتكدر إذا منعه الشيخ من الذهاب معه إلى بيت الدعوة أو منعه من تناول بعض الأطعمة بل يفرح لأنه علامة عناية الشيخ به وذلك يرقيه إلى مراقي الكمال . ومنها أن يكون خادماً للشيخ بالنفس والمال , وجوهر الإرادة لا يتبين إلا بهذا الأدب . ووزن الصدق والإخلاص لا يعلم إلا بهذا الميزان . ومنها أن يسلب إختيار نفسه باختيار الشيخ في جميع الأمور كلية أو جزئية عبادة أو عادة . ومنها أن يفر كل الفرار من مكاره الشيخ بأقصى الوجوه ولا يرتكب شيئا منها إغتراراً بحسن خُلق الشيخ وكمال حلمه فإن الله تعالى يغار للشيخ فينتقم من المريد من غير علم الشيخ بذلك . ومنها أن لا ينتظر جواباً من الشيخ إذا عرض عليه بعض الوقائع والمنامات بل يذكر حاجته ويسكت ولا يعتمد على تعبير نفسه إن ظهر له تعبير.

ومنها أن لا يبادر بالجواب إذا سأل أحد الشيخ مسألة بل ينتظر جواب الشيخ . ومنها أن لا يفتح باب البسط في الأفعال والأقوال والسؤال والجواب مع الشيخ فإن ذلك يزيل إحتشام الشيخ من قلبه فيحجب ولا ينتفع . ومنها ان لا يكلم الشيخ والشيخ في حالة الغضب , بل في حال البسط بالأدب والخشوع بحسب مرتبته وحاله. ومنها أن لا يفشي سر الشيخ ولو نشر بالمناشير بل ولا سر غيره فقد قيل صدور الأحرار قبور الأسرار . ومنها أن لا ينقل من كلام الشيخ عند الناس إلا بقدر ما تسعه عقولهم

1- تذكر ما فعل عمر بن الخطاب عند صلح الحديبية وهو يسال: (ألسنا على الحق) . ويقول النبي : (نعم) , ويقول أبو بكر الصديق : (ياعمر إنه رسول الله) , حتى ظهر الحق الذي أمام عمر بقوله تعالى: (إنا فتحنا لك فتحا مبيناً) أيها القارئ: إن قولك هذا في حق النبي محمد ﷺ , فكيف تقيس الشيخ عليه؟ الجواب: قال تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) والنبي ﷺ قال: (العلماء ورثة الأنبياء) فهذا في حق الشيخ العالم بالشريعة والحقيقة. .

2- لاحظ كلمة (صح) إذاً إن أهل التصوف والطرق يبحثون عن الشريعة والحقيقة خلاف ما ترى في هذا الزمان , حيث نرى الكثير ممن دخل في هذا الطريق يظهر الأعمال المخالفة للشرع . مما يجعل البعض من أهل الجدل يعترضون بغير علم ويطعنون في التصوف . إذا فالمطلوب معرفة أهل الحق والأخذ عنهم , قال تعالى : (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد)"الحج3".

وإفهامهم كيلا يكون سبباً في تكذيبهم وإنكارهم[1]. ومنها أن لا يتماهل بامتثال أوامره بل يبادر ويسرع بالفعل من غير توقف ولا إهمال ولا تأويل من غير استراحة ولا سكون قبل إتمام ذلك الأمر . قال الإمام الشعراني قدس سره[2] :ولو وجد الصلاة تقام في مسجد في طريقه لا يدخله إلا أن تكون الجمعة . ومنها أن لا يبادر إلى النفرة من الشيخ إذا اختبره فإن الطريق عزيز على أهله ولا بد من الإختبار قياماً بواجب الطريق . ومنها أن لا يقعد بقميص واحد بين يدي الشيخ إلا إن كان متجرداً ليس له غيره فإن من تعظيم الشيخ أن يلبس المريد أفخر ثيابه إذا أراد مجالسته .

ومنها أن يتوب قبل أن يجالسه من كل ذنب جناه قديماً أو حديثاً لتكمل طهارته المعنوية فيكون أهلاً لكمال الإستفاضة من الشيخ . ومنها أن ينوي بالخروج إلى الشيخ زيارته فقط دون حاجة أخرى ليكون توجه قلبه كله إلى الشيخ فيعظم انتفاعه منه . ومنها أن لا يجد في نفسه أثراً ولا قدراً للعلوم والمعارف والهمة العلية في السلوك مهما وجد عنده واتصف بها فلا يراها إلا بقدر الذرة بالنسبة إلى ماعند شيخه . ومنها أن لا يلتفت في حضور شيخه إلى غيره بل ولا يشتغل في حضرته بالذكر إلا إذا أمره به فإن صحبة الشيخ أحسن من الذكر إن كانت مع رعاية الأدب والحقوق, وإلا فالضرر فيها أكثر من الفائدة . ومنها أن يمتثل أمر الشيخ إذا نهاه عن عشرة أحد من إخوانه وليس له أن يقول له من باب الإعتذار لولا أن الشيخ نهاني عنك كلمتك, فإن ذلك خيانة وإفشاء لسره ونفاق من المريد يورثه المقت والطرد والعياذ بالله. ومنها أن يحفظ العهد إذا سافر شيخه ويلازم ما أمره الشيخ بملازمته ويسلم على مكان شيخه كلما مر عليه كأنه حاضر فيه ومن لم يراع حرمة شيخه في غيبته كما يراعيها في حضوره فهو ناقص العزيمة لا يجئ منه شيء . ومنها أن يتفقد عيال شيخه إذا غاب بالإحسان إليهم بالخدمة وغيرها فإن ذلك مما يوجب له المنزلة الرفيعة في قلب الشيخ . ومنها أن لا يقوم في مكان بحيث يقع ظله على ثوب شيخه وأن لا يطأ على ظله إحتراماً له . ومنها أن يخلع نعليه إذا وصل إلى حارة الشيخ زيادة في الإحترام والتبجيل . ومنا أن يعلم أن للشيخ وقتاً لا يسعه فيه غير ربه عز وجل . ومن علامات ذلك الوقت أن يردَ الشيخ باب خلوته عليه ,أو يطرق برأسه , أو يصمت مسيلاً عينيه إلى الأرض . فإذا كان كذلك فلا ينبغي لأحد مخاطبته مطلقاً .ومنها أن لا يمد رجله إلى جهة فيها الشيخ سواء قربت المسافة أو بعدت فإن ذلك من كمال التعظيم .

1- هذا تعليم لنا وتتذكر بقول الله عز وجل :(أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة).... وذلك بتعليم الناس الخير بما تحمل عقولهم حيث الدنيا مراتب ألا ترى الطالب الجامعي قبل أن يطلب منه أن يحل مسألة هندسية طلب منه أن يفك أحرافاً هجائية....... 2- الإمام الشعراني : هو أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري الشافعي المصري من علماء القرن العاشر الهجري . توفي رضي الله عنه سنة 973هـ .

ومنها أن يكون يقظاً فطناً لما يريده شيخه ولا يلجأ هو إلى التصريح بأمر أو نهي بل يفهم بالإشارة والقرينة . ومنها أن لا يرمي بصاقه ولا شيئاً من كل ما يستقذر إلى تلك الجهة. ومنها أن لا يطأ على سجادة الشيخ ولا يجلس عليها بل يطويها[1] . وإذا اضطر للمرور عليها يمشي على ركبتيه . ومنها أن لا يجلس في المكان المعد لجلوس الشيخ. ومنها أن لا يدخل له خلوة ولا يبيت عنده كي لا تسقط حرمته من قلبه فيخسر. ومنها أن لا يتوضأ في متوضئه ولا يستعمل شيئاً من ظروفه الخاصة به كالكوز والأبريق والكأس والإناء ولا من أشيائه كالفراش واللحاف والوسادة والعصا ولا من ثيابه كالقميص والجبة والعمامة ونحوها ولو بقصد التبرك. ومنها ان لا يشرب ماء ولا يأكل طعاما بحضرته لأن ذلك يشغله عن شغله به . ومنها أن لا يكلم أحداً بحضرته كي لا يفوته إغتنام فرصة توجهه إليه واستفادته من مجالسته. ومنها أن لا يصافح الشيخ ويد الشيخ مشغولة بقلم أو نحوه. ومنها أن لا يأخذ يد الشيخ ليقبلها ويده رطبة بل ينشفها أولا . ومنها أن لا يأخذ يد الشيخ بعنف وشدة ولا يجذبها إليه ليقبلها بل يدنو منها ويأخذها برفق ولطف . ومنها أن لا يُقَبِّل يد أحد في حضور الشيخ لأن ذلك التفات إلى الغير وإعراض عن الشيخ يوجب إنقطاع الإنتفاع والاستفاضة من الشيخ والعياذ بالله تعالى . ومنها أن لا يرقي أحد ولا يكتب تميمة لأحد في حضرته . ومنها ان يصلي صلاته على طرز صلاة شيخه متمذهبا بمذهبه إن كان للشيخ مذهب وإلا فبالمذهب الذي يأمره به شيخه . ومنها أن لا يطلب من شيخه الخوارق والكرامات ولو بطريق الخاطر فما طلبا مؤمن من نبيه معجزة إنما طلبها الكفار وأهل الإنكار . ومنها أن يلازم الشيخ ولا يفارقه مهما أمكن إغتناما لمعيته المباركة فإن اختيار الغير منافٍ للإرادة إلا إذا ألجأته الضرورة فيفارقه بإذنه ليحرص كل الحرص على ذلك ففيه الخير كله . ومتى غاب المريد عن شيخه ساعة ولم يتشوق إلى رؤيته فهو كاذب في إرادته لا يصلح للطريق أبدا .

1- إذا لاحظنا هذه الآداب نرى أن فيها تعليم المراقبة حيث أن التلميذ كما نعرف يحتاج الى أسباب تربية متنوعة بحسب قوته وعلمه, خذ مثالا على ذلك الطلبة , منهم من تخرج طبيباً وآخر مهندساً وثالث يترك العلم نهائياً , فإذا عرفت هذا فاعلم أن هذه الآداب إن صدق بها المريد كان مع ربه أقوى في صدقه. وهذه الدرجات يصل إليها المربد كلما طال عهده مع شيخه وعرفه اكثر فاكثر: قال تعالى : (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضنا سخريا)"الزخرف 32"

وقال تعالى: (يرفع الله الذين أمنو منكم والذين أوتوا العلم درجات)"المجادلة 11"

ومنها أن يعتقد أن كل فيض وفتح هو من شيخه . ولو رآه وردَ عليه من شيخ أخر فليعتقده من شيخه وليعلم أن كل خير لا يصل إليه من الله إلا بواسطة شيخه[1].

ومنها أن يعظم ما أعطاه الشيخ من ثوب ونحوه ولا يبيعه لأحد ولو أعطاه ما أعطاه . إذ ربما يكون طوى له فيه سراً , وربما جمع له فيه جملة من أخلاق الرجال كما طوى رسول الله ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه ثوباً فما نسي بعد ذلك شيئاً قط . ومنها أن يظهر توقير ذلك الثوب ويجهد في نفسه أن يكون على أخلاق الشيخ , وهبَ بعض الأشياخ لمريده رداءً ثم رآه بسطه على رجليه , فقال له يا ولدي إحفظ الأدب مع أثر الفقراء وعظمه . ومنها أن لا يستعمل السبحة ولا يمسكها بيديه في حضرة شيخه لأنه مأمور في تلك الحالة بالتوجه التام الى الشيخ وأن لا يشتغل بشيء أصلاً . ومنها أن لا يتعزز بشيخه حالة كونه فارغ الجيب من بضاعة شيخه علما وعملاً فإن ذلك غرور من أسباب الإنقطاع والعياذ بالله تعالى . ومنها أن يغار في الله لشيخه فإنه أب وبرّه حتم من أجل البر الغيرة له في الله على المنهاج الشرعي العقلي .

ومنها أن يحب من يحب الشيخ وينحرف عمن ينحرف عن الشيخ , فإن من ينحرف عن شيخه لا يجد بركة الإلهام ولا يذوق حلاوة الإسلام ومخالطته للسالك سمٌ قاتل . ومنها أن يحب من يحبه الشيخ , ويكره من يكرهه الشيخ , وأعظم دليل على عدم صدق المريد كراهته أحداً من أصحاب شيخه, ومن محبة جميع المريدين يترقى إلى محبة جميع الخلق لأجل من هم عبيده , وإذا أمره الشيخ بمجانبة أحد وجب عليه إجتنابه. ومنها أن لا يجلس والشيخ واقف لأنه ينافي التعظيم والإحترام .

ومنها أن لا يقرع باب المكان الذي فيه الشيخ بشدة فقد كان أصحاب النبي ﷺ يقرعون عليه الباب بالأظافر . ومنها أن لا يوليه ظهره بحال من الأحوال. بل يقوم متوجهاً إليه حتى يتوارى عنه بجدار أو نحوه أو تبعد المسافة. وهذا من آكد الآداب ومن لم يتأدب فهو في حكم الدواب . ومنها أن لا يُلح على الشيخ في أمر فإن الإلحاح ينافي صدق الإرادة ومنها أن لا يهب الشيخ دواءً فإن الشيخ هو الطبيب الحقيقي للمريد . ومنها أن لا يقول له لم إذا أمره أو نهاه وقد أجمع أهل الطريق على

1- نحن نعترف بالنسب في جميع المستويات وكل من الناس يقول جدي كذا ووالدي كذا وخاصة بالنسبة إلى نسب سيدنا محمد ﷺ هذا بالنسبة للأجساد واسطة متعلقة ببعضها بين الناس . والأمر نفسه في الأعمال لصالحه قال تعالى في سورة الكهف: (وكان أبوهما صالحاً) جعل الله الخير بواسطة الوالد الصالح , فالمقصود إذا أن يعتقد أن الخير من عند الله ولكن بواسطة من هو أقرب منه إلى الله سبحانه وتعالى لأن القرب على درجات في الحديث القدسي: (من تقرب إليَ ذراعاً..من تقرَب إليَ باعاً) الخ, فتنبه أيها القارئ.

أنه ما أفلح مريد قال لشيخه لمَ كما أجمع علماء الظاهر على أنه ما أفلح طالب علمٍ لمْ يقل لشيخ لِمَ [1] . ومنها أن لا يتشوق لمعرفة مقدار نوم الشيخ أو أكله أو غير ذلك من أحواله فهذا نوع من العقوق والعاق لا يرفع له عمل إلى السماء . ومنها أن لا يدخل عليه بدون استئذان لا سيما مجلس الشيخ مع أبناء الدنيا فإنه يضر المريد ضرراً سريعاً , ومنها أن لا يعترض على شيخه بقلبه بسبب مجالسته أبناء الدنيا فإن الأشياخ لا يعرضون عن أحد . بخلاف المتصوف . وما اعتزل الناس إلا من لم يشهد فيهم الخير وشهد نفسه خيراً منهم. وهذا غرور عُجْب . ومن قال هلك الناس فهو أهلكُهم , ومنها أن يستأذن الشيخ إذا ألجأته الضرورة إلى الإنصراف وترك الإستئذان يدل على نوع من النفاق , كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم . ومنها أن لا يؤاكله على المائدة كي لاتذهب حشمته من قلبه فيُحرم الفائدة . ومنها أن لا ينكح أزواجه من بعده احتراماً له , سواء المطلقة والمتوفى عنها , لأن زوجة الشيخ أم المريد وللمريد التزوج ببنت شيخه إذا عرف من نفسه أن يصير لها خادماً فافهم.

ومنها أن يتحمل من الشيخ الزجر والشتم لو فُرِض ,ولو كان بحسب الظاهر غير مستحق لذلك فثمرة ذلك للمريد لا يعادلها شيء , ومنها إذا طرده شيخه أن يقعد على الباب , وإن طرده من الباب فليقعد قبالة الباب قريبا منه , فإن طرده بعد ذلك فليبتعد يسيراً , ولا يفارقه فإنه لا يفلح على يد غيره أبداً . ويجب عليه حينئذ أن لا تنقص حرمته عنده كي لا يخسر خسراناً مبيناً ويضل ضلاً بعيداً. ومنها أن لا يتغير على الشيخ إذا زجره أو انتقصه بين إخوانه لأن الشيخ لا يعمل عملاً إلا وفيه مصلحة للمريد , وإن قصر عقله عن إدراكها ومن تغير من زجر شيخه لا يفلح أبداً. ومنها أن لا يعتقد فيه العصمة .قال السيد محمد مهدي الصيادي قدس سره قد تقع المعصية من الولي ليثبت حكم العصمة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وقال ابن عطاء الله [2] رحمه الله همم الرجال لاتخرق أسوار الأقدار. ومنها تجنب الضحك في حضرته فإنه يذهب احتشام الشيخ من قلبه وكثرة الضحك بكل حال تميت القلب . ومنها تجنب الخصام والجدال في حضرته لما تقدم وإذا خاصمه أحد فليسكت فإن الملك يجيب عنه وإذا أجاب هو عن نفسه دخل الشيطان بينهما . ومنها أن لا يسابق الشيخ في الكلام , وإن كان عالماً بما يقوله فذلك طيش . ومنها أن يكون نظره إلى

1- كما قال حسان لما وقف للنبي محمد ﷺ : قيامي للحبيب علي فرض * وترك الفرض ماهو مستقيم ، عجبت لمن لـه عقل وديـن * يـرى هذا الـجمـال ولا يقوم

إذاً ليس قيام التكبر أو الطلب من الشيخ ولكن قيام المريد بنفسه لمعرفته بحقيقة شيخه وإلا لا يقوم.

2- ابن عطاء الله: هو الشيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندري من الزاهدين له مؤلفات منها(الحِكَم) توفي سنة 707هـ.

الشيخ بالمسارقة ولا يمعن النظر إليه إحتراماً له . ومن أدمن النظر إلى وجه شيخه فقد خلع ربقة الحياء من عنقه وحُرِم بركته . ومنها أن يكون جلوسه بين يديه كجلوسه في الصلاة خاضعاً خاشعاً مطرقاً غاضاً بصره[1]. ومنها أن لا يتمطى بحضوره فإنه علامة التكاسل . ومنها أن لا ينظر في الساعة بحضوره لمعرفة الوقت فإن ذلك علامة الملل والسآمة من مجالسته . ومنها أن لا يكتم عنه شيئاً من الخواطر محموداً أو مذموماً . إذا دام الخاطر وتكرر فيذكره له سراً لا علناً . فطريق الصوفية المحققين ذكر الخواطر التي عفا الشارع عنها . بخلاف الحدود الشرعية فإن الشارع أمر بسترها .

ومنها أن يذكر لشيخه حاله إذا وجد في نفسه عُجْباً[2] بأعماله واستحساناً لحاله ليدله على الدواء , فإن كتمه ينبت النفاق والرياء . ومنها أن لا يخرج قط من زاوية شيخه إلا بإذنه ولو لحاجة أمه و أبيه . ومن كان له أبوان في الطريق لم يفلح إذا التفت إليهما بدون إذن من شيخه , وحق الشيخ مقدم على حق الأبوين لأنه حق الله تعالى ولأن الشيخ أبو الروح الباقية والوالد أبو الجسد الفاني , والباقي هو المقصود . ومنها أن لا يسافر إلا بإذن الشيخ سواء كان السفر دنيوياً أو أخروياً فإن السفر يكون للرجال إذا كملوا. ومنها أن يتأدب بكل هذه الآداب مع من يقدمه الشيخ من الخلفاء والمريدين , وإن كان المقدم عمله أقل من عمل المريد فإن الشيخ أعلم بمراتب الرجال ولا عبرة بكثرة الأعمال فحقيقة السلوك تبديل الأخلاق وهي باطنية . والشيخ أدرى بمن هو أكمل من غيره فيها , وإن من قدمه الشيخ حكمه , حكم الشيخ في حال غيبة الشيخ لا في حضوره , والأدب مع الخادم أدب مع المخدوم , ونفع الأدب عائد إلى المتأدب وإساءة المسيء شؤمها عليه , والهادي هو الله تعالى لا رب غيره وهو الموفق وإليه المنتهى .

تنبيه: ماكان المريد ممنوعاً من فعله إذا أذن له الشيخ به صار مباحاً و إذا أمره الشيخ بفعله صار واجباً عليه لوجوب امتثال أمره فافهم , وأحسن الصحبة مع الشيخ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وتأدب معه بجملة الآداب تصل إلى الله تعالى من أقرب الأبواب , فالصحبة أول قنطرة يعبر منها السالك إلى حضرة الحق المتعال , وتبدل أخلاق المريد وتفرغ في قلبه جذوة الحال . وفي هذا القدر من الآداب الكفاية والله سبحانه وليُّ الهداية في البدء والنهاية.

1- آداب إسلامية ناتجة عن توجيه البشرية (مدرس وطالب)(جندي وقائد) (عالم ومتعلم) فالأمر يحتاج إلى تسليم حتى يصل إلى درجة المناقشة ؛حيث لا أستطيع مناقشة أستاذي إلا بعد العلم بماذا تكون وكيف ولماذا ؟

2- لأنه مرض نفسي ومعنوي , قال تعالى: (في قلوبهم مرض)"البقرة 10" , والمريض يحتاج إلى الطبيب حيث الطب النفسي والجسدي والمعنوي وهكذا....... دواء يعطى للمريض بمادته وآخر يعطى معنوياً........ قال تعالى : (اركض برجلك هذا مغتسلٌ بارد وشراب)"ص 42" .

باب الرؤى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين , وأصحابه أجمعين ومن اهتدى بهديه واقتدى بسنته إلى يوم الدين .

أما بعد أنا السيد الشيخ العالم إبراهيم فيصل الدغيم أكرمني الله تعالى بهذه الرؤى

رأيت مرة كأنني في الحج أو العمرة , ولما فرغنا من مناسكنا توجه الناس إلى المدينة المنورة لزيارة النبي ﷺ وإذا بقبر النبي وصاحبيه في وسط ساحة كبيرة على شكل دائرة , فقلت في نفسي أمامي جموع كثيرة , فمتى سأصل إلى الساحة لأرى النبي ﷺ , فما رأيت نفسي إلا بجوارها وجعلنا نطوف بها ونتحرك إلى جهة اليمين والنبي ﷺ جسده بادٍ فوق مرج أخضر وهو مُسَجّى ببردة إلا أن في جسده ووجهه نحافة (أي ضعف) فقلت لنفسي : هذا ليس رسول الله , رسول الله أجمل وأعظم من هذا , فما رأيت إلا رجل يتجه نحوي اقترب مني إذا به على صورة سيدنا الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني , فجعلت أنادي وأقول : هذا هو رسول الله , هذا هو رسول الله .   وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أكرمني الله تعالى بالحج - وكانت ثاني حجة لي- وكان في تلك السنة أن أكرمنا الله تعالى بصحبة سيدنا الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني حفظه الله ولما قدمنا إلى المدينة المنورة بشر سيدنا الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني بأن الحبيب المصطفى ﷺ قد رحب بمن مع سيدنا الشيخ والحمد لله وفي السنة التي بعدها أكرمني الله تعالى بالحج والعمرة ولما فرغنا من أداء المناسك , توجهنا إلى المدينة المنورة لزيارة الحبيب المصطفى , فقلت في نفسي في السنة الماضية أكرمنا الله بصحبة سيدنا الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني , ورحب بنا رسول الله ﷺ , فهل في هذه السنة سيرحب بنا ؟ فأخذتني غفوة بسيطة , وإذا بي أرى سيدنا الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني يجلس بين شيخين جليلين عن يمينه الشيخ حسين الموسى (أبو أنس) رحمه الله وعن يساره الشيخ محمد الموسى (أبو كلال) رحمه الله وكلهم بجمالهم وكمالهم وفوق رؤوسهم على شكل القباب فوق رأس كل منهم قبة من خشب غالي الثمن , وهذه القباب متصلة ببعضها ولونها يميل إلى العسلي الغامق وهي قريبة من رؤوسهم بقدر متر ونصف تقريباً والمكان الذي يجلسون فيه يشبه المسجد الكبير في معرة النعمان وهم قد أسندوا ظهورهم إلى المنبر وهم يتجهون إلى الغرب وأنا جالس أمامهم وأمير الجلسة هو سيدنا الشيخ عبد الله السعيد الصيادي

الرفاعي الحسيني حفظه الله فهمَّ سيدنا الشيخ أن يقوم ,متململاً وهما بالقيام , فلما وقف حفظه الله تبعاه بالوقوف مباشرة , فقلت : الله أكبر الله أكبر يقومان لقيامه ويجلسان لجلوسه ولما وقفوا إذا بأجسامهم عظيمة , وأصبحت رؤوسهم فوق القباب فاعتبرتُ هذه إشارة عظيمة وبشارة .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى وآله وصحبه وسلم .

أكرمني الله سبحانه وتعالى بصحبة سيدنا الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني حفظه الله , إلى العمرة بعد آداء مناسكها وانتهاء مدة الإقامة في مكة المكرمة وتوجهنا إلى المدينة المنورة , ومكثنا فيها عشرة أيام وفي إحدى الساعات, بعد صلاة المغرب , استأذنت سيدي الشيخ عبد الله السعيد لأجدد الوضوء فأذن لي ثم جلست بعدها أقرأ القرآن الكريم , وإذا بغفوة تأخذني وأنا أسمع صوت من حولي , وإذا بي أدخل على الحجرة النبوية الشريفة من جهة الروضة الشريفة وأدخل إلى أمام قبر النبي ﷺ وإذا به على شكل صندوق أثري موشى ومحفور ففتح القبر الشريف وغطاؤه على شكل نصف دائرة , وإذا بالحبيب المصطفى صلى الله الله عليه وسلم قد بدا وجهه الشريف وباتجاه القبلة وعلى رأسه مثل الغطاء الأبيض (حطاطة) وهو مسجى ببردة خفيفة فرفع رأسه قليلاً وشيئاً من جسده ورحب بي وأعطاني يده , فقبلتها ومسحت بها وجهي فسألته وأنا أعلم أن سيدنا الشيخ عبد الله السعيد جالس عن يميني سألته عن سيدنا الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني ؟ فقال لي : لو لم يكن لديكم سوى إتباع ولدي الشيخ عبد الله لكفاكم فقلت ياسيدي بعد الفرائض ؟ فقال نعم ! بعد الفرائض , لو لم يكن لديكم بعد الذي فرضه الله عليكم سوى إتباع ولدي الشيخ عبد الله لكفاكم , ثم رأيت وإذا بسلم نصب إلى جوار سيدنا الشيخ .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

من عادة سيدنا الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني حفظه الله أنه في ثاني أيام العيد وفي عيد المولد النبوي يقوم بزيارة أضرحة السادة الرفاعية وغيرهم من أولياء الله وتدق نوبته في الأرض والسماء وقد أطفى علي من حسن معاملته أنه يفتقدني في مثل هذه المواطن الشريفة , وهذا حاله مع أحبابه .

ومرة تأخرت عنه وهو ينتظرني , وكنت يومها بزيارة عند أهلي أيام العيد , والمواصلات قليلة وتكاد تكون معدومة ثم أكرمني الله بسيارة وكأنها تنتظرني فركبت إلى جوار السائق , ولما وصلت السيارة إلى مقابل سيدنا الصياد أبي علي رضي الله عنه , شمال قرية مورك ـ جعلت أحدث نفسي وأقول على سيدي الشيخ أن يعذرنا هانحن تركنا أهلينا وتركنا العيد , إن

تأخرنا من غير قصد ليلتمس لنا عذراً وأنا أحدث نفسي أخذتني غفوة بسيطة وإذا بصوت ينادي علي من جهة سيدنا الصياد أبي علي صوت كأنه الرعد ويقول : هيه ماتقول ماذا تقول ؟! السيد الشيخ عبد الله رجل يغضب الله لغضبه ويرضى لرضاه ـ فأفقت فزعاً , ولما وصلت إلى حيث سيدنا الشيخ في بيته المبارك , واساني بابتسامة أدامه الله .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أنا العبد الفقير لله تعالى السيد وائل المصطفى أكرمني الله تعالى بهذه الرؤى .

رأيت أننا قد أتينا جموع غفيرة باتجاه الحرم المكي وكنا نركب الأحصنة فأوقفنا الحرس الموجود على مداخل الحرم المكي وحاولوا منعنا من الدخول فقلنا لهم نحن أبناء السيد الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني فقالوا لنا إننا أمرنا أن لانفتح الأبواب إلا لكم فدخلنا إلى الصحن المكي فوجدنا رجلاً يشع منه النور يجلس على أريكة مرتفعة وسعمت الحشود يقولون مشيرين إليه هذا رسول الله ﷺ ولما اقتربت منه وإذا هو سيدنا الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

رأيت نفسي أمام مسجد النبي ﷺ وكانت مواكب مصطفة وكأنها رتل عسكري وكلها تحمل رايات مسجل عليها أسماء ساداتنا أهل الله فأتيت أبحث عن سيدنا الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني وكنت أشعر في نفسي أنني أعرف كل هذه الأشخاص الموجودون إخوتنا في الطريقة فتوجهت المواكب إلى داخل الحرم النبوي الشريف , وقد كان بداخله ثلة من علماء الشام عَرَفتُ منهم سيدنا الشيخ محمود الشققة , وسيدنا الشيخ محمد الحامد , وسيدنا الشيخ حسين الموسى , وسيدنا الشيخ محمد الموسى , وبتوجهي باتجاه المحراب نظرت فوجدت من على يمينه أربعة سألت عنهم وكان بجواري سيدنا الشيخ حاتم , فأجابني هؤلاء هم سيدنا أبا بكر وسيدنا عمر ابن الخطاب وسيدنا عثمان بن عفان وسيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

ومن على يسار المحراب كان سيدنا أحمد الرفاعي وسيدنا عبد القادر الجيلاني وسيدنا أحمد البدوي وسيدنا ابراهيم الدسوقي ويقف سيدنا أحمد عز الدين الصياد متجهاً إليهم وظهره باتجاهي عند هذا المشهد اتجهنا نحو الروضة فظهر لنا رجلٌ يسطع منه النور وهمس سيدنا الشيخ حاتم إلى الجموع لنسلم على رسول الله ﷺ فلما اقتربنا منه لنسلم على رسول الله ﷺ فإذا هو سيدنا السيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

رأيت نفسي في الحرم المكي في الطابق الثاني فوق باب المسعى وكنا قد بدأنا نصلي الظهر وسيدنا الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني كان أمامي في الصف الأول وعن يمينه ويساره فارغ مقدار رجل فحدثتني نفسي لكي أَسُد الفراغ فتقدمت وإذا بسيدنا الشيخ يمنعني من التقدم فركعنا الركعة الأولى , فلما اعتدلنا من الركوع وإذا برجلين عن يمين ويسار سيدنا الشيخ حفظه الله عندما انتهينا من الصلاة أتيت مسرعاً لأسلم على سيدنا الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني فسلمت عليه وسلمت على الرجلين اللذين عن يمينه ويساره فما عرفتهم وكانوا معممين أحدهما بعمامة خضراء والثاني بعمامة بيضاء فسألتهم من أنتم ياسيدي فأجابني صاحب العمامة البيضاء عن يمين سيدنا الشيخ عبد الله السعيد نحن هنا لخدمة شيخك يابني إلزمه تعرفنا فنزلنا إلى الطواف فكانوا يمدون أيديهم فيفسحون المجال أمام سيدنا الشيخ ومن معه بمقدار أربع أمتار طولاً وأربع أمتار عرضاً .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

رأيت نفسي أمام الروضة المحمدية الشريفة أستأذن بالدخول إلى حجرة سيدنا رسول الله ﷺ فمنعني رجلٌ يقف على باب الحجرة وكان معمماً بعمامة خضراء ولحيته سوداء كثيفة وهو شبيهاً بسيدنا أحمد عز الدين الصياد أبي علي .

فقلت له ياسيدي إنني مندوب رسول السادة الصيادية الرفاعية إلى حضرة سيدنا رسول الله ﷺ فتبسم وقال : إن سيدك السيد أحمد الكبير الرفاعي الحسيني موجود عند سيدنا رسول الله ﷺ يناقش الأمر الذي حضرت من أجله فقلت له إذاً ياسيدي أدخل لي هذا الكتاب , وهو عبارة عن رسالة مكتوبة على لوح من الجلد فأخذها ودخل فحاولت أن أسترق النظر ففاضت أنوار من الباب جعلتني أغض بصري مجبراً وما هي إلا دقائق حتى خرج ومعه الكتاب ملفوفاً بشريطة خضراء استلمته ورجعت وما هي إلا طرفة عين وإذ أدخل على بيت سيدنا السيد الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني في لبنان وكان موجوداً على الساحة الخارجية يجلس من جهة الشرق متجهاً الى الغرب وعلى يمينه السيد الشيخ حمود الشوعة شيخ الطريقة القادرية وعلى يساره الشيخ حاتم الإبراهيم والشيخ محمد الطحش , وثلة من العلماء والمشايخ عرفت منهم سيدي الشيخ محمود الشقفة وسيدي الشيخ حسين الموسى وسيدي الشيخ سعيد الكحيل .

فلما نظرت الى سيدنا الشيخ عبد الله السعيد قال هذا مندوبنا الى الحضرة المحمدية فتقدمت من سيدنا الشيخ عبد الله السعيد فقبلت يده وأعطيته الكتاب فلما فتحها سيدنا الشيخ ظهر منها نوراً

كالذي رأيته من الحضرة المحمدية وفاضت أنوار عجيبة من وجه سيدنا الشيخ عبد الله السعيد واستدار سيدنا السيد الشيخ عبد الله السعيد الى يمينه , وهمس بأُذن الشيخ حمود الشوعة فأجابه الشيخ حمود منتفضاً برجولة قائلاً / أبشر / باللهجه البدوية وتحرك سيدنا الشيخ حفظه الله الى سيدنا الشيخ محمود الشقفة وهمس بأذنه فتبسم وأجابه تصرف يا أبو سعيد , فعاد سيدنا الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني الى مكانه وقال من هنا نعلن تشكيل الكتائب المحمدية لتحرير بلاد الشام .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

رأيت نفسي أقف في مسجد قريتنا معرين الجبل والمسجد فارغ فنظرت الى مدينة حماة المحمية من نافذة المسجد المطلة عليها فوجدتها وقد دمرت على الأرض ولم يبقى منها بناءً نهائياً وهناك جيشان واحد من الشرق وواحد من الغرب يضربون بعضهم ومن وسط المدينة المدمرة خرجت قافلة من الناس يظهر عليهم التعب والشحوب والأرق مروا من أمام النافذة وكان من بينهم فتاة جميلة آية من آيات الله فأخذت تنظر إلي فوقع في نفسي أن اسمها بريئة فسألتني الى متى ستظل واقفاً متفرجاً فأجبتها هكذا أمرونا ساداتنا أهل الله أن نقف على الحياد حتى يأتي أمر الله ورسوله بينما أنا أتحدث إليها بهذه الكلمات سمعت ضجيج خلفي إلتفت فوجدت المسجد قد امتلأ من الشباب الذين يلبسون لباس الحرب مع عتادهم وكان سيدي الشيخ عبد الله السعيد واقفاً بحلته البهية والأنوار تسطع منه في محراب المسجد وسمعت منادياً يقول حيا على الجهاد وخرج من أمامي رجل في مقتبل العمر يقود الناس هو سيدنا الشيخ عبد الله السعيد وهو شاب ونحن نخرج من المسجد وجدت هذه الفتاة تقف من على يمين المسجد فقلت لها يا بريئة أبشري قد أتى أمر الله ورسوله فصاحت مزغردة فرحاً وانطلقنا باتجاه حماة المحمية نشق الصفوف فخرج من الجيشين أناسٌ متجهين إلينا فجهزنا أنفسنا لضربهم فنادى سيدنا الشيخ عبد الله السعيد لا يا بني هؤلاء الشرفاء من الفريقين وسيقاتلون معنا وبعدها ضربنا الجيشين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أكرمني الله سبحانه وتعالى برفقة سيدنا الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني الى الديار المقدسة وبينما نحن موجودون في الحرم المكي بعد صلاة الصبح مباشرة كنا جالسين في صحن الطواف مقابل الكعبة من جهة الغرب وكان سيدنا الشيخ عبد الله السعيد يقرأ القرآن والأحباب من الأخوة بين تالٍ للقرآن ومسبح لله عز وجل وأنا العبد الفقير جالس من على يسار سيدنا الشيخ عبد الله السعيد وكنت أردد وردي الذي شرفني به شيخنا الكريم وهو ورد الطريقة الرفاعية فنظرت الى الكعبة الشريفة فغابت رؤية الكعبة وشاهدت مكانها سيدنا الشيخ عبد الله

السعيد الصيادي الرفاعي , يلبس عباءة حمراء وارتفاع جدار الكعبة ما يقارب المتر ومغطى بثوب أخضر ويجلس بداخله عدد كبير من الرجال الذين يلبسون العمائم وكان سيدنا الشيخ عبد الله السعيد يقف في الحضرة وكان طوله ما يقارب العشرة أمتار وصحن الطواف مليء بالناس ورايات أهل الله مرفوعة من حول الصحن والناس يطوفون بينها وبين سيدنا الشيخ عبد الله السعيد وكلهم ينادون بصوت واحد لا إله إلا الله وقد أفاض الله علي بحال من البكاء الشديد حتى رآني كل الموجودين من أخوتي في الطريقة وانتبه علي سيدي الشيخ حفظه الله وضمني الى صدره الشريف وراح يمسح دموعي بيده الطاهرة وقد استمر المشهد ما يقارب النصف ساعة والله على ما أقول شهيد .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وعندما انتقلنا الى الحرم النبوي الشريف أراد الله الإجتماع مع العلامة المربي الشيخ صالح العباسي (الحلبي) وقد قصصت عليه ما شاهدت , فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله ﷺ وقال لنا بحضور سيدنا السيد الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي يا بني شيخكم صاحب الوقت والزمان حماه الله وحفظه لهذه الأمة المحمدية ذخراً وملاذاً ومرجعا وأخذ بيده .

بسم الله الرحمن الرحيم

أنا الشيخ موسى من قرية اللطامنة رأيت في الرؤيا أني طائر بين السماء والأرض فوقي إرتفاع كبير وتحتي إنخفاض كبير ومسافات بعيدة فوقي وتحتي وأنا خائف ومحتار هل أنزل الى الأسفل أو أرتفع الى العلى فنظرت الى السماء فوقي فوجدت دائرة من نور مكتوب فيها اسم سيدنا الشيخ عبد الله السعيد فهنا رُدَ إلي روعي وصار الخوف أماناً في قلبي وأشرت بيدي الى اسم سيدنا الشيخ وقلت آهٍ لو يعلم الناس ما قدره ومقامه عن الله .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أنا الشيخ عبد الرزاق من قرية قمحانة التابعة لمدينة حماة المحمية رأيت في المنام شخص ممتطي جواداً أبيضاً فبقي يصعد ويرتفع من الأرض نحو السماء حتى لاصق وجهه القمر , كأنه قمر فقلت الله أكبر من هذا صاحب الكرامة فقال لي قائل صاحب هذه الكرامة السيد الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني فاستيقظت .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أنا الشيخ موسى من الغاب رأيت رسول الله ﷺ ووراءه سيدنا الشيخ عبد الله السعيد وكان معي أناسٌ كثيرون وكان سيدنا الشيخ يمشي وراء سيدنا رسول لله ﷺ ويضع قدمه مكان قدم رسول الله ﷺ فقالت الناس الله اكبر إن قدم الشيخ عبد الله السعيد على قدم رسول الله ﷺ .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

أنا العبد الفقير لله تعالى السيد محمد بن عبد الرحمن الحسيني أكرمني الله بهذه الرؤى .

رأيت سيدنا محمد ﷺ في الرؤيا على صورة السيد الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني قدس الله سره فسلم علي النبي ﷺ وكلمني وسألني عن اسمي وعمري ونسبي وأمر أن تؤخذ علي البيعة بحضور سيدي الشيخ عبد الله السعيد قدس الله سره وهو على رأس جمع غفير من أولياء الله الصالحين الأحياء منهم والأموات .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

رأيت عندما كنت مع سيدنا الشيخ عبد الله السعيد قدس الله سره في رحلة العمرة وبعد أن زرنا النبي وأدينا السلام والتحية على رسول الله صلى الله عليه رأيت أنني أتيت باب السلام فوجدت عنده ضابطاً يلبس لباساً عسكرياً وبعد أن تقدمت إليه وسلمت عليه فسألني ذلك الضابط عن اسمي وعملي ومهمتي والسبب الذي جئت به الى هذا المكان وبعد أن أجبته بما فتح الله علي أعطاني ذلك الضابط خلاط ماء حديد موضوع على رقعة قماشية بيضاء وبعد أن أخذته وإذا بي أمام رتل عسكري طويل كله من الرجال من أهل الطريقة بزيهم العسكري مصفوفين على الجانبين فمشيت ضمن هذا الرتل بحركة نظام منضم عسكرية وبحال صادق من الله سبحانه وتعالى حتى أشرفت على الوصول الى نهايته فإذا بي أمام بناء عظيم مرتفع كأنه نصب تذكاري كله من الرخام الخالص وعليه آيات قرآنية مكتوبة وله عدة درجات فقيل لي إن هذا هو نصب السادة الصيادية الرفاعية الحسينية وإن الرجل الذي بناه وأسسه والمشرف عليه هو السيد الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني قدس الله سره فأدي له التحية العسكرية باحترام وإجلال وتقدير وقمت بوضع خلاط الماء الذي كان بيدي على قمة هذا النصب التذكاري .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

أنا العبد لله الشيخ أحمد هلال إبراهيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كنا نمشي في مقبرة وكانت القبور على سطح الأرض وعلى بعض القبور رسمت رموز كنت أسير وراء رجل فأخذني الى مسجد بجانب المقبرة ودخلنا الباب كان هناك خادم يقف أمام منصة مرتفعة عن الأرض قليلاً فنظرت إليها فكان سيدنا رسول الله ﷺ يجلس عليها ويرتدي عباءة بيضاء فاقتربت منه وإذا به سيدنا الإمام الهمام الفاضل العالم العامل العارف الراسخ

الواصل شيخ الطريقة ومنار الحقيقة سليل أهل الصلاح والولاية وسبط رجالات الجهاد والهداية سيدي فضيلة السيد الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني فقبلت رأسه ووجهه الشريف من الجهة اليسرى فأشار لي بأصبعه الى الخد الأيمن فقبلته وانكببت على قدميه الشريفتين فقبلتهما ومرغت بهما وجهي ومسحت عيني وكحلتهما بكعب قدميه الشريفتين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أنا العبد لله الشيخ خالد من سهل الغاب رأيت سيدنا الشيخ عبد الله السعيد المربي الكبير ممتطياً جواداً أبيضاً فأردفني وراءه وسار بنا الجواد مسافة ما يقارب العشرين كيلو متر فإذا بحوض عليه كاسات كعدد نجوم السماء أبيض من الثلج وأحلى من العسل وعلى الحوض موجود عرش أخضر بما يقارب أربع أو خمس درجات فأتى سيدنا الشيخ الى ذلك العرش الأخضر فإذا هو رسول الله ﷺ جالسٌ على هذا العرش فتقدم سيدنا الشيخ الى رسول الله ﷺ وقبل يده فأمره رسول الله أن يسقي الناس على الحوض فأخذ سيدنا الشيخ عبد الله السعيد إبريقاً وصار

يغرف من الحوض ويصب في الكاسات والناس تشرب من يديه وأنا أول من شربت من يديه الشريفتين المباركتين فاستيقظت وذهبت الى سيدنا السيد الشيخ عبد الله السعيد وقصصت عليه الرؤيا فقال لي الشيخ يا بني أدعو لي أن أكون من السقات على حوض رسول الله ﷺ .

وﷺ وعلى آله وصحبه وسلم .

وقال سيدنا السيد الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني أن رؤيا الرسول ﷺ حق .

وقال رسول الله ﷺ من رآني في المنام كأنه رآني حقاً ولا يتمثل الشيطان بصورتي وبصورة الأنبياء والمرسلين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أنا علي اليوسف من قرية دير الشرقي أكرمني الله برؤية أنني موجود بجوار الكعبة حرسها الله وزادها شرف وأثناء الطواف سمعت أصوات تنادي :

كفى الرفاعي شرفا   تقبيل يد المصطفى

فنظرت الى خلفي لأرى صاحب الصوت وإذا سيدنا الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني محمولاً على الأكتاف والمريدون من حول الكعبة يطوفون لا يحصى عددهم ينشدون بهذا الشعر فلبثت قليلاً حتى انتهت سبعة أشواط لكي أسلم علي سيدنا الشيخ عبد الله فما أوقف

الطواف حتى بلغ العدد أحد عشر شوطاً فأوقفتهم وقلت لسيدنا الشيخ عبد الله لقد أصبح عدد الأشواط أحد عشر شوطاً ولم تقف ، فأجابني لقد أتينا لنطوف دائماً لا لنعد عددا فنزل من على الأكتاف وقبلته وقبلني والمريدين خلفه يرددون نفس الإنشاد والحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

باب الأشعار

بسم الله الرحمن الرحيم

ما قاله تلامذة السيد الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني بحقه ومدحه قدس الله سره وآدامه ذخراً للأمة رضي الله عنه

أخطأت والهادي الكريم مسامح   يرسل من يهدي عباده للخير الصالح

هدايتي على يد شيخ جليل الملامح   يتضوع منه مسك فريد الروائح

يمد يده لي فأنحني مقبلاً مصافحا   عندها تراني هائماً عاشقاً سارح

فـي غـيـاهـب الـسـر وحـانـية		فـأستـيقـظ عـلـى صـوتـه صـائـح
مـا بــك يـا بـنـي فتراني ضعيفا		بـــأن أكـــون لـــثـورة جـــامــحُ
إنــــــه الـشـيـخ السائح السعيد		ذو الإطــلالـــــة الــبـهية المسامـح
يـعـفو عـند الـقـوة والـمـقـدرة		وفــــــــــؤاده لـلــنــاس فاتـح
عزيز النفس متواضع كثير النصائح
لـــيـن الـجـانـب شديدٌ في الحق		مــــثـــــل ســــلـفـنـا الصالـح
يـطــلـــب الـــمـــدد بـــثـــقـــة		رفــاعـي هو النور من وجهه لائح
فــــيـــــا هـنــانـــا بـعـيداً		عـــــــــن الـنـفـاق والمصالـح
و يـــــا ســــعـد كل من أراده		فــهـو لابـد بـالإمـتحـان نـاجـح
إمتحان الدنيا للفوز بالآخرة وبالملائح
الـمـدائـح رضـــي الله ورسوله		والأولـــيـــاء الأتــقـياء الصوالـح

السيد عمار النحاس معرة النعمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الــطـفـل تـنـاغـى بـاسمك حباً		والـطـيـر شـــــذاه فــــوق الشـجـــر
أنـــت الـبـــدر فـــي تـمـامـه إذا		بــــرزت ألـــقى عــلـى النجوم الســـــدر
أنت السيد في كل حالة وكل وقت		وكل ما مضى من عمري وما يأتي من دهر
لـــــك الـرفـعـة والعلى والعزة		يــــا داعــــي الـطريقة الــــى الـخير
لكَ سر لو وضع على جبلٍ لأثقله		وانــفـلـق مـــنـــه الـصـخـر والــحـجر

أيا قمر متكين تجندت لـك الفتيان طـائـعـة بـحـب دون إكـراه أو جـبـر
يـا حبيباً ملكت الفؤاد كله ألا تـكـن لـمـن أحبك فـي نكبة غيور
لـيـت حبي لك يوصف بكتاب لـمـا تـسـعه الصفحات والـفكر
تـكّـرم علي بنظرة لعلي بها تصلح أحـوالـي ومـا بـي من كدر
قلبي احتمى بـكـم سادتي فهل تـحـمـوا مـن كـان قـلـبه بحبكم أٌسر

السيد زياد النسر

بسم الله الرحمن الرحيم

لي ببطحاء متكين شيخاً يرهب الأسد هيبةً والهيبة مـنـهم عنده تـزول
أنجبته متكين لـنـا سـنداً وراشـداً فحّلت وجمعت فيه أسـمـى الخصالُ
فهو إن عدت الكرام يبقى على رأسهم وإذا سـألت عـن صفاته فهو نبيلُ
فـإذا تفاخر القوم بأسـناد شيوخهم فنسبه من الأجداد الى الرسول موصولُ
تسلسل من رسـول الله من أشـرف بـطـون مـحـفوظةٍ بستر الله الجليل
غـمـس في قلبه حب الله ورسولـه والصالحين فما كان للدنيا الى قلبه سبيل
سـاح بصدقٍ مبتعداً عن الرياء مستقيماً عـلـى الطاعة حتى نال القَبولُ
درة العارفين وسلطان زهاد عصره حـاضرٌ بـالسـر والحال لنجدة المريد
بغارة صيادية رفاعية عند تغير الأحوال عـلـم متكين بـعـد صيادها الـبطلُ
عـقمت الـنسـاء أن يـكون مـثلـه أو يكرم الدهر بأمثاله ولـو كان طويلُ
فإن تعددت الشيوخ وتعاظمت بهم الرتب سيبقى شيخي واحداً في قلبي دون بديلُ
فالثبات لشـيخٍ واحد والصدق في القلب لا غيره والصبر عـلى المحبة جميلُ
والشـيخ لا يبدل عند مـلوك الألباب كـمـا لا يـجـوز لله إشراكٌ وتبديلُ

والشـــــراب لا يروق لـذي عقل إلا من كـــأسٍ واحد لا يصفى لشـاربه خليلُ
عطفاً ســــادتي فانظروا المريد عظمت عليه الهموم وقلبه علـى أعتابكم دخيلُ
وارحـمـوا قـلـبـاً قـد تـــولــع بحبكم لأنه لغير محبتكم وجمالكم لا يـميـلُ
فـــــلا تنظروا لحالتي فالذنوب أثقلتني والذنب إن عَظُمَ فـعلـى الـمؤمن ثقيلُ
تعطف عــــلــــي شـيخي تكرماً فقد تـولـعـت بـك الــــروح والفؤاد عليلُ
حُبكَ مــــالـــكٌ لمهجتي وشـفاءً لعلتي والله يـعلـم مـــا فــــي قلبي وما أقولُ
مـــا مــــال الفؤاد لغيركم شيخي محبةً إن ميول القلب لـغـيـر حبك مستحيلُ
دعــوت الله ربـي بقلب منكســـرٍ بـأن يحفظك الله ذخراً لـنـا ولعمرك يطولُ

السيد زياد النسر

بسم الله الرحمن الرحيم

نحْنُ الرِّفاعيَّةُ الأعْلامُ مـــا بَرِحَتْ إلاّ ولاحَتْ لنا فـي الكَوْنِ أنْوارُ
جَلَّتْ مَظاهرُها سِـــــرًّا وظاهِرُنا طَوى نِظاماً به للفَضلِ مِضْمارُ
مــن كــلِّ شَـيخٍ كبيرٍ مُفْرَدٍ عَلَمٍ كـــأنَّهُ عَــلَمٌ فـــي رأسِهِ نارُ
تَسَلَّقَتْ ذِرْوَةَ العَلــيـــا عَصائِبُنا شُـــموسُ مَنْقَبَةٍ تُجْلى وأنْوارُ
طافَتْ بِنا الأولِياءُ الزُّهْرُ واحْتَفَلَتْ بِعَهْدنا ولهم مـــــن حالِنا جارُ
طــابَـتْ مَعاهِدُنا لَـذَّتْ مَوارِدُنا عَزَّتْ مَشاهِدُنا والقومُ قد حاروا
لنا قُلوبٌ عن الأغْيارِ غائِبَةٌ ونحنُ قـــومٌ مــــع المَحْبوبِ حُضَّارُ

يُكابِرُ الخَصْمُ كي يَطوي مَظاهِرنا بالوَهمِ يَطوي وكَفُّ الغَيبِ نَشَّارُ

يُـريدُ إبْطانَنا المَخْذولُ عـن حَسَدٍ ونحنُ قامَ لنا فـــي الغَيبِ إظْهارُ

قد راحَ بالزُّورِ والبُهْتانِ مُنْتَصراً وعندنا مـــــن جُنودِ الله أنْصارُ

مَواهِبُ الله لا تُمْحى بِشِنْشِنَة من ذي ضَـــلالٍ وحـــالُ الغَيبِ قَهَّارُ

لـــــنا مع الله أحْوالٌ مُؤيَّدَةٌ غَيباً و فـيـها لِسِــــــرِّ الله أســـرارُ

ثــارَ الحَواسِدُ عَجْزاً قَصْدُهُمْ أثَراً مِنَّـا وفاتَهُمُ المَرْمى ولـو طاروا

نحنُ الشُّموسُ التي ضِمْنَ العُلى سَطَعَتْ والعُمْيُ قالوا دَجَتْ لمَّا لَها غاروا

نُبْنا الرَّســـولَ بإرشادٍ ومَعرفةٍ وبَحْرُنا عنهُ بالبُرْهـــانِ زَخَّـــارُ

واختارَنــــا الله أنصـــاراً لِمَنْهَجِه وإنَّـــما نـــائِبُ المُخْتارِ مُخْتارُ

نحنُ ارْتَقَينا مَراقي المَجدِ عن أدبٍ غَضٍّ وفيه عـــلى حُسَّادِنا العارُ

رَمَوا نُجومَ العُلى طَيشاً بأسْهُمِهمْ بينَ العُلى والثَّرى يا صاحِ أدْوارُ

قُمْنا فَقامَتْ شُــؤُنُ الغَيبِ تَكْنِفُنا وكُلُّــنا بالشَّـــذا الغَيْبِيّ مِعْطارُ

قلْ للأعادي رُوَيداً وارْقُبوا خَبَراً مـــن السَّماءِ صُرِعْتُمْ ما لكم دارُ

نِمْنا عـــلى الأمنِ رَيبٌ يُزَلْزِلُنا والله للمُخْلِصِ المَكســـــورِ جَبَّارُ

رُمْتُمْ بنــــا أخذَ ثارٍ فاثْبُتوا وإذاً منكمْ بِعزمِ التَّجَلِّي يُؤْخَذُ الثَّـــارُ

هذا ضَمانٌ قَديمٌ خُطَّ في صُحُفٍ غَيْبِيَّةٍ ولــــها المُخْتارُ سَـــيَّارُ

لنا من المُصْطَفى في كلِّ مَنْقَبَةٍ شُؤُنُ سِــــــرٍّ وأحوالٌ وأطْوارُ

قُمنا على مِنْبَرِ العَليا وقد سُدِلَتْ عــــلى مَظاهِرنا بالعِزِّ أسْـتارُ

تلكَ البراهينُ والأيَّـــامُ شاهدةٌ وللَّيـــالـــــي حِكاياتٌ وأخْبارُ

وعندَ كَشْفِ الغطاءِ البَحْثِ يَظهرُ من طَــيِّ الخَبايا لأهلِ الذَّوقِ أســـرارُ

ستنجلي ويقوم الخصم وهو على نـــار الغضا كان ما قالوا ويحتار

لا يخلف الله ميعاداً وإن بعدت آماده ومع الأقدار أقدار
فاشْهَدْ بَشائِرَنا وارْقُبْ أشائِرَنا ويَفْعَلُ الله ما يقضي ويختار

بسم الله الرحمن الرحيم

شموس المعالي تحت برج ركابنا وكُبَّار أهل الله طافت ببابنا
وإن شرقت في الحي أو هي غربت تؤمّل فياض العطا من جنابنا
رقائق أسرار الغيوب جليّة مطرَّزة تيجانها في قبابنا
تقدم كبَّار الفحول صغارنا وقد خاف آساد الشرى من كلابنا
وجلجلة الفيض الإلهي لم تزل لها نبعة تختال ضمن رحابنا
ونحن شموس الغيب في زخرف العما جلونا أفانين الهدى بكتابنا
وكل بحور الأولياء وإن طمت تموج اغترافاً من رشاش سحابنا
ونحن لأصحاب القلوب قلوبها تكحل غيباً كُلّهم بترابنا
وكلٌّ هزبر منهمُ استل سيفه فمنغمدٍ فصّاله بقرابنا
وكاساتهم لما انجلت ضمن حانهم فمترعةٌ فياضة من شرابنا
حضرنا وغبنا تحت طي شؤوننا فمحضرنا يوم الوغى كغيابنا
أسود زوايا حضرة القدس مزجت معقّدة التيجان ضمن ثيابنا
لقد قصرت أطماع كل عصابة بنهج المعالي في السرى عن طلابنا
ونحن رجال المهمة البحت في الوحا وكم فتتت فؤاد العدا بحرابنا
مجلجلة سح الفيوضات عندنا مفتحة أبوابها لخطابنا
وما ضرنا والله يمدح شأننا إذا قام مطموس العمى لسبابنا
بجامعنا جمع المعارج كلها ونسق الرسول الطهر في محرابنا

ونحن ســـموات الـعلا كـــم مُمرد | زواه حـريق مـاحق من شـــهابنا
ففقدان غير الله شـــأن قـلوبـــنا | ووجـــدان ســـر الله مـن آدابـــنا
لـقد عمي الحسـاد عن أشـــباهـــنا | وقد سـقطوا بالفهم عـن أضرابـنا
نـــعم نـــحن حزب الله جند رســوله | أئـمة أهـل الله فـــي أحـزابـــنا

بسم الله الرحمن الرحيم

نـبيـنـا أبـصـر الأعـمـى بـــنورا | وفـــاق سـهيل والـزهـرا بـنورا
نـبيـنـا ســـــاد للـــدنيا بـــنورا | وبكت عـلى فراقهم جذع الخشب
نـبيـنـا أرســـله الـديـــان رحمة | وزادوا حسـن فوق الحسن رحمة
يـــــامن عرج بالليل وجاب رحمة | فرايض تنجينا مــن حــر اللهاب
تـحن الـــــروح لطيبة والــقباب | المتوجة بـــنور هـــادينا والقباب
متـى يـــا رب نشـــاهد هل القباب | ونـشــــــاهـــد أنـوار خير البريا

بسم الله الرحمن الرحيم

جدي يا أبا البتول سيفه على الكفر مسلول | يوم تنزل على الميدان وتشوف الكافر مذهول
مـــدد يـا أهل العلوم مدد يا أهل الرسول | جــدكم طـــه الـــرســـول أمكم والله البتول
مـــددكـــم والله فياض جدكم خير الـعبـاد | أنـتم بـــالحضرة أسياد بكم والله الكرب يزول
يا أهل الراية المرفوعة والكاسات المتروعة
بـــكم تـــــلوذ الســــباع يـــوم تندق الطبول
أبــو صـالح يا سيدي يا حامي المريـدي | دخلك تـــأخذ بإدي لحضرة جدي الـرســـول
أنـتم أهـل الحمية يـا ســـياج الرفاعية | غـيـرتـكم يـــــا أهل الغيرة يوم تندق الطبول

أبـــو سعيد معروفي يسمع لدق دفوفي   يـــا أمة أحمد شوقي شيخي من نسل الرسول

بسم الله الرحمن الرحيم

أنتم شـموس الـــكون وأنـــتم أشـــجار الآس   كـــم عاشـــق ولـهان لائذٌ بحبكم

وأنتم يا أبو سعيد سفينة نجاة ومصفحة بألماس   سبحان رب العرش الذي صنعكم

وأنـــتم أهــل الطيب فضلكم عـــلى الـراس   وأنتم لـــيوث الوغى ما في مثلكم

وأنتم عـــلى الــعدى بـالســـيف والـمتراس   الويل كـل الويل للذي خاصمكم

وأنـتم يـــا أبـــو ســـعيد فضلكم عـلى الـراس   وبأعلى سما يا زين رفرف علمكم

والله الكون بيدكم رحى وطريقكم على الـراس   وأنـتم ابـن ســـادات ما في مثلكم

والله لـحلف لـكم بـالله وبســـورة الإخـلاص   وبـالواقعة والـــنون دوم بـذكركم

وإنـــي أنيت الـــيوم ظني بــــكم مـا خاب   يـــا منهل العرفان راجـــي مددكم

وهـــــذي قـصيدي لــكم مســـجلة بقرطاس   خطيتها بـــالــدم وكـــلو لأجلكم

بسم الله الرحمن الرحيم

عللونا بذكر ســادات ســـلع   نـــحن قـــوم نطيب بالتعليل

ومثاني أخـبارهم كـــرروها   فـــــبأخبارهـــم دواء العليل

وامزجوا مــاءَنا بطيب ثـناهم   فــهو أشهى من نكهة الزنجبيل

مــا أحلى خمرة التحدث فيهم   وعـليهم يـــا حسن تلك النقول

أَلِفَيت ذكـــرهم قـلوب زواها   عن ســواهم عبء الغرام الثقيل

رقرق الكأس يا حويد المطايا   بـــأنــاشـــــيدهم وطر بالقفول

وإذا العيس حطت الحمل آنـاً   فاحدها باسمهم وقد قلت شيلي

تـركهم والـهيام فيهم ولـوهاً	سـببب الــجرح علّةُ التـعديل
لـيت شــعري وليت بالجائز	الممكن تأتي حيناً وبالمستحيل
هـــل أرانـي مع الأحبة في	مقعد صدق يوماً ويشفي غليلي
وعـلى الله كـل شـيء يسير	حسـبي الله خـالـقي ووكـيلي

بسم الله الرحمن الرحيم

عـلم الـولي بـربه يقضي لـه	بـــالخوف مـنـه لـعزه وجـلاله
والـعلم مــن قـبل المريد بناطق	مـــن شيخه يقضي بصون كماله
ومن ارتقى سدّد السلوك مواظبا	قـلباً عـــلى الـتقوى يفوز بحاله
والجاهـل المبعود يسقط نـفسـه	بـثقيل حمـلته وقـــبح خـصاله
وطريـق كـل الأنبياء ومن أتـى	مـــن بـعدهم فسرى على منواله
لا شـــك يجمعه طـريق محمد	صـــلى عـــليه ذو الجلال وآلـه
فـــإذا أردت الله فـــاتـبع نـهجه	واجـــعل فـعالك كـــلها كفعاله
والـزم خشوع الصالحين فـــإنهم	حملوا النصوص البيض من أقواله
وتـمسـكوا بجانبه ســيراً عـلى	آدابــــه قـبضاً عــلى أذيــاله
هـــذا شعاع طريقهم فـانـهج بـه	أو خذ وُقيْتَ القطع طـور رجاله
إن لم تكن منهم فصر شـبهاً لهم	فـــالشـــيء محمول عـلى أمثاله

بسم الله الرحمن الرحيم

نحن شموس الحضرة المشعشعة	عيونــها المـبصـرة المـطـلـعـة

نحن السيوف البارقات لم تزل   بنا حبال من بغى منقطعة
أسرارنا طائرة لربنا   خاشعة لأمره مستمعة
دروع غيرنا حديد وترى   أجسامنا بذكره مدرعة
بطيئة قلوبنا الى السوى   لكن الى الله تعالى مسرعة
من الكريم فأعز شأننا   بنفحةٍ ذات شؤون مشبعة
مظاهرٌ أيدها مفاخرٌ   ببيتنا كثيرة مجتمعة
من هاشم الى الرسول المصطفى   رب دوائر الهدى المتسعة
سرنكات الطمس في بحر العمى   موجته الهائجة المندلعة
سيد سادات صدور الأنبـ   ـياء وكرام الأمم المتبعة
ومنه للطهر علي والى السبطين   والزهراء نعم الأربعة
وللأئمة الهداة من بني   حيدرة أولي النصوص المقنعة
ومنهم الى الرفاعي الذي   على رجال الله ربي رفعه
سيدهم فتاهم وشيخهم   وصاحب الطريقة المتبعة
لنا تدلت وانجلت برحبنا   فراح للحشر بخير ودعه
السر في المصنوع أمر قائم   بصنعه جل الذي قد صنعه
نحن عبارات الأساليب التي   في صحف الغيب الخفي مودعة
نحن البدور في السموات العلى   بكل طمس من هدانا شعشعة
فقل لنابحٍ علينا حسداً   فليأت إن شاء بنابح معه
وإننا بالله عز شأنه   رِمَاحُنا على العِدى مُشرعة
تسنمت هام العلى همتنا   لم تنفع الحاسد فينا الفعفعة
فنحن للدين وللدنيا معاً   ولصنوف الخلق محض المنفعة

أســــرارنـــــا تحملها قلــوبنا بــها الكنوز ليس فـــي المرقعة
ونحن في الأرض وسائط السما لـمن يــريــد الأمـن يوم المفزعة
كـم فرق الحاســد وهماً أمـرنا ولله إرغامـــاً لـــه قــــد جمعه
عـلى طـوى الغيوب من ألبابنا صقور عـــزم قـد كشفن المقنعة
والـقـوم كـالأيـام يــا صـويحبي ونـحـن بـيـنـهم كـيـوم الـجـمـعـة
الــحـمـد لله عـــــلى نـعمـتـه مـــن حـمـد الله تـعـالـــى سمعه

بسم الله الرحمن الرحيم

نونية الإمام الصياد قدس الله تعالى سره ورضي عنه

قـــم يـــــا نديمي هذا الحب يسقيني خـمـراً بــه طـــاب سكري قبل تكويني
لــقد ســــقاني فأحيانـــي وحيرنـــي وغبت مـــا بـين تـلـويـنـي وتـمـكـيـنـي
لــما حـبانــي بــها صـهباء صافية عــددت فـــي القوم من زهر السلاطين
أخـذتــها ويـــد الإقبال تـــرفـعـها إرثـــاً صريحـاً عــن الـغر الميامين
حـتـى جـلاها أبـو العباس أحمد فـي كـأس تـرقـرق مــن آيــات يـاســـين
لـهـا رجـال بـصـدق الـحـال تشربها يــــوم الـحـروب تـراهـم كالشواهين

جـدي الـرفـاعي للسادات روقها — تـجـلـى معرفـةً مـن غـير تـنويـن
بـعزمـه وبـصـدق الـنائـبين لـه — دارت من المغرب الأقصى الى الصين
الجد أوصـى بـها لا يسـمحون بها — إلا لـصـدرٍ عظـيمٍ فـي الـدواويـن
الـجد أوصى بـها تـحمى بخاتـمها — محجوبةً عـن قـلـيل الـعقل والـدين
يحيى بـها الميت إن دارت بحانـتها — عـلى أولـي الحق فـي بيض الفناجين
تسـقى لعبدٍ بحفظ الـعهد متصف — مطـهر الـقلب مأمون على السـين
تسـقى لعبدٍ طريق الشـرع مذهبه — منـزه الـقصـد عـن خبط الأفـانـين
تسـقى لـعبدٍ بـذكر الله ذي ولـهٍ — ولـم يـغب عـن رسـول الله في حين
أنـا الفتى أحمد الصياد فزت بها — مـن بـعد سـحق عظامـي في الهواوين
لـمـا شـربت بفضل الله رائـقها — مـزجت فـي الشـرع تمكيني وتلويني
وقـام داعي الحق للدست يخطبني — وهـاتـف الحق عـن قـرب يـنـاجيـنـي
ومـا تأخرت يوم الجمع عن أدبٍ — إلا وأضـحـى حـبيب الـقلب يدنـيـنـي
الـحمد لله والانـي فـأيـدنـي — وأيـن عـزمي لـولا أن يـواليني
سر يا أخا الصدق لا تكسل بخدمته — وكـن بـه ملكاً فـي زي مسكين
خـل المعابد للأطراف تسـكنها — وانـهض بـعزم الـذي سـواك من طـين

بسم الله الرحمن الرحيم

أحببت آل محمد لـرضـائـه — فعسـاه يشـفع زلتي يوم اللقا
هـم روح روحـي حبهم سر الـهنا — سـادوا البرايا أكسبوها الرونقا
أكـرم لـتـعترته ودوام ودهـم — تـنل الـرضى مـن ربهم وترفقا

واحطط رحالك في ربـوع حماهم وابذل لنفسك في الرحاب وأنفقا
واحطط رحـالك وامـتدح لجنابهم فمقامهم فـوق الفراقد قد رقا
منـهم كـريم ســيدٌ طــافـت بـه جــل المـلائك والرجال تشوقا
أكــرم بـه من مرشــدٍ شهدت له أهــل الـطريـقة أنـه كنز التقى
والـعبد عـبـد الله ذاك ولـــيه نــال المكارم مــنةً وبها ارتقى
رضـي الكفاف مـن الـحياة تـعففاً ولـلــزخـــارف والمفاخر طلـقا
يـــا أيـها الـقوم الكرام حنانكم لـعبيدكم هذا الذي قد أبـقـا
هل ترحموا هل تصفحوا يا سادتي يــا أهـل ودي ولكم طول البقا

بسم الله الرحمن الرحيم

نظمت الشعر محبة بشـيخي أبـو ســـعيد صاحب المـنن
وراحت روحـي فـي الـفــلا تغني طـرباً بـقطب الـزمــن
وسرحت فــي ريعان الهوى وقالت لــه عطفاً يا ابن الحسين
لا تـلوي طرفاً عني مذنبٌ صــارعـنـي ذنبي طول الزمن
ســـيـدي أرفـــق بـعـبـدٍ بجاه مـن لـه الجذع لـوى وحـن
عـطـفـاً ســـادتــي فـــوالـــذي بعث النبي محمد أنـتم ألـو المنن
فـــارفقونــي بجناحكم عبدً ذليلً منكسراً عـلى الأعتاب قـد سكن
أقـلق شـــوقي إلـيكم خاطري وغـــارت الأشـــجان عليه شـن
يـــا نــائباً عن المرتضى فإنني أرى فيكم كـــل شـــيء حـــسن

كـلـما بـعدتم نـــادى الــفـؤاد يـــا ســــادتي إلــيكم القلب حن

وإذا قـلـتـم نصحاً مــن لمشهدٍ فقولــكم قـــولٌ مشــهورٌ بالعلن

يـقــتـدي بـــــه الــجـميـع بـنــور الــهدى إذا اللــيل جــن

يا ربي اجعل سيدي نهج المصـ طفى خالصاً من كل رانٍ أو درن

وصلي ربي على المختار محمد شمـسُ الرسـالة ذو الوجه الحسن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال بعضهم

شدون فوق الهجن وأظلم عليهم الليل قصدون روض النبي وانهد فيَّ الحيل

وأيضاً

هبت رياح الصبا من يم طه الزيــن جدي يا خير البشر جد الحسن وحسين

وأيضاً

شيخي يا شبل الأسد صايد لكبدا العدا ســهام نـــار اللــظا وتكيد من عادا

وأيضاً

هنيني بجمع الشمل بشيخي أبو سعيد ساكن بأراضي حماة وحامي لكل مريد

وأيضاً

لســوح كـل العمر ورافق الوادي واقـصـد لـتـربــة الصياد وســـــيادي

وأيضاً

لـمـع حــراب وصــوت خـيـول وبـســـــاحــــــــات دق طــبــول

بسم الله الرحمن الرحيم

يمم بحال الذل من بعيد وانزل رحاب الغوث أبي سعيد
ولـيٌ لـه فـي البارقات مقامٌ علـيُّ الشأن من آل الأسود
سليل بيت عرفانٍ وفضلٍ نمته الأكـرمـون من الجدود
فـاقصد حماه لاتركنن لغيره فعساك أن تحظى بوصل الجود
وضَع اليمين على اليسار تأدباً واغضض لطرفك تاركاً لجحود
إن الحياء مع الكرام كريمة يرضى بها المعبود عن العبيدِ
ثم الصلاة على النبي وآله ولكل محب لكم هل من مزيدِ

بسم الله الرحمن الرحيم

دموعي على الحبيب لا تزال دواميا وفي كبدي للحب وجد على وجدي
دعـوت الله ربي وبالنبي محمدي يخفف عنا ما لقينا من البعد
فدنا في الوصل وهو مبجل يا حبذا من قلب بالقصد
سلام هناء فيها بامتداحي لسيدي على دائم الأوقات بالشكر وبالحمد
شيخي إذا ما دعاه مريده أتاه بسرعة بالرعاية والمدد
هو السلطان السائح شيخي وسيد الأقطاب من أصل أحمد
سيفه بيده يلمع مشروعٌ وهو الفائز بكل امتحان ومشهدي
إذا ما وقع مريده في نائبة أتاه أبو سعيد بالمدد والسؤددِ
لك الهنا يا مريدي حاضرٌ إن رمت السبيل الى الصياد
ولدُ الرفاعي معززٌ دائماً تراه غداً عند لهيب النار مبتعدِ

أمــا الـمـريـد المتردد اهجره   ســـيدي ودعـــه للواحد الأحد
فمن بـعـدك لا يـنـال الـهـنـا   وســــيبقى منكداً الـــى الأبدِ
وبـحـق الله عـلـيـك أبـــتي   بــكـــل الأولاد لا تـــتـوددِ
إلا لـــكل مـــريـدٍ ثـــابت   عـــن بــــاب العطا لا يترددِ
سلام الله ممســكاً مــع تحياته   لك يــا داعــي اليوم لدين محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

أولو الألباب من معناك حــاروا   ومـــن عينيك تبسـم النـهار
وأهـــل الله فـي شـرق وغـرب   بهذا الحي في كفر زيتا استجاروا
وصــاروا في محبتكم سـكارى   وطـافــوا حـــول ربعكم وداروا
إلـــى هـذا الحمى ليلا و نهارا   عـلـى مـيـدان حـبـكم تـبـاروا
لـــو يدري الورى من أنت حقا   يا أبو سعيد لهاموا في محبتكم وطاروا
وأذن منشـد الأيـام زيـتـا   فـــرددت الأكـــابـر والـصغار
بـأنــك قطب الــزمان فرد   وجـمـيـع الـعـارفـين لـكم أشــاروا
ورثـت مـحـمد الـمختار طـه   وفـــي ذكـــراك كـم معنا يشـار

تجســـدت المحامد فيك جميعا وصـورت الـــرجــولة والــوقـــار
يهابـك كـــل ســـلطان ويخشى وتعشـــق لـــثــم نـعلـكـم الــكـبار
عـلوم الذات قـلبك مســـتقاها وعـنـدك تلـتـقي الســـبع الـبحـار
إلـيكم ينـتـهي فصل الـقضايا إذا الأعـــلام قـــد عجزوا وصــاروا
فأبـــــراج الســـماء منكم تغنت وأفـــــــلاك الـنجوم بـكـــم تـــنـــار
عــلــى الآفـــــاق وجهك قد تجلى ونـــــور الشـــمـس مـنكم مستـعار
إذا قـــيـل مـــن لـلـــديـــن أحـــيا تُـهـلـل بـــــالملأ هــــذي الديـــــار
نـحن إلـيكم يــــــا مـــولى حنينا كـــمـــا حـــنـــت إلـى الـثدي الصغار
تـمكن حــبـكـم فـيـنـا جـمـيـعا فـكـعـبة حــبـنـا هــــذا الـمـزار
وعـــــــار أن عـيـنـا قـد رأتـكـم تـمـيل لــغـيركــــم والله عـــــــار
ومـــن تـــهـواه تـــهواهُ الـــبرايا ومـــن والـيـــت لـم تمســـسه نار
وبـالـمـدد المغيث يصيح حــــالا يـــــا أبــو ســعيد يرتفع الحصار
هـنـيـئـا لـمـن رأى ذاك الـمـحـيـا وبشـــرى لكل من حضروا وساروا
وبالصلاة على المختار أختم كلامي طـــــــه حـبـيـبي والـقمر المـنـير
مسك الختام إلى النبي محمد وآلـه وأصحابه ومن على نهجه بالهدى ساروا

بسم الله الرحمن الرحيم

هام قلبي مذّ لامست يدي قلماً نويت خط اسمُكُموا يا سيدي فيه
حار عقلي مذ سمع الندا من قلم يقول يا فتى تأدب من الذي تَسميهِ
فارتعشتْ أناملي ومفاصلي ارتعدَتْ وقلبي يناجي هذا اسمٌ رأيت نور الله فيه
ماج حبر قلمي نائحاً متأوهاً فجدران قلبي من صداه تُبكيه
قال يا مادحاً أعلمت من الذي تبغيه
يا مبتغي المديح أفق وأيقن هذا الإسم لخط نوره بحور العلم لا تكفيه
هذا عبد الله سعيدٌ من تأدب عند ذكـــره وشـقي مـن ظن أنه يحويه
يذكر اسم الله عند ذكر اسمه فيا عجب العجاب كيف أرويــه
رفقاً يا حاملي لـو كشف لك الله في لوحه المحفوظ ما يخفيه
لوجدته مسطوراً سيداً لأسياد أهـــل بيت النور والنبوة فـيـه
ساحت رجال الله وزحنت عظامها
مذ شُنفت أسماعها من صدى اسم الله من فيه
دُقت طبول العرش حين مولده فيا حبذا من وارثٍ نور أحمد فيه
هــــو أحمدٌ ثم أحمدٍ ثم أحمدا تحمدت جـميـع الـمحامـد فـيـه
يـــــا قــارئاً تنبه لــما أعنيه ويا حزني على من أنكر من ذا الذي ينجيه

الشيخ حسن حكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من في روض أحمد أسكن روحكموا واشغل قلوبكم يا سيدي بهواه

جسدكم فينا الأرض منه تزدهر كيف لا وفيكموا عن البرايا ترفع بلاياه

ورحمته فينا أن ترياقكموا شفاءً للعلل وعيناكموا تبكي شوق لقياه

يا ليت شعري كيف أسلو عنكموا ! أ أخفيكموا ؟ ورحمته فينا أنكم من عطاياه

عبدالله السعيد يا سيدي أستميحُكموا عذراً

أبت روحي إلا أن تحكيكموا فالوجد فاض مما يراه

فجبريل عند سدرة المنتهى خوفاً يرتعد ولحاظُكُموا تنعم بطيب رؤياه

شُرِّفَ زمانُ الله بطيب خدمتكم أرعاته أنتم ؟ أم أنتم من رعاياهُ ؟

الكَونُ يكتُب لا إله إلا الله وخلف ضلوع الصدر منكموا تحكى حكاياه

أستلطف العفو منكموا سيدي لسوء تأدبي

فقصائدي تعجز عن وصف ما فيكموا من سجاياه

يا خليل ربي ليس شطحاً مني فيما أقول أنكم نجدةُ الله فيمن قال يا هو

وإثباتُ قولي في الصحيحين قد أتى في وصف جبريل عن من أحبه الله

الشيخ حسن حكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

يا دولة الاحباب رفقا بقلب عليل في بعد هواكمُ صار الطرف كليلْ

في حضنكم في حصنكم لا تطردوني فسوركم ملاذٌ وأيْمُ الله أصيلْ

في ناركم أتقلب متنفسا آهاتي لأن حزني في الفؤاد دخيل

محا حبكم كل حب كان في قلبي وحُلتم مكانا لم يحل فيه مثيل

أنا الهائم فيكم في يومي وليلتي جنونا وجسمي بالسّقام عليل

ألا هـل الـى شـمّ حبيبي ونـظرةٍ الـى الـقبـة قـبـيل الممات سبيل
وأشـرب مـن مـاء زمـزم شـربـة يـداوي بـهـا قبل الـممات عليل
فـيـا قـبة الخضراء قد ملَّ صحبتي مسيـري فـهل فـي ظـلـكـم مقيل
و يـا قـبّة الخضـراء ظـاهر مـا بدا بـجسمي على ما فـي الفـؤاد دلـيل
و يا قبة الخضراء من بين توضح حنيني الـى ظـلالـكـنّ طويل
ويـا قـبّة الخضـراء القلب موكل بـكـنّ وجـدوى وصـلـكـنّ قـلـيـل
أمشـي انـحدارا نحوهـا فـيـرُدُّنـي ويـمـنـعـني عنـكم ديْـن عليّ ثقـيـل
أواسي نفسي فـما اعظم مصيبتي فـفـراق السعيد مـا إلـيـه سـبـيـل
ويا قـلـب دعْ مـا تـلاقـي مـن العنا فإن الـهـوى إن دام في الصّبّ قتيل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حـمـدا غـيـر مـنـصـرم سـبـحـانـه دائما من سالف القدم
فـي كـفـرزيـتـا سـيـف لا فلول به مـن بـرقه شـحـذت عزائم عزم
عبدالله السـعـيـد الـغـوث يـا ديـما مـن نـفـث ريقك فكت عقده البكم
أصبحت قطبا وفـردا جامعا دررا قد صاغها طاهر الأخلاق والشيم
عقد لفاطمة فـي الجيد قـد نظما أدخلـت فـي سلكه نظما لمنتظم
يـا سـائـحـا سجت آهاته غلسا سـر الرجال فما أبقيت منصرم
شيخ الطريقة يا بحرا من الهمم انـت الـرفـاعي عدا ثاني الهرم
أنت السفينة لا زهوا ولا صـلـفـا يـا كـعـبه رئمي قلبي بكم علمي

كل الخمور وإن دامت معاصرها من حانكم رشحت فيضا من السدم
صـدِّيق عصرك لا تيها ولا كذبا قـد صاغها خبرا صدِّيقنا السَنَم
ألبست من خلع عمامة كرما وبردةً دهـما من سيد الأمم
اسأل خبيرا عن الروضات والشمم فـي العد ثالثها أورادها ديمي
في صلب أحمد قد ضاءت منارتها فاضت لنا أرجا فادخل بها وهِم
وُكِلتَ بالحوض في يوم به حِمَمٌ فاملأ كؤوسا فَدتك الروح ياحلمي
شيخ العريجا غدت أوراده كنفا نلتُم نيابته فياضا من الكرم
في صُلب أحمد قد أصغيتَ مُستمعا في عالم الذر روحا صافي النَّغم
للأولياء غدوت السقف حَبرَهُمُ فالكل جنداً وأنت الشامخ العلم
أقصيت من رُتَبٍ الله يعلمها لكنك السيد المنصور في حزم
ليث هصور في ساحات الوغى حذم تحمي مريدك إن زلت به قدمي
يا سابح الروح بعد الأنجم خببا فوق الكواكب إذا خيماتكم قممي
في مقعد الصدق دقت نوبة لكم أنا اتخذتك ركناً لي وملتزمي
زادت عن المائتين عدة الكلم ورد لكم مبضع الجراح والسقم
بئر البلاء الذي ما راقه سكن إلاك حيث الورى فروا من الحمم
عند الصراط كرامات لكم حمم فاهنأ مريداً ولا تخشى من العزم

سِـــــرُ وحـــــال بـــإذن الله والهمم **يمحو شقاء مريداً غاص في الرَّطم**

منك الرفاعي بـــرقا فـــي معارجك **فـــاقـرأ لـنـا دعوة من دمعك العرم**

مـــا زلت تــرقى ويعلو حالك الدمع **مـن كـثـرة الـذكر شختم دونما هرم**

يــــامـاحي النفس قد روضتها خذزا **أســــفارهـــا طـويت صـيرتها عدم**

يــــا أحـــور العينين قد هيمتني شغفاً **يــا حــارقـا كـبـدي سواك لم أرم**

صقر الحمى أن دَنَت من وكنِهِ الحِمَمُ **صِـلـنـي بِـحَـبلِ ودادٍ مــا به خزم**

مـســـك الختام الــــى المبعوث للأمم **أتمها صلاة تفوق الوزن والرحم**

قصيدة بلـــغـت أبياتـهـا عـــددا **كـــعمر مـن يلج في جنة الحكم**

بسم الله الرحمن الرحيم

بانـت ســـعاد إن القلب مبـتـول مــتـيـم بــهـوى الـحـبيب مكبولُ

وما ســعاد ســـوى بعيد أعشقه مـفـتون بــــه، بـهوى الأحباب مـعلولُ

وإني عـــن ســعاد والغرام بها محيـر مـــن أمري ودمعي مـهـمـولُ

ياســــيدي يفديكم بـروحه رجل شـــويعـر مـــن فقراء العراق مجهولُ

أبـكـي الحبيب فـهل مـــن يبلـغك مـعنّي الســـلام ولـكن مــن المراسيلُ

أيا نســـيم الـــرياح هلا أبلغتموه بأن قلبي مـــن صدغة الاحزان مشلولُ

وقـــد أهـــوى مشاهدة النجوم ليلة لعل حبيبي بتـفـكر الســـمـاء مشـــغولُ

وقـــد بــــاعد بيننا الأقـــاليم فما خـــوفـــي إلا مـــن الوشاة التضليلُ

كـيـف لا يحرقـني فـراقكم وحالي ... دون رؤيـتـكـم مـــــوت وتـقـتـيـلُ
أخـــاف الموت وفـي نفسي حسرة ... بـــأني لـــم ارزق لقاءا لكم مـــأمولُ
عودّتمونا النظر لنوركم كـل لحظة ... فـكل الـفـقـراء بـنـور بـكم مـوصـولُ
قــل لــي لـم اليوم لا أرى نوركم ... أمــــن البين أم فتوري فـــما التعليلُ
أمــــن الــزفرات والآهـات خمد ... أم مـــاذا قـــل لـــم أنـــا معـزولُ
أم طـــال زمــــن فراقنا فأنسيتني ... وأنـــا طـــوال وقـتـي بـكم مـشغولُ
فــــلمْ أغفل عـــن ذكركم وهلة ... ومقلتَيْ لم تلتفت عن صورتكم تحويـلُ
أمـــــوت ولا أتـحمل الـــفراق ... فـــإن مــت دونــكم فأنتم المسؤولُ
وســـرمــد ليلي بـــريق وجهكم ... فلا أرى النوم كأن الـعـيـنـين مكحولُ
تـــراعي مـريدك بأكثر ما يجب ... فـــأنتم لـهموم الـفـقـراء مـحـمـولُ
لــــمْ نـــرى مثلكم للمريد عناية ... ولـــم نـجـد طـريقة لاتعتريها أباطيلُ
فطريقتكم هـــي الـمـثلى مقتبسـا ... مـــن الكتاب والسنـــة ودونهما تضليلُ
شوّهَتِ التصوف الآلاتُ والبدعاتُ ... وأشياء أخرى خـــاذل للـحق مخـذولُ
أحـيـيـتَ طـريـقـة تـكـاد تخمل ... ومــــا للـــذي أبـــــرم الله تـعـطـيـلُ
فنهضت بالطريقة نورا ساطعا ... تستضاء بـــــه الظلمات فـهي قنديلُ
لســان الحاسدين لم تغفل عنكمُ ... وهــــذه الغيبة لـتـجديدكم مــدلـــولُ
فمن ســلك معكم الطريقة فــلا ... يمســــه ذلّ، بــنور الله مـــوصـــولُ
فـيـا مـريدوا الـحقيقة شـمروا ... فبســـلوك الـــرفاعـــيـــة يتحقق النيلُ
ومن يدخل زاويتنا فلا يســـمع ... مـــن الـفـقـراء الا التكـبيرُ والتهليلُ
ليســت للتـفـرقة مكانـــة عندنا ... فــالـكـل إخـوة ولبابِ الشيطان مقفولُ

فالتقوى هو رأس أمرنـا راجيا		للأمـــة الـفـرج فــيا ربّ الـتعـجيـلُ

بسم الله الرحمن الرحيم

تذكر أناســاً مـن آل الرفاعي ذا القلب		الصيادي ذكـــراهُم لِذي شجن نصبُ
للصيادي هاج شــــوقي وعيني دمعته		عند زاويـة آل الصيادي التجلي نسبُ
الـــى مثـلـه يشد رحـال القوم فتوجهُ		نحو زاويتهم ترى الناس مشياً وركْبُ
صــاحِ أشـــمُ رياح آل الرفاعي أطيبه		لا يـطـلـبـهـم إلا ذو حـــظ وذو لـــبُ
خليلي هــذا ربـــع آل السـعيد أنظرهُ		فـــي حبـهم قلبي وفؤادي مـنـي سلبُ
خـليـلي تلك الــراية الصيادي رافعه		أســـد مـــن ظهـر ذو الـفـقـار عـقـبُ
أمـــا تـرى بـريق الأنوار في ساحته		فـلا حـجب لـنور الـشـمـس لا ضببُ
فـهـم كـرمـــاء الأرض ومـــن بابه		ثـر العطاء مــن بـين المعادن ذهـبُ
فنور الرفاعي عند الصيادي مصدره		فـإلـيـهم بـادر مـريد الصدق ولـو تحبو
فنظرة مـــن آل الســـعيد تكفيك منه		رقـــيَّ مـقـامـات لـــم تـصل شقاً تعبُ
هـــو الـــوارث لآل الرفاعي وختمه		قطـب العارفين شـــرقاً ذهبت وغربُ
وكـنت أبـحثُ عن الـواصل مكـانـه		فتلقيت مـــــن آل الـسـعيد لـــي شهبُ
فـنـادى بـي الأشـواق لحبيبٍ تذكرته		فـخذ كـــأســـك بـيـد الصيادي شــرَبُ
إن تبحث عـــن العطاء فـهم أهلـه		فـبـهـم الـــوصـل وبـهـم يـغـفر الذنبُ
فيهم أهل الولايـة للـرفاعي وارثه		فاشرب مــــن منابع ما هو أطيب عذب
لـــه مـــن آل عتـرة الـنبي سنده		فـهو الـحسـيني مـــن بيت النبوة عقبُ
وعـنـد جده الـمصـطفى رعايته		ســـاقي الـقوم للعارفين جمعاً شـــربُ

فنورك عـم آل الـرفاعي شيوخـه ... فشـــربوا فـــي سـكرك العارفون إربُ
والـكتـاب والـسـنة أصل طريقته ... محذر الجيواري مـــن ادعــاءات كذبُ
فقس بميزان الـشـريـعـة أقــواله ... تـجدها مطابقاً للشـــريعة معها جنبُ
وعمت أرض شـــام الخير نـوره ... وبعطاء الـرســول ســـاحته خـصـبُ
فبشرى لـمـن تـمسـك بالعهد معه ... تصل المـراد والخير وفتوحات عجبُ
فقف عند بـاب الـكريـم حـضـرته ... قضاء حوائجٍ وكـل مـا فـي البال طلبُ
ترى صحائح القلوب جمعاً حوله ... وإن قلـت حـفت الأقطاب فـهو صـوَبُ
فعندهم الــنور للباطـل دامـغــه ... ســفينة النجـاة عـنـدهـم الأخـلاق أدبُ
فيا باحثاً عـن المرشد إليك أكمله ... فـتش الأقـطـاب مـــن بالصـيادي لقبُ
لـــن يـخـيّب ظنك مـا دمت معه ... بشـــارة النبي لـكل الـذي معه صحبُ
وســـيدي عبد الله للنور وارثه ... فـهـو شـبلٌ مـــن ذاك الأســـــد عقبُ
يدفع المكاره عـــن المريد تحمله ... فـــي السلم سلامه وفي الحرب حـربُ
يراعي المريد أيـــن كان مسكنه ... فصولة السعيدي تصل الشــرق غـربُ
فبشرى لطريقة الرفاعي مشربه ... وبشــــرى لـمـن بيد الســعيد شـــربُ
فـي سـاحـة آل الصيادي رايـاته ... ســيف عبد الله لـبريق الـنـصر جلبُ
فاســأل القرية والـشـام سـيرته ... يـجبك الـكون وكـــل مـــن لــه لبُ
يـقـول الـشـام بـأن الســعيد ابنه ... كالـقـمـر فــي سمـاء الأقـطـاب وهـبُ
وارث الـرفاعي ومعطٍ نــوره ... بـيده اللـواء لا يــوقـف سيره حجبُ
ربي صــبراً مع السعيد أطلبه ... وعهداً على الطريقة ومن منبعهم شربُ
فـطـرقـت بابـكم كـأعـمى تمسكه ... أحـمل مـعـي الـذنـوب ومـــالي عـيـبُ
فـيـا أهـلاً للـعـطـاء والـنـور كــلـه ... وإن تـطـردونـي فـمن بـابـك أنا رقـبُ

مـا خـاب من فـي بـابك طـارقه فـنظـرة مـنكـم تعيد لي المشيب شببُ

وللتصوف كتاب في اللوح قسمته فــلا تجد إلا الــذي بـــه الأقـلام كتبُ

فسـر شـرقاً وغـرباً بـحثاً تـفتشه فـإذا جـاء أوانك تـجد قسـمة تهـبُ

أنا عبيد الله ابنكم في أربيل جسمه وقلبي فــــي حمـاة الســـعيد لــهبُ

أنا الأسقم فوصلكم لجرحي دواءه فـنظـرتـكم رقـــيٌ لـلـمقامـــات وهبُ

فيـا رب صـلِّ علـى طـه صلاته وســـلاماً تضمن قـبولي عندهم رحبُ

قال الأستاذ عبد الله خضر حمد : هذه الكلمات خرجت من فمي ولكن القائل الحقيقي هو شيخي الفاضل المرشد الكامل السيد الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي الحسيني قدس الله سره روحي فداه

تـــــرى أنا أنا أم ظــلـــــي أنا لــم يدركـه إلا مـــن كـــان مثلي أنا

لو كشفتُ الحجبَ لصعقت لرؤيتي لا يـتـحـمـل حـقـيـقـة ســـــــــري إلا أنا

وكــــن قـانــعاً بــما قسمت لك فـمــا وصــول المقامات دون خـتـمـي أنا

وطف في حضرتي والتمس مني نظرتي وإيـــاك أن تحجب مـا ترى مـــن هيبتي أنا

غُصْ فـي بـحـري مـــا أذنت لك فـأعـمــاق بحري لا يـصـلـهـــا إلا أنا

وكُــل مـن ثمـري مـا قسمت لك ولا تـقـرب شــجـرة هـــــي أكـلـــي أنا

واســبح فـي سمـائـي بسلطاني أنا ولا تـجـاوز حـــداً مـــن حـــدودي أنا

وإن تنظر الـــى العلياء فلا تـرى طــيـراً إلا بـــــــــازاً وهــــــــو أنا

وتفقد الأشـــجار فــهــل تسمع … تـغـريـــــــــد بلـبلٍ إلا بـنـطــقـي أنا
وهـــل سألت السحابة حين تجتمع … أمـــا تقول بــالـفـوزيـــة أنشــــر أنا
وهلا ســـألت الأرض حين تنبت … فتقول مـــا خضرتي إلا بحضرتـــي أنا
تُـــرى لِـــمَ الجبال الراسيات ثابتة … فجمودها خـوفاً مـــن ســــــطوتي أنا
وتـرى النجوم فـــي السماء ساطعة … ترى من الشمس تأخذ أم مـــن نـوري أنا
أم إن الــشـمس يمـتلك ضوئـه … إذا مـــا جـردّ نفســـه مـن نـــوري أنا
وهـــل ترى البدر في الليلة الظلماء … أيكتمل نـوره لـومـــا نظرتـــي أنا
فـالكل يقتبـس مـن نظرتي أنا … أتـعـجـبُ مـــــن ذلك والـخـتـم أنا
فيا مـريد الصدق كن أسـيري أنا … تـنـل المحبـة والبركـة وقـــربـي أنا
ولا تخف مـن الأعداء مهما كثروا … أمـــا علـمت بســــطوتي وقـوتـــي أنا
فجنودي مـعربـدة لا تـحصى عددا … وفي المعارك العظمى تُرفع راياتـي أنا
وإن بـعـدت المســافات فـهي الدّنا … أمـــا تـعلم بـأنــك فـــي قبضتي أنا
وفـــي المحشــــر وقت نفسي نفسي … فـــي ظـلّ الـعرش مـع مـريـدي أنا
فتمسـك بـعـهد الطـريـقة ثـابتـاً … فـــإن لـزمتَ فمن أوفـــى مـنـي أنا
ولا يغرّنك ســـــكري عما ترتكب … أوصلت مـقاماً لـــومـا ســـــكري أنا
تــــرى العارفين يحفون بحضرتي … وهـــم يـــرجـون شـــــربـة بيدي أنا
فاذكرني ولا تنكر حضرتي واعلم … بـأني الحجة العظمى لمن بـايعني أنا
فـيا ســـامع قـولـي أما زلت تنكر … فـالحســـــــرة والآهـات للمنكريـن أنا
أنا أمشـــي وأشــرب وآكـل أنا … ألهذا تشـــك فـي ختميتي فإنســـان أنا
طـريـقتي رحـمـة للثقلين جميـعاً … ولا يـعلم ســــرّي إلا مــن أحببتُ أنا
وصلِّ يـا رب على الأحـمـد طه … الــذي يجيب في المحشــــر أنا لها أنا

سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم

أبوبكر الصديق رضي الله عنه ← سلمان الفارسي رضي الله عنه
أنس بن مالك رضي الله عنه
الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

القاسم بن محمد أبي بكر
محمد بن سيرين
الحسن البصري
حبيب العجمي
داود الطائي

الامام الحسين عليه السلام
الامام زين العابدين عليه السلام
الامام محمد الباقر عليه السلام
الامام جعفر الصادق عليه السلام
الامام موسى الكاظم عليه السلام
الامام علي الرضا عليه السلام
أبو يزيد البسطامي
أبو نصر الكرخاني

معروف الكرخي
سري السقطي
أبو القاسم الجنيد البغدادي
أبو الحسن النوري
أبو بشر الجوهري
عبد الله بن أبي بشر
عبد الجليل بن ويحلان
محمد بن نور
أيوب بن سعيد
أبو يعزى بن ميمون العربي

أبو يعقوب أسحاق النهرجوري
أبو سعيد المغربي
الشاشي

أبو بكر الشبلي
عبد الواحد التميمي
أبو الفرج الطرسوسي
أبو الحسن علي الهكاري
أبي سعيد المبارك المخزومي
الشيخ عبد القادر الكيلاني الحسني الحسيني

الامام الحسن عليه السلام
أبو محمد جابر
سعيد الغزواني
فتح السعود
سعد
أبو محمد سعيد
أحمد المرواني
ابراهيم البصري
زين الدين القزويني
محمد شمس الدين
محمد تاج الدين
نور الدين أبو الحسن علي
فخر الدين
تقي الدين الفقير

شعيب أبو مدين
محمد صالح بن ينصار
محمد بن حرازم
عبد الرحمن العطار الزيات
عبد السلام بن مشيش
أبو الحسن الشاذلي
أبو العباس المرسي
أحمد بن عطاء الله الاسكندري
داود الباخلي
محمد وفا بحر الصفا
علي بن وفا
يحيى القادري
أحمد الحضرمي
أحمد رزوق
ابراهيم الفحام
علي الصنهاجي الدوار
عبد الرحمن المجذوب
يوسف الفاسي
عبد الرحمن الفاسي
محمد بن عبد الله
قاسم الخصاصي
أحمد بن عبد الله الفاسي
العربي بن عبد الله
علي الجمل العمراني
العربي بن أحمد الدرقاوي
أبو يعزى المهاجي
محمد بن عبد القادر الباشا
محمد بن قدور الوكيلي
محمد بن الحبيب البوزيدي
أحمد بن مصطفى العلاوي
محمد بن يلس
سيدي الشيخ محمد الهاشمي التلمساني الحسني
الشيخ محمد الحسيني القادري - نقيب السادة أشراف محافظة الحسكة
الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الرفاعي
نقيب السادة الأشراف - حماة - كفرزيته
كان الله له وليا وبه حفيا آمين

سيدي داود في التلقي عن سيدي أبي الرازي الدقوقي قدس الله سره
الشيخ عبد العزيز القادري
الشيخ محمد الهتاكي القادري
الشيخ شمس الدين القادري
الشيخ شرف الدين القادري
الشيخ زين الدين القادري
الشيخ ولي الدين القادري
الشيخ نور الدين القادري
الشيخ يحيى القادري
الشيخ عثمان القادري
الشيخ أبو بكر الأدوسي القادري
الشيخ محمود الجليلي الوصلي القادري
الشيخ نور الدين البريفكاني القادري الحسيني
الشيخ محمد نوري البريفكاني القادري الحسيني
الشيخ نور محمد البريفكاني القادري الحسيني
الشيخ محمد الحسيني القادري
سيدي الشيخ أحمد الحسيني القادري
نقيب السادة أشراف الجزيرة الحسكة

أمين سر النقابة
النسابة المحقق الشريف
محمد منير الشوبكي الحسيني

لقد رسمنا هذه الشجرة عن الكتب التالية:
إرشاد الراغبين الشيخ حسن بن عبد العزيز أحمد مريدي
الشيخ أحمد بن مصطفى العلوي المستغانمي رحمه الله تعالى
الأنوار القدسية للشيخ محمد ظافر المدني
أوراد السادة الشاذلية الدرقاوية التلمسانية
مجموع الأوراد المسمى الدرة البهية في أوراد الطائفة العلوية للعارف بالله سيدي عدة بن تونس المستغانمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد لما كان تاريخ ١٠ صفر ١٤٢٠ هـ عرضت علي هذه السلسلة الزكية فوضعت عليها قلم عجزي وتقصيري سائلاً المولى عز وجل أن يمنحنا الرضا والقبول.

خادم أنساب السادة الأشراف بحمص
السيد الشريف محمد ديب السبيعي الرفاعي
الشهير بالنجار

٨ ذي الحجة ١٤٢٠
١٤ آذار ٢٠٠٠







بسم الله الرحمن الرحيم

((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً))

صدق الله العظيم





نسبٌ تحسدُ النّجومُ عُلاهُ نُظِمتْ ضِمنَ سِلكِهِ الأقمارُ
كلُّ أفرادِهِ شيوخٌ كبارٌ شرفاءُ أئمةٌ أطهارُ

هذا نسب السيد الشيخ عبد الله السعيد الصيادي الحسيني

نقيب السادة الأشراف (في محافظة حماه - كفر زيتا) آل بيت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم





هو العبد الفقير السيد عبد الله ابن السيد مصطفى ابن السيد سعيد ابن السيد محمد ابن السيد حسن ابن السيد يوسف ابن السيد حسين ابن السيد حمود ابن السيد عثمان ابن السيد السلطان محمد عجاج ابن السيد العارف بالله حسين برهان الدين ابن السيد عبد العلام ابن السيد عبد الله شهاب الدين الزبيدي ابن السيد محمود الصوفي ابن السيد محمد برهان الدين ابن السيد حسن الغواص (دفين الشام) ابن السيد محمد شاه ابن السيد محمد حزام (دفين الموصل) ابن السيد نور الدين الصيادي ابن السيد عبد الواحد ابن السيد محمود الأسمر ابن السيد حسين العراقي ابن السيد ابراهيم العربي ابن السيد محمود البصري ابن السيد عبد الرحمن شمس الدين ابن السيد عبدالله قاسم نجم الدين المبارك ابن السيد محمد حزام السليم ابن السيد شمس الدين عبد الكريم ابن السيد صالح عبد الرزاق ابن السيد شمس الدين محمد ابن السيد العارف بالله صدر الدين علي ابن السيد القطب الجواد قطب الشام وساجد العام سبط الإمام الرفاعي السيد عز الدين أحمد الصياد ابن السيد ممهد الدولة عبد الرحيم ابن السيد عثمان ابن السيد حسن ابن السيد محمد عسلة (دفين اشبيليا) ابن السيد علي الحازم أبي الفوارس ابن السيد أحمد المرتضى ((نزيل المغرب)) ابن السيد علي المكي ((نزيل اشبيليا)) ابن السيد حسن رفاعة المكي ((دفين اشبيليا)) ابن السيد المهدي ((نزيل مكة المكرمة)) ابن السيد أبي القاسم محمد ((نزيل مكة)) أبن السيد حسن ((نزيل مكة)) ابن السيد حسين ابن السيد أحمد الملقب بالأكبر ابن السيد موسى الثاني ((نزيل بغداد)) ابن السيد الأمير إبراهيم المرتضى ((نزيل بغداد)) ابن السيد الإمام موسى الكاظم ((شهيد السجن)) ابن السيد الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام زين العابدين علي ابن الإمام شهيد كربلاء سبط رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الحسين ابن أسد الله فحل المشارق والمغارب أمير المؤمنين سيدنا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وزوجته السيدة الزهراء ريحانة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

النسابة المحقق
الشيخ عبد الله السعيد

النسابة المحقق
الشيخ عبد الله السعيد

أما نسبه من جهة أمه فينتهي إلى القطب الرباني السيد عبد القادر الجيلاني (قدس سره) الذي ينتهي نسبه إلى سيدنا الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
عرضت علي هذه المشجرة المباركة فوضعت عليها قلم عجزي وتقصيري أسأل الله أن ينفعنا برجالها الكرام.
كتبه الفقير النسابة محمد ديب النجار السبيتي الرفاعي
١٢/ محرم ١٤٢٩ م

النسابة المحقق
عبد الله أحمد علي الطفيلي الرفاعي الرفاعي الحسيني

صدق وحقق هذا النسب الشريف









الفهرس